

د. ليديا كانغ نيت بيدرسن

الدجل

تاريخ موجز لأسوأ الطرق
لعلاج كل شيء

ترجمة: رؤى الشيخ



الدجل

تاريخ موجز
لأسوأ طرق العلاج



الدجل.. تاريخ موجز لأسوأ طرق العلاج
ليديا كانغ - نيت بيدرسن، ترجمة: رؤى الشيخ

الطبعة الأولى ٢٠٢٢

حقوق النشر والترجمة والاقتباس محفوظة لمنشورات نابو في بغداد

Nabu Publishers

تلفون: +٩٦٤٧٨٠٤٤٢٣٦٢٩

ص.ب: ٥٠٤٧ مكتب بريد الرشيد، بغداد، العراق

E-mail: info@nabupub.com

التصميم والإخراج الفني: وليد غالب

First published in the United States under the title:

QUACKERY: A Brief History of the Worst Ways to Cure Everything

Copyright © 2017 by Lydia Kang and Nate Pedersen

See Schedule A for complete list of photo credits

Published by arrangement with Workman Publishing Co. Inc. New York

ليديا كانغ
نيت بيدرسن

الدجل

تاريخ موجز
لأسوأ طرق العلاج

ترجمة: رؤى الشيخ

إهداء المؤلفين

إلى أبريل التي أنارت الطريق - نيت.

...

إلى أبي وأخي، من أعظم الأطباء الذين عرفتهم مناهضين للدجل. وإلى
أمي التي يكاد حبها يشفي كل شيء - ليديا.

إهداء المترجمة:

إلى سعد، من يراني في الظل قبل أن يدركني أحد في الضوء.

إلى أولادي، قوتي وشفائي



Фиг. 1.

المقدمة

استعملت كلمات شتى عبر التاريخ كالذجال، والمشعوذ، والمحتال، والمخادع، لوصف أولئك الذين استغلوا خوفنا من الموت والمرض وتاجروا بسلع لا تعمل أو ربما سببت الأذى أو أودت بحياتنا في بعض الأحيان. لكن الدجل لا يكون دائماً خداعاً صريحاً. على الرغم من أن المصطلح يُعرّف عادة على أنه ممارسة وترويج لعلاجات طبية خرافية عن قصد، إلا أنه يتضمن أيضاً الحالات التي يروج فيها الناس لما يؤمنون حقاً بأنه يُجدي. ربما يتجاهلون أو يتحدون الحقيقة العلمية، أو ربما عاشوا قبل قرون، قبل أن يدخل المنهج العلمي ووعي الحضارة. يمكن أن يُنظر لعلاجات مثل خصيتي ابن عرس بوصفه وسيلة لمنع الحمل، والفصد للمساعدة في علاج نزيف الدم، والكي بالحديد المتوهج لعلاج مرض الحب، عبر عدسة العصر الحديث على أنها سخيفة تماماً.

ولكن وراء كل علاج مضلل - من أكل العثمانيين الطين لإبقاء الطاعون بعيداً إلى رجال العصر الفيكتوري الذين كانوا يجلسون في غرفة بخار الزئبق لعلاج مرض الزهري إلى مرضى الصرع وهم يحترسون دماء المصارع في روما القديمة - قوة مذهلة للرغبة البشرية في العيش. وهذا الدافع مصدر إلهام محض: نحن على استعداد لالتهام الجثث وحتى تعريض أنفسنا للزيت المغلي، وتحمل العلاجات التجريبية مثل ديدان العلق، وكل ذلك باسم البقاء.

يقود هذا الدافع أيضاً إلى ابتكارات مذهشة. بعد معركة طويلة لتحقيق معدلات وفيات أقل (وتخفيف الصراخ من الألم)، يقوم الأطباء الآن بالجراحة بعد تخديرنا من دون أن نشعر بالألم. ومن دون أن يقطر القيح من أيديهم جرّاء حالة جراحية سابقة أجروها. يمكننا محاربة السرطان على المستوى الجزيئي، بطرق لم يحلم بها أسلافنا. لم تعد الأمراض مثل الزهري والجدري عبئاً ثقيلاً على المجتمع. من السهل أن تنسى أنه على طول الطريق إلى هذا التقدم، تعرّض المبتكرون للسخرية والعار؛ وعانى المرضى من أخطاء أطبائهم، بل وماتوا في غالب الأحيان. لم يكن ليحدث أي من هذه الإنجازات الطبية اليوم من دون تحدي الوضع القائم حينها.

لكن هناك بالطبع جانب مظلم. تلك الرغبة في الشفاء والعيش لفترة أطول هي حالة إدمان كإدمان الأفيون. ينتحل العلماء شخصية إيكاروس يحاولون أن يبذلوا ما بوسعهم لجعل الأدوية أكثر فعالية وقوة. كان الأباطرة يرسلون الكيميائيين لديهم في مهام سخيفة لكشف أسرار الخلود. وكان الدجالون يقررون أنك بحاجة إلى زرع زوج جديد من خصيتي الماعز. في بعض الأحيان، نكون في أمس الحاجة إلى علاج، ونجرب أي شيء، حتى وإن كانت تحاميل مُشعّة.

لنكن صادقين، إن التمتع بالصحة الجيدة ليس أمراً كافياً بالنسبة إلى الكثيرين منا. نحن نريد المزيد من الشباب الأبدي والجمال المثالي والطاقة اللامحدودة وفحولة زيوس. وهنا بالضبط يزدهر الدجال. هذا هو المكان الذي نبدأ فيه في الاعتقاد بأن رقائق الزرنيخ ستمنحنا بشرة نضرة وأن إكسير الذهب المخادع سيصلح قلوبنا المكسورة.

إدراكنا المتأخر لذلك يجعلنا نسخر ببساطة من كثير من العلاجات الواردة في هذا الكتاب، ولكن لا شك أن الدكتور غوغل Google قد ساعدك في البحث عن علاج بسيط لمشكلة مزعجة. جميعنا بلا استثناء نسعى

لإيجاد حل سريع. منذ مائة عام، ربما كنت أنت الشخص الذي اشترى
منشط الإستر كنين!

من الواضح أننا بحاجة إلى أن نحمي أنفسنا من الدجالين ومن ذواتنا
أيضاً. قاد ظهور براءات اختراع الأدوية في القرن التاسع عشر أمريكا إلى
نقطة تحول. وبقانون الأغذية والأدوية النقية عام ١٩٠٦، اتخذت الولايات
المتحدة إجراءات صارمة ضد الملصقات الزائفة والمضللة، والمكونات غير
الآمنة في الطعام، وغش المنتجات الطبية والغذائية. في عام ١٩٣٠، أصبح
مكتب المراقبة يُعرف باسم إدارة الغذاء والدواء (FDA) كما غطت القوانين
اللاحقة في عام ١٩٣٨ الأجهزة الطبية ومستحضرات التجميل، وأضاف
قانون عام ١٩٦٢ الدقة العلمية في صناعة الأدوية.

هل عاجلت تلك القوانين أمريكا مما فيها من دجل؟ بالطبع لا. على
الرغم من التقدم في العلوم الحديثة، وإدارة الغذاء والدواء، والفهم الجيد
جداً لكيفية عمل جسم الإنسان، لا تزال نخالب الدجالين تلامس تقريباً كل
جانب من جوانب الرعاية الصحية وصناعة مستحضرات التجميل. ولهذا
السبب ستقرأ بعض المستجدات العصرية في كثير من فصولنا. بشكل غير
مُتوقع تحولت بعض علاجات الدجالين، مثل ديدان العلق إلى علاجات
حقيقية وفاعلة. ولكن في كثير من الحالات (مثل تناول الديدان الشريطية
لفقدان الوزن)، ما يزال الدجل ببساطة باقياً ومستمراً.

لمواصلة محاربة الدجالين، نحتاج إلى فهم أكثر اكتمالاً لكيفية عمل جسم
الإنسان وكيفية عمل المرض. نحن بحاجة أيضاً لأن نُبقي العقول متيقظة
لمعرفة طرق مكافحة المرض وزيادة طول العمر. أخيراً، نحن بحاجة إلى
البقاء حذرين. سيكون هناك دائماً دجالون على استعداد للاستفادة الكاملة
من اليأس البشري قبل أن يتمكن العلم والطب من إيجاد حلول قوية.

فكيف يمكن للمرء أن يصبح مستهلكاً حذراً وواعياً وذا عقل منفتح؟

انتبه إلى أن الطب الزائف يعتمد غالباً على الأدلة القصصية، أو على تأييد طبيب مشهور لإقناعنا بنجاحه. انظر أيضاً بشكل أعمق في الادعاءات التي تقول بأن «الدراسات تظهر أن XYZ مذهل» كان ينبغي إجراء هذه «الدراسات» بصرامة، ومراجعتها من قبل الأقران، واختبارها بشكل متكرر على يد شخصيات اعتبارية مستقلة لإظهار فعاليتها، ونادراً ما يكون الأمر كذلك. انحيازاتنا الخاصة والانحياز التأكيدي والانحياز للمجموعة والانحياز لتأييد القرار، وغيرها من الانحيازات لها تأثيرات قوية على قدرتنا في تقييم العلاجات المتنوعة منهجياً مثل شراب السعال العشبي، أو صاعق السرطان الإلكتروني، أو حقن الوجه بالبلازما الذي يكلف كثيراً من المال. في النهاية، نصل لبعض الأسئلة السهلة. هل تصدق أن هناك دليلاً قوياً على أن تلك المنتجات ستعمل؟ هل أنت على استعداد للتأثيرات الجانبية؟ ويجب ألا ننسى، هل تملك المال الكافي لشرائها؟

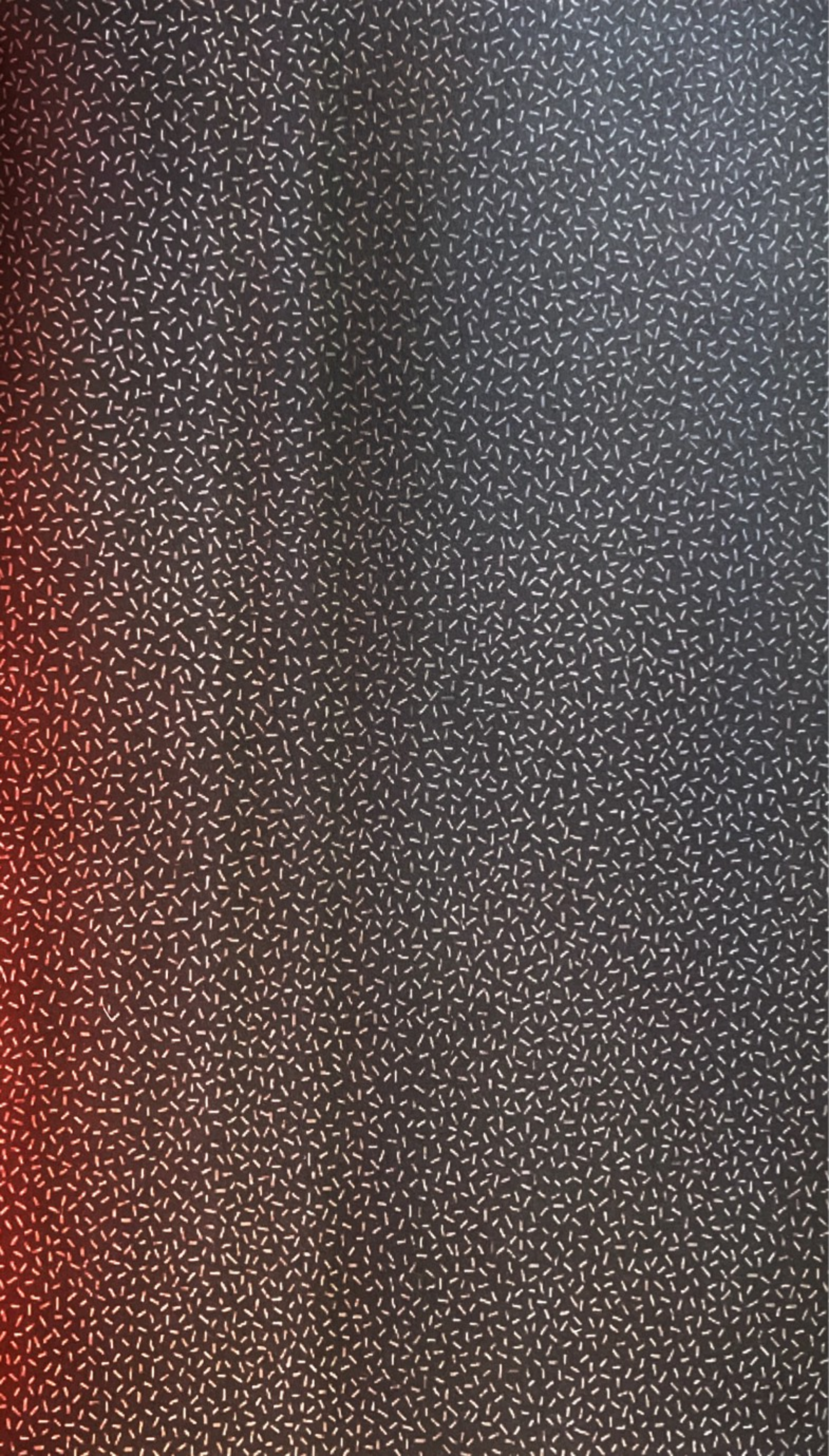
بعد كل ذلك، يُعدّ هذا الكتاب في الحقيقة مجرد تاريخ موجز لأسوأ طرق العلاج التي ادعت أنها تعالج كل شيء. لا شك أن هناك المزيد من «أسوأ الطرق» التي لم تأت بعد.

ملاحظات المؤلفين

هذا الكتاب بأي حال من الأحوال ليس موسوعة شاملة لجميع العلاجات التي نعدّها الآن سخيقة - ولهذا السبب، سنلاحظ أننا نركز في الغالب على العلاجات السابقة بدلاً من العلاجات الحالية. إضافة إلى ذلك، هناك كثير من الموضوعات التي كنا نرغب في تغطيتها بعمق، ولكننا نعتقد أنها تناسب كتباً لها نبرتها الخاصة المختلفة تماماً، بما في ذلك الدجل الطبي المعتمد على الدين والأذى الفادح في علاج تحويل مثلي الجنس والعلاجات القائمة على العنصرية.

العناصر

وصفات من الجدول
الدوري للعناصر





الزئبق

إله الرومان، آثار حمامات الزئبق، سيلان المصابون بالزهري،

التواق للخلود، وتبني الرمز الخاطيء للأفاعي

أصبحت أطراف الطفلة باردة ومتورمة وحمراء اللون.
بشرتها مشققة كالطماطم المقشرة. خسرت كثيرًا من وزنها.
تبكي بحرقة وهي تحك جلدتها، فمزقت الحكمة الشديدة
الجلد المتشقق. أما حرارتها فوصلت في بعض الأحيان إلى
١٠٢ سيليزي.

تقول والدتها: «لو كانت راشدة، لربما ظن الجميع أنها مجرد
مجنونة جالسة في سريرها، تضرب رأسها، وتشد شعرها
وتصرخ وتخدش بأظافرها كل من يقترب منها».



DR. MOFFETT'S TEETHINA

(Teething Powders)

Costs only 25 cents at Druggists,

Or mail 25 cents to C. J. MOFFETT, M. D., ST. LOUIS, MO.

Allays Irritation, Aids Digestion,
Regulates the Bowels,
Strengthens the Child,
Makes Teething Easy.

TEETHINA Relieves the Bowel
Troubles of Children of
ANY AGE.

نحن أيضاً نخاف من ذلك الوحش الصغير الهجين

في وقت لاحق، أُطلق على حالتها اسم اكرودينيا أو ألم الأطراف، سُميت بهذا الاسم نتيجة ألم اليدين والقدمين. ولكن في عام ١٩٢١، أُطلقوا على مرض الطفلة داء الاحمرار، وتوالت المزيد والمزيد من تلك الحالات كل عام. لفترة من الوقت، سعى الأطباء لتحديد أسباب هذا المرض. وعزوا ذلك إلى الزرنيخ والإرغوت والحساسية والفيروسات. ولكن بحلول الخمسينيات من القرن الماضي، ونتيجة وفرة الحالات، اكتشف أن هناك مكوناً واحداً اشترك في تناوله الأطفال المرضى، وهو الكالوميل.

كان الآباء يفركون لثة أطفالهم بأحد المساحيق التي تحتوي على الكالوميل، على أمل تخفيف آلام ظهور الأسنان. كان من الشائع جداً في ذلك الوقت: مسحوق تيشينا Teethina Powder من الدكتور موفيت، والذي تفاخر أيضاً بأنه «يقوّي الطفل ويخفف من مشاكل الأمعاء عنده في أي عمر»، ويمكنه

STEEDMAN'S
POWDERS
WALWORTH, Surrey.
Please Observe the E E s,
IN STEEDMAN

يجب أن تفهم كل ما هو مكتوب لكي
تسمح أطفالك بشكل صحيح لأبس فيه

أيضاً، «أن يجعل الطفل سميناً مثل الخنزير».

بعيداً عن الوعد المروّع لنتائج الكالوميل التي تشبه قصة هانسل وغريتل، كانت هناك مادة أخرى خطيرة مدسوسة داخل الكالوميل: الزئبق. لمئات السنين، أُدعي أن المنتجات المحتوية على الزئبق تشفي مجموعة متنوعة من الأمراض التي لا صلة بينها، مثل الكآبة، والإمساك، والزهري، والإنفلونزا، والطفيليات وكل ما يخطر ببالك. استخدم الناس على اختلاف طبقاتهم الاجتماعية الزئبق لعدة قرون، على شكل سائل أو ملح. يُصنف الكالوميل - المعروف أيضاً باسم كلوريد الزئبق - ضمن تلك المنتجات واستخدمه بعض أشهر الشخصيات في التاريخ، بما في ذلك نابليون بونابرت، وإدغار آلان بو، وأندرو جاكسون، ولويزا ماي ألكوت. لماذا؟ هذه قصة طويلة.

الكالوميل : تطهر من كل شيء

يستمد الكالوميل اسمه من الكلمات اليونانية التي تعني الخير، والأسود (سمي بذلك بسبب تحوله للون الأسود في حال وجود الأمونيا). أُستخدم الكالوميل من القرن السادس عشر إلى أوائل القرن العشرين. لا يشبه الكالوميل الكراميل كما يوحي، فهو أحياناً يحمل ألقاباً مثيرة للغثيان مثل «حلوى الديدان» و «الشوكولاتة الدودية» لعلاج الطفيليات. قد يبدو الكالوميل بحد ذاته، الذي هو عبارة عن مسحوق أبيض لا رائحة له، غير ضار إلى حد ما. لكن لا تنخدع: إنه ضار مثل جارك الذي يرتدي بدلة عسكرية ويخفي قبواً مليئاً بمناشير العظام. يسبب أخذ الكالوميل عن طريق الفم الإسهال الشديد، الذي يُعدّ طريقة رائعة لإفراغ أحشائك. لطالما ارتبط الإمساك بالمرض، والقضاء على الإمساك يعد علامة على إزالة الضرر.

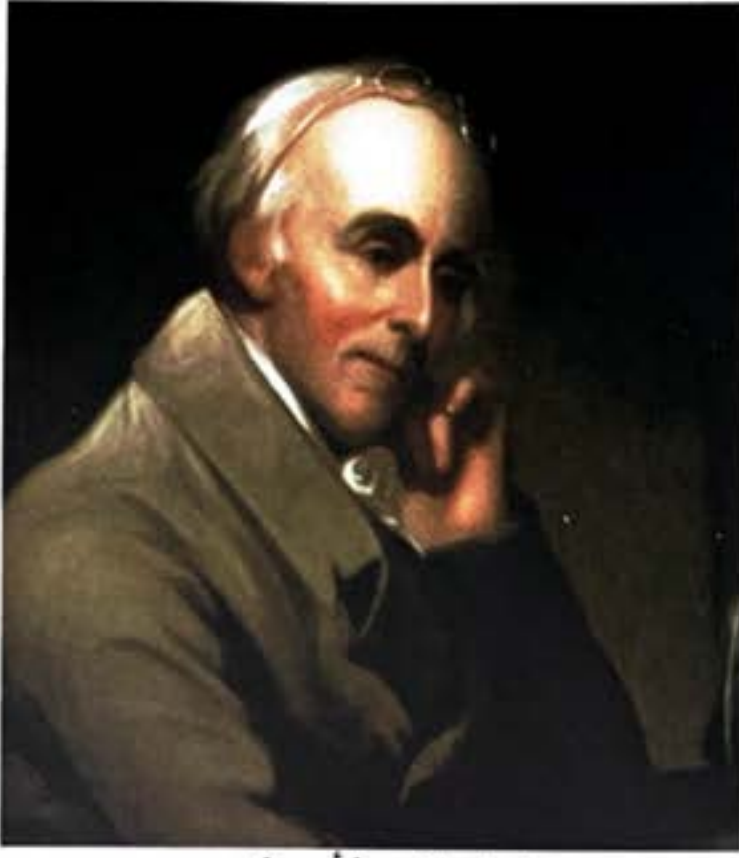
يعتقد بعضهم أن كلمة «الأسود» من اسمه نشأت من البراز الداكن



تناول حبة واحدة باستمرار ستفرغ كل ما بأحشائك

المطروح، والذي خلط بينه وبين الصفراء. تعود النظرية التي تقول بأن تدفق المادة الصفراء «بحرية» ضروري للحفاظ على توازن الجسم وتوازن الأخلاط الأربعة، إلى زمن أبقرراط وجالينوس. فإذا كان جوف الأمعاء مظلمًا ومخاطيًا، أليس من الأفضل تخليص الجسم من هذه السموم؟

كان يجري «التطهير» أيضاً بطريقة أخرى، على شكل كميات هائلة من سيلان اللعاب، وهو أحد أعراض التسمم بالزئبق. يمكن لمستهلك الكالوميل أن ينافس الكلب المسعور في سيلان اللعاب. إذا طُرحت المواد الضارة عن طريق اللعاب الغزير، سيكون أمرًا جيدًا، أليس كذلك؟ في القرن السادس عشر، اعتقد باراسيلسوس أن الجرعات «الفعالة» (أي السامة) من الزئبق تحقق هدفها عندما ينتج عنها ثلاثة مكاييل من اللعاب على الأقل. وهكذا، في الوقت الذي كان يُعتقد فيه بأن الإسهال وإفراز اللعاب والبلغم بكميات كبيرة هو الحل لكثير من الأمراض، وجد الأطباء ضالتهم في الكالوميل. كان بنيامين راش أحد هؤلاء الأطباء، وهو الأب المؤسس الذي وقّع إعلان الاستقلال، ودعا إلى تعليم المرأة وإلغاء العبودية، إضافة إلى كونه رائدًا في العلاج الإنساني للمرضى النفسيين، إلا أنه اعتقد للأسف أن أفضل علاج للمرض العقلي هو جرعة من الكالوميل. ووصفه لعلاج حالة تُدعى توهم المرض:



بنيامين راش، الأب المؤسس
يريدك أن تبرز بإفراط

«يعمل الزئبق في هذا المرض، أولاً، على نقل الإثارة المرضية من الدماغ إلى الفم. ثانياً، يزيل الانسدادات في الأمعاء. ثالثاً، يعمل على تغيير سبب شكوى مرضانا ويعالجها في منطقة فمه المتقرّح. سيزداد إفراز اللعاب في حال أُثير نوع من الضغينة والحقد تجاه معالجي المريض أو أصدقائه». فالضغينة أو كره الطبيب أو

الأصدقاء المقربين يعدّ من الآثار الجانبية الرائعة! ولكن في الحقيقة، كان الدكتور راش يستبدل حالة توهم المرض بسمية المعدن الثقيل. والآخر الجانبي الآخر كان فرط التهيج، وهو اضطراب عصبي يشمل الاكتئاب والقلق والخجل المرضي والتنهد المستمر، ورعشات الأطراف. تسمى هذه الأعراض بجنون القبّعاتي أو رعشات القبّعاتي (وذلك نسبة إلى عمال صناعة القبّعات الذين استخدموا الزئبق في عملية التليد). بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن يفقد المرضى المتسممون أسنانهم، وتتعفن عظام الفك لديهم، وتظهر الغرغرينا في الخدين مسببة ثقوباً في الوجه تكشف عن تقرحات في اللسان واللثة. حسناً، ماذا لو كان النجاح يعني أن يتحول مرضى الدكتور راش إلى موتى متقلبي المزاج يمشون على الأرض؟

عندما ضرب فيروس الحمى الصفراء، الذي ينقله البعوض، فيلادلفيا عام ١٧٩٣، بات الدكتور راش مدافعاً شغوفاً عن استهلاك الكميات الكبيرة من الكالوميل وعن ممارسة الفصد («العلاج البطولي

بالاستنزاف». في بعض الأحيان، بلغت الجرعة المعطاة عشرة أضعاف جرعة الكالوميل المعتادة. حتى المؤسسة الطبية المؤيدة للتطهير وجدت هذا مفرطاً. وصف أعضاء كلية الأطباء في فيلادلفيا أساليبه بـ «القاتلة» وبأنها «تلائم حصاناً».

في وقت سابق، في عام ١٧٨٨، وصفه المؤلف ويليام كوبيت بأنه «دجال يملك تأثيراً قوياً». في ذلك الوقت، قدّر توماس جيفرسون معدل الوفيات بسبب الحمى الصفراء بـ ٣٣ بالمائة. وبعد ذلك في عام ١٩٦٠، أُكتشف أن معدل وفيات مرضى راش بلغت ٤٦ بالمائة. ولا يُعدّ ذلك تحسناً البتة. في النهاية، كانت مساهمة الدكتور راش في تحسين مشكلة المياه الراكدة والصرف الصحي في فيلادلفيا، إضافة إلى الصقيع الأول الذي يقتل البعوض في الخريف، هي العوامل التي أنهت الوباء. أصيب ألكسندر هاملتون، صديق الدكتور راش، بالمرض، لكنه لجأ إلى طبيب آخر يستخدم أساليب أكثر لطفاً. كتب هاملتون: «في نظريته عن العلاج بالفصد والزئبق، كنت أعارض صديقي دائماً... الذي أحببته كثيراً. لكنه تسبب بكثير من الأذى. بالنسبة إليه، فهو مقتنع تماماً بأنه يحافظ على حياة المرضى». نجا هاملتون، لكن سمعة الدكتور راش لم تنج. بحلول مطلع القرن، بدأت ممارسته الطبية تتلاشى.

ومع ذلك، استمر استخدام الكالوميل. لم تختفِ مركبات الزئبق حتى منتصف القرن العشرين وذلك بفضل المعرفة الجيدة بأن سمية المعادن الثقيلة أمر سيئ.

الزئبق المعدني: جمال بغيض

من المعروف لدى معظمنا، أن عنصر الزئبق هو ذلك السائل الزلق الفضي الذي كان يستخدم في موازين الحرارة الزجاجية. إذا كنت طفلاً لأبوين غير



مفرطين في العناية بك، فربما أتاحت لك فرصة اللعب بمحتويات مقياس حرارة مكسور. حيث تتزحلق الكرات المتلألئة في كل مكان وتُسعد الأطفال لساعات.

كان هناك دائماً شيء من الغموض يلف الزئبق. يوحي اسمه اللاتيني الأقدم عن تفرده المثير Hydrargyrum بمعنى

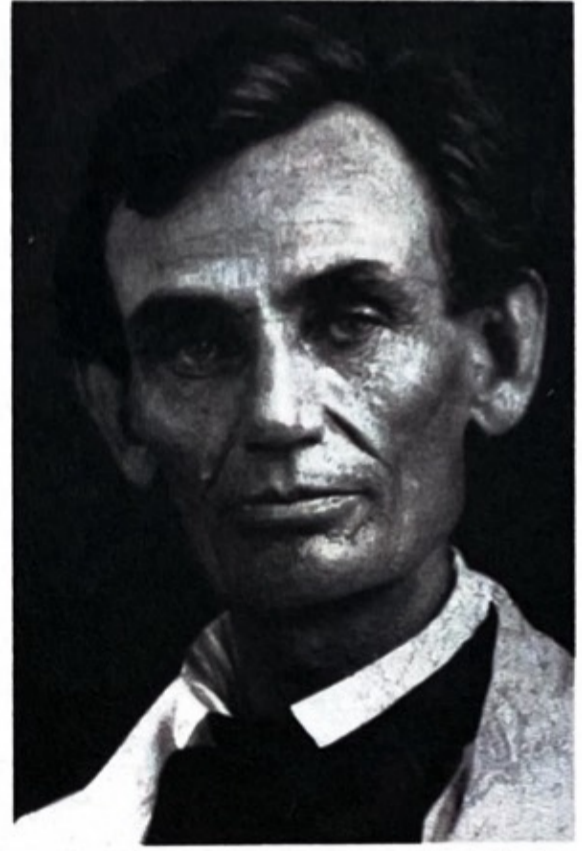
«الفضة المائية»، ومنه جاء اختصاره Hg في الجدول الدوري للعناصر. فهو المعدن الوحيد الذي يكون سائلاً في درجة حرارة الغرفة، وهو أيضاً العنصر الوحيد الذي ارتبط اسمه بالإله الروماني ميركوري Mercury. لذلك من المنطقي أن يتوقع الناس أشياء سحرية من الزئبق. كان كين شي هو انغ، أول إمبراطور لأسرة تشين (٢٤٦-٢٢١ قبل الميلاد) من أولئك الناس. في محاولة يائسة لمعرفة سر الخلود، أرسل فرق البحث للعثور على الإجابة، لكن باءت محاولاتهم بالفشل. وبدلاً من ذلك، ابتكر الكيميائيون لديه أدوية الزئبق، معتقدين أن السائل اللامع هو المفتاح.

مات عن عمر يناهز التاسعة والأربعين بسبب التسمم بالزئبق. لكن مهلاً، لماذا التوقف عند هذا الحد؟ في محاولة للحكم في الحياة الآخرة، يصف الكتاب القدماء بأن تشين قد دُفن في ضريح كبير تحت الأرض تتدفق فيه أنهار من الزئبق، وسقفه مزين بالجواهر. كما ورد أنه مفخخ بسهام تطلق النار عند الإزعاج، على غرار إنديانا جونز^(١). للأسف، حرص تشين على دفن محظياته ومصممي المقابر أحياء معه. حتى الآن، لم يُنقب عن القبر بسبب المستويات السامة من الزئبق التي يمكن أن تنطلق إذا ما فُتح.

عندما كان إبراهيم لنكولن يخطط طريق الخلود في التاريخ، وقع ضحية للزئبق السائل. قبل رئاسته، عانى لينكولن من تقلبات حادة في المزاج والصداع

(١) إنديانا جونز ومعبد الهلاك: فلم أمريكي من نوع المغامرة. المترجمة

والإمساك. في خمسينيات القرن التاسع عشر، كتب أحد المساعدين، أن لينكولن كان يتناول حبوباً زرقاء عندما يعاني من الصداع الشديد. هذا الصداع الشديد كان يعرف أيضاً باسم "الصداع الصفراوي" وعلاجه سيكون عن طريق مسهل جيد يسمح للصفراء أن تتدفق.



إبراهام لنكولن، قبل اللحية والقبعة، لكن ليس قبل التحرر من الزئبق

إذن ماذا كان ذلك الدواء الأزرق الغامض؟ حبة بحجم حبة الفلفل تحتوي على سائل الزئبق النقي وجذر عرق السوس وماء الورد والعسل والسكر. لأن الزئبق السائل لا تمتصه الأمعاء بشكل كافي، قام الصيادلة بسحق حبات السائل مرارًا وتكرارًا، وهي عملية تسمى الإخماد. لسوء الحظ، سمح هذا المركب المسحوق بامتصاص الزئبق بسهولة أكبر على شكل بخار داخل الأمعاء.

مثل مدمن الكافيين الذي يسرف في شرب القهوة منزوعة الكافيين، كان حال لنكولن يسوء بعد تناول تلك الحبوب. هناك كثير من الروايات عن سلوكه المتقلب في ذلك الوقت، وعن نوبات اكتئاب مصحوبة بالغضب، إضافة إلى مشاكل الأرق والرعشة وطريقة المشي، وكلها يمكن أن تُعزى نظريًا إلى سمية الزئبق، ربما كان يعاني من الانفعال العصبي أيضاً *erethism* يبدو أن لينكولن، بحسب تقديره، أدرك أن الحبة الزرقاء هي من تجعل حاله أسوأ بدلاً من التحسن، ويبدو أنه قلل من تناولها بمجرد دخوله البيت الأبيض. بعد أن فات الأوان. قد يصدم المرء عندما يتخيل زعيماً مزاجياً مريضاً ومتسهماً بالزئبق كان يطلق الرصاص في أثناء الحرب الأهلية.

«ليلة مع الزهرة والعمر كله مع عطارد»^(١)

كان للزئبق علاقة متداخلة مع مرض الزهري لقرون عدة. في القرن الخامس عشر بعد الغزو الفرنسي لنابولي في إيطاليا بدأ المرض يشق طريقه عبر أوروبا. كما لاحظ فولتير «وصل الفرنسيون في طريقهم البذيء عبر إيطاليا بلا مبالاة إلى جنوا ونابولي وإلى مرض الزهري. ثم طردوا وحُرموا من نابولي وجنوا. لكنهم لم يُحرموا من كل شيء - بل بقي معهم مرض الزهري». سرعان ما أصبح مرض الزهري مصدر أذى حقيقياً وشبهًا قاتلاً حيث انتشر في جميع أنحاء أوروبا. كانت تلك السلالة التاريخية من اللولبية الشاحبة (وهي البكتيريا المسؤولة) شديدة الضراوة. ظهرت القروح على الأعضاء التناسلية بعد إقامة علاقة جنسية مع أحد مصاب وتطور للطفح الجلدي والحمى. ومن ثم انتشرت الخراجات والبثور والقروح كريمة الرائحة على الجسم، بعضها شديد لدرجة أن يحدث تآكل للوجه واللحم والعظام. بالفعل. بات الزهري الخارج عن السيطرة مقززاً للغاية.

كان الناس في أمس الحاجة إلى علاج. وبحلول القرن السادس عشر، جاء الزئبق للإنقاذ بمساعدة باراسيلسوس المتحذلق المتحمس إلى حد ما، والذي عارض نظرية الأخلاط الأربعة لجالينوس. كان يعتقد بدلاً من ذلك أن الزئبق والملح والكبريت سيؤدي إلى كل أنواع العلاجات الجسدية لامتلاكه صفات مرتبطة بالأرض والفيزيولوجية والتنجم.

وصل ملح آخر وهو كلوريد الزئبق إلى مكان الحدث. على عكس الكالوميل، فإن كلوريد الزئبق قابل للذوبان في الماء ويمتصه الجسم بسهولة، مما يجعل نتائجه السامة تبدو أكثر فعالية. يحرق الجلد عند استخدامه («إنه يؤلم! إذن فهو يعمل!»)، وكان إفراز اللعاب الغزير علامة على التطهير الناجح. تلقى

(١) عطارد Mercury (ميركوري) هو اسم إله يوناني إضافة إلى الزئبق. المقصود هنا في العنوان الزئبق وليس الكوكب عطارد. لكنه كان مثلاً شائعاً بأن تقضي ليلة مع فينوس والعمر كله مع ميركوري لشدة إيمانهم بقدرة الزئبق العلاجية. المترجمة

مرضى الزهري أسوأ حمى معدني على الإطلاق؛ كان يُسخن الزئبق في حمامات البخار؛ لأن الاستنشاق يعدُّ مفيداً (طريقة فعالة لامتصاص الزئبق). وأضيف كلوريد الزئبق إلى الزبدة، وفُرك المرهم الناتج بكل ثقة على التقرحات. في بعض الأحيان، في عمليات التبخير، يكون المريض عارياً يجلس في صندوق يحتوي على بعض الزئبق السائل، ويخرج رأسه من ثقب، ثم تُوقد النار أسفل الصندوق لتبخير الزئبق. لاحظ الطبيب الإيطالي جيرولامو فراكاستورو من القرن السادس عشر أنه بعد المراهم الزئبقية والتبخير، «ستشعر بأن المرض يخرج من فمك عبر تدفق اللعاب المثير للاشمئزاز». لم يكن علاج الزهري مثيراً إلى حد كبير. لكن الأسوأ كانت طرق العلاج تلك التي سترافق المريض بقية حياته. لا يمكن إنكار ذلك المثل الشائع في ذلك الوقت: «ليلة من العمر مع الزهرة وبقية العمر مع عطار».

من المحتمل أن نيكولو باغانيني، أحد أشهر عازفي الكمان في التاريخ، كان يعاني من التسمم بالزئبق بعد تشخيص إصابته بمرض الزهري. إلى جانب معاناته من وسواس المرض والخجل المفرط من الانفعالات العصبية، والارتجاف بشكل لا يمكن السيطرة عليه، مما ساهم في انسحابه من المسرح في عام ١٨٣٤. كان لديه ساقان كجذع الشجرة وسعال مزمن. واشتكى: «أنا أخرج بسهولة المخاط والقيح. بمقدار ثلاثة أو أربعة صحون.. التورم في ساقي قد امتد إلى ما وراء الركبتين حتى أصبحت أمشي مثل الحلزون». سقطت أسنانه، وتهيجت مثانته باستمرار، وأصبحت خصيته ملتهبتين بحجم «اليقطين الصغير». اللعنة عليك يا مرض الزهري لتدميرك جاذبية القرع الصغير في كل مكان.

لحسن الحظ، أو لسوء الحظ، لم تدم حياة باغانيني المروعة في إنتاج المخاط بسرعة كالرخويات، وبخصيته اللتين كانتا بحجم القرع، طويلاً. مات في غضون شهر بعد توقفه عن العزف.

في الوقت الحاضر، نعلم أن الزئبق والمعادن الأخرى مثل الفضة يمكن أن

تقتل البكتيريا في المختبر. وكذلك يعلم جميع العلماء أن ما هو جيد في طبق بتري ليس بالضرورة أن يكون جيداً في جسم الإنسان.
 ليس معروفاً إذا ما سُفي المصابون بمرض الزهري عبر علاجاتهم بالزئبق أو أنهم انتقلوا ببساطة إلى المرحلة اللاحقة من المرض التي تكون عبارة عن سنوات عدة خالية من الأعراض. هذا إن لم تقتلهم سمية الزئبق أولاً.



Verlegt's Johann Friedrich Gleditsch Buchh.
 Leipzig 1689



للتطهر بجرأة حيث لم يتطهر أحد من قبل

لويس وكلارك وحبوب ثاندربولتس

كان لتأثير بنجامين راش تأثيرات بعيدة المدى أبعد من فيلادلفيا، تجلّت على شكل حبوب د. راش الصفراوية. وهي مزيج خاص من الكالوميل والكلور والجلاب (ملين عشبي قوي)، أُطلق على هذه الحبوب وبكل فخر اسم حبوب ثاندربولتس للدكتور راش Thunderbolts أو ثاندركلابرز Thunderclappers. بناءً على توصيات راش، اصطحب لويس وكلارك في رحلتهم الاستكشافية الشهيرة تلك الحبوب. كتب راش: «عندما تشعر بأقل توعك... افتح الأمعاء برفق عن طريق حبة واحدة أو اثنتين أو أكثر من حبوب التطهير». كما أن الإمساك «غالبًا ما يكون علامة على اقتراب المرض... خذ واحدة أو أكثر من حبوب التطهير». إضافة إلى ذلك، قلة الشهية «هي علامة على اقترابك من وعكة صحية ويجب تفاديها بالعلاج نفسه».

باختصار، إذا شعرت بأي شيء؟ تطهر.

لذلك أحضر لويس وكلاارك ما لا يقل عن ٦٠٠ حبة. حدد المؤرخون المعاصرون أن لويس وكلاارك قد جثموا في لولو، مونتانا في رحلتهم التاريخية. نظرًا لأن بعثتهم كانت عسكرية، فقد اعتمدوا على المبادئ التوجيهية العسكرية التي أمرت بوضع مراحيضهم على بعد ٣٠٠ قدم من منطقة التخييم الرئيسة، والتي عُثر عليها باستخدام التأريخ بالرصاصة. يا لها من مفاجأة، أُكتشف الزئبق على بعد ٣٠٠ قدم. ربما عاجلت حبوب راش أمراضهم أو لم تعالجها، لكنها تركت بصماتها بالتأكيد بطريقة تاريخية لكن على شكل براز.

عصا قادوس: مبادلة الأفعى

تراجعت شعبية الكالوميل تدريجياً، وحلت العلاجات الأكثر أماناً وفعالية محل «الأدوية البطولية» للتطهير. في الولايات المتحدة وحول العالم، مُنع الزئبق في عمليات التليد في الأربعينيات وفي تعدين الذهب والفضة في الستينيات. لم يُزال الكالوميل من دستور الأدوية البريطاني حتى الخمسينيات من القرن الماضي؛ لأنه استغرق كل هذا الوقت حتى أدرك أخيراً أن الزئبق هو سبب مرض ألم الأطراف. حتى الآن يمكنك إيجاد موازين الحرارة الزئبقية (فهي أكثر دقة من ميزان الحرارة الكحولي الأحمر)، لكن القوانين الصارمة قد استبعدتها تدريجياً في كل أنحاء العالم.

على الرغم من أن الزئبق لم يعد مستخدماً في الطب السائد، فقد تمكن ذلك العنصر من شق طريقه إلى كثير من مكاتب الأطباء. ربما يكون من المناسب بشكل غريب أن رمز الإله ميركوري كان عصا قادوس - ثعبانان متشابكان على قضيب مجنح. يرتبط الرمز بشكل شائع وغير صحيح بالمؤسسة الطبية،

ويرجع ذلك إلى خطأ عندما تبنى الفيلق الطبي للجيش الأمريكي الرمز في عام ١٩٠٢. بعد فترة وجيزة، أصبح رمزاً في كل مكان للشفاء. لكن في الواقع، تمثل العصا ميركوري - إله الكسب المالي والتجارة والصوصية والخداع.

بينما أمسك الإله اليوناني أسكليبيوس، إله الصحة والشفاء عند اليونانيين، بعصا أسكليبيوس التي يلتف عليها ثعبان واحد فقط. لكن عصا قادوس هي التي تُبنيت عن طريق الخطأ في عام ١٩٠٢ وتستخدمها بوصفها رمزاً حالياً معظم المؤسسات الطبية الأكاديمية اليوم. في عام ١٩٣٢، جادل ستوارت تايسون حول إساءة استخدام تلك

العصا في المجلة العلمية الشهرية، مشيراً إلى أن عطار دكان «راعي التجارة ومحفظه النقود الممتلئة... يستطيع بحذاقته أن يجعل «الأسوأ يبدو الأفضل»... أليس رمزه هذا مناسباً لكل دجالي الطب؟ بالتأكيد.



الاله ميركوري
يمسك بعصا
قادوس ومعه محفظة
ممتلئة بالنقود، بينما
يدوس على الجميع



الأنثيمون

من حماقات أوليفر جولد سميث، إلى دجل باسيل فالتين،

كوب الكابتن، وحبوب البراز الأبدية

في عام ١٧٧٤، لم يكن أوليفر جولد سميث، البالغ من العمر أربعة وأربعين عامًا ومؤلف رواية قس ويكفيلد ورواية تمسكت فتمكنت، في حالة جيدة. كان يعاني من الحمى والصداع ومشاكل في الكلى. تخرج بأدنى درجة من كلية الثالوث في إيرلندا، وحاول دراسة الطب في إدنبرة لكنه لم يكملها، وجاب أوروبا بعدما نضبت أمواله. تمكن أخيرًا من تحقيق شيء من النجاح بوصفه كاتبًا، على الرغم من أن بعضهم، مثل هوراس والبول، وصفه بأنه «أحمق مُلهم»



أوليفر جولد سميث
الكاتب والمُلهِم الأحمق

على الرغم من عدم اتمامه دراسة الطب إلا أنه شغل منصب مساعد صيدلي. في هذه الأثناء قرر معالجة نفسه.

كان مسحوق حمى سانت جيمس رائجاً حينها. ابتكره وباعه أحد أشهر الأطباء الحاصلين على براءة اختراع في القرن الثامن عشر، زُعم أن المسحوق يعالج الحمى «المصحوبة بالتشنجات والدوار» والنقرس والاسقربوط ومرض كف القدم الخشبية. كان الدكتور روبرت جيمس شديد السرية بشأن صيغته

لدرجة أنه كذب حتى عند تقديمه للحصول على براءة الاختراع الخاص به خوفاً من أن يسرقها الآخرون. لكن المكون الرئيس هو معدن سام يسمى الأنتيمون، اعتقد أوليفر جولد سميث أنه بحاجة إليه لإخراجه من فراش المرض. ببساطة، أراد أن يتقيأ.

طلب الطبيب المزيف جولد سميث من الصيدلي أن يحضر له مسحوق حمى سانت جيمس، على الرغم من محاولة الصيدلي اقناعه بأن يستشير طبيباً حقيقياً. لكن جولد سميث أصرّ وحصل في النهاية على طلبه. بعد ثمانية عشر ساعة، توفي بعد كثير من القيء والتشنجات.

تاريخ موجز عن التقيؤ

سنعود إلى السيد جولد سميث المسكين ووصفة الأنتيمون التي كان يتوق لها. لكن أولاً، لتتوقف قليلاً ونتحقق في سبب رغبته الملحة في التقيؤ لدرجة فقدان حياته.



التقيؤ هو السبيل لتخليص الجسم من محتويات المعدة، مخالفاً بذلك الجاذبية واتجاه سبيل الهضم الطبيعي. وذلك عن طريق تهيج بطانة المعدة، وإثارة المنعكس البلعومي (منعكس التهوع)، ودغدغة «مركز القيء» في دماغك (نعم، هذا موقع عصبي حقيقي)،

يمكنك عكس طريق الهضم. المقيئات مثل الأنتيمون هي مواد تُؤخذ عمدًا لكي تتقيأ، ولها تاريخ طويل مزدهر. ذكر هيرودوت أن قدماء المصريين استخدموا مقيئات شهرية للحفاظ على صحتهم. كما دعا أبقراط إلى التقيؤ المنتظم. واستمرت تلك النصائح عبر آلاف السنين. حتى عقود قليلة ماضية فقط، كانت المقيئات لا تزال تعدّ جزءًا مهمًا من الأساليب الطبية العلاجية. يرتبط استخدام المقيئات بنظرية الأخلاط الأربعة للجسم: كان يُعتقد أن المرض يحدث عند عدم توازن نسب الأخلاط الأربعة في الجسم وهي الدم والسوداء والصفراء والبلغم. لذلك فإن إعادة التوازن عبر القيء أو الإسهال أو التعرق أو إفراز اللعاب يعدّ أمرًا ضروريًا. وبذلك يعيد الطرح، عن طريق المسام أو أي فتحة في الجسم، التوازن بين تلك الأخلاط في جسدك.

ومنذ عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد، أُستخرج الأنتيمون، والذي هو عبارة عن مركب شبيه بالمعدن رمادي اللون، من الرواسب المعدنية لغرض التقيؤ. من المعروف أن بعض الناس كانوا يستمتعون بقدرتهم على إفراغ معدتهم بعد تناول وجبة دسمة، كما كان معروفًا عن الأباطرة الرومان مثل يوليوس قيصر وكلوديوس قيامهم بذلك. ذكر سينيكا الشاب، مستشار الإمبراطور نيرون، أن بعض الرومان «كانوا يتقيأون ليأكلوا، ويأكلون حتى يتقيأوا، ولم يتنازلوا ويتكروا بهضم ما كان على مآدبتهم الفاخرة من الطعام من جميع

أنحاء العالم». وبحسب ما ورد، استخدم نبيذ يحتوي على الأنتيمون لهذه الأغراض. (من المثير للاهتمام، أن مصطلح القيء vomitorium كان يظن أنه يطلق على مكان احتفال من يرتادون الحفلات الرومانية، لكنه في الحقيقة هو مخرج مصمم للخروج بسرعة من مكان الاحتفال لإفراغ ما بداخلهم ومغادرة المبنى، هذا صحيح، فمصطلح القيء نفسه ذلك المصطلح المعماري الذي يطلق على المخرج).

لسوء الحظ، لجعل الجسم يعكس عملياته الطبيعية، عليك أحياناً أن تدخل إليه مادة يضطر بشدة لإزالتها، مثل السم. أدرك الباحثون والمعالجون على حد سواء القدرة السامة للأنتيمون. على الرغم من أنه يسبب تلف الكبد والتهاب البنكرياس الحاد ومشاكل في القلب إضافة إلى الموت، إلا أنهم كانوا واثقين من قدرتهم على كبح قوته الفتاكة. من الأفكار الشائعة في ذلك الوقت بخصوص الأنتيمون أن «السم لا يغدو سماً في يد الطبيب». من المؤسف أن أوليفر جولد سميث حصل على الأنتيمون، على الرغم من عدم موافقة الأطباء على ذلك.

الناسك القاتل أم الدواء العجيب؟

في القرن السادس عشر، كان الطبيب الشهير باراسيلسوس يؤمن بمنهج علاجي يعتمد على المعادن أكثر من نظرية الأخلاط الأربعة، وهو اختلاف فكري جذري جلب له كثيرًا من الأتباع والأعداء. اعتقد أنه يجب على المرء فهم العلوم الطبيعية قبل فهم أمراض الجسد. والمواد الموجودة في التراب مثل



لديه غاية طيبة، أليس كذلك؟

الأنثيمون أو الزئبق هي العناصر المثالية لتصحيح الأمور. زعم أن الأنثيمون على وجه الخصوص «يطهر نفسه وفي الوقت نفسه يطهر كل شيء نجس». ستعتقد لو أن الدكتور أوز كان في عصر النهضة ووافق على تناول الأنثيمون، سيكون كافيًا لتحفيزك على التقيؤ، لكن الأنثيمون احتاج ختم موافقة راهب أسطوري.

من المفترض أن اسم الأنثيمون مستمد من قصة راهب ألماني في القرن الخامس عشر يُدعى باسيل فالنتين. تقول الأسطورة، إنه كان من أتباع الكنيسة البينديكتية للقديس بطرس وتوفي عن عمر يناهز ١٠٦ عامًا. كتب على ضريحه الذي يلفه الغموض ما يأتي: (بعد ١٢٠ عامًا لتطهر، أو ربما لترحل). أكتشفت في أحد أركان الكنيسة الكتب المخبأة التي كتبها فالنتين، والتي لم يعرفها أحد من قبل. أشاد فالنتين بفضائل الأنثيمون في مخطوطة بعنوان «عربة الأنثيمون المنتصرة». حتى إنه أوصى به لتسمين الخنازير. تقول الشائعات إنه بعد ما كان لها تأثير جيد على الخنازير، جربها على الرهبان الذين ماتوا على الفور. ومن هنا يُعتقد أن معنى كلمة الأنثيمون قد أتت من كلمة Anti-monk «قاتل الراهب». (هذا غير وارد، من المرجح أن الأنثيمون مشتق من الكلمة اليونانية Antimonos، بمعنى «معدن لا يمكن أن يوجد بمفرده»، بسبب اتحاده مع عناصر أخرى كالكبريت. تمامًا مثل اسم باسيل فالنتين المنسجم أكثر مع اسم لمغني رخيص في صالة).

وصلت مخطوطات فالنتين بطريقة ما إلى أيدي يوهان ثولدي الذي صادف أنه كيميائي ماهر، على الرغم من أن عمله كان مجرد بائع للملح. ومن المحتمل أن يكون المؤلف الحقيقي للنصوص. في أوائل القرن السابع عشر، صنع قطعة نقدية نقش عليها كتابات فالنتين، وازداد استخدام الأنثيمون. وبدأت حرب فكرية.

غضب الأطباء اتباع جالينوس والذين أشادوا بفضائل نظرية الأخلاط

الأربعة من الأطباء الكيميائيين أتباع باراسيلسوس وفالنتين الذين أشادوا بالقدرة المطهرة التي يمتلكها كل من الزئبق والأنثيمون. نشبت معارك مريرة ومعارك قضائية لوضع حدود بين الكيمياء والطب، واحتل الأنثيمون مركزها. أقرت كلية الطب في باريس أن الأنثيمون «سم فتاك». حيث قال أحد النقاد الفرنسيين في القرن السابع عشر، وهو الطبيب جاي باتين، «ليحمينا الله من مثل هذه الأدوية ومن مثل هؤلاء الأطباء!»

ومع ذلك، اعتقد كثيرون أن الأنثيمون سوف "يحسن الجسد" عبر تطهير أي شيء نجس فيه. وأستخدم لعلاج الربو والحساسية ومرض الزهري والطاعون. عندما اشتد مرض الملك لويس الرابع عشر عام ١٦٥٨، تلقى جرعة من الأنثيمون وتعافى (بأعجوبة)، وأنهت تلك الحادثة ذلك الجدل حول الأنثيمون في فرنسا ليفوز ذلك المركب اللامع شبيه المعدن.

وماذا عن تولدي وربما فالنتين الوهمي؟ لم يهتم أحد حقاً بأن يكون هو المؤلف الحقيقي للنصوص. حيث إنه من المستحيل أن يكتب راهب من القرن الخامس عشر المخطوطة؛ لأن "فالنتين" أشار إلى أشياء حدثت بعد وفاة الراهب. لكن الإرث المقرز للأنثيمون كان حقيقياً حقاً.

الحبوب الأبدية وكؤوس التقيؤ

في ذروة شعبية الأنثيمون. كان على الناس أن يمتلكوا إكسسوارات مرافقة له. من المؤلف في القرنين السابع عشر والثامن عشر، أن تصنع الكؤوس من الأنثيمون، ويُطلق عليها بفخر «كؤوس التقيؤ». إذا اتحد مع الحمض الموجود في النبيذ، فسيشكل الأنثيمون في الكأس «الطرطير المقيء» - طرطرات البوتاسيوم الأنثيمونية - ويعالج حامل الكأس إمّا عن طريق «القيء»، أو الإسهال. يُعتقد أن أحد أكواب الأنثيمون الوحيدة المتبقية يخص الكابتن جيمس كوك، الذي ربما أخذه في رحلاته حول العالم. لم يكن من المفروض



كوب من القرن السابع عشر.
إذا أردت التقيؤ، ما عليك سوى
صب النبيذ في هذا الكوب

استخدامه باستهتار؛ لأنه
ارتشاح كثير من الأنثيمون
واختلاطه مع النبيذ، سيكون

مميّتا. بيع أحد هذه الكؤوس في Gunpowder Alley في لندن عام ١٦٣٧
مقابل ٥٠ شلنًا، ومات ثلاثة أشخاص بعد استخدامه.

ثم ظهرت حبوب الأنثيمون الدائمة. على عكس مستحضراتنا
الصيدلانية التي تستخدم لمرة واحدة في أيامنا هذه، كانت هذه الحبوب
المعدنية بعد مرورها عبر الأمعاء لا تتغير ولا تتحلل نسبيًا. فكانت تُنتشل
من المراحيض، وتُغسل، وتُستخدم مرارًا وتكرارًا. وكأنه إعادة التدوير.

غالبًا ما كانت «الحبوب الأبدية» أو «الحبوب الدائمة» تورث بكل
فخر من جيل إلى آخر كأي إرث. تخيل قراءة الوصية الأخيرة لشخص ما:
«جوناثان، ابني الحبيب المصاب بالإمساك، تركت لك حبوب البراز».

جمعت ثروة كثير من الأطباء الدجالين بفضل الهوس بالأنثيمون.

بعد علاج الملك جورج الثاني من خلع في الإبهام، لم يستطع طبيب القرن
الثامن عشر جوشوا وارد أن يرتكب أي خطأ في نظر الملك. على الرغم من
أنه لا يملك خلفية طبية ولا معرفة عميقة بالأدوية، إلا أنه استخدم وارد
شهرته لجمع الثروة. روج لأدوية تحمل توقيعه كحبوب وارد وقطرة وارد،
والتي ادعى أنها تعالج كل مرض بشري من النقرس إلى السرطان. كانت

تحتوي على كميات سامة من الأنثيمون. لكن الجميع أراد تلك الحبوب والقطرة في خزائهم. ومن أجل الترويج بطريقة لم يسبق لها نظير، قام بتلوين الحبوب باللون الأحمر أو الأرجواني أو الأزرق لأن اللون الاصطناعي يجعل كل شيء أفضل وأكثر جاذبية، مثل حلويات الجيلاتين. كما احتوت بعض تركيبات واردة أيضًا على الزرنيخ. استخدم واردة ثروته في محاولة رد الجميل للذين آمنوا بنجاحه، حتى إنه فتح مستشفى الخاص. خدم الفقراء، وكان ذلك خيرًا منه. على الرغم من أنه غالبًا ما كان يعطيهم حبوبه - الأمر الذي لا خير فيه.

قوة الشفاء من الألم:

العلاج بالتنفير والتقرح

نظرًا لسمعة الأنثيمون المثيرة للاشمئزاز، فقد يكون من المفاجئ أن يستخدمها الناس أيضًا على وجوههم. هذا صحيح. استخدم المعدن نفسه، الذي تسبب في تقيؤ الأباطرة ودخل في تركيب حبوب البراز الأبدية، بصفته مستحضرًا تجميليًا. اختصاره في الجدول الدوري للعناصر، Sb، مشتق من الإستبنيت، الشكل المعدني الكبريتيدي من الأنثيمون. له لون رمادي معدني فاتح يتحول إلى اللون الأسود عند تعرضه للهواء، وقد استخدم الإستبنيت حول العينين في مصر القديمة والشرق الأوسط وأجزاء من آسيا (حيث يُعرف باسم الكحل).

ولكن قبل وضع بعض الإستبنيت لتحصل على عين بلون الدخان، استمر في القراءة. إذا كنت تعتقد أن الأنثيمون يمكن أن يؤدي أمعائك، فما عليك سوى الانتظار حتى تدرك ما يمكن أن يفعله ببشرتك. لإحداث التهيج المضاد، بحسب النظرية التي تقول بأن حرق أو لذع جزء واحد من الجسم قد يؤدي إلى إبعاد المرض عن المنطقة المريضة، استخدم الأنثيمون أيضًا موضعياً

بوصفه عاملاً مهيجاً ومولداً للبثور. نصحت موسوعة لندن الطبية عام ١٨٣٢ باستخدام مرهم أساسه الأنتيمون لعلاج السعال الديكي ومرض السل. ولكن في الحقيقة لا يمكنه ذلك. أوه، وماذا عن تلك البثرة التي خلقتها؟ على ما يبدو، اعتقد مؤلفو الموسوعة أنه سيكون من الأفضل إبقائها إلى الأبد. بمعنى، عندما تبدأ البثرة بالشفاء، عليك نزع الجزء العلوي وإضافة المزيد من طرترات البوتاسيوم الأنتيمونية من أجل «إنتاج غزير من القيح».

ياله من أمر مقرف، من قال إن الأنتيمون الموضوعي لا يجعلك تتقيأ؟ ذهب دعاة الأنتيمون إلى أبعد من ذلك وابتكروا العلاج بالتنفير، وهو علاج سلوكي يعمل على ربط شيء تحبه (مثل شرب الكحول) بشيء تكرهه (مثل التقيؤ). قام طبيب فيلادلفيا بنجامين راش بوضع بضع حبات من طرترات البوتاسيوم الأنتيمونية المقيئة في كوب النبيذ لرجل أحب الخمر كثيراً. بعد القيء، نفر المريض من الخمر لمدة عامين، الأمر الذي أثار سعادة الدكتور راش. لذلك، قد يظن المرء أن الأنتيمون سيكون رائعاً لهذا الغرض باستثناء أنه سام للغاية، إضافة إلى أن إدمان الكحول ليس مرضاً يمكن علاجه سريعاً.

ومع ذلك، ثابر الدجالون على هذا النهج. في عام ١٩٤١، أثرت دعوى قضائية تزعم أن مساحيق شو-فلاي للسيدة موفات لعلاج المدمنين على الشرب، والتي تحتوي على الأنتيمون، مزورة وسامة (ناهيك عن أن الاسم الذي كان ضرباً من السخافة). لكن هذا لم يمنع الناس من الاستمرار في استخدامه لعلاج الإدمان على الكحول. في الواقع، لا يزال الأنتيمون يستخدم خارج الولايات المتحدة لهذا الغرض.

في عام ٢٠٠٤، شرب شاب يبلغ من العمر تسعة عشر عاماً مشروب «Soluto Vital» الغواتيمالي، الذي يحتوي على الأنتيمون وأدى إلى تلف كليته.

مجموعة من المواد المحفزة للتقيؤ



تأتي المقيئات في أشكال عدّة، عادة ما تكون معدنية أو عشبية. إليك ملخص لبعض أشهر المقيئات شهرة في التاريخ.

الملح: أدرك البحارة القدامى أن شرب مياه البحر يمكن أن يسبب القيء. استخدم الإغريق مزيجًا من الملح والماء والخل. أوصى بليني الأكبر بمزيج من العسل ومياه الأمطار ومياه البحر يسمى ثالاسوميلي للقيام بالمهمة. وصف سيلسوس استخدام النييد ومياه البحر، أو النييد اليوناني المملح،

«لتحرير البطن»، وهي اللفظ عبارة على الإطلاق لوصف القيء. بالطبع، شرب الماء المملح بشدة يمكن أن يجعلك تتقيأ، لكنه قد يقتلك أيضًا.

البيرة والثوم المسحوق: اعتقد فيلومينوس،

وهو طبيب يوناني من القرن

الرابع، أن مزيجًا من البيرة

والثوم المهروس يمكن

أن يعالج عضات الأفاعي

السامة عن طريق التقيؤ.

ولأن سم الأفاعي لا يتجمع في



المعدة، فأنتك بذلك تضيف خطراً آخر.

الزجاج الأزرق (كبريتات النحاس): مادة بلورية ذات لون أزرق مذهل، أُستُخدمت بوصفها مقيئاً منذ القرن التاسع. في مجلة عام ١٨٣٩، يوصى بالزجاج الأزرق عند التسمم بالأفيون والشوكران، ولسوء الحظ، يعدّ الزجاج الأزرق ساماً بحد ذاته: يتسبب في انفجار خلايا الدم الحمراء، وتفكك أنسجة العضلات، وفشل الكلى.

شراب عرق الذهب: وصل لأول مرة إلى أوروبا في القرن السابع عشر واستخدم لعدة قرون مقشعاً ومقيئاً. لسنوات، كان عرق الذهب يستخدم أيضاً للتسمم وكان يُعدُّ عنصراً ضرورياً في خزانة الأدوية الخاصة بكل والد في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. لا يزال متاحاً اليوم. لكن علماء السموم المعاصرين يدركون أنه لا يقلل بشكل مضمون من امتصاص السموم، حتى إنه لا يجعلك تتقيأ.

الأبومورفين: يستخرج هذا الدواء المهلوس من بصيالات وجذور بعض زنابق الماء (نيلوفر). استخدمه شعب المايا وخُلد على اللوحات الجدارية للمقابر المصرية القديمة، وصُنِّع العقار في نهاية المطاف في منتصف القرن التاسع عشر. وقد كان فعالاً. وصفت مراجعة عام ١٩٧١ معدل نجاحه بأنه شبه مثالي في ضمان القيء، مقارنةً بنسبة ٣٠ إلى ٥٠ في المائة من مقيئات أخرى. للأسف، أُستخدم مرة واحدة في العلاج بالتنفير عند المثليين، فقتل بعض «مرضاه». ويُستخدم الآن، بعناية، في الطب البيطري، ونادراً، لمرض باركنسون البشري.

تطهير أجسامنا من الأنتيمون

هناك سبب لعدم وجود أدوية في الصيدليات الحديثة التي تسبب التقيؤ عمداً، ما عدا الديسلفيرام. لدينا طرق أفضل للتعامل مع السموم المبتلعة. في الوقت الحاضر، حيث يُعطى الفحم النشط ليمتص السموم في المعدة، ويمكن أن تؤدي علاجات الاستخلاب إلى إزالة المواد السامة من الدم. لا داعي للتقيؤ! قد يكون الأنتيمون مادة خارقة بالنسبة إلى أتباع باراسيلسوس وفالنتاين،

لكن البثور المتقرحة وكؤوس القيء لا تحظى بالتقدير اليوم. على الرغم من استخدامه في بعض البلدان لعلاج بعض أنواع العدوى الطفيلية، إلا أنه لم يحصل على الموافقة في الولايات المتحدة. لمركبات الأنتيمون كثير من الآثار الجانبية المشابهة للزرنيخ، مثل التهاب الفم والفشل الكلوي وبالطبع الغثيان والقيء وآلام البطن. كما توجد مشكلة أخرى ألا وهي أنها تسبب السرطان. من المؤسف أن أوليفر جولد سميث لم يعرف كل هذا قبل أن يحصل عليه.



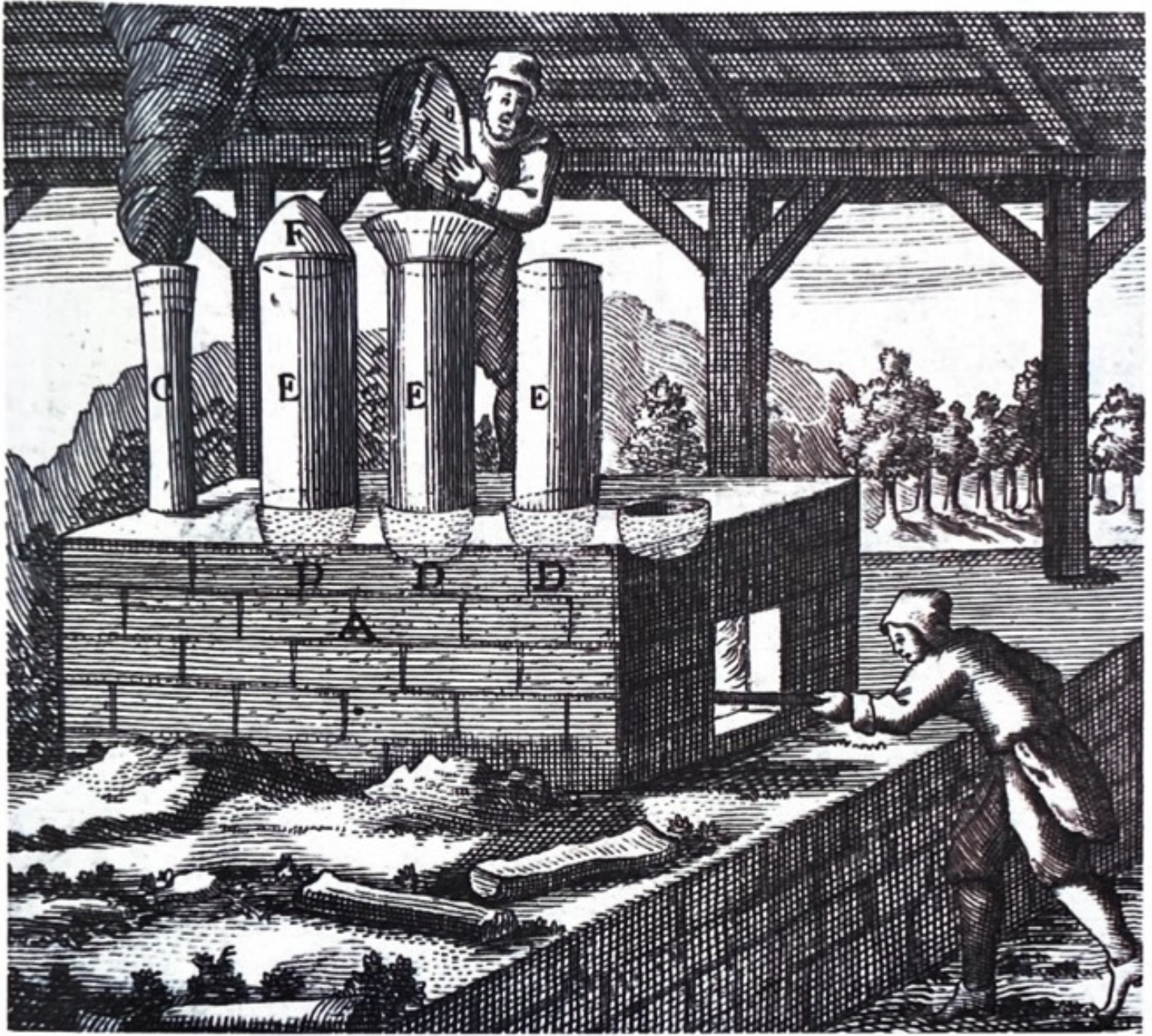
الزرنـيـخ

مسحوق الميراث، أكلة الزرنـيـخ،

الفلاحة الشهوانية التي ماتت في سبيل جمالها،

المنقذ من الزهري، ورق الجدران السام

ماري فرانسيس كريغتون، تلك الزوجة والأخت والأم التي تملك موهبة التملص من القتل. في المرة الأولى كانت الضحية والدة زوجها في عام ١٩٢٠. اعتقد الناس أن المرأة الثرية البالغة من العمر ٤٧ عاماً قد ماتت بسبب التسمم بالتومائين. لكن ماري قد أشربتها بعض الكاكاو الساخن اللذيذ للتو قبل أن تبدأ في التقيؤ بشدة، وتموت في غضون ساعات. في عام ١٩٢٣، ضربت ماري ضربتها الثانية عندما أقنعت شقيقها المراهق تشارلز أن ينتقل للعيش معها ومع زوجها، حتى تطعمه حلوى الشوكولا قبل النوم.



تصنيع الزرنيخ عام ١٧٠٤. الزرنيخ الأبيض المفضل عند القتل
الذي يُصنع عن طريق شوي معدن كبريتيد الزرنيخ

نُسب ذلك إلى فيروس خبيث في المعدة. ولكن كم كان الأمر موائماً
لماري التي استفادت حينها من بوليصة تأمين على حياة أخيها تشارلز بقيمة
١٠٠٠ دولار. أرسل شخص مجهول للشرطة رسالة يشير انتباههم إلى أن
ماري فرانسيس كانت كاذبة وأن أباها كان ضحية لها. أخرجت جثتا حماها
وأخيها، وفحص كيميائيو الطب الشرعي جثتيهما. فماذا كانت الإجابة؟
الزرنيخ.

يُعرف الزرنيخ بقدرته على القتل أكثر منه على العلاج، وهو مادة مسممة
للكبد ومسرطن. تؤدي الجرعة (حوالي ١٠٠ ملغ) عادة إلى موت الضحية
في غضون عدة ساعات. منذ العصور الوسطى حتى مطلع القرن العشرين،

عُرف الزرنيخ باسم «ملك السموم» و «سم الملوك» و «مسحوق الوراثة». حتى أبقرات أدرك سميته في العصور القديمة، عندما وصف حالة المغص البطني الذي لوحظ عند عمال المناجم الذين كانوا يتعرضون للزرنيخ. وجد الإمبراطور الروماني نيرون أن هذه التأثيرات مفيدة جداً، فاستخدم الزرنيخ لقتل شقيقه بريتانيكوس ليضمن ملكه.

لماذا كان الزرنيخ هو السم المفضل للجميع، من ربوات البيوت إلى الأباطرة؟ بالنسبة إلى المبتدئين، يكاد يكون غير قابل للكشف. وأشهر أشكاله، «الزرنيخ الأبيض» عديم الرائحة والطعم عند وضعه في الطعام والشراب. تتشابه أعراضه مع التسمم الغذائي. في الأوقات قبل اختراع التبريد، عندما يعاني ملك ما فجأة من تقلصات في المعدة وغثيان وإسهال شديدين، لم يكن من السهل الكشف عن وجود قاتل.

استخدمت عائلة ميديشي وبورجيا الزرنيخ في عصر النهضة في أوروبا بإفراط لقتل كل من يعترض طريقهما. قال الكاتب الإنجليزي ماكس بيربوم ذات مرة، «لم يستطع أي روماني القول بأنه تناول العشاء الليلة الفائتة مع عائلة بورجيا».

على الرغم من أن ماري فرانسيس كريغتون حصلت على ألقاب مثل «لونغ آيلاند بورجيا»، إلا أنه لم يثبت أنها مذنبة بارتكاب أي من الوفيات المشبوهة.

في الحقيقة، عاودت استخدامه مع شخص آخر ولكن في وقت لاحق. (حسناً، ولما لا؟ لقد كان أداءه رائعاً في المرتين السابقتين!) كانت الضحية آدا أبليجيت، زوجة الرجل الذي كان على علاقة مع ابنة ماري المراهقة.



ماري فرانسيس كريغتون «لونغ آيلاند بورجيا» تتوجه إلى المحكمة عام ١٩٣٦

على الرغم من وضوح القضية حينها، إلا أنه كان هناك سبب رئيس وراء صعوبة إثبات جريمة ماري: وهو انتشار الزرنيخ في كل مكان في أوائل القرن العشرين.

خذ جرعتين من الزرنيخ ولا تتصل بي صباحاً

أستخدم الزرنيخ منذ العصور القديمة بوصفه دواءً. فهو دواءٌ كما ويتسبب في موت سطح الجلد وتقشره. لذلك في الحالات التي يكون فيها الجلد سميكًا نتيجة إصابته بالصدفية، كان يُجدي، ولكنه أُستخدم لجميع مشاكل الجلد، بما في ذلك القروح أو الأكزيما. قد لا يسبب استخدام القليل منه كثيرًا من الضرر، ولكن الاستخدام المفرط أو المطول يمكن أن يسبب تسممًا مزمنًا بالزرنيخ. وكحال كثير من الأدوية عبر التاريخ، استخدم الزرنيخ في كثير من الحالات التي لا يكون استخدامه منطقيًا مثل: الحمى، وآلام المعدة، وحرقة المعدة والروماتيزم، واستخدم بوصفه منشطًا عامًا. من حبوب أيكن Aiken المنشطة إلى حبوب المركبات الكبريتية إلى حبوب جروس Gross لألم الأعصاب، كانت تجارة الأدوية المسجلة التي يسودها الدجل تفضل الزرنيخ في القرن الثامن عشر.



توفّر في السوق: مضادات الملاريا التي تحتوي على الزرنيخ مثل تيستلس أغيو Tasteless Ague وقطرات الحمى (التي كانت تباع لأن بديلها الكينين كان مرًا). هل قضت تلك الأدوية على طفيلي الملاريا؟ ليس مؤكدًا. لكن بعض الأطباء لاحظوا أن الزرنيخ يمكن «أن يشفي

المرضى بقتلهم». اعتقد الدكتور توماس فاوولر أن

لاحظ أن نصف الماصق مليء بتحذيرات عن السم والترياق



ذلك المركب مفيد، فقام بصنع دوائه الخاص الذي اشتهر لمدة ١٥٠ عام بوصفه أفضل دواء يحتوي على الزرنيخ.

محلول فاوولر، الذي اخترع عام ١٧٨٦ يحتوي على ١ في المائة٪ من زرنيخات البوتاسيوم مع نكهة اللافندر التي أُضيفت لمنع اختلاطه مع الماء عن طريق الخطأ.

كانت هناك مزاعم بأنه يشفي من مرض الزهري، ومن العدوى الطفيلية التي تسبب مرض النوم ومن الحمى الناتجة عن الملاريا. نظرًا لأن الأطباء كانوا يدركون قدرته على كَيّ الجلد المصاب، فقد استخدموه على الأورام السرطانية على أمل القضاء عليها. يصف دستور الأدوية عام ١٨١٨ تفاصيل عن النتائج المخيبة للآمال:

«للأسف، لا تتجاوز نتائجه الجيدة مدة معينة»، وبالنسبة إلى كثي من المرضى، «فقد سبب أذى حقيقياً»، يمكن أن يتسبب بنقص فيتامين ب، مما يجعل الأشخاص يعانون من تنميل في الأطراف وتسرع في القلب.

وبوصفه منشطاً صحياً لتعزيز الحيوية، كان يبدو ظاهراً أن له تأثيراً جيداً لأن الزرنيخ يسبب تمدد الشعيرات الدموية الصغيرة في الوجه. لذلك بدت الحدود متوهجة عند الناس فأوحت بمظهر صحي - لكنهم في الواقع لم يشعروا بتحسن. وكما هو الحال مع كثير من الأدوية الأخرى مثل الزئبق، يمكن أن يسبب التسمم بالزرنيخ بعض الأعراض المزعجة، بما في ذلك الإسهال أو الاضطرابات. وكان يسبب أيضاً انتفاخاً ملفتاً في البطن وهو دليل أن الدواء ذو تأثير سيئ، في الوقت الذي لم تكن تتوفر فيه الاختبارات المخبرية الحديثة والمسح الضوئي.

بصرف النظر عن محلول فاوولر، استمر استخدام منتجات الزرنيخ

طوال القرن التاسع عشر. كانت توضع على الجلد، وتستخدم في الحقن الشرجية، وتؤكل. إحدى الطرق المفضلة لتناوله هي إضافته إلى الفلفل أو إلى الخبز وصنع «حبوب الخبز». كما حُقنت واستنشقت على شكل بخار. وصف أحد كتب علم الأدوية أن الزرنيخ آمن لإعطائه للأمهات المرضعات، اللواتي يمكنهن علاج أطفالهن عن طريق حليبهن. استخدمه آخرون لغثيان الحمل. الأمراض التي قيل إنها تشفى بفضل الزرنيخ كانت لا تُحصى. لدغات الثعابين! الكساح! تحريض القيء عند السكران! أو هكذا كان يعتقد الناس.

ومع ذلك، وفقاً لنص علم الأدوية عام ١٩٤٨ لتولارد هيرمان سليمان، لا يزال محلول فاوولر والزرنيخ معترفاً بهما بحجة أنه لا يمكن التحقق من ضررهما. كما ورد أن كارل ماركس توقف عن استخدامه لأنه «يُضعف عقلي كثيراً». كما يعتقد أن تشارلز داروين كان يعاني من التسمم بالزرنيخ بسبب استخدامه لمحلول فاوولر. بمرور الوقت، يجعل الزرنيخ الجلد داكناً وثخيناً، ويشير مظهره البرونزي إلى هذا الاحتمال، بغض النظر عن قلة التعرض للشمس. أوضح جوناثان هاتشينسون أن تأثير الزرنيخ «لا يتمثل في إضفاء الحيوية بل في تقليدها، ويجعل المريض يشعر بالخمول وعدم الارتياح».

كما كان المرضى يتوسلون إليه: «من فضلك لا تصف لي الزرنيخ، لأنه دائماً يجعلني أشعر بالمرض». خمنوا، من كان يملك محلول فاوولر على رفوف خزانة الأدوية لديه؟ إنها ماري فرانسيس كريغتون. لكن كمية السم التي وجدت في جسد أخيها تشارلز تحتاج إلى كميات كبيرة جداً من هذا المحلول المخفف. وليس من السهل مزج تلك الكميات في الحلوى التي قدمتها له. إذا من أين أتى هذا السم إلى جسد تشارلز؟

ربما اقترح محامو ماري أنه كان يتناول الزرنيخ عن قصد. ألا يبدو لك ذلك ضرباً من الجنون؟ إذن لم تقابل بحياتك جماعة التيكسوفاجي.

آكلو الزرنينخ في ستيريا



فتاة فلاحه من ستيريا، حوالي عام ١٨٩٨. وجه أقنع كثيرًا من الناس بتناول السموم

التكسوفافي Texophagi هم مجموعة من القرويين في ولاية ستيرا التي هي جزء من النمسا والذين يتناولون الزرنينخ عن قصد وبكميات كبيرة. يُعرفون أيضاً باسم آكلي سم الفئران (سميو بذلك لأن الزرنينخ كان مبيداً فعالاً للقوارض - قريب جداً من السم الذي استخدمته ماري كريغتون في قتل أخيها ريتشارد والضحية آدا أبليجيت). قدّم الطبيب

السويسري يوهان جاكوب فون تشودي تقريراً لأول مرة عن التكسوفافي في عام ١٨٥١. ومن الواضح أن هؤلاء القرويين كانوا يستهلكون كميات صغيرة من الزرنينخ، ربما نصف حبة (حوالي ٣٠ ملغ) عدة مرات في الأسبوع، وتصل الجرعات المميتة إلى ثماني حبات (حوالي ٥٠٠ ملغ). كانت قطع الزرنينخ الأبيض تشبه الطباشير وتُرش على الخبز أو «على قطعة صغيرة من شحم الخنزير الطازج». كان يباع عن طريق «المعالجين بالأعشاب المتجولين أو الباعة المتجولين الذين حصلوا عليه من عمال الزجاج في المجر، ومن الجراحين البيطريين، ومن الدجالين». ليست شركة فايزر تحديداً. لكن لا بأس.

تفاخر الستيريون بزيادة القدرة على التحمل وزيادة قدرتهم الجنسية، وتورّد الوجنتين، وزيادة الوزن. (حتى إنهم أعطوا الزرنينخ لخيولهم). ذكر تشودي أن أحد العاملات في حلب الحليب أرادت زيادة سحرها لجذب شاب تحبه فتناولت الزرنينخ، بدأت في تناوله و«بعد بضعة أشهر أصبحت ممتلئة الجسم، فرغب بها ذلك القروي». فكرت، لماذا تتوقف عند هذا الحد؟

فزادت جرعتها حتى «وقعت ضحية لعبثها. ماتت مسمومة، وكانت نهايتها مؤلمة». لسوء الحظ، فإن النظرية القائلة بأن «المزيد أفضل» هي نظرية سيئة حقًا عندما يتعلق الأمر بالزرنيخ. والغريب في الأمر أن جماعة التوكسوفاجي أدمنوا عليه. فإذا توقفوا عن تناوله، سيعانون من آثار الإقلاع عنه، بما في ذلك: فقدان الشهية، والقلق، والتقيؤ، وإفراز اللعاب المفرط، والإمساك، ومشاكل في التنفس. كان سيحدث الموت أيضًا ما لم يستمروا بهذه الجرعات. إضافة إلى ذلك لم يتمتع جميع من تناولوا الزرنيخ في هذه القرية بتورد الوجنتين وازدهار الصحة، فكثير منهم ماتوا ميتة شنيعة.

في حينها، هزت أخبار شعب التوكسوفاجي المجتمع الطبي حول العالم. ففي مجلة بوسطن الطبية والجراحية (السابقة لمجلة نيو إنجلاند جورنال أوف ميديسن)، نشر الطبيب شوفالييه: "لقد بدت لنا الحالات التي بُلغ عنها أنها غير واردة لدرجة أننا لم نصدق بوجودها". كان من المعتقد أن بعض الزرنيخ الذي أُخذ هو في الواقع طباشير يبيعه الدجالون. يعتقد بعضهم الآخر أن الجرعات الكبيرة من الزرنيخ لم تكن تمتص بالكامل. في النهاية، أكد أطباء آخرون وجود الزرنيخ في كثير من وجبات جماعة التوكسوفاجي، ولولا توفر تحليل الدم الحديث، لا يمكن تصديق قصة الزرنيخ تلك.

لا يهم كيف يفسر كل امرئ قصتهم تلك، لكن لا شك أن التقارير التي أُصدرت عن جماعة التوكسوفاجي قد حولت سمعة الزرنيخ من سم مخيف إلى علاج لتجديد الشباب. للأسف فكرة آكلي الزرنيخ الجميلين تركت بصمتها في المجتمع. فقد كان يوجد كثير من السيدات يرغبن بأكل السم والموت في سبيل الجمال.

جذاب وميت = ميت جذاب

الزرنيخ في مستحضرات التجميل

انتشرت قصة المزارعة تلك من ستيريا عبر أوروبا، حيث سعت أخريات ليصبحن جميلات يملكن خدودًا متوردة (متجاهلين موتها بسبب الزرنيخ).

في العصر الفيكتوري، كان من الممكن أن يؤدي تناول مزيج من الزرنيخ والخل والطباشير إلى فقر الدم، والذي يجعل الجلد يبدو أكثر شحوبًا وأكثر أرسقراطية. كما ذكرنا سابقًا، يوسع الزرنيخ الشعيرات الدموية مما يعطي ذلك المظهر المتورد الصحي. ولكن في الواقع، يؤدي الامتصاص المزمن إلى تغميق لون البشرة، لذا فمن المحتمل أن المكونات الثانوية أو الإجراءات الأخرى المرافقة (البقاء بعيدًا عن الشمس أو استخدام غسول الخل) أدت إلى شحوب البشرة أكثر من السم نفسه. لحسن الحظ، لم تكن كثيرًا من مستحضرات التجميل تحتوي على جرعات كبيرة من الزرنيخ. ولو كانت كذلك، لكان قد توقف المستهلك عن استخدام المنتج بمجرد ملاحظة التأثير المعاكس.

ومع ذلك، استمرت بدعة مستحضرات التجميل التي تحتوي على الزرنيخ. في القرن التاسع عشر، كان شرب أو شطف وجه المرء بمحلول فاوولر واستخدام مكملات الزرنيخ والصابون أمرًا شائعًا للغاية. حتى إنه كانت هناك مقويات للشعر تحتوي على الزرنيخ، ناهيك عن أنها تسبب تساقط الشعر وبالفعل أُستخدم بوصفه مزيلاً للشعر في زمن أبقرط.

انتقد كثير هذه الموضحة بشدة. «ما الذي يعنيه بالنسبة إلى الرجل أن تضحى زوجته هكذا بنفسها بطريقة عبثية على مذبح التفاخر الزائف!» كتب أحد الأطباء في عام ١٨٧٨. حالة في كتاب تدريسي: يقال إن كيت بروينجتون بينيت كانت أجمل امرأة في سانت لويس وتشتهر ببشرتها الخزفية البيضاء. بعد أن استهلكت الزرنيخ لسنوات، ماتت عن عمر يناهز السابعة والثلاثين، عام ١٨٥٥. كانت العبثية تسود حتى النهاية، فقد توسلت السيدة الجميلة إلى زوجها ألا يضع تاريخ ميلادها على شاهدة قبرها، حتى تُخلد وهي شابة. وافق زوجها مبدئيًا، لكنه أضاف سنها على أي حال.

في مكان ما في الحياة الثانية بعد الموت، تخوض بينيت خلافًا صغيرًا مع عشيقها حول ذلك.

لا تلحق ورق الجدران

صنعت من الزرنيخ أيضًا مجموعة جميلة من الأصباغ بأسماء مثل "Paris Green" و "Scheele's Green" التي كانت تُستخدم لتلوين الزهور الاصطناعية والأقمشة وورق الحائط. كانت الأصباغ شائعة جدًا لدرجة أنه بحلول منتصف القرن التاسع عشر، قيل إن إنجلترا كانت "تغمر" باللون الأخضر بسبب ١٠٠ مليون قدم مربع من ورق الحائط المملوء بالزرنيخ. لسوء الحظ، سممت هذه المنتجات كثيرًا من مستخدميها عبر انتشار الورق السام في البيئة أو تلوث الهواء بالزرنيخ بمرور الوقت. بمجرد فهم مخاطرها، أُستخدمت بوصفها مبيدات للقوارض.

كان هناك منتج ثانوي جميل يُدعى أرجواني لندن وهو مبيد حشري رائع كانت ترش به النباتات. هل لديك حشرات؟ أم جدران تبعث على الملل؟ شعور قاتل؟ الزرنيخ هو الحل.

أعزي موت نابليون

عام ١٨٢١ إلى

كثير من العوامل، بما في ذلك الزئبق،

ولكن عُثر على مستويات عالية

من الزرنيخ في شعره.

هل يمكن أن يقتله



الزرنبيخ؟ ربما يكون قد ساهم، لكن من غير المرجح أن يكون السبب الوحيد للوفاة. تظهر عينات من ورق الحائط الأخضر الجميل أنها كانت على الأرجح هي السبب. نحن نعلم الآن أن سجنه المزين بشكل جيد ربما كان يزعجه.

الزرنبيخ اليوم

كل هذا الكلام عن السم والسمية والموت! يبدو الزرنبيخ بوصفه دواء وكأنه أمر سيئ للغاية. أسوأ من الخياطة بالأسلاك الحادة على سبيل المثال. لكن للزرنبيخ مكانة شرعية في التاريخ الطبي لبعض الوقت.

السلفرسان، نيوسلفرسان، بسمارسن كلها مركبات زرنبيخية عاجلت أخيراً مرض الزهري بعد أن دام قرونًا بلا علاج. في النهاية، احتل البنسلين مكانهم. وعلى الرغم من استخدام الزرنبيخات القديمة في عدوى مرض النوم (داء المثقيبات)، إلا أن سميتها كانت لا تحتمل. ظهرت الزرنبيخات الأحدث المضادة للطفيليات في القرن العشرين، ولكن في التسعينيات، أُستبعدت من السوق بمجرد اكتشاف ارتباطها بالسرطان.

بالنسبة إلى السرطان، وُصف محلول فاو لر متعدد الأغراض بوصفه عاملاً مضاداً له. والمثير للدهشة، في هذا المجال بالذات، يبدو أنه حقق بعض النجاح. في منتصف القرن التاسع عشر، بدا أنه أوقف مؤقتاً أعراض اللوكيميا النخاعية المزمنة. استخدم الزرنبيخ الأبيض في علاج ابيضاض السلائف النقوي الحاد، وهو يعالج كثيراً من المرضى اليوم.

مثل كثير من الأدوية، للزرنبيخ سمعة ذات جدل، على أقل تقدير. يمكن أن يكون بطلاً ذا ماضٍ مهلك. (انتهى الأمر بسماري في الكرسي الكهربائي - الملقب بـ - old sparky بعد جريمة القتل الثالثة المشؤومة. يمكن للقتلة فقط أن يكونوا محظوظين للغاية لفترة طويلة. (يمكن للزرنبيخ أن

يجمّلك بدلاً من أن يقتلك. ويمكن أن يسبب السرطان أو يكافحه. كما قال
باراسيلسوس ذات مرة، «كل الأشياء سموم ولا شيء يخلو من السم، فقط
الجرعة المضبوطة لا تجعل المادة سامة».
يبدو أن الزرنيخ ليس استثناءً.



الذهب

حجر الفلاسفة، علاج السكران، الحبوب المذهّبة

المشروبات التي تبعث الدفء في القلب، مخدر الدمى

في عام ١٨٩٣، عُثر على يوجين لين ثملاً عند مدخل جسر بروكلين في وقت متأخر من ليلة الجمعة، بدا لضابط الشرطة وكأنه «أعمى وأصم وأبكم». أخذ إلى سجن مدينة نيويورك في وسط مانهاتن، والذي يطلق عليه اسم القبر، وحُبس هناك.

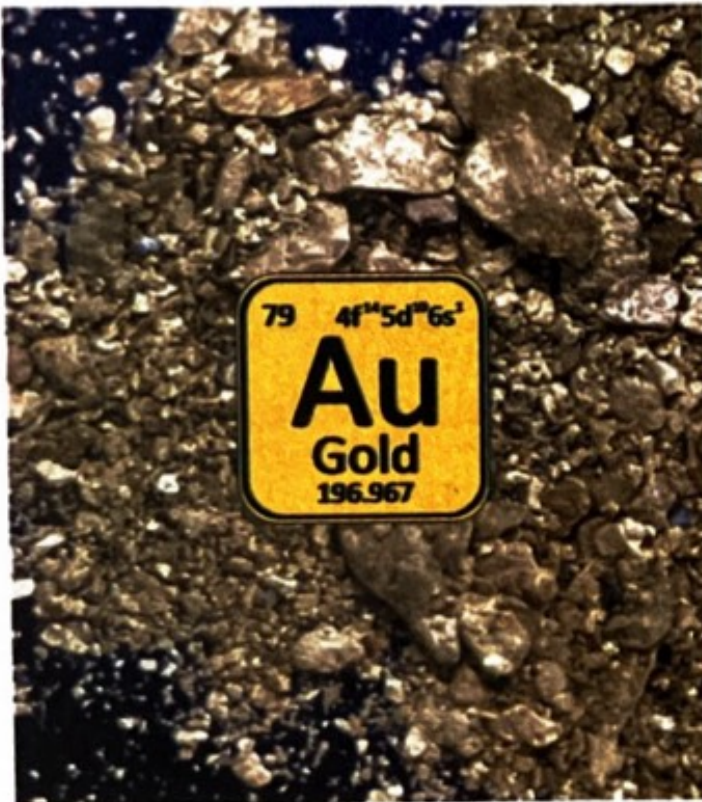
في اليوم اللاحق، راوده صداع شديد وذبلت عيناه. وبعد أن أُستشق رائحة محفزة ليصحو من حالة السكر، استطاع أن يصف كيف انتهى به الأمر إلى السجن.

كان قد احتفل للتو ببرنامج علاج ناجح لإدمان الكحول مع آخرين من معهد كيلى في وايت بليتز. كما يبدو، لم يكن ناجحاً كثيراً.

كان الدكتور ليزلي إي كيلى جراحاً في جيش الاتحاد والذي وعد بعلاج ساحر للإدمان. في عام ١٨٨٠، بدأ بعلاج مدمني الكحول والأفيون في مصحته دوايت، في ولاية إلينوي. خلافاً للرأي الطبي الراهن، ادعى أن إدمان الكحول مرض ويمكن علاجه.

وحاول معالجته لسنوات، امتلأت القطارات المتجهة إلى دوايت بـ «مدمني الكحول» التواقين للشفاء. عند وصولهم، كان المرضى يحقنون على الفور في ذراعهم. ويوصف لهم منشط بمقدار ملعقة صغيرة كل ساعتين. وجب عليهم أن يصطفوا بانتظام يومياً في انتظار الحصول على حقن مضاعفة وعلى ملاعق صغيرة. لم يُكشف عن مكونات ذلك المنشط وتلك الحقن، بل ذهب ذلك السر مع كيلى إلى قبره، لكن كُشف عن عنصر واحد فقط بكل فخر، وهو الذهب.

الذهب الصالح للشرب: الخلود في كأس



لم يكن كيلى أول من أكد على الخصائص العلاجية للذهب. لقد استهلك البشر الذهب من أجل صحتهم لآلاف السنين، وهنا تكمن السخرية: في أغلب الأحيان، لا يستطيع الجسد التفاعل معه. يمر الذهب الخالص في أجسادنا عندما يُؤخذ عن طريق الفم، ليجعل برازنا أكثر لمعاناً وقيمة مما كان

عليه في اليوم السابق، فقط لا غير. لوقت طويل من الزمن، حير ذلك العنصر المستعصي الفيزيائيين. فهو لا يتغير كيميائياً ولا يمتزج مع المحاليل وليس له أي مفعول أو أي تأثير على الجسد كما هو واضح. حتى أكثر الخبراء صراحة ووضوحاً في الطب (أبقراط، سيلسوس، جالينوس) ظلوا متحفظين من دون إبداء أي رأي يخص ذلك العنصر. إذا لماذا استمر استخدام ذلك العنصر الذي يبدو عديم الفائدة؟

بالطبع، شجّع الذهب الفاخر على الابتكار الطبي الجشع. ولما لا، وقد استخدمنا الأنتيمون عند الحاجة للتقيؤ أو المشرط والعلاقة عند الحاجة لنزف دمائنا، ولكن في بعض الأحيان لم تكن هزيمة المرض كافية. ولا سيما عندما يتعلق الأمر بتحدي الموت نفسه، فقد أغرى بريق الذهب الكيميائيين مراراً وتكراراً. منذ ٢٥٠٠ قبل الميلاد، أدرك الصينيون أن الذهب مقاوم للتآكل ولذلك ارتبط بالعمر الطويل. في القرن الثالث قبل الميلاد، كتب الكيميائي وي بويانغ، «الذهب هو أثمن شيء في العالم لأنه سرمدى ولا يفسد أبداً. يتناوله الخيميائيون وينعمون بطول العمر». لم تكن محاولة استهلاك الذهب مفهوماً جديداً تماماً. منذ ألفي عام بدءاً من ٢٠٢ قبل الميلاد، تضمنت بتساو كانغمو (موسوعة الأعشاب الصينية) بعض نصائح تتعلق بالذهب مثل علاج تقرحات الفم واللثة: «اغلي قطعة من الذهب بالماء وتغرغر به بانتظام».

مع ظهور الكيمياء في العصور الوسطى، أصبح السعي لاختراع شراب من الذهب أمراً ملحاً استدعى كثيراً من الجهود المكثفة. ما الغاية المثلى للكيميائيين؟ خلق إكسير الحياة، المعروف أيضاً باسم حجر الفيلسوف، والمعروف أيضاً باسم المادة السحرية التي تمنح الخلود. (كان هذا قبل هاري بوتر بالطبع). حوالي عام ١٣٠٠ م، اكتشف الكيميائي جابر أخيراً كيفية جعل الذهب يذوب في سائل. كان هذا (الماء الملكي) عبارة عن مزيج قاتم برتقالي مائل للصفرة من النيتريك وحمض الهيدروكلوريك الذي تنبعث منه أبخرة

مثل مرجل ساحرة في عالم ديزني. بطريقة سحرية، استطاع المزيج إذابة الذهب الخالص، وبعد مزيد من المعالجة، ينتج الملح - كلوريد الذهب - الذي يمكن شربه عند مزجه بالماء. ولكن على الرغم من أن جرعات كلوريد الذهب كانت متآكلة بشدة، إلا أن ذلك كان يعدُّ تقدمًا بارزًا. لأول وهلة، شعر الكيميائيون وكأنهم على وشك اكتشاف أسرار الحياة عبر هذا المعدن اللامع.

أيد باراسيلسوس على وجه الخصوص تناول شراب الذهب الذي يسمى aurum potable في القرن السادس عشر. معتقدًا أن الذهب يمكن أن يقي الجسم من «الهلاك»، ربما يكون قد أفرط في بيع العنصر قليلاً بحجة أن: «شراب الذهب سيعالج جميع الأمراض، فهو يجدد ويعيد البناء». وادعى أنه يمكن أن يساعد في علاج الجنون ومرض رقاص سيدنهام والصرع. وأيضًا، يمكنه "جعل قلب المرء سعيدًا." هل حقًا كان يُجدي نفعاً؟ من الصعب قول

ذلك. لكن الشيء الأكيد هو أنه كان سامًا حتمًا. يمكن أن تسبب أملاح كلوريد الذهب تلفًا في الكلى وعارضاً يسمى الحمى الذهبية، والتي لا تؤدي فقط إلى ارتفاع درجة حرارة الشخص المصاب، بل تزيد من إفراز اللعاب والتبول.

ربما كان الناس أفضل حالًا لو لم يكن الذهب صالحًا للشرب.



باراسيلسوس وهو يتأمل عظمة الذهب

حبوب الذهب، شراب متفجر وغيرها من الأفكار الغبية اللامعة

من الغريب أن يستمر طبيب مثل عالم النبات في القرن السابع عشر الطيب نيكولاس كليبر في وصف الذهب للأسباب نفسها التي استخدمها باراسيلسوس (مثل طلاء كلوريد الذهب بطبقة من الذهب لصنع حبة مذهبة، وذلك طمعًا في تأثير إضافي). للأسف كان هناك مرضى على استعداد لتناولها. بالنسبة إلى أولئك الذين كانوا يعانون من الصرع أو المرض العقلي، كان الوعد البارق للذهب لا يزال يستحق المحاولة.

لسوء الحظ، استغل كثير من الدجالين جاذبية الذهب لبيع أدوية عديمة الفائدة. أحد البائعين يدعى ليونارد ثورنايسر وهو ابن صائغ، بدأ حياته المهنية المشبوهة في القرن السادس عشر عندما طلى قطعًا من المعدن الرخيص وحاول بيعها بوصفها ذهبًا خالصًا. أدرك في النهاية أن ممارسة الطب هي الطريقة التي تزدهر بها الأموال، وبدأ عملاً تجاريًا ببيع الإكسير بأسعار باهظة والذي ادعى أنه يحتوي على شراب الذهب الذي أطلق عليه أسماء درامية مثل «صبغة الذهب» و «سحر الشمس» ، والتي من المحتمل أنها لا تحتوي على كلوريد الذهب القابل للذوبان. كان كل شيء زائفًا ولم يكن دواءً. لكن في النهاية، كشف أستاذ في فرانكفورت في كتابه له تتضمن نقدًا لاذعًا يصف ذلك الزيف.

خسر ثورنايسر عمله وثروته أيضًا، بسبب طلاق فاضح. بالتأكيد، هناك درس يكمن في مكان ما.

على الرغم من ظهور الذهب في دستور الأدوية (فارماكوبيا) في القرن السابع عشر، إلا أنه من الواضح أن الدجالين، بدلاً من الأطباء الحقيقيين، كانوا أكثر استعدادًا لبيع هذه الجرعات. على الرغم من كل ذلك، لم يثبت

الأطباء بعد أن الذهب له أي تأثير مفيد للجسم. لكن من يهتم بمثل هذه النتائج التجريبية عندما يكون للمنتج تسويق رائع؟ دواء الذهب المفضل لدى الباعة المتجولين كان يحمل وعداً بأنه يمتلك "الألفة"، وله تأثير فعال ودافئ على القلب (كور = قلب، باللاتينية). لأن الكيميائيين القدامى اعتقدوا أن الذهب يمثل الشمس والقلب هو المقابل الفيزيولوجي للشمس والدفع، كان من المنطقي نوعاً ما ذلك الادعاء. وبذلك صُنعت العصائر لمئات السنين لتجلب الدفع (عادة عن طريق الكحول) لمن يشربها، حيث تسبح جزيئات الذهب الخاملة من الناحية الفسيولوجية لجعل المشتري يعتقد بأنه يتلقى معاملة ملكية. بالتأكيد شاربو الجولدشليغير Goldschläger يشعرون هذه الأيام بذلك، وكأنهم يتلقون علاجاً لامعاً من نوع خاص.

ربما كان من الأفضل أن هؤلاء الباعة كانوا يكذبون بشأن منتجاتهم. نعم، لم تحتوي على الذهب، لكنك ربما لا تريد الشيء الحقيقي على أي حال. إلى جانب الملح الذي يسبب الحمى، عثر الكيميائيون على شيء يسمى الذهب المتفجر، وهو مزيج سام من الذهب والأمونيا والكلور. وُصف أيضاً بأنه يدفع القلب «الصميمي»، سمي بالذهب المتفجر؛ لأنه يميل للانفجار تلقائياً. إنه رائع لمن لديه هوس بالحرائق، لكن ليس كثيراً بالنسبة إلى المرضى. أحياناً يكون الابتكار أمراً سيئاً.

بحلول القرن الثامن عشر، فقد الذهب بريقه. بدأ الأطباء في الاستماع إلى الكيميائيين الذين تجاهلوا بنيتهم الكيميائية في قدرته على الشفاء. قال بعضهم، مثل هيرمان بورهاف، إنه «ذو فائدة قليلة في الطب، لولا التفاخر». لكن الأمر قد يحتاج عدداً أكثر من النقاد ومن المليينات المتفجرة لإخماد بريق هذا المعدن. الذهب الطبي لم ينته بعد.

الجنس، المخدرات، الخمر:

الذهب لعلاج الأمراض الجنسية وعلاج الإدمان على الكحول

أعاد البحث اليائس عن علاج لمرض الزهري الذهب إلى المشهد الطبي في القرن التاسع عشر. على الرغم من أن للزئبق شهرة أوسع في هذا المجال الذي يتعلق بالأمراض المتقلة عن طريق الجنس. فكانت المستحضرات عبارة عن مواد كاوية مثل كلوريد الصوديوم وكلوريد الذهب. شأنه شأن كثير من الأدوية التي كانت تعالج الزهري في ذلك الوقت، بدا وكأنه يعمل لأن أعراض الزهري تختفي من تلقاء نفسها. لكن قوة وفعالية الأدلة القصصية قد قامت بدورها على أتم وجه. عاد الذهب على شكل حبوب، أقراص مص، مسحوق ملح الذهب من أجل اللثة، كما طُرح على شكل حقن ومقوي يعد بعلاج بلاء الإدمان على الكحول الذي يهلك آلاف البشر. لم يكن الدكتور ليزلي كيلى أحمق. في الواقع، في ذلك الوقت، كانت فكرته رائدة وصادمة في علاج إدمان الكحول كما لو أنه مرض وليس فشلًا شخصيًا. ولكن، هل يمكن لأربع حقن في اليوم ولشرب المنشطات بجرعات كبيرة حقًا علاج الآلاف من السكرى الأمريكيين؟ يعتقد كيلى ذلك. لقد وعد بمعدل شفاء يصل لـ ٩٥ في المائة بحقنه الذهب.

قبل كل شيء، هل كان هناك أي ذهب في تلك الحقن؟ فقد كان الذهب الجزء الأكثر جاذبية في إعلانه. لكن كيلى رفض بشدة الإفصاح عن الصيغة. في مناسبات قليلة، كان يقدم بنفسه عينات للاختبار، ويكشف عن آثار الذهب في الحقن.

لم يجد الاختبار السري الذي أجراه آخرون من دون إذن كيلى كميات كبيرة من الذهب في أي من الجرعة أو الحقن. إذن ماذا وجدوا؟ وجدوا كثيرًا من المكونات المثيرة للاهتمام: المورفين والقنب والكوكايين ومستخلصات

لحاء الصفصاف والكحول. وجدت تحاليل أخرى الإستركنين والأثروبين. كانت شعبية دواء كيلى في ذروتها، كان يصل إلى جميع أنحاء أمريكا، إما عن طريق معاهده أو عن طريق البريد. كان عالمياً ويعرف باسم «المخدر» حيث كان الأولاد يخيفون الدمى بهذا الدواء إذا لم يتحسنوا على الفور. هذا من شأنه أن يفسر سبب قول الضباط الذين اعتقلوا يوجين لين بأنه كان فاقداً للحس لا يفهم منه شيئاً البتة. لقد كان ذلك بسبب تلك الجرعات التي أخذها عند الدكتور كيلى.

ماذا بالنسبة إلى الذهب؟ يبدو أن مجرد طلي العقاقير بالذهب لتهدئة المرضى عبر إقلاعهم المؤلم عن الكحول مجدياً أكثر من معالجتهم فعلياً. أبلغ المتقنون في ذلك الوقت عن أرقامهم، مدعين أن معدل الشفاء لا يتجاوز ٢٠ إلى ٥٠٪، وليس ٩٥ بالمائة كما تفاخر كيلى. ونظراً لعدم وجود بيانات إلزامية للمتابعة طويلة الأمد، فإن الرقم النهائي على الأرجح أقل بكثير. بعد وفاة كيلى في عام ١٩٠٠، نشبت معركة قانونية بين الشركة وأحد شركائه الأوائل، فريد هارجرىفز، الذي ادعى أن العلاجات لا تحتوي على أي ذهب.



إعلان لفرع من فروع معهد كيلى. أما الهيكل العظمي الطائر في الصورة، فهو مجرد لمسة خفيفة

الجنون والرجال الزرق



ليبرتاري أزرق حقيقي

قد لا تمتلك الفضة الطبية بريق الذهب، لكنها تمتلك فائدة أكبر. تستخدم اليوم موضعياً بوصفها مضاداً للميكروبات، استخدمت الفضة لمنع التلف في العصور القديمة - وهي ميزة وصلت إلى الأمريكيين الأوائل، الذين ورد أنهم كانوا يضعون العملات الفضية في عبوات الحليب لإبقائها طازجة. ربط الكيميائيون الفضة

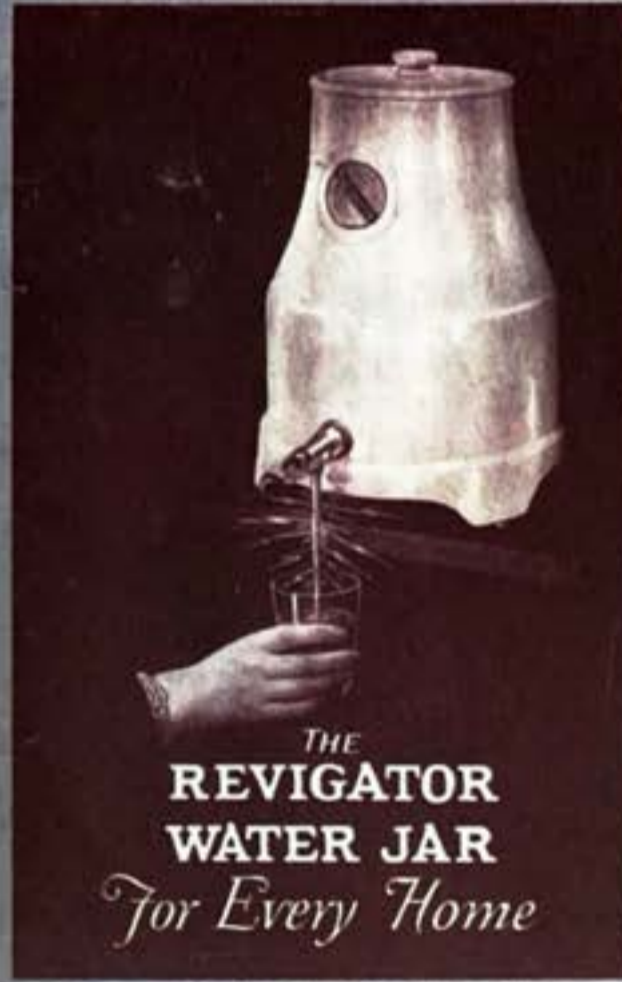
بالعقل والقمر (مثلما ربطوا الشمس بالذهب والقلب)، مما أدى لظهور سلوك يسوده الجنون والاضطرابات العقلية. كان يطلق على الأغنياء الذين يتناولون كثيراً من الفضة بواسطة ملاعقهم الفضية والتي غيرت لون بشرتهم «أصحاب الدماء الزرقاء». مثلما كان هناك عشاق للفضة في تلك الأزمنة الغابرة، يوجد لها مناصرون في عصرنا الحالي يستهلكون الفضة بكميات كبيرة لمنع الإصابات، الأمر الذي حول بشرتهم إلى اللون الأزرق (تعرف هذه الحالة باسم التصبغ بالفضة). ستان جونز، وهو سياسي من دعاة الحرية. ترشح مرتين لمجلس الشيوخ وحكومة مونتانا، لكنه خسر وذلك بين عامي ٢٠٠٠ و٢٠٠٦. كان يشرب كميات كبيرة من الفضة الغروانية مما أدى إلى إصابته بداء التصبغ بالفضة وذلك استعداداً للألفية الجديدة ظناً منه بأن نقصاً بالمضادات الحيوية سيحدث. قال للصحفيين عن بشرته الزرقاء الرمادية، «الناس يسألوني إذا كان هذا اللون دائم أو فيما إذا أنا ميت. أخبرهم بأني أتخضر لعيد الهالوين». أو استعراضاً للسنافر ربما. في وقت مضى، قام هارجريفز مع كيلى بعلاج رجل بالذهب مما أدى لموته. لم تكن هناك نتائج واعدة، لكنهم احتفظوا باسمه «علاج الذهب». يبدو أن كيلى

كان مسروراً جداً بفكرة أن «أثر الذهب موجود في كل مكان، في مياه البحر وفي الوحل وفي كل شيء». وكان يوجد أثر للذهب في دوائه وهذا كاف». من الواضح ليس كل ما يلمع ذهباً في الإعلانات. بالتأكيد لا يوجد علاج لمدمني الكحول. فقط اسأل يوجين لين.

العصر الذهبي الحديث

في الوقت الحاضر، سوف يفاجأ الناس أن للذهب بالفعل مكاناً شرعياً في صندوق الأدوية الطيبة. للأسف، بعد كل الجهود التي بذلتها البشرية باسم الذهب الصالح للشرب، كانت تلك الجرعات إما عديمة الفائدة أو شديدة السمية. لكن أشكاله الأخرى لها كثير من الاستخدامات. الذهب الغرواني والذي هو مزيج من الذهب الميكروسكوبي ومواد أخرى، يستخدم في المجهر الإلكتروني. ولا ننسى فضل سبائك الذهب لملء جيوبنا. تُستخدم جزيئات الذهب النانوية لعلاج السرطان، فهي تتراكم بشكل خاص في الخلايا السرطانية، حيث يمكنها أن تندمج مع البروتينات والأدوية، فتعزز بذلك تأثير بعض العلاجات. تُستخدم مركبات الذهب، سواء أكانت حقناً أو أقراصاً في علاج التهاب المفاصل الروماتيزمي، ربما بسبب الخصائص المضادة للالتهابات (لم يفهم السبب تماماً بعد). في بعض الأحيان، يكون لمركبات الذهب هذه آثار جانبية قوية - أحدها هو تصبغ الجلد الذهبي. يحدث هذا عندما تتراكم جزيئات الذهب (حوالي ثمانية جرامات عبر عدة سنوات من العلاج) في الخلايا الصبغية في الجلد، ومع التعرض لأشعة الشمس، يتحول لون المريض إلى اللون الأزرق الرمادي. هل تتذكر مشهد جيمس بوند جولد جولد فينجر (الإصبع الذهبي) مع المرأة الذهبية الميتة التي ماتت بسبب «اختناق الجلد»؟ لقد صنع مشهداً أسراً إلى حد ما، لكن لا صلة له بالعلم.

ليس من المستغرب أن يكون الاستخدام الحديث للذهب في الطب ضيق جداً. طوال تلك السنوات كان للذهب ألق أكثر مما يستحق.



الرادون & الراديوم

العابثون المتسممون، كوري، التحاميل المشعة،

كيف تجعل مياه الشرب لديك مشعة

في وقت متأخر في إحدى ليالي تشرين الثاني عام ١٩٢٧، وقع صاحب مصنع يدعى إيبين بايرز، البالغ من العمر سبعة وأربعين عاماً والذي عرف بأنه اجتماعي وزير نساء، من سريرته الكائن في قطاره الخاص الذي كان قد استأجره.

في تلك الليلة كان في حالة مزاجية جيدة، بعد مشاهدته لجامعته الأم يل، تهزم هارفارد في مباراة كرة القدم السنوية. وفرحاً بفوز فريقه، أقام بايرز حفلة لا يمكن إلا للاعب ثري أن ينزل بضيافته في قطاره المأجور في العشرينات الهادرة

أثناء تلك الحفلة الصاخبة في وقت متأخر من الليل، وقع بايرز وأصيبت ذراعه. وعندما استمر الألم لعدة أيام في قصره الفاره، لجأ إلى أطبائه الذين يتقاضون أجورًا جيدة. لكنهم كانوا في حيرة من أمرهم. على الرغم من بذلهم قصارى جهدهم، إلا أن ألم ذراعه لم يهدأ. أثرت الإصابة بشكل كبير على لعبة الجولف. (كان قد فاز ببطولة الولايات المتحدة للهواة قبل ذلك بإحدى وعشرين عامًا، عام ١٩٠٦).

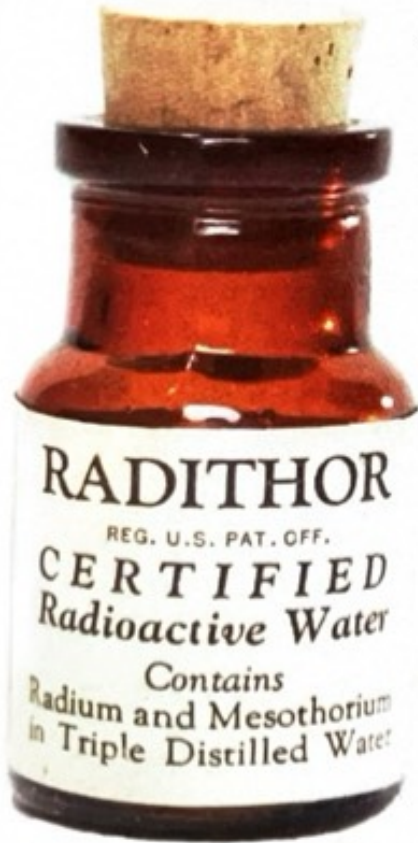
والأسوأ من ذلك بالنسبة إلى الفتى الثري، أن الإصابة قللت من رغبته الجنسية المستعرة.

كان زير النساء سيئ السمعة في حاجة ماسة إلى حل. اقترح أحد الأطباء على بايرز أن يجرب دواءً مسجلًا ببراءة اختراع جديد يسمى الراديثور Radithor. صُنِعَ في مخبر راديوم تابع للدكتور بيلي في نيو جيرسي، احتوت كل زجاجة منه على اثنين من الميكرو كوري من الراديوم، ظهر ذلك الدواء الجديد في المجال الطبي وبات يزدهر بإمكانياته. رُوِّجَ له على نطاق واسع بوصفه علاجًا لحوالي ١٥٠ مرضًا، بما في ذلك عسر الهضم وارتفاع ضغط الدم والعجز الجنسي. والأهم من ذلك تلقى كل طبيب أو معالج نسبة ١٧٪ عمولة من الشركة المصنعة في حال وصف الراديثور.

تهافت الناس على شرائه. وعندما تحسنت ذراعه، اقتنع بأن الراديثور قد زاد من نشاطه. فشرب ثلاث زجاجات في يوم واحد في ديسمبر عام ١٩٢٧، أي ثلاثة أضعاف الجرعة الموصوفة له يوميًا.

هذه رفاهية فريدة من نوعها تليق بشخص

الراديثور، ٢ ميكرو كوري من الراديوم مع الماء المقطر.
شرب بايرز ثلاث زجاجات من هذه يوميًا



ثري مثله؛ لأن الفرد العادي لا يستطيع أن يدفع ثمن تلك الجرعات الكبيرة من الدواء هذا. (لحسن الحظ طبعاً).

بحلول عام ١٩٣١، كان قد تلقى مستويات من الإشعاع تعادل آلاف المرات من التعرض للأشعة السينية. لسوء حظ بايرز لم يحوله هذا المستوى من الإشعاع إلى بطل خارق، بل قتله ببطء وبشكل مروّع.

أبصر قوة الراديوم!

اكتشف كل من ماري وبيير كوري الراديوم، وضحوا بصحتهم في سبيل ذلك، أما ماري فقد كلفها حياتها ذلك الإنجاز العلمي. احتضن المجتمع الطبي الراديوم في أوائل القرن العشرين لقدرته المذهلة على تدمير الخلايا

السرطانية. بطبيعة الحال، تكمن مشكلة الراديوم في أنه أقل شبهاً بصاروخ حراري، بل إنه يشبه إلى حد كبير القنبلة النووية. يمكن أن يؤثر على أي خلية يصادفها حتى ولو لم تكن سرطانية. قبل فهم أخطار الراديوم



ماري كوري تتوهج مع الراديوم الجميل

بشكل كامل، تمتع العنصر بحياة قصيرة شهيرة (نصف عمر؟) كحياة المشاهير اليوم. في عام ١٩٠٢، قام بيير وماري كوري أولاً بعزل كلوريد الراديوم من معدن غني

باليورانيوم وخام يُسمى الآن «اليورانيت». (مقدمة سريعة: عندما يتحلل اليورانسيوم، فإنه يتحول إلى عناصر أخرى. الراديوم هو مجرد محطة في سلسلة

التفكك أحادي الاتجاه من اليورانيوم إلى الرصاص.) العنصر الجديد، الذي أطلقت عليه ماري اسم «الراديوم الجميل» يتلأأ نتيجة نشاطه الإشعاعي ويعد بالنجاحات الطبية. للراديوم نصف عمر اليورانيوم الذي يبلغ ألف وستة مائة عام ومستوى نشاطه الإشعاعي أكثر بثلاث آلاف مرة من اليورانيوم. كان نادراً للغاية ومثيراً للاهتمام. (وخطيراً للغاية، سنصل إلى ذلك لاحقاً.)

بعد أقل من عام، أثناء التعويل على قدرة الراديوم بإحداث حروق عميقة في اللحم، اقترح بيير كوري أنه ربما له القدرة على علاج السرطان. كانت النتائج الأولية واعدة للغاية، ولا سيما فيما يتعلق بسرطان الجلد. في العام اللاحق، ١٩٠٤، عمل جون ماكليود، الطبيب في مستشفى تشارينج كروس بلندن، على تطوير أدوات تطبيق الراديوم لعلاج السرطانات الداخلية أيضاً، مما أدى إلى تقلص الأورام.

بعد خسارة الحرب ضد السرطان لقرون، أصبح لدينا حليف أخيراً. لذلك ليس من الغريب، إضافة إلى استخدام الراديوم لمعالجة السرطان، استخدمه الأطباء في أوائل القرن العشرين لعلاج ارتفاع ضغط الدم والسكري والتهاب المفاصل والروماتيزم والنقرس وداء السل.

على الرغم من صدور قانون الغذاء والدواء النقي في عام ١٩٠٦، لم يُبت بموضوع الراديوم بشكل كامل، لأنه صنف بوصفه عنصراً طبيعياً وليس بوصفه دواءً. وهكذا بدأ الدجالون في جميع أنحاء البلاد في استغلال الصفات الغامضة للراديوم لتحقيق مكاسبهم الخاصة. (ظهرت الإعلانات في الصحف: «يشع الشباب والجمال»، «الراديوم يعيد الصحة لآلاف البشر» و «مرهم كريم الراديوم الجديد الرائع الذي يخرج الألم من المفاصل والعضلات على الفور!»).

كانت الميزة الوحيدة هي أن الراديوم كان مكلفاً للغاية بسبب ندرته. نتيجة

لذلك، فإن الغالبية العظمى من المنتجات المشعة التي روجها الدجالون في جميع أنحاء الولايات المتحدة لم تحتوِ في الواقع على أي مكونات مشعة على الإطلاق، وهذا أمر أنقذ بلا شك المئات، وربما الآلاف، من الأرواح.

الرادون، جهاز ريفيغيتور، وأجهزة قديمة أخرى



كانت أولى المنتجات المشعة، التي ضربت الأسواق ولا تستلزم وصفة طبية، تعتمد على المياه التي تحتوي على الرادون. استقر الرأي الطبي على الرادون (الغاز الناتج عن تحلل الراديوم بعدّه خاصية علاجية تهب الحياة في الينابيع الساخنة التي كانت شائعة في مطلع

القرن العشرين، وخاصة الينابيع في أركنساس. لا أحد يعرف حقًا كيف أصبحت هذه الينابيع الساخنة تمتلك صفة علاجية، لكن بمجرد وجود الرادون، يظن المرء أن النشاط الإشعاعي هو الذي كان مسؤولاً عن تلك الشهرة. ومع ذلك، كان لدى الرادون مشكلة خطيرة. يمكن أن يبقى مؤقتًا فقط في الماء قبل أن يتحلل أو يتبخر في الهواء.

اليوم، نحاول صراحة إزالة الرادون من مياه الشرب لدينا. ولكن في أوائل القرن العشرين، نشأت تجارة نشطة في الأجهزة المصممة للقيام بعكس ذلك تمامًا. إضافة إلى الاستحمام في البرك التي تحتوي الرادون، اعتقد كثير من الناس أن شرب المياه المشعة فكرة جيدة عمومًا، وهو ما يعادل تناول مشروب أخضر اليوم. أحد أكثر الأجهزة نجاحًا في إضافة الرادون إلى الماء هو جهاز ريفيغيتور Revigator، الذي اخترعه آر دبليو توماس R W Thomas وحصل على براءة اختراع في عام ١٩١٢. وُصف الجهاز

بأنه «وعاء مائي مشع»، وبالفعل، لقد كان وعاءً كبيرًا مصنوعًا من الراديوم يحتوي على اليورانيوم الخام ومزود بصنبور. نُصح المستهلكون بملء الوعاء كل ليلة و «شربه ببساطة» بمتوسط ستة إلى سبعة أكواب كل يوم. أصبح هذا الجهاز هو النبع المشع في المنزل، وهو مضمون لإنتاج «مشروب مفيد للصحة». وإذا كان لديك أي مياه متبقية في نهاية اليوم، شجعت الإعلانات المستهلكين على سقاية نباتاتهم بها!

واحدة من مشاكل جهاز توماس، إلى جانب مشكلة تسمم الناس ببطء بحوالي خمسة أضعاف تركيز الراديوم الموصى به لمياه الشرب، أنه غير قابل للنقل. ظهرت كثير من الأجهزة المماثلة ولكنها أصغر حجمًا في السوق، مثل كوز توماس، حجرة الإشعاع، ومطلق الراديوم، وكلها تعمل عبر وضعها ببساطة في الماء الذي ستشربه. (أطلق على هذه الأجهزة جميعها اسم «أجهزة الانبعاث»)، وصُنعت عادة من الكارنوتيت الخام، الخام الأساس لليورانيوم. يتحلل اليورانيوم تدريجيًا، وينتج الراديوم وغاز الرادون أيضًا، والذي يسكب فيه الماء بعد ذلك لجعله مشعًا). أخيرًا، يمكنك صنع ماء إشعاعي في أي مكان. وبذلك يمكن للباعة المتجولين أن يطمئنوا إلى أن الماء الذي بحوزتهم في فندقهم المتواضع على قارعة الطريق قد تعرض إلى كمية كافية من الإشعاع.



مع بدء فهم العلاقة بين الرادون والراديوم بشكل أكثر وضوحًا (من حيث القدرة الإشعاعية، يمتلك الراديوم ضعف إشعاع

سجائر الراديوم، هل من أحد يريد؟

الرادون)، لم يمضِ وقت طويل قبل أن يبدأ المصنعون في تصنيع منتجات تسمح للمستهلكين باستهلاك الراديوم مباشرة أو وضعه على بشرتهم. في عشرينيات القرن الماضي، طُرحت مجموعة متنوعة من مستحضرات التجميل المحتوية على الراديوم في السوق، بما في ذلك كريمات التجميل والمرام والصابون ومعجون الأسنان. نعم، معجون أسنان. لم يكن كافياً أن يكون لديك أسنان بيضاء في عشرينيات القرن الماضي. بل كان عليها أن تتوهج أيضاً.

تأين غددك بالأحزمة والتحاميل

ساد جدل طبي عن الكيفية التي يفيد بها النشاط الإشعاعي جسم الانسان. ادعى بعضهم أن الراديوم يفيد بوضعه مباشرة على الأجزاء المريضة؛ أعتقد آخرون أنه يحفز نظام الغدد الصماء، وخاصة الغدة الكظرية والغدة الدرقية. ثم أجمعوا البعض الوقت على فكرة أن الجسم البشري السليم يعمل بالاعتماد على الإشعاع المؤين، أي الأشعة السينية وأشعة غاما.

قبل إنتاج الراديشور النفيس على يد إينس بايرز، اخترع ويليام بيلي حزام الراديندوكيناتور Radiendocrinator، وهو حزام مطلي بالذهب يحتوي على الراديوم يمكن للمريض (أو الضحية) ارتدائه حول أي جزء من الجسم يحتاج إلى التجديد وإعادة الشباب. ينتج الراديندوكيناتور أشعة جاما التي من شأنها «تأين الغدد الصماء». كانت الفكرة من التأين (أي التعرض للإشعاع) هو أنه يزيد من إنتاج الغدد للهرمونات. أو، أنه «يضيء التجاويف المظلمة في الجسم» كما كان يُقال لجمهوره الأقل ثقافة واطلاعاً. يمكن أيضاً ارتداء الراديندوكيناتور تحت كيس الصفن لتنشيط القضيب الخامل غير المثار.

في عام ١٩٢٤، وصل بيلي إلى ذروة مسيرته في خطابه المتفائل عن الإمكانيات الطبية للراديوم أمام الجمعية الكيميائية الأمريكية. قال: "لقد

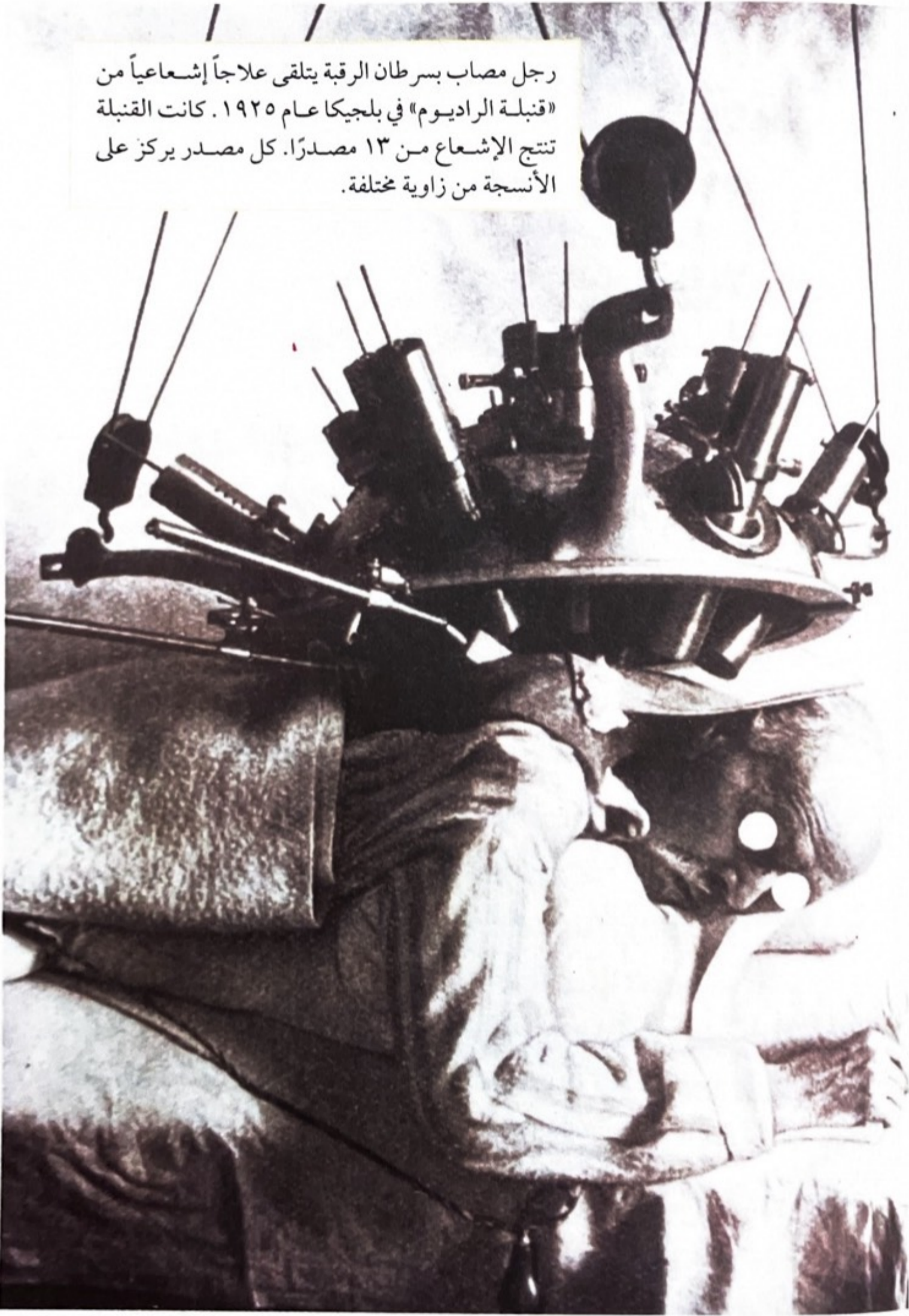
حصرنا الاضطرابات العقلية والأمراض والشيخوخة، وفي الحقيقة يكمن كل من الموت والحياة في الغدد الصماء". اعتقد بيلى (أو على الأقل ادعى أنه يعتقد، لأن معتقدات بيلى الحقيقية محجوبة وراء تسويقه) أن الشيخوخة تنتج عن التدهور التدريجي للغدد الصماء، وعند تعريضها للإشعاع أو «تأينها»، يمكن للراديوم تنشيطها، وبذلك سيعيد بعض الألق لكبار السن والعجزة. أضاف: «أنا راضٍ عن التجربة السريرية مع الراديندوكيناتور، فبالتأين الذي أصبح متاحًا الآن، يمكننا على الدوام، تأخير تقدم الشيخوخة وإعطاء فرصة جديدة لأولئك الذين تغيب شمس حياتهم ببطء في الظلال الأرجوانية لليلٍ طويل... الوجه المجعد، والجلد المترهل، والعيون الثقيلة، والمشية الواهنة، والذاكرة المختلة، والجسم المتآلم، والآثار المدمرة للعقم، كلها بسبب القصور في أداء الغدد الصماء».

لم يكن بيلى الشخص الوحيد الذي ركز على العلاقة بين الراديوم والغدد. كان لدى شركة هوم بروداكت Home Product وهي شركة مقرها في دنفر، كولورادو، فكرة شيطانية رائعة، وهي أقراص تجمع الغدد الحيوانية ومكملات الراديوم لخلق علاج فعال يساعد «الرجال الضعفاء المحبطين ليصبحوا مفعمين بالحيوية والنشاط».

بالتأكيد شعر الرجال الذين كان لديهم تجربة مؤسفة مع الدواء فيتا راديوم Vita Radium بالحيوية، لكن من نوع آخر؛ لأن مكملات الراديوم كانت على شكل تحاميل «تحاميل الراديوم»! كان المرضى حرفياً يضعون الراديوم في مؤخراتهم.

مع ذلك، كان الحال أسوأ مع النساء. في محاولة لمكافحة تلك المشكلة الأنثوية الأبدية المتمثلة في البرود الجنسي، أنتجت الشركة «التحاميل الخاصة بالمرأة». يُزعم عند إدخال تحاميل الراديوم في المهبل أنها تعالج جميع أنواع المشاكل الجنسية، والأكثر من ذلك أنها تنشط شهيتها الجنسية.

رجل مصاب بسرطان الرقبة يتلقى علاجاً إشعاعياً من
«قنبلة الراديوم» في بلجيكا عام ١٩٢٥. كانت القنبلة
تنتج الإشعاع من ١٣ مصدرًا. كل مصدر يركز على
الأنسجة من زاوية مختلفة.



الموت المروع لصاحب المصنع

في نهاية عام ١٩٢٧، كان صاحب المصنع الثري إيبين بايرز يداوم على شربه لزجاجات الراديثور، مقتنعاً أنها هي المسؤولة عن تحسن حالته الصحية. بسبب حماسه نتيجة تحسنه الجذري، بدأ بايرز إرسال عينات إلى أصدقائه وزملائه ومعارفه من النساء، مع توصياته التي يسودها الحماس. (أحدهم كانت ماري هيل التي سبقته إلى الموت، على الأرجح من الإشعاع أيضاً). ولأنه كان مولعاً بهذه الأدوية التي حازت على براءة اختراع، قام بإعطائها لخيول السباق المفضلة لديه. ربما كانت هذه المرة الوحيدة في التاريخ، التي كان بإمكانك مشاهدة حصان مشع في ميدان السباق في أواخر عشرينيات القرن العشرين.

على مدى السنوات الخمس التي أعقبت ذلك، استهلك بايرز ١٥٠٠ زجاجة من الراديثور. وبحلول عام ١٩٣١، بدأ جسده بالانهيار من الداخل والخارج. كانت الأشهر الثمانية عشر الأخيرة من حياته أشبه بمشهد مقتطع من فيلم رعب.

عندما توفي أخيراً زير النساء، الذي كان يتمتع بالقوة والحياة، نتيجة عدة أنواع من السرطان التي سببها الإشعاع في جسده، في ٣١ مارس ١٩٣٢، كان يزن فقط ٩٢ رطلاً. إضافة إلى فشل كامل بالكلية، مما جعل جلده شاحباً ومجوّفاً. كما وُجد خراج في دماغه، الأمر الذي جعله شخصاً صامتاً. أزال الجراحون معظم فكه في محاولات فاشلة لوقف انتشار السرطان. وكانت جمجمته مليئة بالثقوب الناجمة عن الإشعاع.

كتب أحد المراقبين، معلقاً على زيارة قصر بايرز في لونغ آيلاند في المراحل الأخيرة من تسممه الإشعاعي: "من الصعب أن تتخيل تجربة مروعة إلى هذا الحد في مكان ساحر كهذا"، كشف تحقيق جنائي بعد وفاة بايرز أن عظامه كانت أيضاً متعرضة للإشعاع بشكل خطير. كان لابد من دفن ذلك المستهتر العابث حرفياً في تابوت مبطن بالرصاص.

كان لموت بايرز صاحب الشخصية المرموقة دوراً حاسماً في توجه إدارة

الغذاء والدواء للتحقيق بدواء الراديثور، ونتيجة لذلك، أمرت لجنة التجارة الفيدرالية بوقف إنتاجه. وأزيلت كل زجاجات ذلك الدواء من كل مخازن الأدوية في البلاد. ووُزعت كتيبات حكومية تحذر من مخاطر استهلاك المنتج. بحلول أوائل الثلاثينيات من القرن الماضي، انهار السوق الذي كان مزدهراً في السابق بالأدوية المحتوية على الراديوم.

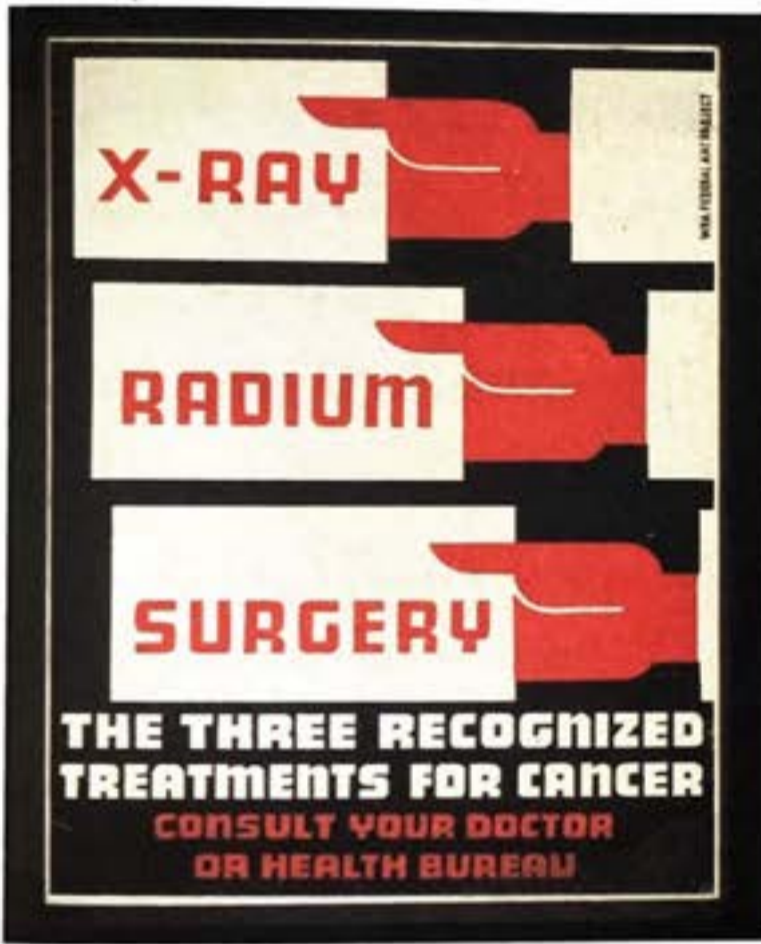
على الرغم من تلقي شركة بيبي أمراً بالكف والامتناع، لم يُقاَص بيبي أبداً بسبب وفاة بايرز. أكد المتمرس في الاحتيال على أنها حالة خطأ في التشخيص، مشيراً إلى أن بايرز استهلك بشكل منتظم دواء الراديثور. مضيفاً: «لقد شربت من مياه الراديوم أكثر من أي شخص على قيد الحياة، ولم أعانِ من أي آثار مرضية». لفّ الغموض بيبي، ومات في ولاية ماساتشوستس في عام ١٩٤٩ عن عمر يناهز ٦٤ عاماً. كان سبب وفاته - سرطان المثانة - نتيجة ثانوية محتملة لتسممه الإشعاعي. أُستخرجت جثة بيبي عام ١٩٦٩ واكتشف وجود نسب عالية من الإشعاع، لذلك كان الدجال على حق في شيء واحد: لقد تناول ما وعظ به.

الراديوم في أيامنا هذه

في هذه الأثناء، على الجبهة الطبية المشروعة، بدأ عند كثير من المجرمين الأوائل للراديوم (بما في ذلك مدام كوري وزوجها) مشاكل صحية ناجمة عن الإشعاع. سرعان ما طغت المخاطر، في المجال الطبي في التعامل مع المادة والمخاطر التي يتعرض لها المرضى في حالة إعطائهم جرعات غير دقيقة، على إمكانيات الشفاء.

على كل حال، أُكتشف عداد غايغر في عام ١٩٢٨، والذي سمح للعلماء بقياس مستويات النشاط الإشعاعي بنجاح، وهو قفزة نوعية حاسمة في مجال السلامة حيث استمروا في فحص الراديوم. طُبّق الراديوم على الأورام عن طريق تغليفه بأنابيب زجاجية رقيقة، والتي هي أيضاً موضوعة داخل

أوعية بلاطينية، ثم تُدخل في الأنسجة المريضة. تعيق الأوعية البلاطينية أشعة ألفا وبيتا غير المرغوب فيها، بينما تسمح بأشعة جاما المفيدة بالمرور. وبالمثل، مع وضع غاز الرادون في أنابيب ذهبية (تسمى النوى) في الأربعينيات من القرن الماضي، تمكن الأطباء أيضًا من إجراء تجارب مع نتاج اضمحلال الراديوم بنجاح. (كان عمل الذهب يماثل عمل البلاطينيوم في السماح فقط لأشعة جاما بالعبور). ومع ذلك، فإن المخاطر من تسرب الغاز أو العينات



الملوثة أدى في النهاية إلى توقف معظم استخدامات الراديوم في الطب بحلول الثمانينيات من القرن الماضي. ومع ذلك، لا يزال يحتفظ بمكانته - يعدّ الراديوم ٢٢٣ حاليًا علاجًا قياسيًا للمراحل معينة من سرطان البروستات. اليوم، العلاج الإشعاعي يصل غالبًا على شكل حزم إشعاعية مؤينة. لذلك، يبقى أحد العلاجات

الأساسية للسرطان، إلى جانب الجراحة والعلاج الكيميائي.

كتب العالم روجر ماكليس عام ١٩٨٩ في مجلة ساينتيفيك أمريكان Scientific American، بعدما تحقق من النشاط الإشعاعي لزجاجة كان قد اشتراها من متجر تحف طبية: «لقد اعتقدت أن نشاط الراديشور المتبقي قد تلاشى منذ فترة طويلة. كنت مخطئًا. كشفت الاختبارات أنه بعد ما يقارب ٧٠ عامًا من إنتاجها، مازالت الزجاجة شبه الفارغة مشعة على نحو خطير». عظام إيبين بايرز المشعة التي تتحلل ببطء في نعشه المبطن بالرصاصة، تؤكد هذه النقطة.

حمامات الراديوم في الفنادق

كان الاستحمام في إحدى الينابيع المشعة من أكثر الطرق المفضلة لتشرب الإشعاع. عندما عُرف أن غاز الرادون ينتج من تحلل الراديوم وأن هذه الينابيع الحارة تطلق ذلك الغاز. ظهرت الفنادق بالقرب من هذه الينابيع، حتى يتمكن الناس من الاسترخاء في تلك المياه المشعة. أحد هذه الفنادق كان فندق Joachimsthal في جمهورية التشيك، حيث لا يمكنك فقط الجلوس في المياه المعالجة بالإشعاع، بل أيضاً يمكنك استنشاق غاز الرادون مباشرة من أنابيب الهواء المتصلة بخزان معالج في الطابق السفلي. حتى الهواء في ذلك الفندق كان مشعاً بشكل مقصود. أُفتتح فندق آخر من هذا النوع في ويل مسقط رأس روجرز، كليرمور، أو كلاهوما، عندما أُكتشف نبع كبريتي وسُوق له على أنه "مشع" على الرغم من أنه في الواقع لم يكن كذلك. لكن هذا لم يمنع المدينة والفندق من أن يصبحا وجهة سياحية رئيسة في أوائل القرن العشرين عندما كان الإشعاع أمراً شائعاً ومشهوراً.



أسوأ الطرق لعلاج النساء

على مر التاريخ كان الرجال هم الذين يحددون طرق العناية بالمرأة؛ لأنها تعدّ أقل شأنًا من الرجال جسدياً وعقلياً. (تعود هذه الفكرة لأرسطو الذي قال بأن المرأة هي «عبارة عن رجل فاشل»). كانت تعدّ الأعضاء الأنثوية نسخاً مشوهة ومعكوسة من أعضاء الرجل، وبأن المرأة عبارة عن آواني راشحة" (حيض، بكاء، إرضاع). وعُدّ الحيض مُلوّثاً.

لآلاف السنين، عدّ كثيرون أن الرحم هو الأساس لمعظم الأمراض النسائية ويجب أن يطهر (على الرغم من أنه يُطهر ذاتياً عن طريق الحيض) كما أعتقد أنه يتجول هنا وهناك مسبباً مشاكل في أثناء تجواله في الجسم. يا إلهي. أحضر مقوداً لذلك الرحم. أو ربما جهازاً يدعى طوق الصدمة للكلاب shock collar مع جهاز تحكم أو سياج الكهروني قبل أن يطير إلى مقاطعة بالي آخذاً معه بعض الخصى العالقة به.

سنلقي الان نظرة على كيفية معالجة أمراض النساء (بشكل مريع).



صور من أواخر القرن التاسع عشر تصوّر الهستيريا

العلاج بالروائح

مصطلح هستيريا (من الكلمة اليونانية hystera أي الرحم) هو في الواقع مصطلح حديث من القرن التاسع عشر، لكن فكرة الرحم المتجول المؤذي تعود إلى العصور القديمة. تضمنت الهستيريا أعراض الإغماء، والأرق، وآلام البطن، والتشنجات، والبرود الجنسي، أو زيادة الرغبة الجنسية. وكانت تُعزى أي مشكلة إلى الرحم. اعتقدت بردية إبيرس (١٥٥٠ قبل الميلاد) أن معالجة كثير من مشاكل النساء أمر سهل، يُنجز عبر إعادة الرحم المتجول الهارب إلى مكانه الطبيعي عن طريق الروائح. الرحم «مرتفع جدًا» في البطن؟ إذن ضع بعض الأقدام ذات الرائحة النتنة أو أي رائحة كريهة عند أنف المرأة حتى ينزل الرحم إلى مكانه. أو ضع روائح طيبة عند مهبلها لتجذبه إلى مكانه. في القرن التاسع عشر، كانت النساء يحملن معهن أملاحاً ذات رائحة مثل كربونات الأمونيوم (Sal volatile) على أمل أن استنشاقها من شأنه أن يعيد ذلك الرحم المزعج إلى مكانه ويمنع الإغماء.

استئصال الرحم والختان

بدأ الاستئصال الجراحي للمبيضين لعلاج الهستيريا في القرن التاسع عشر. سيكون من اللطيف أن تعتقد أن هذه كانت خطة ذكية للنساء الراغبات في التحكم في خصوبتهن، لكن الجراحة كانت تُجرى في كثير من الأحيان من دون موافقة المريضة. في منتصف ثمانينيات القرن التاسع عشر في لندن، قرر طبيب النساء البارز إسحاق بيكر براون أن أي شيء يغذي الشهوة الجنسية للمرأة أو يشبعها هو أمر سيئ للغاية، أو صي بإجراء عمليات إزالة البظر وأزال مبيض أخته. كانت عملية استئصال البظر موجودة في القرن العشرين (وهي الآن واحدة من كثير من الإجراءات المروعة التي يطلق عليها تشويه الأعضاء التناسلية الأنثوية، والتي لا تزال موجودة في كثير من البلدان).

قالت إحدى المريضات عام ١٩٤٤ والتي أُجريت لها العملية: "لقد حاولوا منعي من الاستمناء لكن لم ينفعهم ذلك".

النترا الأحمر

منذ آلاف السنين، في حال عدم امكانية إنجاب الأطفال، كان يُلقى اللوم على عاتق النساء. لأن بيولوجيا الإنجاب البشري كان لغزاً لمعظم الوقت. بالنسبة إلى العقم، أوصى أبقراط، «عندما يُغلق عنق الرحم بإحكام شديد، يجب فتحه باستخدام مزيج خاص يتكون من النترا الأحمر والكمون والراتنج والعسل». ماذا كان هذا النترا الأحمر؟ قد تكون نترات البوتاسيوم، أو الملح الصخري، اللذان يستخدمان في تحليل اللحم البقري وصنع الألعاب النارية. أو يمكن أن يكون رماد الصودا، أو النطرون (كربونات الصوديوم المائية) الذي استخدمه المصريون لتجفيف المومياء. في كلتا الحالتين، كان الهدف هو تهيج عنق الرحم حتى يفتح على مصراعيه. التخليل والألعاب النارية والمومياءات... ليس تماماً من الأشياء الممتعة التي قد ترغبين في ربطها مع إنجاب الأطفال.

فصوص الثوم واليانسون

وفقاً لأبقراط، افترض وجود طرق أخرى لكشف الخصوبة. برأيه هناك طريق سريع داخلي يصل بين الفم والمهبل. لذلك، إذا قمت بفرك فص ثوم بالقرب من المهبل وشممت رائحة أنفاس الثوم، فمن الواضح أن المرأة قادرة على الإنجاب. من بين المواد الأخرى كان اليانسون في الماء. إذا شعرت المرأة بالحكة في السرّة في اليوم اللاحق من تناوله، فإنها آلة صنع أطفال متشوقة للبدء في الإنتاج.

علاجات مستمدة من الحيوانات لتسهيل الولادة

من أجل ولادة ناجحة، أوصى الباحث في القرن الأول بليني الأكبر بوضع القدم اليمنى للضبع على المرأة الحامل للمساعدة في الولادة. (القدم اليسرى تسبب الموت. من كان يعرف أن «القدم اليسرى القاتلة للضبع» كانت في عدة الطيب المسممة؟) كما نُصح بشرب مسحوق روث الخنزير لآلام المخاض. ربما الرائحة ساعدت في تشتيت انتباه الأم عن ألم الولادة؟ من نصائح الحمل الأخرى عند بليني: شرب السائل المنوي من إوزة (حسناً - كيف يسألون الإوزة الذكر أن... أو ربما يقتلون إوزة ويستخلصونه من الخصيتين... لا يهم) أو شرب السوائل التي تتدفق من رحم ابن عرس عبر أعضائه التناسلية. ماذا عن توصية بليني باستخدام مشيمة الكلب بوصفها قفازاً لسحب الطفل الذي يولد؟ أي من الأشخاص يود ذلك؟

دواء من براز الطير

مجموعة النصوص الطبية تروتولا Trotula والتي سميت بذلك نسبة إلى أحد مؤلفيها، الفيزيائية تروتا من مدينة ساليرونو الإيطالية والتي عاشت في القرن الثاني عشر. قبل أن تشرع بالاحتفال بهذا الإنجاز لحقوق المرأة، تابع قراءة ما كتبت «إذا كان حيض المرأة ضعيفاً وكان جسد المرأة نحيلاً، اجعلها تنزف من الوريد الواقع في أخمص القدم». لمساعدة المرأة في الولادة، من المفترض أن يكون الدواء مصنوعاً من المادة البيضاء المفيدة الموجودة في روث الصقر. تخيل رؤية ذلك مكتوباً في وصفة طبية.

خصيتا ابن عرس

تقدم تروتولا أيضاً نصائح لمنع الحمل: «أحضر ابن عرس وانزع خصيتيه وأطلق سراحه حياً. دع المرأة تحمل هذه الخصيتين معها في حوضها ودعها

تربطهما بجلد الإوزة... ولن تحمل». حسناً، إذا كان هناك رادع للجنس أكثر من أي وقت مضى، فهو خلع ملابس المرأة والعثور على زوج من خصي ابن عرس مغروز بين ثدييها. إنها على الأقل وسيلة جيدة لمنع الحمل. آه، يا له من مسكين، ابن عرس الذي لم يعد لديه خصي.



رسم توضيحي مُحتمل لتروتا من ساليرنو

النباتات & التربة



هبات الطبيعة





المهدئات

الآلهة المتوجة بالأفيون، حجر الخلود،

الهيروين الخارق، المورفين جليس الأطفال

إن بكاء الرضع ليس بالأمر السهل على الأذنين تحمله. خاصة إذا كنت تعمل مربياً لأطفال مرهقين منذ قرن من الزمن أو ترعى عشرة أطفال لأمهات يعملن في أحد المصانع المحلية. أو أنك أكبر أشقائك وعليك أن ترعاهم. أو أنك أم منهكة لا تستطيع تحمّل ليلة أخرى بلا نوم، ربما مع طفل آخر في الطريق. بالتأكيد، بكاء الأطفال رسالة لنا ليخبرونا أنهم جائعين أو أن البراز يغطيهم. ربما يكون السبب المغص أو ألم التسنين. ولكن ما الحل من أجل هذا الضجيج والصراخ الصاخب؟



أم تغمرها السعادة لإدراكها أن أطفالها سينامون بعد قليل وبذلك ستحظى بقسط من النوم

لهذا الغرض يمكنك الحصول على أدوية السيدة وينسلو المهدئة (شراب غودفيري، بلسم جاين الطارد للغازات، إكسبير دافي) التي كانت تحتوي على المورفين أو الأفيون وتجعل الطفل ينام... أو يموت.

ربما تعتقد أن الأمر مروع، لكن تخدير الأطفال كانت ممارسة مألوفة لآلاف السنين. تصف بردية إيبرس (١٥٥٠ قبل الميلاد) استخدام نبات الخشخاش الممزوج مع فضلات الدبابير لتهدئة طفل يبكي. أوصى الطبيب والفيلسوف ابن سينا في القرن السابع بجرعة بذور الخشخاش والشمر واليانسون. من القرن الرابع عشر حتى القرن الماضي، كانت الكتب المدرسية توصي بتحضير أدوية مختلفة من الأفيون والمورفين لكل من الأرق وآلام ظهور الأسنان. إذا كان الطفل لا يريد أن يفطم، كان لدى الأب المؤسس ألكسندر هاملتون ما يقوله عن ذلك. أوصى «بقليل من النيذ الأبيض المخفف، أو مشروب البراندي، أو حتى ملعقة شاي أو اثنتين من شراب الخشخاش... لمنع الأرق ونوبات البكاء حتى ينسى الطفل ثدي أمه».

كانت تلك مشكلة شائعة في كل مكان. في إدنبرة في أواخر القرن التاسع عشر، دوّن تشارلز روث ملاحظة مفادها أن مرضعات الأطفال يقمن بتخدير الأطفال، أو أنفسهن "إما أن تدمن الممرضة على الأفيون، أو الكحول، وبذلك كان يؤثر على حليبها. . . أو، أنها كانت تخدر الطفل". كان الأطفال ينامون، بالتأكيد، ولكن في هذه الحالة ستقل وجبات طعامهم، وأي أمراض سيصابون بها ستبقى طبي الكتمان.

تهويدة الأفيون الرقيقة

لذا فإن تلك المربيات لم يفزن بأي جوائز لرعاية الأطفال. ومع ذلك، فقد شاركن في التقاليد القديمة في الاستفادة من خصائص الأفيون. في غضون نصف ساعة من تناوله، تشعر بالبهجة والنعاس، ويسكن ألمك الشديد. يبدو رائعاً، أليس كذلك؟ فقط انتظر الآثار الجانبية: حكة الجلد، والإمساك، والغثيان، وبطء التنفس. ولا ننسى الإدمان والموت أيضاً.

عُرف نبات الأفيون أو ما يسمى الخشخاش المنوم *Papaver somniferum* (باليونانية تعني الخشخاش وباللاتينية تعني تخفيز النوم)

منذ أكثر من خمسة آلاف عام، وتملك أوراق زهرته ألواناً قد تكون إما أبيض أو أحمر أو وردي أو أرجواني، مع بتلات لا تكاد تدوم يومين قبل أن تذبل مع الريح. لكن لا تنخدع: خطورة نبات الأفيون لا تكمن في جماله المزهري، ولكن في جرابه الممتلئ بالمخدر المركّز. في عام ٣٤٠٠



الأفيون وجليسة الطفل المسكين



الخشخاش المنوم والجربيات التي
تحتوي على الأفيون

قبل الميلاد، أطلق عليها السومريون اسم Hul Gil «نبته الفرحة». بعد ألفي عام، وصل استخدام الأفيون إلى شمال إفريقيا وأوروبا والشرق الأوسط. مُزج مع عرق السوس أو المراهم، وقيل إنه يعالج كل شيء. في مصر القديمة، ترددت شائعات عن أن الإلهة إيزيس أعطت الأفيون للإله رع بسبب صداعه؛ لأنه حتى الآلهة تصاب بالصداع، أليس كذلك؟ في اليونان القديمة، صُوّرت

الآلهة في كثير من الأحيان مع الأفيون في اليد أو على شكل إكليل من الزهور كتيجان على الرأس. ارتبط الأفيون بمجموعة من الآلهة الذين يمثلون أشكالاً مختلفة من الراحة: الليل Nyx، النوم Hypnos، الموت Thanatos، الأحلام Morpheus. في القرن الرابع قبل الميلاد، أخذ أبقراط بعين النظر أخطاره وأوصى باستخدامه باعتدال للنوم ووقف النزيف والألم وأمراض النساء. كتب هومر عن عقار يعتمد على الأرجح على الأفيون يُدعى نيبينثي nepenthe، والذي أعطته هيلين لتليهاخوس لحثه على النسيان. أُستخدم الشوكران والأفيون في تركيبة قاتلة لإعدام المحكوم عليهم. كان الأفيون مفيداً إلى حد ما. لكن أسيء استخدامه، في كثير من الأحيان.

كان جالينوس، في القرن الثاني بعد الميلاد، يحب الأفيون كثيراً. اعتقد أنه يعالج الدوار، والصدمة، والصرع، والسكتات الدماغية، وسوء الرؤية وحصى الكلى، والجذام، وكل شيء تقريباً. بالتأكيد جعل الناس يشعرون بتحسن. في القرن السابع، كتب ابن سينا فرضية حول الأفيون يشرح فوائده.

كانت ملاحظاته في كتابه القانون في الطب منطقية تمامًا - فقد يساعد الأفيون في علاج النقرس المؤلم، والإسهال البطني، ويخفف من الأرق. الخلاصة، يعدّ الأفيون من أقدم المواد المنومة المعروفة في العالم. كما اعتقد ابن سينا أنه يساعد أولئك الذين يعانون من الرغبة الجنسية الخارجة عن السيطرة: "المرضى الذين يعانون من زيادة الرغبة الجنسية بشكل لا يطاق، يمكنهم استخدام المواد الأفيونية موضعياً".

حذر ابن سينا قراءه من أعراض التسمم بالأفيون التي لاحظها - صعوبة في التنفس، حكة، وفقدان الوعي. من السهل أن نتخيل، أن الجرعات الزائدة وغير المنتظمة كانت شائعة، ومن هنا جاءت تصريحات ابن سينا التحذيرية. ولكن في موقف مثير للسخرية، شهد ابن سينا على الأرجح أول جرعة زائدة من الأفيون موثقة في التاريخ. على ما يبدو كان خادمه يعاني من مغص فتناول جرعة زائدة من دوائه بعد سرقة. أوه، لقد كان يمارس الجنس كثيرًا في ذلك الوقت. مات بعد ذلك بوقت قصير. (ملاحظة: المغص مع الإفراط في ممارسة الجنس والأفيون يمكن أن يقتلك. وربما تكون هناك طرق أسوأ للموت).

الأفيون يحصل على ترقية : محلول اللودانوم

يمكنك أن تشكر باراسيلسوس على انتشار الأفيون في أوروبا في القرن الخامس عشر. وصف الطبيب المشهور الأفيون بحجر الخلود، ويُنسب إليه الفضل في اختراع المحلول الأفيوني اللودانوم laudanum والذي أعلن عنه بتواضع أنه "يفوق جميع العلاجات البطولية الأخرى". قال أحد معاصريه، يوهانس أوبورينوس، "كان لديه أيضاً حبوب أطلق عليها اسم اللودانوم، بدت مثل براز الفأر المقرف. . . تفاخر بأنه يستطيع بهذه الحبوب إيقاف الموتى". اللودانوم الذي يشبه

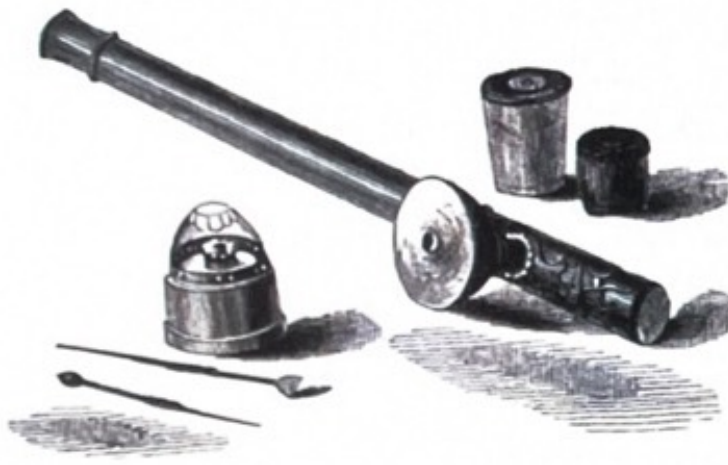


بارسيلسوس مخترع اللودانوم

براز الفأر (جاءت تسميته من الكلمة اللاتينية laudare والتي تعني المديح والثناء) من المفترض أنه مكون من ٢٥ بالمائة من الأفيون إضافة إلى مومياء (لا تقلق، ما تقرأه صحيح: انظر في فصل أكل لحوم البشر وطب الجثث)، وحجر البازهر المستخرج من الجهاز الهضمي للبقرة، والبنج الأسود (نبات مهدئ ويسبب الهلوسة)، والعنبر، ومسحوق من المرجان واللاقي، والمسك،

وزيوت، وعظم من قلب الأيل (ماذا؟)، وقرن من الحصان الخرافي وحيد القرن unicorn (على الأرجح، وحيد القرن أو حريش

البحر). كما شملت بعض وصفاته بيوض الضفادع؛ وعصير البرتقال والقرفة والقرنفل والعنبر والزعفران. لكن العنصر الغالب هو الأفيون الممزوج بكثير من المواد التي تمتلك رائحة زكية. لكن، هل يمكن أن يوقظ الموتى؟ بالطبع لا. في القرن السابع عشر، أشاع توماس سيدنهام أنه كان يستخدم المحلول الأفيوني الخاص به بلا زخرفات باراسيلسوس ولكن مع إضافة أساسية واحدة: كثير من الكحول. كما تضمن إضافات لذيذة من القرفة والقرنفل. وُصف بوصفه علاجًا للطاعون. للأسف لم يكن المحلول يعالج الطاعون، لكنه ربما جعل الضحايا يشعرون بتحسن كبير بينما كان المرض يقتلهم بلا رحمة. لم يكن سيدنهام على علم - لقد هرب من لندن لتجنب الطاعون.



أدوات تدخين الأفيون

عندما أصبح الأفيون سلعة رائجة في جميع أنحاء العالم. نشبت حربان بسببه في القرن التاسع عشر. أدت عواقب نفوذ الصين والإدمان والصفقات التجارية إلى

خسارة هونج كونج أمام المملكة المتحدة لأكثر من ١٥٠ عامًا. فتحت أوكار الأفيون عالمياً وبات يتسنى للمرء أن يدخن الأفيون الذي يتوفر عن طريق تجارة الأفيون الصينية.

لكن اللودانوم، النسخة السائلة من الأفيون كان لها أثر أكبر في الغرب. على الرغم من أنها لم تكن فعالة مثل الأفيون الصرف، إلا أنها كانت ذا مذاق أفضل. أدت إضافة الكحول إليها إلى زيادة أثر البهجة وتنبيه العقل.



روج معظم الأطباء لهذا المنتج، وبات من الممكن الحصول عليه من دون وصفة طبية، واستخدم في إضفاء الراحة إلى المنزل - لا يلزم مجبأ لإخفاء الأفيون. كان متوفراً ومن السهل جداً زيادة الجرعة أو خفضها.

حتماً، سهل مثل هذا الدواء قليل التكلفة الإدمان. ووصل إلى كل طبقات المجتمع. في كتاب "اعترافات أحد متعاطي الأفيون الإنجليز" الصادر

المحلول الأفيوني مع تحذير عدم أخذه لتسببه في التشويش

عام ١٨٢١، أطلق المؤلف توماس دي كوينسي الشعر نتيجة إدمانه اللودانوم. "كان هنا حلاً"

سحريًا. . لجميع ويلات الإنسان. . .
 يمكن شراء السعادة الآن مقابل فلس
 واحد». وبعد ذلك يظهر الجانب
 السيئ: «أبدو كل ليلة أهوي... في
 الهاوية التي لا تطاها الشمس.. لأصل
 في نهاية المطاف إلى الظلام الدامس، مثل
 بعض اليأس الذي يدعوك للانتحار».

لم يكن الإدمان مزحة، حتى إن
 الصيادلة كانوا يبيعون جالونات من
 اللودانوم وإكسير الأفيون والدواء
 السري المهدئ. خذ مسحوق دوفر،

وهو علاج في القرن الثامن عشر يحتوي
 على الأفيون وعرق الذهب وعرق
 السوس والملح (نترات البوتاسيوم،

وهو ممتاز للمتفجرات ولتخليل لحم الخنزير)، والطرطير اللاذع (كبريتات
 البوتاسيوم، السماد). في أثناء علاج نزلات البرد والحمى، يمكن لمسحوق
 دوفر أن يجعل الناس تنام... باستمرار. كانت الجرعة الفعالة - سبعين حبة
 - قال توماس دوفر، «بعض الصيادلة يرغبون في أن يكتب مرضاهم الوصية
 قبل أن يغامروا بالجرعة الكبيرة».

حسنًا، سجلوا لنا الوصية!



اعلان لبلسم يحتوي على قشور الكرز
 والكحول والأفيون لجميع أمراض الرئة،
 كما يبدو للتسلية أيضاً

المورفين: حلم أم كابوس

كان فريدريك فيلهلم آدم سرتورنر يبلغ من العمر واحدًا وعشرين عامًا
 فقط عندما نجح في استخراج المورفين من الصمغ والشمع داخل جراب نبات

الأفيون عام ١٨٠٦. لم يكن ضليعاً في الكيمياء، بل تدرب فقط عند صيدلي منذ أن كان في السادسة عشرة من عمره. امتلك معدات بسيطة، لكنه ثابر على الرغم من ذلك. أطلق على مركبه المكتشف حديثاً اسم *Principium somniferum* والتي تعني باللاتينية (بداية النوم). ثم أطلق عليه اسم إله الأحلام اليوناني - مورفيوس.

بالطبع، كان على سرتورنر اختباراه. فجربه على كلاب منتقاة بعشوائية وعلى فأر مرّ في مختبره. بعد ذلك جربه على نفسه (حولوا يا علماء الأخلاق نظركم بعيداً) وكذلك على بعض الأولاد المراهقين (وأنتم أيضاً يا أعضاء مجلس أخلاقيات الأبحاث IRBs^(١) انظروا بعيداً أيضاً). قال: «كانت النتيجة مع الشبان الثلاثة سريعة ومتطرفة بالتأكيد. تمثلت.. بالإرهاق والتخدير الشديد وكاد أن يغمى عليهم... لقد وقعت في حالة تشبه الحلم». خوفاً من التسمم، جعلهم جميعاً يشربون الخل ليتقيأوا كل شيء. استمر بعضهم في التقيؤ وفي الاحساس بالسكر لعدة أيام. أوضح وجهة نظره. كان الدواء بالفعل هو ما جعل الأفيون كذلك جذاباً (ومثيراً للغثيان). ولأن المجتمع مستعد دائماً لشيء أقوى وأنقى، فقد أصبح المورفين متاحاً على نطاق واسع. وصف السير ويليام أوسلر، أحد الآباء المؤسسين للطب الحديث، المورفين بأنه «دواء الله الخاص». ها نحن نعود مرة أخرى إلى الآلهة وصداعهم. على الرغم من أنه من المرجح أنه كان يقصد اختراعاً للإنسان لا يشبه أي شيء آخر.

في القرن التاسع عشر كان لا يزال العلاج بالنزيف والتطهير والامتصاص (وضع العلق على الجسم) والحقن الشرجية سائداً، ولكن وجد الأطباء في المورفين شيئاً ألطف بكثير. جنباً إلى جنب مع الأفيون، سيشغل النصوص الطبية إلى الأبد بعدما أوصي به للأعراض اليسيرة مثل الألم والإسهال. (قتلت

(١) IRBs مجلس الاستعراض الأخلاقي، أو مجلس أخلاقيات الأبحاث، هو نوعٌ من اللجان التي تهتم بأخلاقيات الأبحاث عن طريق مراجعة الأساليب والطرقات المستخدمة في بحثٍ ما. المترجمة.

الكوليرا والزحار عددًا أقل بكثير مما قتله الأفيون). لكنه وُصف لأي شيء يزعج الناس. "عولج به" لدغات الثعابين، وداء الكلب، والكزاز، والقرحة، والسكري، والتسمم، والاكْتئاب، والأمراض العقلية الأخرى. وجد الأطباء ومرضاهم ضالتهم في المورفين. أُستخدمت كميات كبيرة من الأفيون والمورفين في أثناء الحرب الأهلية، للمساعدة في علاج الزحار والجروح البليغة في ساحة المعركة، ولكن بالمقابل أدى هذا الاستخدام إلى الإدمان أيضًا (كان يطلق كثير من الناس على إدمان المواد الأفيونية اسم مرض الجندي أو مرض الجيش في ذلك الوقت). بينما كان جراح الاتحاد القيادي ناثان ماير يعتلي حصانه، كان يصب المورفين على يده التي ترتدي قفازًا ويترك الجنود يلعقونها.

وفي خمسينيات القرن التاسع عشر، فقط عندما اعتقدنا أن الأفيون بلغ أفضل شكل ممكن له. اخترع ألكساندر وود الحقنة الحديثة تحت الجلد. كان المورفين المحقون أكثر فاعلية ويتطلب جرعة أصغر بكثير. نتيجة لذلك، أصبح الاستخدام أكثر انتشارًا، خاصة في الطبقات الوسطى والعليا؛ لأن المورفين والمحاقن وأدوات الإبر كانت باهظة الثمن.

بحلول ثمانينيات القرن التاسع عشر، ألهم اختراع وود إبداعات جديدة: مورفينومانيا والمورفينية، مصطلحات لإدمان المورفين. كانت الحقن آنذاك معجزة الطب، ولكن للأسف وسيلة لمرض خبيث.

الهيروين، أهو بطل أسطوري؟

إذا كان الأفيون هدية مبهجة ومسكنة لألم البشر، فمن المؤكد أن المورفين كان أفضل - هبة من السماء. لكن الأفيون والمورفين كانا مصدر إدمان. لذلك بطبيعة الحال، لم تكن البشرية راضية. لا يمكن قمع غريزتنا للعبث بالطبيعة والبحث عن شيء أفضل. في الفترة ما بين اختراع الصاروخ (القرن الثالث عشر) والبريد الإلكتروني (١٩٧١)، اخترعنا الوحش الذي هو الهيروين.

في عام ١٨٧٤ في لندن، كان هناك صيدلاني يدعى تشارلز روملي ألدري

رايت يبحث عن نسخة من المورفين لا تسبب الإدمان. كان أفيونه الجديد هو ثنائي أسيتيل المورفين، والذي كان فعالاً بشكل مذهل، لكن الأمر استغرق عقداً آخر قبل أن ينظر الكيميائي الألماني الذي يعمل في مختبرات باير، هنريك دريسار، إلى هذا العقار بعده فرس السباق الفائر الذي سيكون صانع أموال باير. كيميائي آخر من شركة باير، فيليكس هوفمان، كان قد «أعاد اختراع» الأسبرين. لكن دريسار لم يعتقد أن الأسبرين سيكون مربحاً. كما اعتقد أنه يضعف القلب. (كل شخص مصاب بمرض الشريان التاجي يتناول الأسبرين - من فضلك تجاهل ذلك).

لذا فقد حمّس هوفمان ليستخدم بعض ثنائي أسيتيل المورفين بدلاً من الأسبرين. أختبر على الأرانب والضفادع، ثم على الموظفين في باير. وقد راق لهم هذا. قال بعضهم إنه جعلهم يشعرون بالقوة.

أطلقوا عليه الهيروين. بالتأكيد، لن يكون الهيروين مسبباً للإدمان. وأصبح مسكناً جديداً للآلام الذي كان يبحث عنه الجميع ليحل محل الأفيون. (ناهيك عن أن الأسبرين كان وما يزال مسكناً رائعاً للآلام). حتى إنهم اعتقدوا أن له آثاراً جانبية أقل. كان فعالاً أكثر بثماني مرات من المورفين، مما يعني أنه يمكن استخدام كميات أقل.

وصف باير الهيروين علاجاً لإدمان المورفين. بحلول عام ١٨٩٩، كانت الشركة تنتج طناً من الهيروين سنوياً، على شكل حبوب ومساحيق وأقراص مص محلاة، وتباع عالمياً. زعمت شركة باير أن تلك العقاقير يمكن أن تعالج السل، والربو، ونزلات البرد، والسعال مهما كانت الأسباب. ظهرت في الإعلانات ادعاءات مبهرة: "الهيروين ينقي البشرة ويمنح البهجة للعقل، وينظم عمل المعدة والأمعاء، وهو في الواقع الحارس المثالي للصحة". صدق كثير من الأطباء أن الهيروين لا يسبب الإدمان بلا دليل. كتبت مجلة "بوسطن ميديكال" في عام ١٩٠٠، "إنه يمتلك كثيراً من المزايا مقارنة بالمورفين. . . . إنه ليس منوماً للأسف. غاب عن أذهانهم خطر اكتساب العادة. لكن الواقع

أطل برأسه القبيح، وفي أوائل القرن العشرين، بدأت كثير وكثير من المجلات الطبية تسلط الضوء عن الجانب المظلم للهيروين، الإدمان.

سقوط المستحضرات الأفيونية واستمرارها

استمر تعاطي الأفيون في القرن العشرين بشكل سيئ، حتى قرر المجتمع الدولي أن يضع نهاية له. في عام ١٩١٢، وعدت اتفاقية لاهاي الدولية بشأن الأفيون بالسيطرة على المخدرات. توقفت شركة باير عن إنتاج الهيروين في عام ١٩١٣. وتبعتها الولايات المتحدة بقانون هاريسون للمخدرات عام ١٩١٤، والذي نظم الاستيراد وبيع وتوزيع المنتجات الأفيونية والكوكا.

لقد انتهى عصر استهلاك الأفيون الرائع والمقبول اجتماعيًا. لن يكون من السهل شراء شراب السيدة وينسلو المهديء كأنك تشتري ربع جالون من الحليب. في عام ١٩٢٤، حظرت الولايات المتحدة الهيروين بشكل نهائي.

لكن لا يهم. كان هناك جيل مدمن للمخدرات، وسيتبعه المزيد. ما تزال ضمانات القوانين والقيود المفروضة لا تحدد من الوفيات بالمواد الأفيونية. في عام ٢٠١٥، توفي ٣٣ ألف شخص في الولايات المتحدة بسبب تعاطي المواد الأفيونية، نصفهم كان يتعاطى مسكنات للألم.

تتوفر الأدوية للتقليل من تأثيرات تناول الجرعات الزائدة من المواد الأفيونية، مثل ناركون(نالوكسون)، على نطاق واسع خارج أقسام الطوارئ بوصفة طبية ومن دون وصفة طبية. لكنه علاج مؤقت فقط. يواصل المجتمع محاربة العقاقير المحظورة وكذلك التوازن الخادع بين السيطرة على الألم والآثار الجانبية المميتة. طالما أن حقول الأفيون الواسعة لا تزال موجودة، والطب الحديث لا يستطيع إنتاج فئة أكثر أمانًا من الأدوية لقتل الألم، ستستمر المعركة. لذا في المرة القادمة التي ترى فيها أسبرين باير على رفوف السوبر ماركت، ستعرف كيف غلبه الهيروين البطل في بدايته، وانتهى به الأمر إلى كونه الأكثر شرًا في عالم الإدمان.



الإستركنين

سباقات المارثون المسمومة، الشجرة المميّة،

المنشطات الجنسية، وصانعو الجعة الجشعين،

ورافعة الأثقال الهندية

في أحد أيام ميزوري الحارة والرطوبة عام ١٩٠٤، اصطف مجموعة من العدائين في بداية الماراثون الأولمبي. وكان من بينهم مدير مكتب بريد كوبي مثقل بالديون تطفّل على الحدث، واثنان من رجال القبائل الأفارقة الذين صادف تواجدهم في المدينة بوصفه جزءاً من معرض حرب البوير، وعداء المسافات الأمريكي توماس هيكس.

بدأ السباق وانتهى في مدرج ألعاب سانت لويس، على كامل طرق ميزوري الريفية. كانت الحرارة مرتفعة، مع وجود كثير من التلال والطرق السيئة التي زادها سوءاً ضجيج الغبار المنبعث من راكبي السيارات العابرة، ربما كان مسار ماراثون ١٩٠٤ هو الأصعب في تاريخ الألعاب الأولمبية. أما بالنسبة إلى المحطات؟ كان هناك بئر في مكان ما حوالي الميل الحادي عشر.

بئر حجر مع دلو

لذا كان هيكس الأمريكي، يتألم بشدة عند ميله الرابع عشر عندما قرر المدربون إعطائه القليل من الدعم. عقاقير تحسين الأداء، كانت لا تزال تستخدم على نطاق واسع في المسابقات الرياضية في ذلك الوقت على الرغم من حظرها. مزج مدربو هيكس مشروب طاقة: جرعة ١ ملليغرام من الإستركنين (نعم، إستريكنين) مع بياض البيض لتعديل طعمه المر. شربه واستمر في الركض.

على الرغم من أن هيكس أحرز تقدماً بمقدار ميل بالنسبة إلى أقرب

منافسيه، إلا أنه كان يتباطأ

مع كل تلة مرهقة، ويعاني

من جفاف متزايد. منعه

المدربون من شرب الماء

طوال السباق، وطلبوا

منه بدلاً من ذلك أن

يغسل فمه بـ «الماء المقطر

الداقي». لذلك عندما جاء موعد الجرعة الأخرى من الإستركنين من أجل

المتسابق المتعثر، من الواضح أنهم لم يتمكنوا من مزجها بالماء. ما هذا المحلول؟

كوكتيل الإستركنين والبراندي.

تمكن هيكس من المضي قدماً بصورة إعجازية تُصوّر قدرة البشر على

التحمل. في آخر ميلين، كتب مسؤول السباق أنه "كان يركض بشكل



اختتام مثير لعام ١٩٠٤ ماراثون أولمبي

ميكانيكي، مثل قطعة من الآلة مصنعة بإتقان. كانت عيناه باهتتين لا بريق بهما. شحب لون وجهه وجلده. بدت ذراعاها وكأنهما مكبلتان بأوزان ثقيلة، بالكاد استطاع رفع ساقيه، بينما كانت ركبتاه متيبستين تقريباً "

نعم، هذا لأن العداء كان على وشك الموت. كان هيكس في تلك اللحظة على وشك التسمم بالإستركنين. إضافة إلى حرارة أغسطس، والجفاف الشديد، والجهد الجسدي المبذول للمشاركة بالماراثون على المستوى الأولمبي، كان هيكس يحتضر تماماً. اقترح المدربون - بشكل صادم - إعطائه جرعة ثالثة من الإستركنين، وهي خطوة ستودي بحياته غالباً.

في المرحلة الأخيرة، احتاج إلى مساعدة مدربه لإبقائه في وضع مستقيم. تظهر صورة هيكس في تلك اللحظة تعابير وجهه المتوترة والقاسية. هذا هو تسمم الإستركنين، الذي سبب تشنجات مستمرة في عضلات وجهه، والعرج، والهلوسة، وهبوط وزنه بما يقارب ثمانية أرطال. في النهاية، أُعلن هيكس الفائز في ماراثون ١٩٠٤.

مشروبات الطاقة من الإستركنين

على الرغم من أنه يبدو سخيلاً اليوم الاعتقاد بأن الإستركنين يزيد الطاقة، إلا أن مدربي هيكس كانوا يعتقدون ذلك جنباً إلى جنب مع المجتمع الطبي الواسع في أوائل القرن العشرين. لم يكونوا مخطئين تماماً. في الجرعات الصغيرة، يعمل الإستركنين منبهاً قصير المدى للجهاز العصبي مماثل للكافيين. إلا أنه على عكس الكافيين، لا يتطلب قتلك كثيراً من الإستركنين. خمسة ميليغرام، على وجه الدقة تكفي.

بسبب هذه الفاعلية، أُستخدم الإستركنين أيضاً في العصور الوسطى بوصفه طريقة فعالة ووحشية لتسميم الفئران والقطط والكلاب وغيرها من الكائنات غير المرغوب فيها. عبر تعطيل فعالية الحمض الأميني الجلایسين - الذي يرسل إشارات عصبية إلى العضلات - تؤدي جرعة عالية من

الإستركنين إلى تقلصات عضلية شديدة ومؤلمة، تزداد في التردد والقوة، وتقتل الضحية في غضون ساعات قليلة إما عبر الاختناق أو الإرهاق الشديد من التشنجات الموجهة.

باختصار، هذا هو المطلوب لمنشط خاص بهارثون صغير.
أو مشروب طاقة فعال لطالب لا وقت لديه ومضغوط بالامتحان.
أثار الإستركنين، الذي عمل لفترة وجيزة بوصفه نسخة فيكتورية من الأديرال، كثير من الجدل بين طلاب الطب الطموحين في أواخر القرن التاسع عشر الذين كانوا يحاولون التغلب على حاجتهم إلى النوم. ومع ذلك، فقد أفرط ليونارد سانдал جدًا في تناول جرعته من الإستركنين في عام ١٨٩٦. على الرغم من أنه عاش ليروي الحكاية، إلا أنها لم تكن تجربة ممتعة:
قبل ثلاث سنوات كنت أقرأ للامتحان وشعرت بتعب شديد، فأخذت حوالي ٠,٠٢ أونصة سائلة من الإستركنين محلول (BP) مع كمية مماثلة من حامض الفوسفوريك المخفف مرتين في اليوم. في اليوم الثاني من تناولها في المساء، شعرت بشد في "عضلات الوجه" وبطعم معدني غريب في الفم. كان يعتليني التعب والقلق، وشعرت برغبة في المشي والقيام بشيء ما بدلاً من الجلوس والقراءة. استلقيت على السرير وبدأت حينها عضلات باطن الساق بالتصلب والارتجاف. كانت أصابع قدمي تتدلى، وعندما كنت أحرك رأسي أو أستدير، أرى ومضات من الضوء تندفع أمام عيني. ثم أدركت حينها أن ثمة شيء خطير كان يتطور.. تصبّب جسدي عرقاً بارداً، مع ذبحات حادة تأتي من ناحية الصدر.. بعد وقت قصير، فقدت الوعي وسقطت في «نوم عميق» لأستيقظ صباحاً بلا أعراض مزعجة، ولا صداع. ولكن كانت هناك رغبة «في التحرك» وشعور خفيف بتصلب في الفك. مما عطلني عن العمل في ذلك النهار.
هذا باختصار، ما تشعر به المراحل الأولى من تسمم الإستركنين. إن التقارير الأخرى عن هذه التجارب نادرة جداً في السجل التاريخي؛ لأنه عليك البقاء على قيد الحياة لكتابة تقرير. كان سانдал محظوظاً على خلاف كثير من الناس.

النبات الذي يقف خلف السم

يوجد قلويد الإستركنين بشكل طبيعي في بذور شجرة الإستركنين *Strychnos nux-vomica* وهي شجرة تتساقط أوراقها بشكل سريع. موطنها الهند وجنوب شرق آسيا. تصل الشجرة المتوسطة الحجم تلك إلى ارتفاع أربعين قدماً وتبدو بشكل بريء كشجرة الأجاص كبيرة جداً. تتميز أزهارها برائحة كريهة وقوية، ثم تتحول إلى فاكهة كروية الشكل، تحتوي على خمس بذور يلفها لب أبيض. كل جزء من شجرة الإستركنين سام. حتى النباتات الطفيلية التي تلتصق بالشجرة تمتص كميات كبيرة من السموم.

في عام ١٨٤٠، كان بحار إنجليزي يعالج من السيلان في إحدى مستشفيات كالكوتا. قام البحار عديم الأخلاق الذي كان يشعر بالملل بعض المرضيين. لذلك أعطي لهذا المريض المفضل دواءً جديداً: مسحوق ورقة نبات يُدعى كوتشيو مولوج، وهو نبات طفيلي يلتصق بشجرة الإستركنين. مات البحار بعد أربع ساعات. ووصف المستشفى الحادث بأنه مجرد «خطأ مؤسف».



حقن الإستركنين الشرجية وطرق أخرى مذهشة



هنا د. فوكيه يأخذ استراحة من مرضى التسمم، أدناه وصف الإستركنين على أنه سم!



على الرغم من أن بذور شجرة الإستركنين كانت تتدفق إلى أوروبا وتستخدم سماً حيوانياً منذ العصور الوسطى، إلا أنه لم يُبحث بجدية في إمكانياتها الطبية المتعلقة بالبشر حتى عام ١٨١١ على يد الدكتور بيير فوكيه في باريس. تجاهل كثير من الأطباء الفرنسيين هذا النبات حتى قدّم فوكيه افتراضاً أن جرعة طاقة الإستركنين المثيرة قد تثير أطراف مرضى الشلل للعمل بشكل طبيعي مرة أخرى.

بمستخلص كحولي من الإستركنين، فرض فوكيه نفسه على ستة عشر مريضاً مشلولاً في مستشفى الشاريتي في باريس. بدأ تجاربه مع شاب كان يعمل منجداً للأثاث يبلغ من العمر أربعة وثلاثين عاماً. كان مستلقياً في سريره تحت وطأة شلل بدأ في أطرافه ووصل إلى الحوض. أعطاه فوكيه الجرعة، لكن في البداية كان تأثيره ضئيلاً، ومع زيادة الجرعات، بدأ المريض يعاني من تشنجات بدت وكأنها قد «صدمت» جسمه وجعلته يعمل بشكل طبيعي. بعد ثلاثة أشهر، استهلك في أثنائها ٣١٤ حبة من الإستركنين، جلس المريض في السرير وخرج من المستشفى، وشفى من الشلل.

NATURE "JEMS" DOCTOR'S SECRET NATURE FORMULA



"JEMS"—Nature Energizer Pep Tablets
for Married Men & Women—Enjoy Life!

● For STRENGTH & "NIGHT PEP" ●

Act now! Send Today for your supply of

"JEMS"—Nature Energizer Pep Tablets

Trial Supply \$3.00 King Size Supply ... \$5.00

ALL PRODUCTS UNLIMITED, INC. Dept. 49 D

P. O. Box 142 - B.V. Station Miami, Florida 33137

\$1.00 deposit on C. O. D.'s

خدعة الكلام المنمق. خذ «منشطاً ليلياً» من حبوب الطاقة من الإستركنين

كانت تجارب فوكوييه الأخرى أقل نجاحاً. على سبيل المثال، السيد فانوف المسكين، الذي أُختير من أجل الحقن الشرجية الإستركنينية. أحرز بعض التقدم في حالته لعلاج الشلل، عندما أُعطي حبوب الإستركنين إضافة إلى الحقنة الشرجية. على الرغم من أنه - بشكل غريب - لم يمت من التشنجات المروعة التي تبعت ذلك، فقد سُحب فانوف من تحت إشراف الدكتور فوكوييه بعد أن توقفت صحته عن التحسن.

شجعت تجارب فوكوييه المزعجة العلماء الفرنسيين الآخرين على إجراء مزيد من البحث، وفي عام ١٨١٨ كان قلويد الإستركنين قد عُزل من البذور. قام الأطباء الفرنسيون بكثير من التجارب للتحقيق في فعالية الإستركنين النقي بوصفه دواءً. لم تسر الأمور على ما يرام. كانت الجرعة المعتادة من الإستركنين بين ١ و ٣ ملليغرام. ومع ذلك، سرعان ما أدرك العلماء أن ما يزيد عن ٥ ملليغرام يمكن أن يسبب تسمماً مميتاً. كان من السهل التغاضي عن هذه الحقيقة. وهذا ما قام به كثير من الأطباء.

ظهرت المخاطر المحتملة لأخذ الإستركنين بوصفه دواءً. وبينما كان الإستركنين لا يحظى بشعبية في المشافي، إلا أنه كان ذا شعبية في الصيدليات والشوارع.

الابتكار مع الإستركنين

بعد استخراج قلويد الإستركنين، لم يمضِ وقت طويل قبل أن يبدأ العلماء الفرنسيون تجارب على تطبيقاته الجنسية. كانت الفكرة هي الاستفادة من التعزيز الحسي بجرعة صغيرة. لم يكن هذا مفهوماً جديداً تماماً: فقد انطلقت شائعات كثيرة عن الخصائص الجنسية للنبات بعد استيراده إلى الأسواق الغربية من الهند وجنوب شرق آسيا في العصر الفيكتوري. كتب أحد المراقبين في الهند في ثلاثينيات القرن التاسع عشر: «لقد سمعت، عن بعض الأشخاص الأكثر فساداً بين قبائل الراجبوت، الذين يستخدمون بذور شجرة الإستركنين بوصفه منشطاً».

سجل الطبيبان تروسو وبيديو حالة رجل يبلغ من العمر خمسة وعشرين عاماً لم يتمكن منذ ثمانية عشر شهراً من إقامة علاقة جنسية مع زوجته. بينما تمكن تحت تأثير الإستركنين من التغلب على هذه المشكلة، لكن ما لبث أن فقد هذه القدرة مرة أخرى بعد أن توقف عن تناول الدواء. في عالم ما قبل الفياجرا، يمكنك على الأقل الاعتماد على الإستركنين.

في الستينيات من القرن الماضي، أعجبت شركة All Products Unlimited التي تتخذ من ميامي مقراً لها بالسمعة القديمة في العهد الفيكتوري للإستركنين بوصفه منشطاً جنسياً. على أمل الاستفادة من الثورة الجنسية التي ازدهرت حينها، أطلقوا منشطاً جنسياً يسمى جيمس Jems في عام ١٩٦٦. وأعلن عنه باسم «الحبوب المنشطة جنسياً للرجال والنساء المتزوجين»، وقد اشتمل جيمس على جرعات صغيرة من الإستركنين في كل حبة.

سرعان ما أُحيلت الشركة إلى المحكمة بتهمة الخداع، ليس لأن الشركة تستخدم الإستركنين في قائمة المكونات الخاصة بها، ولكن من أجل ترويجها لادعاءات لا أساس لها من الصحة عن الفوائد الجنسية لأخذ دواء جيمس. لم تكلف الشركة نفسها عناء محاربة الاتهامات وتمت مقاضاتها على الفور.

الإستركنين في خزانة أدوية الدكتاتور

عندما انتشر الإستركنين، اندفع كثير من المخادعين لتحقيق الربح من هذا الدواء الجديد المنشط. فريق الأب والابن في شركة كامباني آند فيلوز Fellows & company التي بدأت في كندا ثم انتقلت لاحقاً إلى لندن، أنتجت كثيراً من العلاجات المنزلية المشبوهة مثل أقراص وورم Worm ودواء ديسيببسيا بتر Dyspepsia Bitter لعسر الهضم، والمرهم الذهبي الغامض. لقد حققت الشركة نجاحاً كبيراً بالفعل، مع تطوير شراب فيلوز من الهيبوفوسفيت، وهو دواء أشتهر للغاية في أوائل القرن العشرين وهو مسجل ببراءة اختراع. كان يحتوي على مادة الإستركنين. مدعوماً بشهادة شخصية من جيمس فيلوز نفسه، الذي ادعى أنه كان ضحية «نزف رئوي في مرحلته الثانية» (أي السل) قبل أن يعالجه هذا الشراب، حقق المنتج نجاحاً فورياً.

مالبت أن أعلن عن فعالية شراب فيلوز في «علاج فقر الدم والوهن العصبي والتهاب الشعب الهوائية والأنفلونزا والسل الرئوي وأمراض الهزال في الطفولة وفي أثناء فترة النقاهة بعد مرض شديد».

عبر تطوير خطة تسويق تعتمد بشكل كبير على قوة «شهادات التزكية»، حققت شركة فيلوز أرباحاً جيدة من تركيبة الإستركنين التي تباع من دون وصفة طبية، والتي بيعت بسبعة شلن لكل زجاجة سعة ١٥ أونصة. كان السعر باهظاً إلى حد ما وفقاً لمعايير اليوم، لكن ختم الجيلتين القرمزي على الزجاجة، جعله يستحق كل هذا.

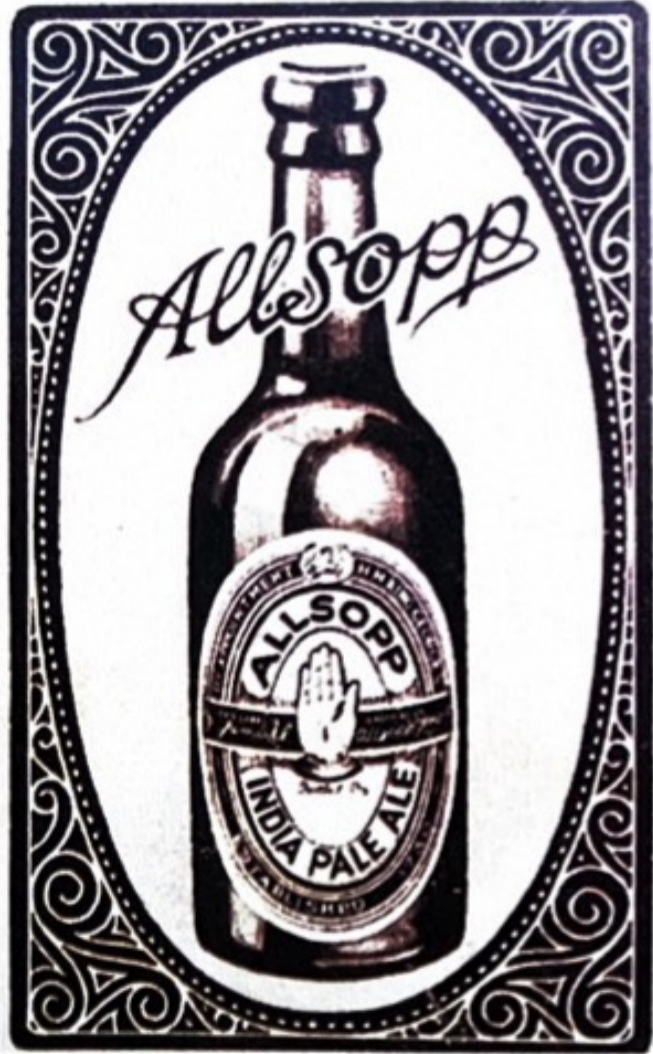
كان هناك منشط منافس يسمى شراب ايستون، لكنه لم يكن شائعاً كثيراً، يحتوي على ضعف كمية الإستركنين الموجود في شراب فيلوز. ٦ أونصات سائلة لكل نصف لتر. في عام ١٩١١، كان الأمر يستغرق ربع لتر فقط لإنتاج جرعة قاتلة.

المشروبات المرّة: فضائح الجعة بالإستركنين

انطلقت كثير من الشائعات عام ١٨٥١ بأن منتج البيرة الأساس في بريطانيا (جعة ألسوب) مغشوش، وبأنه يحتوي على الإستركنين لزيادة الطعم المر فيه. من المعروف لعشاق البيرة أن بيرة الهند مرة وتحتوي الأفيون. بيرة ألسوب اتهمت بأنها تضيف الأفيون مع الإستركنين ليكون بديلاً أرخص وأكثر سمية. ازدادت الشائعات، حتى قام هنري ألسوب بتكليف اثنين من أبرز الكيميائيين في بريطانيا ليثبتوا أن البيرة لا تحتوي على الإستركنين، تلك العبارة التي تحدد الشعار القديم "لا يوجد شيء أسوأ من الصحافة السيئة". وهكذا وجد الكيميائيون أن جعة ألسوب خالية من الإستركنين وبذلك قد أنقذت الشركة من أي تهمة تسمم جماعي كانت تلوح في الأفق.

لكن كان هناك شيء من الحقيقة في تلك الإشاعات. لم يكن ألسوب

يحتوي على الإستركنين، بل كان أصحاب عام حانات الشرب يضيفونه. في القرن التاسع عشر، كان أصحاب الحانات يبيعون الجعة بسعر يماثل السعر الذي يدفعونه لمنتجي الجعة. إذن ما السبيل إلى الربح؟ حسناً، بإمكانه أن يخفف من الجعة بإضافة الماء. لكن هذا الأمر لا يحافظ على الزبائن طويلاً. لكن ماذا لو كان هناك طريقة لتخفيف الجعة من دون أن يظهر ذلك في مذاقها؟



نضيف الإستركنين. ذلك المسحوق السحري القابل للذوبان في الماء، يضيف الطعم المر المطلوب بالإضافة إلى التأثير المسكّر الذي يماثل البيرة غير المزورة. بمعنى آخر: فقط لكي يحقق أصحاب الحانات الجشعين أرباحاً، مات كثير من مدمني الكحول في بريطانيا في القرن التاسع عشر نتيجة لذلك.

أطلق منشط آخر من الإستركنين يدعى ميتاتون عام ١٩٣٠ وكان يحتوي على ٢٥ / ١ من بذرة الإستركنين للأونصة الواحدة. لا يزال من السهل الحصول عليه اليوم في المملكة المتحدة، رُوج بوصفه منشطاً لاستعادة الصحة والحيوية بعد المرض. كان الإستركنين غائباً بشكل ملحوظ من قائمة مكوناته، لكن أُزيل بهدوء في عام ١٩٧٠.

تسلل الإستركنين أيضاً إلى عقار ألماني لمشاكل الهضم، يدعى أقراص الدكتور كويستر المضادة للغازات Koester's Antigas. في أوائل الأربعينيات، بدأ الدكتور ثيودور موريل في وصف هذه الأقراص لأحد مرضاه الذي كان يعاني من الإمساك وانتفاخ البطن نتيجة اتباع نظام غذائي نباتي. نصح الطبيب مريضه بأخذ ما بين ثمانية إلى ستة عشر قرصاً يومياً، وهو ما فعله بأمانة، لمدة تسع سنوات، حتى انتحر في مخبأ تحت الأرض في برلين في ختام الحرب العالمية الثانية.

نعم، كان أدولف هتلر يستهلك جرعات شبه مميتة من الإستركنين في أثناء فترة حكمه المرعبة. بمرور الوقت، كان من الممكن أن يتراكم مسحوق الإستركنين بكميات أكبر وأكبر في أمعائه، وربما أدى ذلك إلى السلوك الغريب الذي أظهره هتلر عندما اقترب من نهاية حياته.

سقوط الإستركنين

بحلول أوائل السبعينيات، بدأ الإستركنين بالاختفاء، حيث دعت كثير من النقاشات في المجلة الطبية البريطانية إلى إزالته تماماً من أي استخدام في الطب البشري.

اليوم، يُتجنب الإستركنين في الغرب، لكننا ما زلنا نجد في بول الرياضيين. بعد قرن من سباق هيكس، ظهرت المنشطات الإستركنين مرة أخرى في عام ٢٠٠١ عندما مُنعت رافعة أثقال هندية من المنافسة لمدة ستة أشهر بعد العثور على مادة الإستركنين في بولها. كان على تلك الرياضية التي تدعى كونجاراني ديفي، إعادة ميدالية ذهبية كانت قد فازت بها في مسابقة رفع الأثقال الآسيوية. قدمت ديفي ادعاءً مشككاً به تقول بأنها شربت كثيراً من القهوة. لقد ادعت ذلك بلا أساس علمي، حيث إن الإستركنين يوجد بكميات صغيرة في القهوة. من المرجح أن ديفي قد تناولت جرعة كبيرة من بذور شجرة الإستركنين *Nux Vomica*، التي لا تزال تُستخدم في المعالجة المثلية (الهوميوباثي) وهو متاح على نطاق واسع في الهند.

لذلك إذا كنت ترغب في تجربة شعور يشابه التسمم بالإستركنين، حاول تناول لترات من القهوة المركزة. عندما تتسارع ضربات قلبك، وتتنشط حواسك وترتجف عضلاتك، يمكنك حينها الاستمتاع بالحياة نفسها التي حصل عليها طلاب الطب الفرنسيون في القرن التاسع عشر والمشاركون في الماراثون الأولمبي في العشرينات من القرن الماضي... دون الآثار الجانبية المؤسفة للتشنجات الرهيبة والموت المؤلم. ولكن بعد ذلك، قد تصاب باضطراب في ضربات القلب وينتهي بك الأمر في غرفة الطوارئ، لذلك قد يكون من الأفضل بإجراء تجربة فكرية فقط.





التبغ

وصفات طبية للسجائر،

معجون أسنان من التبغ، نفث الدخان في مؤخرتك

«يدخن الأطباء سجائر كاميل Camel أكثر من أي سيجارة أخرى!»

يقول ٦٧٩ , ٢٠ طبيباً إن سجائر لاكيز Luckies أقل ضرراً!
«أعطي حلقك استراحة، دخن سيجارة منعشة!»

تدفقت هذه الادعاءات الفياضة للفوائد الصحية لتدخين السجائر ضمن الإعلانات المزركشة التي طغت على المجلات في جميع أنحاء البلاد في أوائل القرن العشرين وحتى منتصفه.

هل كان من المستغرب أن يكون أكثر من ٥٠ في المائة من السكان الذكور البالغين مدخنين في عام ١٩٥٥؟ كان الأطباء أنفسهم مدخنين شهريين؛ في الوقت نفسه تقريباً، أفاد ٣٠ بالمائة من الأطباء أنهم يدخنون علبة سجائر على الأقل يومياً.

في الولايات المتحدة، وبعد جيلين، أصبحت مستويات التدخين في أدنى مستوياتها التاريخية. لقد كان تحولاً هائلاً في أثناء ستين عاماً في استهلاك مادة شديدة الإدمان والتي كان الناس مقتنعين بأنها مساعدة صحية على مدى القرون الخمسة الماضية.

لكن لا تخطئ في فهمنا: لا يزال التبغ هو النبات الأكثر فتكاً الذي عرفته البشرية، وهو المسؤول المباشر عن أكثر من ٦ ملايين حالة وفاة كل عام في جميع أنحاء العالم. على الرغم من الاعتراف على نطاق واسع اليوم بأنه قاتل، إلا أن للتبغ جذوره الضاربة في التاريخ بعدة عشباً طبيياً



قابله من شعب البانوي تستخدم التبغ في أثناء مخاض امرأة

وقد تبناه البشر في العالم القديم والجديد لخصائصه العلاجية حتى القرن العشرين.

أخبار مبهجة من عالم جديد

زُرِع ستون نوعاً من النيكوتيانا في موطنها الأصلي في الأمريكيتين منذ آلاف السنين. وعندما وصل المستكشفون الإسبان في القرن الخامس عشر، كان التبغ منتشرًا على نطاق واسع في كل من أمريكا الشمالية والجنوبية في الطقوس، بوصفه دواءً ترفيهيًا، وعشبًا طبيًا.

لاحظ طاقم كولومبوس أن شعب التاينو الأصلي (في كوبا وهايتي حالياً) يحرقون أوراق التبغ في المشاعل لدرء الأمراض وتطهير المنازل وأماكن الطقوس. وبحسب ما ورد رأى الطاقم أيضًا أن شعب التاينو يستنشق كميات كبيرة من التبغ المجفف الذي كان يؤدي إلى فقدان سريع للوعي، وربما استخدمها الأطباء المحليون وسيلة لجعل المريض يفقد الوعي قبل إجراء جراحة ثقب للجمجمة. (بينما لا يزال هناك بعض الجدل حول أصل كلمة التبغ Tobacco، فإن كلمة تاينو Taíno التي تعني إما أوراق التبغ نفسها أو الغليون المستخدم في تدخينها تعدّ منافسًا قويًا).

واصل المستكشفون في وقت لاحق مراقبة الاستخدام الطبي للتبغ على نطاق واسع في العالم الجديد (الأمريكيتين). في المكسيك، كان يُستخدم بوصفه مضادًا للإسهال وملينًا للأمعاء ومطريًا للبشرة. إضافة إلى تجفيف النبات وتدخينه، أُستخدمت أيضًا أوراقه للمساعدة في التئام الجروح وعلاج الحروق، وكان يُبلع مسحوق التبغ للتخفيف من تراكم البلغم في الحلق. في كاليفورنيا، كانت القبائل الصحراوية تسحق أوراق التبغ لصنع كمادات لعلاج الأمراض الالتهابية مثل الروماتيزم، وكذلك الالتهابات الجلدية مثل الأكزيما. كانوا أيضًا يدخنون الأوراق بوصفها

علاجاً لنزلات البرد، والتي تعدّ فعالة بشكل خاص إذا خلطت بأوراق المريمية. (والآن لديك بديل رائع لدواء DayQuil) يستخدم لنزلات البرد والانفلونزا والسعال ولا يسبب النعاس) في الشتاء المقبل.)
كان «اكتشاف» الأمريكيتين بمثابة جرعة من الأدرينالين للأطباء الأوروبيين، الذين تاقوا كثيراً للكشف عن الخصائص العلاجية للنباتات الجديدة الوافدة والتي أضيفت إلى مستودعات الأدوية الخاصة بهم. كان التبغ من أوائل محاصيل الأمريكيتين الذي تبناه الأطباء الأوروبيون بلهفة وأطلقوا عليه اسم الدواء الشافي (على الرغم من أنه لم يكن المحصول الأخير الذي تبناه بالتأكيد).

نشر الطبيب الإسباني نيكولاس مونارديس كتاباً مشهوراً عن تاريخ النباتات الطبية في الأمريكيتين في سبعينيات القرن السادس عشر، والذي تضمن قسمًا منمقاً عن التبغ. كان عنوان الكتاب أخبار مبهجة من العالم الجديد، والذي أخبرنا كثيراً عن المشاعر العامة تجاه اكتشافات النباتات الجديدة. أصر مونارديس على أن التبغ يمكن أن يعالج ما يزيد عن عشرين مرضاً بما في ذلك السرطان، وهو أحد أكثر التصريحات المفارقة عمقاً في الأدبيات الطبية. (سيموت حوالي سبعة عشر شخصاً بسبب سرطان الرئة الناجم عن التدخين في أمريكا في الساعة اللاحقة وحدها).

الاستنشاق الصحيح: أبطال التبغ الأوائل

ومن أوائل أبطال التبغ في مجال الطب أيضاً، كان السفير الفرنسي في البرتغال جان نيكوت، والذي كان اسمه مرموقاً في تاريخ الطب بوصفه أصلاً لكلمة النيكوتين التي تُنسب له. (النيكوتين هو واحد من بين أكثر من أربع آلاف مادة كيميائية تُنتج عند حرق أوراق التبغ، لكنه الأكثر شراً بينهم؛ لأنه يحفز الدماغ والجهاز العصبي للمدخين، مما يمهد الطريق للإدمان).



عجائب التبغ التي لا تعد ولا تحصى

وصل نيكوت إلى لشبونة عام ١٥٥٩، وتعرّف بسرعة على التبغ. كان نيكوت رجلاً فضولياً وشغوفاً بالعلم، وقد فُتن بشدة بهذا النبات الآتي من العالم الجديد وبالتجارب البرتغالية المبكرة مع خصائصه الطبية. قرر السفير والطبيب الناشئ أن يجربه بنفسه، لذلك قام بدهن مرهم من التبغ، ثم قام بتجريبه على رجل مصاب بورم وطلب منه أن يستخدم المرهم بانتظام على الورم غير المرغوب بازدياده. نجح المرهم، مما زاد من إصرار نيكوت أنه كان على حق.

قام نيكوت المؤمن بأن التبغ كان علاجاً محتملاً لجميع أنواع الأمراض بجمع بعض نباتات التبغ والعودة منتصراً إلى فرنسا، حيث كانت كاثرين دي ميديشي تحكم بوصفها ملكة. في عام ١٥٦١، قدم نيكوت للملكة أوراق نبات التبغ وأرشدتها لطريقة سحق الأوراق واستنشاقها لتخفيف الصداع. أخذت كاثرين، التي عانت من صداع رهيب، بنصيحة نيكوت. نجح استنشاق التبغ، الأمر الذي جعل كاثرين والأسرة الملكية الحاكمة في فرنسا بأكملها، في حالة تحول بين عشية وضحاها للتبغ.

نظراً لأن الفرنسيين كانوا يصنعون الموضحة في القرن السادس عشر كما هو الحال في القرن الحادي والعشرين، سرعان ما أصبح استنشاق التبغ موضحة في جميع أنحاء أوروبا. بالكاد يمكنك حضور حفلة أرستقراطية في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، ولا يُعرض عليك استنشاق التبغ.

وقد كانت مسألة وقت فقط قبل أن يشق الدواء الرائج طريقه إلى كل طبقات المجتمع. بعدما ضمن نيكوت شهرته وثروته، تقاعد وانتقل إلى الريف وبدأ العمل على هاجسه الآتي: تأليف قاموس فرنسي.

في عام ١٧٧٣، أطلق عالم النبات السويدي كارل لينوس على نبات التبغ الخارق اسم *Nicotiana* تكريماً لنيكوت، إشارة إلى دوره في الترويج للنبات. ومع ذلك، سيكون شرفاً مشكوكاً فيه، بمجرد فهم قوة النيكوتين الإغوائية بشكل صحيح.

على الرغم من تبشير كاثرين دي ميديشي بالتبغ، لم يكن الأمر لصالح هذا النبات على الدوام، فقد كان هناك رافضون له في أوروبا منذ الأيام الأولى لاعتماده. واحدة من أبرز الأصوات المناهضة للتبغ ذلك العجوز مفسد اللذات، الملك جيمس الأول ملك إنجلترا، الذي كتب في عام ١٦٠٤ واصفاً تدخين التبغ بأنه «بغیض». تابع جيمس في إحدى فقراته ذات البصيرة واصفاً التبغ بأنه «ضار بالدماع، وخطير على الرئتين». بدأت آراء جيمس الأول تجاه التبغ تلقى رواجاً. مع تقدم القرنين السابع عشر والثامن عشر، لم يعد يُنظر إلى النبات بعدة الدواء الشافي. ومع ذلك، استمر بعض الأطباء ينصحون بتدخين التبغ لأغراض معينة. على سبيل المثال، أوصى كتاب الفيزياء البدائية Primitive Physick، وهو كتاب طبي شهير من منتصف القرن الثامن عشر وحتى منتصف القرن التاسع عشر، بتدخين التبغ بوصفه أحد العلاجات المفضلة لتخفيف آلام الأذن. إذا كنت تعاني من ألم في الأذن، فكل ما عليك فعله هو ايجاد صديق يشعل غليونه وينفخ الدخان عميقاً في أذنك. (تجربة ممتعة: حاول مرافقة زميلك في العمل في استراحة للتدخين واطلب منه ذلك العلاج).

نفخ الدخان في مؤخرتك

لم تكن قنوات الأذن هي الجزء الوحيد المفتوح لتلقي جرعة قوية من الدخان السلبي. هل سمعت «بنفخ الدخان في مؤخرتك»؟ نعم، نفخ الدخان في مؤخرة شخص ما، كانت طريقة إنعاش معتمدة في القرن الثامن عشر. انتشرت هذه الممارسة جداً، كما صُنعت الحقن شرجية لنفث التبغ وأُتيحت للبيع للأسر المهتمة. من الأفضل دائماً أن تكون مستعداً للطوارئ الطبية ولا يمكنك القول والجزم بأنك «مستعد» إلا إذا اقتنيت مجموعة الحقنة الشرجية لتدخين التبغ بجوار لوازم الإسعافات الأولية.

لاقت الحقن الشرجية لتدخين التبغ رواجاً واسعاً في القرن الثامن عشر عندما اعتمدها الرابطة الطبية البريطانية لغرض خاص للغاية: إنعاش الغرقى. في تلك الأيام التي كان فيها الغرق في نهر التايمز حدثاً متكرراً لدرجة أنهم أسسوا هيئة ومولوها لغرض وحيد وهو تعزيز إنعاش الغرقى. أطلق عليها اسم هيئة تقديم الإغاثة الفورية للأشخاص الذين سيموتون على ما يبدو من الغرق، وقد جاب أعضاؤها ضفاف نهر التايمز الخطرة، وبحوزتهم مجموعة من الحقن الشرجية، متأهبين لأي غريق في النهر يحتاج إلى إعادة إحيائه. إذا صادفوا هذه الحالة، فسيقفزون للإنقاذ ويسحبون الشخص الذي يبدو أنه غرق في النهر، يمزقون كل ملابسه، يقلبوه على بطنه، يضعون أنبوب الحقنة الشرجية في مؤخرته، حتى تبدأ المبخرة بالخوار.

بالمناسبة، كان المنفاخ إضافة رائعة إلى مجموعة الحقنة الشرجية. قبل إضافة المنفاخ، كنت ستضطر إلى نفخ الدخان في مؤخرة شخص ما بنفسك. ماذا لو استنشقت بالصدفة مؤخرته؟ لن تكون النتائج مثيرة للاشمئزاز فحسب، بل قد تكون قاتلة أيضاً. إذا كانت ضحيتك مصابة بالكوليرا، على سبيل المثال، فستكون هالكاً لا محالة بسبب امتصاصك لبكتريا الكوليرا. وهذا، يا أصدقائي أسوأ مثال عن "أسوأ طريقة للموت" واردة في هذا الكتاب. ظهرت الدوافع الطبية لمروجي حقن الدخان الشرجية، ولا سيما الدكتور ويليام هاوز والدكتور توماس كوجان، اللذان أسسا فريق إنقاذ غرقى التايمز. كان يُعتقد أن نفخ الدخان في أجساد الغرقى على ما يبدو يحقق هدفين طبيين: تدفئة الضحية وتحفيز التنفس.

بالطبع، لا يؤدي نفخ الدخان إلى تحقيق أي من هذين الهدفين، لكنها أعطت عمال الإنقاذ في القرن الثامن عشر الكثير. . حق النظر للمنطقة الحساسة والخاصة لأي شخص في عصر كان يُنظر فيه إلى الكاحل على أنه أمر فاضح وإباحي، وهذا يفسر على الأرجح بعض ما كان شائعاً في المجتمع.



مجموعة الحقنة الشرجية، ليس ثمة منزل آمن من دونها

إذا لم تعيد حقنة الدخان إحياء الضحية، فقد كان يلجأ أعضاء الفريق إلى طريقة أكثر موثوقية أنقذت الأرواح بالفعل: التنفس الاصطناعي. ومع ذلك، كان التنفس الاصطناعي عن الطرق الفم غير مرغوب به إلى حد كبير من قبل المجتمع الطبي بعدّه "مبتذلاً"، مقارنةً، على سبيل المثال، بنفخ الدخان في مؤخرة شخص ما. عرفن القابلات بشكل أفضل القيام بالتنفس الاصطناعي الفموي بانتظام ومارسنه لإنعاش الرضع. لحسن الحظ، وافق باقي المجتمع الطبي في نهاية المطاف على هذه الطريقة، ولم يعد التنفس الاصطناعي الفموي يدل على "الابتذال"، وأنقذت أرواح لا حصر لها نتيجة لذلك.

دخن سيجارتك، وظهر منزلك!

على الرغم من أن الحقن الشرجية لدخان التبغ لم تكن أبداً فكرة جيدة، إلا أن دخان التبغ عدّ لفترة وجيزة مطهراً، لاحظ طاقم كولومبوس أن شعب التاينو في كوبا يستخدمون أوراق التبغ المحترقة لتطهير المنازل التي يتواجد فيها مرضى، وهاجرت تلك الإشاعة مع النبات إلى أوروبا. في أثناء تفشي وباء الطاعون في لندن عام ١٦٦٥، طُلب من تلاميذ



المدارس بالفعل أن يدخنوا في فصولهم الدراسية بوصفه وسيلة لدرء المرض. كان لهذا على الأرجح جانب إيجابي وحيد؛ لم يكن على تلاميذ المدارس أن يهربوا خارج المدرسة للحصول على النيكوتين. وبالمثل، في عام ١٨٨٢، في أثناء تفشي مرض الجدري في مدينة بولتون، وُزِعَ التبغ على جميع العاملين في إحدى الورشات للحفاظ عليها خالية من الجراثيم.

فحص الأطباء خصائص التبغ بوصفه مطهراً فقط من حين لآخر. في عام ١٨٨٩، كتب مؤلف مجهول في المجلة الطبية البريطانية بحثاً يفيد بأن مركب البيريدين الموجود في دخان التبغ يقتل الجراثيم ويقلل من خطر إصابة مدخني التبغ بالأمراض المعدية مثل الدفتيريا والتيفوس. في عام ١٩١٣، ادعى بحث آخر في مجلة ذا لانست *The Lancet* أن البيريدين قد وُجِدَ في دخان التبغ، وأثبت مرة أخرى أن دخان التبغ يقتل البكتيريا المسببة للكوليرا.

لكن كلا الباحثين، مع ذلك، أشاروا أيضاً إلى أن أضرار تدخين التبغ تفوق فوائده المحتملة، وهي حجة أوقفت إلى حد كبير أي تحقيق إضافي في احتمال استخدام التبغ بوصفه مطهراً.

معجون أسنان التبغ

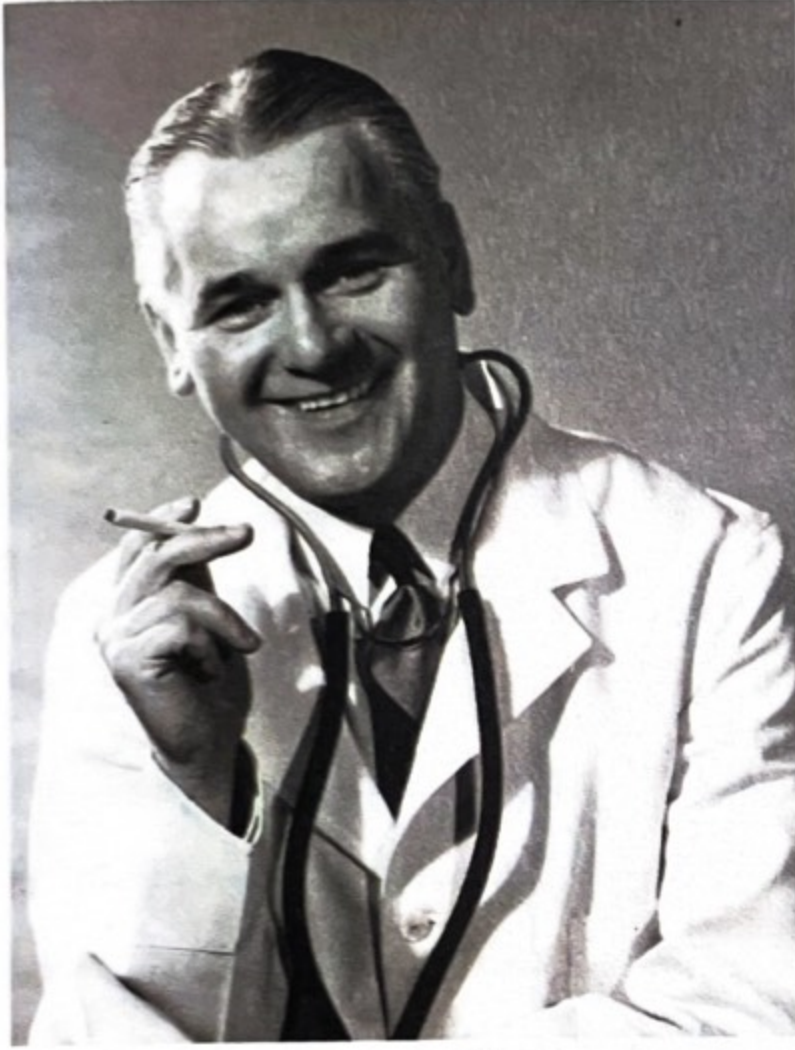
قامت بعض قبائل الهنود الحمر الأمريكية بمزج مسحوق التبغ مع الجير أو الطباشير لصنع معجون تنظيف الأسنان، وهي فائدة محتملة للتبغ لا يتمتع بها مستخدمو التبغ اليوم، والذين يتمتعون غالباً بأسنان صفراء اللون نتيجة مضغ التبغ أو تدخينه. ولا يزال معجون أسنان التبغ يُستخدم في جنوب آسيا، حيث تقوم شركات مثل IPCO بتسويقه تجارياً.

حاز كريمي سنوف Creamy Snuff على أفضل اسم لمعجون أسنان والذي يحتوي

على زيت القرنفل والجلسرين والنعناع والمنثول والكافور، وبالطبع التبغ. معجون الأسنان كريمي سنوف شائع لدى النساء في جنوب آسيا. فبعضهن يستخدمنه من ثماني إلى عشر مرات يومياً بتشجيع من المصنّع الذي ينصح بأن يُترك مدة أطول في الفم. (عنصر التبغ الذي يدخل في تركيب معجون الأسنان يبقى أقل منافساً وأقل شراً بالمقارنة مع العناصر الأخرى التي تدخل في تركيب معجون الأسنان المشع الذي ذكرناه سابقاً في فصل الراديوم والرادون.)



صناعة التبغ تحل مكان الأطباء



يدخن الأطباء سجائر كاميل
أكثر من أي سجائر أخرى

بدا القرن التاسع عشر وكأنه بداية النهاية للتبغ الطبي. في عام ١٨١١، اكتشف العالم الإنجليزي بن برودي Ben Brodie أن النيكوتين ضار بالقلب. في عام ١٨٢٨، تابع الباحثون عزل قلويد النيكوتين، وهو اكتشاف أدى إلى تراجع الرأي الطبي حول النبات، حيث يمكن الآن ملاحظة التأثير السلبي للنيكوتين على الدماغ والجهاز العصبي.

بحلول أوائل القرن العشرين، بدأت المخاوف تظهر بشكل واضح بشأن المخاطر الصحية لتدخين السجائر. حاول مصنعو التبغ الذي انتابهم القلق جراء ذلك تهدئة مخاوف المستهلكين، وذلك بتشكيل تحالف قوي مع الأطباء. الأطباء، الذين يدخنون في كثير من الأحيان مثل عامة الناس، كانوا لا يزالون يصدقون، على الرغم مما توصلت إليه الأبحاث الأخيرة التي تشير إلى المخاطر الصحية المحتملة للتدخين، الحقيقة غريبة التي مفادها أنه ليس كل من يدخن ينتهي بالمرض. لذلك، لم يكن من الصعب أبداً العثور على أطباء مستعدين لتقديم شهادات تزكية لشركات التبغ، ولا سيما عندما يُعرض عليهم علب سجائر تُرضي عاداتهم الخاصة مقابل دعمهم.

بدءاً بحملة شركة التبغ الأمريكية الناجحة والتي أعلنت أن سجائر لاكي سترايك Lucky Strike "أقل ضرراً" بدأ الأطباء أيضاً في الظهور في إعلانات مزركشة في المجلات التي تروج للسجائر. في الثلاثينيات من القرن الماضي، صنع فيليب موريس، الوافد الجديد إلى اللعبة، اسماً لشركته في إنتاج التبغ، عبر حملة إعلانية كبيرة وناجحة تفيد بأن "مجموعة من الأطباء" وجدت أن تدخين سجائره تحسن أو تخفف تماماً من تهيج الأنف والحنجرة. جعلت الحملة بمفردها شركة فيليب موريس علامة تجارية كبرى. بلغ جنون مشاركة الأطباء في حملات التبغ ذروته في حملة "الأطباء يدخنون سجائر كاميل Camel أكثر من أي سجائر أخرى" والتي أطلقتها شركة التبغ آر جاي رينولدز R.J. Reynolds. بين عامي ١٩٦٤ و ١٩٥٢. رافق الحملة دراسة مستقلة "أجرتها شركة وليان إستي William Esty التابعة لشركة آر جاي رينولدز والتي استجوبت الأطباء حول ماركة السجائر المفضلة لديهم بعدما أهدتهم علب السجائر المجانية من سجائر كاميل.

التبغ اليوم

كانت الحملة السابقة لسجائر كاميل بداية النهاية، مع ظهور المزيد والمزيد من الدراسات التي أثبتت الآثار الضارة لتدخين السجائر، كان التبغ في طريقه للخروج من المجال الطبي. انتقل الأطباء من استخدام التبغ في العلاج إلى فهم الآثار السيئة والكثيرة للتدخين (السرطان، وانتفاخ الرئة، وأمراض القلب، والربو، والسكري، على سبيل المثال لا الحصر)، ثم مكافحتها. حالياً ما يزال تدخين التبغ من باب المتعة منتشرًا عالمياً. على الرغم من أن الآثار الضارة للتدخين قد فُهمت جيداً ورُوج لها بشكل كبير لعقود من الزمن، لا يزال هناك ٣, ١ مليار شخص حول العالم يدخنون السجائر بانتظام، وصناعة التبغ العالمية تبلغ ٣٠٠ مليار دولار. لذلك كان الأطباء

منشغلين بعض الشيء في محاربة الآثار السلبية للتدخين على جسم الإنسان
لإجراء مزيد من التجارب مع أي خصائص إيجابية للتبغ.
ولحسن حظ من يمشون على ضفاف نهر التايمز في عصرنا الحديث، لم تعد
الحقن الشرجية لتدخين التبغ هي طريقة الإنعاش المفضلة لمن كانوا يغرقون.
يمكننا جميعًا الآن أن نشعر ببعض الأمان عند زيارة نهر التايمز؛ لأننا ندرك
أنه لا يوجد أحد يتربص بنا لنتف دخان التبغ في مؤخراتنا في حال الوقوع
فيه.



الكوكايين

تجارب الكوكايين المبهجة، سيغموند فرويد،

قطرات الكوكايين لألم الأسنان، خمر مارياني، ورئيس يُحتضر

بعد أسبوع من استسلام روبرت إدوارد لي للقائد العام لجيش الولايات المتحدة يوليسيس جرانت، نشبت إحدى المعارك الأخيرة في الحرب الأهلية على نهر تشاتاهوتشي الذي يفصل بين ألاباما وجورجيا. هناك بعض الأشياء في الحياة تثير السخرية كثيراً، مثل الإجبار على المشاركة في معركة بعد انتهاء الحرب فعلياً. بفضل خطوط الاتصال البطيئة للغاية والتي تربط الوحدة العسكرية بقاعدة الامداد الخاصة بها، حدثت معركة كولومبوس بعد أسبوع كامل من استسلام لي في أبوماتوكس كورت هاوس.



الملازم بمبرتون مع لحية والصورة في الأسفل شجيرة نبات الكوكا البريئة و المثالية لحديقتك الخلفية.



في المعركة، كاد الملازم الكونفدرالي البالغ من العمر أربعة وثلاثين عامًا المسمى جون بمبرتون أن يفقد حياته في أثناء مناورته مع الأعداء. جرح بمبرتون جرحًا بليغاً بضربة سيف في صدره كان من الممكن أن تودي بحياته بكل بساطة، ولكن لحسن الحظ بالنسبة إليه ولعشاق الصودا في المستقبل، فقد عاش. في أثناء التعافي من جروحه، أصبح بمبرتون، كثير من رفاقه سواء أكانوا من داعمي الحرب الأهلية أم من معارضيها، مدمناً على المورفين. لكنه على عكس كثير من زملائه الجنود الجرحى، كان بمبرتون صيدلاً نياً في حياته المدنية. ولذلك، كان يستطيع الوصول إلى مجموعة متنوعة من الأدوية والمكملات العشبية التي يمكنه تجربتها. (قام بالتجربة، وركّب مجموعة متنوعة من الأدوية الحاصلة على براءة اختراع مع بعضها مثل بلسم الدم

النباتي، وحبوب الكبد تريبيكس، وشراب جلوب فلاور للسعال، وصبغة شعر الملكة الهندية.) بعد شفائه قرر اختراع دواء مسكن بديل للمورفين والحصول على براءة اختراع. بدأ بمبرتون باستخراج الكوكايين من الكوكا، وهو نبات قديم شائع في أمريكا الجنوبية وأستخدم في فرنسا منشطاً وعلاجاً يُدعى نبيذ الكوكا (المزيد عن ذلك لاحقاً). سرعان ما ابتكر بديلاً أمريكياً محلياً لنبيذ الكوكا الفرنسي، وهو مشروب كحولي يحتوي على الكوكايين، والذي أخذه إلى أتلانتا لبيعه. هذا المشروب الصغير الصاحب الذي حصل على براءة اختراع يسمى كوكا كولا.



منشط من الطبيعة : من جبال الأنديز إلى النمسا

أستخدم الكوكايين «كافيار مخدرات الشوارع» والذي يعدّ من أكثر العقاقير الترفيحية شيوعاً على هذا الكوكب، بوصفه منشطاً منذ ٣٠٠٠ قبل الميلاد على الأقل. يُشتق الكوكايين من نبات الكوكا Erythroxylum الذي يعود أصله إلى جبال الأنديز في أمريكا الجنوبية. يبدو النبات طبيعياً بالتأكيد، بريئاً في مظهره الخارجي، مجرد شجيرة بين كثير من النباتات الشجرية. لكن تلك الشجيرة الصغيرة التي تبدو ملائمة لزراعتها في فناء منزلك، قد حققت ثروات لا حصر لها وأزهقت أرواحاً لا تعد ولا تحصى.

كان شعب الإنكا في البيرو يعضغون أوراق نبات الكوكا بكثرة لتأثيرها التحفيزي، لكن الكنيسة الكاثوليكية الإسبانية حظرت هذه العادة بعد وصول الفاتحين في القرن السادس عشر.

لكن خطتهم لم تنجح بشكل جيد. أدى الاستخدام المتكرر والواسع النطاق لأوراق الكوكا في النهاية إلى إجبار الحكومة الاستعمارية الإسبانية على الاعتراف بالهزيمة. كما كتب أحد الفاتحين عام ١٥٣٩:

الكوكا، وهي ورقة من شجرة صغيرة تشبه السماق الموجود في قشتالة، لا تخلو منها أفواه الهنود. يقولون إنها تغذي وتمنح الترطيب وبفضلها لا يشعرون بالحرّ تحت الشمس، وتستحق وزنها ذهباً في هذه المناطق، وهو ما يفسر فرض ضريبة العشر عليها.

تفشى استخدام الكوكا. وفي النهاية، أدمن الإسبان أنفسهم على أوراق الشجر. وبدأوا فرض ضرائب عليها وتنظيم بيعها واستخدامها، وهي استراتيجية ذكية لإدارة المخدرات.

جلب الفاتحون أيضاً أوراق الكوكا معهم إلى أوروبا، لكن تجاهلها الجميع بسبب بريق الذهب والفضة المحمّلين برفقتها في سفنهم. لم يكن من الجيد أن تبلل أوراق الكوكا في حزمة ما، وإلا ستتعضن الحزمة بأكملها بسرعة، وهو ما كان يمثل تحدياً خاصاً للنقل عن طريق السفن. لذا فقد استغرق الأمر

بعض الوقت لبقية أوروبا للتحقيق في تلك الأوراق الخادعة الآتية من أمريكا الجنوبية. مع تقدم علم استخراج المركبات شبه القلوية في أوائل القرن التاسع عشر.

كان من المؤكد أن يوجه شخص ما انتباهه في النهاية إلى أوراق شجيرة الكوكا. في عام ١٨٥٩، شقت كمية كبيرة طريقها إلى ألمانيا ووصلت إلى يد طالب دكتوراه شاب لامع اسمه ألبرت نيمان، الذي كان بحاجة إلى أطروحة. قرر طالب الدراسات العليا محاولة استخراج المادة الفعالة من أوراق الكوكا. ونجح في عزل الكوكاين وحصل على درجة الدكتوراه بضربة واحدة، وأصبح أول وآخر شخص يحصل على درجة متقدمة لإنتاج عقار ترفيهي شديد الإدمان. (لم يكن إنتاج الكوكاين إرثاً سيئاً للغاية، لذلك بدأ الطبيب البالغ من العمر ستة وعشرين عامًا بتجربة الإيثيلين وثاني كلوريد الكبريت، وفي النهاية اخترع غاز الخردل الذي كلفه حياته).

في العام نفسه الذي كان فيه نيمان يستخرج الكوكاين، ظهر إلى الساحة طبيب إيطالي يدعى باولو مانتيجازا والذي كان مفتوناً بنبات الكوكا. سافر إلى البيرو وتطوع بنفسه بحماس كفأر المختبر لاختبار تأثيرات جرعات أوراق الكوكا. لا يجب على أحد التحرج من التطرف، حيث سجل مانتيجازا بجد رد فعله تجاه الجرعات الصغيرة والمتوسطة والعالية من أوراق الكوكا بشكل يبعث على السخرية. لاحظ انخفاض جوعه وتحسين طاقته مع الجرعات الصغيرة والمتوسطة وعبر عن سعادة «النشوة» نتيجة الجرعات الكبيرة، حيث كتب:

سخرت من البشر المساكين المحكوم عليهم بالعيش في هذه الحياة الدنيا. بينما طرت أنا على جناحي ورقتين من الكوكا في الفراغات المكونة من ٧٧،٤٣٨ كلمة، كل واحدة أكثر روعة من سابقتها. . . . الله ظالم لأنه جعل الإنسان غير قادر على تحمل آثار الكوكا طوال حياته. أفضل أن أعيش حياة عشر سنوات مع الكوكا بدلاً من حياة واحدة تبلغ ١٠٠،٠٠٠ سنة من دونها.

لم يمر هذا الحماس، الذي نشره مانتيجازا في كتيب «حول القيم الصحية والطبية

لكوكا»، مرور الكرام من دون أن يلاحظه أحد من الجماهير الأوروبية. وهو محق في أن الكوكايين يجعل مستخدمه يشعر بثقة فائقة وبأنه مفعم ومليء بالطاقة - وكلها سمات مفيدة لكثير من المهن.

ليس من المستغرب أن تعاطي الكوكايين أصبح شائعاً بين المثقفين والفنانين والكتاب وغيرهم من الأشخاص الذين اعتمدوا على عقل يعمل بكفاءة في إنتاج أعمالهم. أشهر مدافع عن الكوكايين بوصفه منشطاً في القرن التاسع عشر لم يكن سوى سيغموند فرويد، الذي أصبح مدمناً بالكامل في العشرينات والثلاثينيات من عمره. كتب فرويد لزميل له في عام ١٨٩٥ بعد "تعاطي الكوكايين من فتحة الأنف اليسرى في الأيام القليلة التي مضت، شعرت بحالة جيدة بشكل لا يصدق، كما لو أن كل شيء قد مُحَيَّ. . . . كان شعوراً يفوق الروعة، كما لو لم يكن هناك أي خطأ على الإطلاق". توقف فرويد عن تعاطي الكوكايين عندما كان في الأربعين من عمره، قبل أن يكتب الأعمال الرئيسة في علم النفس التي حولته إلى اسم مألوف. لا يزال العلماء يناقشون التأثير طويل المدى لإدمان فرويد للكوكايين على تألق أفكاره لاحقاً.

لا أتم على الإطلاق مع الكوكايين

دافع الشاب فرويد عن استخدام الكوكايين ليس فقط بوصفه منشطاً، ولكن أيضاً بوصفه مخدرًا موضعياً، وهو أمر جيد في الواقع. نقل معرفته إلى طبيب العيون كارل كولر، الذي استخدم الكوكايين بشكل ناجح جداً بوصفه مخدرًا موضعياً في أثناء جراحة العيون، ونشرت نتائجه في المجلة الطبية البريطانية ذا لانسييت The Lancet.

قرأ طبيب أمريكي شاب يُدعى ويليام ستيوارت هالستيد (المعروف بتأسيس مستشفى جونز هوبكنز وريادته في استئصال الثدي جراحياً بشكل جذري) عن تجارب كولر وجربها بنفسه، مستخدماً الكوكايين لتخدير آلام جراحة الأسنان وتطبيق هذه التقنية على طلابه في

الدراسات العليا (نحن على يقين أنهم شكروه على ذلك).
بطبيعة الحال، أدت ميزة الكوكايين في تخفيف الآلام إلى احتضانه بحماسة
من قبل منتجي الأدوية الرائجة والحائزة على براءة اختراع في أواخر القرن
الحادي عشر وأوائل القرن العشرين. كان الكوكايين مكوناً رئيساً في كثير من
الأدوية الشعبية، بما في ذلك دواء روجر بالكوكايين لعلاج الباسور Roger's
Cocaine Pile Remedy، وشراب لويد بالكوكايين لألم الأسنان Lloyd's
Cocaine Toothache Drops. (كانوا يؤكدون للمستهلكين أن هذه
المنتجات لا تحتوي في الواقع على أي أدوية تسبب الإدمان).

كان الغرض من دواء روجر بالكوكايين هو تقليص حجم البواسير الكبيرة
والمؤلمة. ربما كانت حبوب الدواء التي أخذت على شكل تحاميل، فعالة إلى حد
ما لأن الكوكايين لديه القدرة على تقليص الأنسجة الملتهبة.

أما قطرات لويد بالكوكايين لألم الأسنان فقد أعلن عنها على أنها «علاج
فوري!» - اخترعت على الأرجح في أعقاب تجارب الدكتور هالستيد الناجحة
مع الكوكايين في جراحة الأسنان. بتكلفة ١٥ ، ٠ دولار للعبوة، كانت القطرات
لوجع الأسنان ميسورة التكلفة. وسوّقت بكل ثقة لاستخدامها مع الأطفال.
كانت النتيجة المأساوية المروعة لتجارب هالستيد مع الكوكايين هي إدمانه.
بدأ الطبيب بحقن الكوكايين مباشرة في عروقه لتأثيراته التحفيزية، وسرعان
ما أصبح مدمناً. في النهاية، أُرسِل إلى مستشفى بتلر في عاصمة رود آيلاند،
بروفيدانس، حيث كان العلاج المعترف به لإدمان المخدرات هو حقن المريض
بجرعات كبيرة من المورفين.

في النهاية، غادر هالستيد المصحّة كرجل محطّم ومصاب بالشلل بسبب إدمانه
على المورفين والكوكايين. لكن ذلك لم يمنعه من الاستمرار في مزاوله الطب.

الدكتور جيكل والسيد هايد

هناك بعض الأدلة التي تشير إلى أن روبرت لويس ستيفنسون كتب رواية الدكتور جيكل والسيد هايد بينما كان يتعاطى الكوكايين لمدة ستة أيام؛ في الواقع، بالنسبة إلى بعض القراء، تشير القصة إلى إدمان الكوكايين. (خمن أي نسخة من بطل الرواية ترمز إلى المدمن) كتب أوسكار وايلد عن الرواية، «تحول دكتور جيكل يدل بشكل واضح عن تجربة مشابهة» ورد ذلك في مجلة ذا لانسيت. سلط مقال في مجلة جاما عام ١٩٧١ الضوء عن كتب في هذا الادعاء، مشيراً إلى أنه في وقت كتابة الرواية، كان ستيفنسون



في الأساس مريضاً وقد أمره الطبيب بالبقاء في الفراش وعدم الكلام خشية الإصابة بنزيف رئوي. ومع ذلك، كتب ستيفنسون الرواية في فترة زمنية قصيرة جداً تبعت عن الدهشة. حيث إنه لم يتوقف عن الأكل أو النوم لمدة ستة أيام. في الحقيقة، يتوافق ذلك مع الرواية التي تقنعك بأن ستيفنسون كان مدمناً على الكوكايين.

في صحتكم: مغامرات شراب الكوكايين

عندما احتضن المجتمع الطبي عقاقير الكوكايين المسجلة ببراءة اختراع، بدأت المنشطات التي تحتوي على الكوكايين في الظهور في كل مكان. خذ على سبيل المثال اسم المنشط كوكا بيف Coca Beef المنتقى بشكل جذاب، والذي كان من المفترض أن يكون بديلاً عن اللحوم. إذا كنت لا تستطيع شراء شريحة لحم الضأن اللذيذة، يمكنك بدلاً من ذلك أن تدفع بضعة قروش

مقابل مشروب بنكهة لحم البقر. هذا المنشط يعوض عن نقص اللحوم في نظامك الغذائي عبر احتوائه على الكوكايين و ٢٣ بالمائة من الكحول. القليل من الأشياء تكافح الجوع إضافة إلى الشعور بالسكر بشكل مذهل والانتشاء في الوقت نفسه. كانت الطريقة الأكثر شيوعاً لتوزيع الكوكايين هي النبيذ. قرر الكيميائي الفرنسي أنجيلو مارياني الذي قرأ عن تجربة مانتيجازا المبهجة مع أوراق الكوكا، وضع بضع أوراق في زجاجة من البوردو ومعرفة ما سيحدث بعد ذلك. يقوم الإيثانول الموجود في النبيذ باستخراج الكوكايين من أوراق الكولا الذي يذوب ويصنع مشروباً مسكراً. سُرّ مارياني بالتأثير، وبدأ في وضع أوراق الكولا في زجاجات البوردو، وأطلق على المنتج اسم خمر مارياني، وأعلن عنه بعدة نبيذاً منشطاً، وأصبح ذائع الصيت لدرجة أنه جعل الكيميائي الفرنسي مليونيرا، ربما كانت أول ثروة كبيرة تأسست على أساس البلية.

لاقى المشروب أيضاً تأييداً واسعاً من المشاهير وكان مسؤولاً بشكل جزئي عن درجة كبيرة من الإنتاج الأدبي في أواخر القرن التاسع عشر: كان كل من آرثر كونان دويل وجول فيرن وألكسندر دوماس وهنريك إبسن وروبرت لويس ستيفنسون جميعاً مستهلكين مثابرين ومتحمسين له، تلك حقيقة تستحق أن تذكرها في المرة القادمة التي تصادف فيها الأعمال الكلاسيكية الطويلة للغاية في القرن التاسع عشر. تذكر أن الكوكايين يجعل المستخدم واثقاً للغاية في قراراته، وفي حالة الروائي، يكون أقل ميلاً لتعديل ما كتبه.

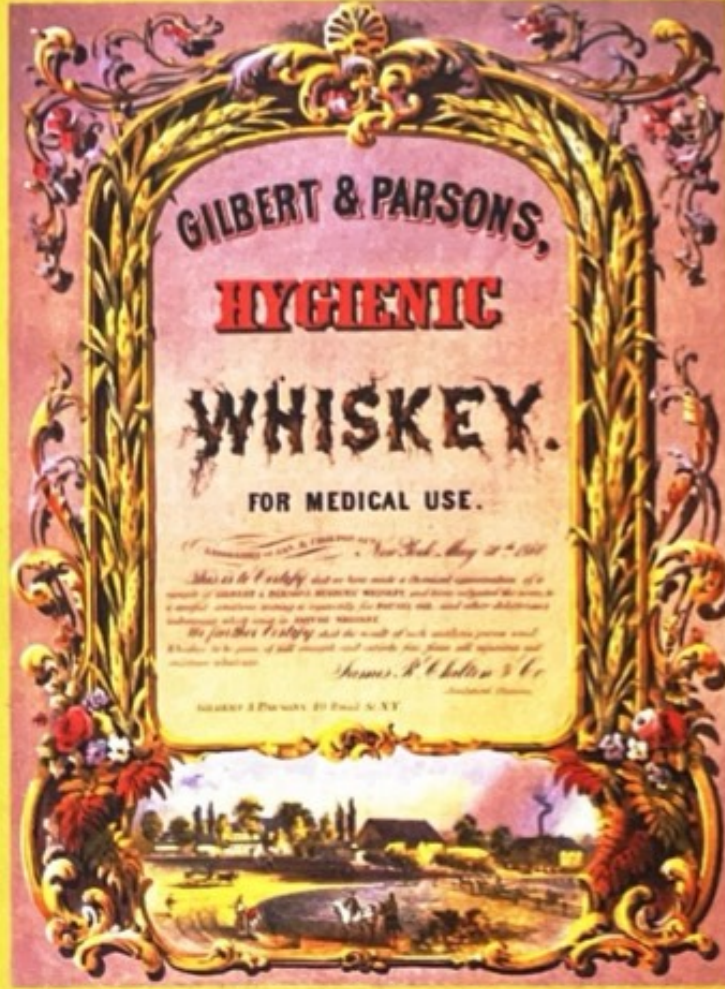
كانت الملكة فيكتوريا من محبي خمر مارياني، وكذلك البابا ليو الثالث عشر وبيوس العاشر. شرب توماس إديسون النبيذ لأنه ساعد على إبقائه مستيقظاً في أثناء تجاربه طوال الليل مع الكهرباء. (كان العبقرى الملتزم ينام أربع ساعات فقط في الليلة. لقد احتاج حقاً إلى هذه الأشياء.) والرئيس السابق يوليسيس إس غرانت، الذي مات ببطء من سرطان الحلق، ابتلع زجاجة بعد زجاجة من خمر مارياني لتخفيف الألم بينما يكمل مذكراته.

كان خمر مارياني رائجًا جدًا. وتميل المنتجات الأكثر رواجًا إلى جذب المنافسين. مثل نبيذ الكوكا الفرنسي لجون بمبرتون، والذي اختصر اسمه في النهاية إلى كوكا كولا. Coca-Cola عندما بيعت كوكا كولا لأول مرة في السوق عام ١٨٨٦، كنا نعلم أنها تحتوي على الكوكايين. ما لا نعرفه - وما لا يعرفه أحد الآن - هو كم من الكوكايين. (يُعتقد بأنه يحتوي على القليل جدًا). أُعلن عن المشروب على أنه "منشط للدماغ ومشروب فكري" وكان له الفضل في تخفيف تشنجات الدورة الشهرية. بحلول عام ١٩٠٥، وجد أنه يحتوي على ٤٠٠ / ١ من حبة الكوكايين لكل أونصة من الشراب. وبحلول عام ١٩٢٩، أصبحت شركة كوكا كولا خالية من الكوكايين رسميًا. (بالمناسبة، تأتي كلمة الكولا في الاسم من مكون آخر في المزيج: مستخلص من جوزة الكولا الأفريقية، والتي تحتوي على مادة الكافيين وتمضغ في غرب إفريقيا لإحداث تأثير تحفيزي خفيف.)

اشرب الكوكا، واحصل على شرف المشاركة في التاريخ

اليوم، لا تزال الكوكا كولا تحتوي فعليًا على مستخلص الكوكا، فقط من دون الجزء المثير منها. على الرغم من أن الوصفة الدقيقة هي سر تجاري يخضع لحراسة مشددة، فإن الشركة تستورد أوراق الكوكا بشكل قانوني من شركة الكوكا الوطنية في البيرو. بعد استخراج الكوكايين وبيعه للاستخدام الصيدلاني من قبل متخصصي العيون والأذن والأنف والحنجرة كتخدير موضعي، توضع النكهة المتبقية من أوراق الكوكا في الوصفة السرية.

لذلك، على الرغم من أنه لا يمكنك شرب نبيذ يحتوي الكوكايين بشكل قانوني بعد الآن، فمن الجيد أن تعرف أن كوبًا منعشًا من الكوكا كولا المثلج - أعظم قصة نجاح في تاريخ المشروبات - لا يزال يحتوي على القليل من أوراق الكوكا عند تذوقه. تلك اللمسة الصغيرة للتاريخ في كل علبة كوكا كولا تصلك بقصة عمرها خمس آلاف سنة عن انتشاء البشر بالكوكايين.



الكحول

إنسان الكهف، المصارعون المبقرون،

الطاعون الأسود، الممرضات الثملات، حقن البراندي

كافح البشر لآلاف السنين في أثناء وجودهم، فقط ليتسنى لهم قضاء أسبوع مريح حول نار هادئة بعد محاولة قتل عدد كافٍ من الماموث. بعد ذلك، وفي يوم مجيد طوته الأيام، ترك رجل الكهف من العصر الحجري الحديث إناءً فخاريًا به قليل من عصير التوت لبضعة أيام. وهكذا اكتشف الكحول، ووجدت البشرية فجأة سببًا جديدًا للاستيقاظ في الصباح.

منذ ذلك اليوم الميمون، أصبح الكحول - وخاصة الإيثانول - عنصرًا أساسيًا في نظامنا الغذائي وخزانة الأدوية لدينا. أدرك البشر الأوائل، إضافة إلى ملاحظة التأثير الممتع للكحول على الدماغ، أنه كان مطهرًا فعالًا عند وضعه على الجروح ومخدرًا خفيفًا عندما كان عليك إعادة خياطة تلك الجروح معًا مرة أخرى.

«هل تعرض بيبي الصغير للهجوم من قبل نمر ذي أسنان كحد السيف مرة أخرى؟ دعونا نحضر نبيذ التوت».

لم يمضِ وقت طويل قبل أن يدرك البشر أن الكحول كان أيضًا مذيبيًا ممتازًا، ولا سيما عند استخلاص المكونات الفعالة من الأعشاب. وهكذا زرعت بذور التعاون بين الطب والكحول عبر التاريخ. فيما يأتي بعض المحطات على طول الطريق من عصير التوت المخمر لرجل الكهف في العصر الحجري الحديث إلى كأس النبيذ الذي نحتسيه اليوم بعد العمل.

الخمير

عندما كان البشر لا يزالون على بعد آلاف السنين من اكتشاف التقطير، كان النبيذ هو الكحول المفضل للتدابير الطبية. فهو الخيار الوحيد المتاح. لقد أوصت العلاجات القديمة، من مصر إلى اليونان إلى روما، بنقع الأعشاب في النبيذ لكثير من الأمراض.

لكن روما القديمة هي التي أتقنت حقًا فن صناعة النبيذ وأكدت بشدة على فوائده الصحية. الاكتئاب، مشاكل الذاكرة، الحزن؟ اشرب بعض النبيذ. النفخة، الإمساك، المشاكل البولية، الإسهال، النقرس؟ اشرب المزيد من النبيذ. لدغات الثعابين؟ الديدان الشريطية؟ دعونا نثمل.

إحدى الوصفات، التي وصفها كاتو Cato، كانت حقن النبيذ للمساعدة في حالة الإمساك: معالجة العنب بمزيج من الرماد والروث والخربق (نبات



في صحتك، نخب باخوس

شديد السمية). هل يمكنك تخيل وصفة ساقى الخمر؟
«مشروب بطعم الفاكهة الخفيف، مع القليل من الرماد والروث والسم». أضاف كاتو أيضًا افتراضًا مفاده أن مشاكل المسالك البولية يمكن علاجها عن طريق خلط النبيذ المعتق مع توت العرعر وغليها في إناء من الرصاص. وأضيف التسمم بالرصاص والنقرس الرصاصي بوصفها مكافآت إضافية. استخدم جالينوس الذي كان مسؤولاً لفترة وجيزة عن الرعاية الطبية للمُصارعين في بيرغامون، النبيذ بشكل جدّي لتطهير الجروح، بما في ذلك نقع أحشاء المصارعين المصابين بجروح بليغة في النبيذ قبل إعادتها إلى أجسادهم. (إحدى الطرق المتطرفة لتشمل لم تتبناها المنظمات الأخويات الأمريكية بعد). لم يكن الأمر كله مجرد حفلة سكر وهو كبيرة، حيث وصف بعض الكتاب الرومان الآثار السلبية لشرب كثير من النبيذ، التي شعروا أنها تبرز عيوب شخصية الشارب. كان السكر العام موضع استياء في أثناء الوظائف



روجر باكون في العمل، الميزة الوحيدة لعلماء العصور
الوسطى هو زيمم

الرسمية، مثل مجلس
الشيوخ، حيث كان
مارك أنتوني في يوم من
الأيام يشرب الخمر
لدرجة التقيؤ.

انتقلت سمعة النبيذ
بوصفه معالجًا من روما
إلى العصور المظلمة في
أوروبا، حيث حافظت
الأديرة على تقليد

استخدام النبيذ دواء. كتب الراهب روجر بيكون الذي عاش في القرن
الثالث عشر أن النبيذ يمكن أن «يحافظ على المعدة، يحافظ على الحرارة الطبيعية
للجسم، ويساعد على الهضم، ويقي الجسم من التعفن، ويعدّ الطعام حتى
يتحول إلى دم حقيقي». ومع ذلك، حذر بيكون أيضًا من الإفراط في تناول
النبيذ: إذا أُفرط في شربه، فإنه على العكس سيسبب قدرًا كبيرًا من الضرر:
«لأنه يضعف الإدراك، ويؤثر على الدماغ بشكل سيء، ويضعف
النشاط الطبيعي، يسبب النسيان، ويضعف المفاصل، ويسبب الارتعاش في
الأطراف والعمش في العينين. يجعل دم القلب قائمًا، ومن هنا ينشأ الخوف
والرعشة وأمراض كثيرة».

احتفظ النبيذ بمكانته في الترسانة الطبية طوال الطريق حتى وصوله القرن
العشرين، لكنه كافح قليلاً للحفاظ على هذه المكانة (فتحريمه كان قاسيًا)،
لكنه ما لبث أن أحيى حديثاً في المجال الطبي، حيث تكررت التوصيات
بشرب كأس من النبيذ الأحمر يوميًا لتقليل مخاطر الإصابة بأمراض القلب.

الجن Gin

ارتبط توت العرعر بعلاقة طويلة مع الشفاء. في مصر القديمة، كان يُعتقد أنه يعالج اليرقان. في اليونان القديمة، كان يُوصف للمغص المعوي وكقوة معززة للأداء قبل مباريات المصارعة العارية. أخيراً شق التوت طريقه إلى الوصفات الكحولية في روما القديمة، حيث وصف ديسقوريدوس توت العرعر المنقوع في النبيذ لعلاج آلام الصدر.

في القرن الأول، كتب بليني الأكبر أيضاً عن الفوائد الصحية لنقع الكحول في توت العرعر، على الرغم من أنه في حالته أشار إلى أن نقع التوت في النبيذ الأحمر "من شأنه أن يؤثر على الأمعاء".

ومع ذلك، فإن قدرة العرعر على قبض الأوعية جعلته مفضلاً لدى الأطباء، وبحلول الوقت الذي اجتاحت فيه الطاعون الأسود أوروبا، وأودى بحياة ما يقدر بنحو ١٠٠ مليون شخص، أوصى الأطباء المرضى بحرق

بخور العرعر، وفرك زيت العرعر على أجسادهم، ارتداء أقنعة الطاعون مع حشو توت العرعر بها بشكل كامل، وشرب شراب العرعر لتطهير أجسادهم وتقوية بنيتها.

في الوقت نفسه تقريباً الذي حدث فيه الطاعون الأسود ووصل إلى ذروته (منتصف القرن الرابع عشر)، كان المقطر الهولندي يجرب صنع البراندي. ربما أدى اليأس الذي أصاب السكان المنكوبين بالطاعون إلى قيام هؤلاء الذين يعملون بالتقطير



توت العرعر وهو في طريقه ليصبح شيثا في غاية الروعة

بمحاولة وضع توت العرعر في خلطاتهم بوصفها حماية محتملة (مكافأة!) في البراندي.

انتقل الهولنديون سريعاً من البراندي، الذي اعتمد على العنب (ليس من السهل جداً زراعته في مناخ شمال هولندا)، وبدأوا في تجربة الكحول المقطر من الحبوب، مع الحفاظ على توت العرعر بوصفه مكوناً إضافياً. وهكذا ولد الجن الأولي. سرعان ما أدخل الهولنديون مشروبات العرعر في خزاناتهم الطبية لأغراض مختلفة. حتى إن الأمهات المرضعات والممرضات شربن الجن لتمير بعض الخصائص العلاجية للعرعر إلى الرضع في أثناء رعايتهم. وفقاً لوليم وورث، مقطر هولندي إنجليزي: «إنها عادة شائعة في هولندا، عندما يعاني الطفل من الغازات في بطنه، على الأم في أثناء الرضاعة، أن تشرب العرعر الفعال والمسكّر، وبذلك يرتاح الطفل».

بحلول القرن الخامس عشر، كان لدى معظم المدن الهولندية آلة تقطير خاصة بها تنتج بكثرة هذا الاختراع الكحولي، والذي أطلقوا عليه اسم جينيفر. Genever على الرغم من أن أصوله الأولية كانت طبية، سرعان ما أصبح الجن مفضلاً في جميع أنحاء شمال أوروبا لمذاقه وتأثيره الممتع على العقل.

عندما شق جينفر طريقه إلى إنجلترا، فوجئت الطبقة العاملة التي اعتادت على شرب الجعة المخففة بالماء، بجينفر لاحتوائه على نسبة عالية من الكحول. وهكذا بدأ جنون الجن في أوائل القرن الثامن عشر، والذي كان من شأنه أن يزهق عدداً كبيراً من الأرواح، وبذلك انتقل الجن بقوة من خزانة الأدوية إلى متجر الجن.

اليوم، نحن نعلم الآن أن الاستهلاك المفرط للجن - أو أي مشروب كحولي فعلياً - يمكن أن يؤدي إلى تمزق الشعيرات الدموية في الوجه.

وتدعى هذه الحالة بـ « أزهار الجن Gin Blossoms » وهي أيضاً اسم فرقة الروك «Gin Blossoms»^(١). نعم، هذا يعني أحياناً جرعة من العاطفة في وقت متأخر من الليل على أنغام أغنية «Hey Jealousy» عند الحنين إلى سنوات كليبتون. أزهار الجن على وجهك هي تلك النقاط والخطوط الحمراء عند شرب الخمر بكثرة، وهي عبارة عن شعيرات دموية متوسعة.

انفجار جثة وليام الفاتح

لم يكن وليام الفاتح (١٠٢٨-١٠٨٧) يستحق حقاً لقب «الفاتح» عند تقدمه في العمر. حيث كان وزنه يزداد. وأصبح سميناً لدرجة أنه كان يواجه صعوبة في ركوب الخيل، قرر أن الوقت قد حان للتغلب على جسده عبر اتباع نظام غذائي شديد يتكون من الكحول فقط. أصبح وليام طريح الفراش ثملاً. ونجح في ذلك. سرعان ما فقد وزناً كافياً لركوب الخيل مرة أخرى، يا للسخرية، كان ركوب الخيل هو سبب وفاته قبل الأوان. في عام ١٠٨٧، أصيب بطن وليام (الذي ما يزال سميناً) بأضرار داخلية نتيجة وقوعه من صهوة الحصان.

توفي وليام في النهاية متأثراً بجراحه. في ملاحظة جانبية تاريخية مرعبة تُصنّف تحت عنوان "كيف تسقط الجبابة"، كان جسد وليام المنتفخ بالفعل كبيراً جداً بالنسبة إلى تابوته المعد مسبقاً. عندما حاول الحاضرون وضع جسده في التابوت، انفجر الجسد، وملاً الكنيسة برائحة سوائل الجسم المثيرة للاشمئزاز. لا داعي للقول إنها كانت جنازة قصيرة.

(١) هناك فرقة روك أمريكية تشكلت عام ١٩٨٧ تدعى أزهار الجن Gin Blossoms صدرت لهم أغنية hey jealousy والتي كتبها أحد أعضاء الفرقة عازف الجيتار هوبكينز نتيجة رغبته الشديدة بالعودة لحبيبتة التي تركته؛ لأنه كان يشمل باستمرار ويعدها بالإقلاع عن الشرب ويمداواة نفسه. كما أن مصطلح Gin Blossom كناية باللغة العامية عن الذي يشرب باستمرار لدرجة احمرار وجهه. المترجمة

البراندي

يعدّ البراندي عالمياً متفوقاً على جميع المشروبات الروحية الأخرى من وجهة نظر طبية.... مجلة لانسيت عام ١٩٠٢

قبل وصول سكان شمال أفريقيا، المغاربة، إلى جنوب أوروبا في القرن الثامن، كانت أوروبا مرتعاً للنبيد والبيرة. إضافة إلى إعادة إدخالهم العلوم والرياضيات إلى أوروبا، أدخلوا معهم فن التقطير المتقن. في بحثهم عن أدوية جديدة، حاول المغاربة تقطير أي شيء يمكنهم الحصول عليه تقريباً - بما في ذلك النبيذ المحلي في إسبانيا، التي أقاموا فيها معاقلهم.

عند تقطير النبيذ للحصول على الخلاصة، التي هي مشروب كحولي عالي التركيز، نحصل على ما نسميه اليوم البراندي. عندما استعاد الإسبان شبه الجزيرة الأيبيرية، خلف المغاربة وراءهم ممارسات التقطير والطعم المحلي لهذا المشروب الكحولي الجديد. حافظت الأديرة الإسبانية على تقليد تقطير النبيذ وتحويله إلى براندي وبدأت في شحنه في جميع أنحاء العالم المسيحي، بما في ذلك إلى الفاتيكان، حيث وصفه الطبيب البابوي بأنه منشط يطيل العمر. وسرعان ما أصبح البراندي يعدّ مشروباً صحياً في حد ذاته.



البراندي والملح: الدواء لكل الأمراض. ألا تريد أن تبدو مثلها؟

على مدى مئات السنين اللاحقة، تمتع البراندي بأكبر قدر من الثناء وتفوق على كل المشروبات الكحولية في عالم الطب. كان يعدّ منشطاً، إضافة إلى أنه في الغالب أول مادة جُئى إليها في حالة الإغماء. هل أصيبت السيدة أرابيلا بالإغماء عند مدخل منزلك؟ أحييها بجرعة من البراندي.

اسطورة

حول أعناقهم للمساعدة في تدفئة وإحياء الأشخاص الذين يعانون من انخفاض درجة الحرارة.

على الرغم من أنها قصة ممتعة - لكن في الحقيقة، مشهد كلب دافئ وبرميل من الكحول من شأنه أن يبعث الروح بمن تقطعت السبل به في عاصفة ثلجية - محض أسطورة. لا توجد وثيقة تاريخية ذكرت تلك الممارسة. وهو على الأرجح شيء جيد، بالنظر إلى تأثير الكحول وُضعت كلاب سانت برنارد في دير يقع على طريق سانت برنارد النائي والخطير في جبال الألب، في الخدمة للمساعدة في مهام البحث وإنقاذ كثير من المسافرين الذين تقطعت بهم السبل بسبب العواصف أو الانهيارات الثلجية. كانت الكلاب جيدة للغاية في هذه الوظيفة، وقادرة على تعقب واكتشاف البشر العالقين وإبقائهم دافئين حتى وصول المساعدة. وفقاً للأسطورة الشعبية، حمل سانت برنارد أيضاً الكحول في براميل صغيرة الخطير على الذين يعانون من انخفاض درجة الحرارة.



لوحة تاريخية
لقصة تاريخية غير دقيقة

استخدم الأطباء أيضًا البراندي لمرضى النزيف؛ لأنه كان من المعتقد أن الكحول يساعد على التخثر. حُقن البراندي في بعض الأحيان مباشرة في ذراع المريض، أو في مؤخرته، أو عن طريق الوريد في أثناء الحمل الصعب. تخيل الأمهات في أثناء آلام الولادة في أيام ما قبل التخدير النخاعي يصرخن «فقط أعطني حقنة البراندي اللعينة!»

كان يعتقد أيضًا أن البراندي يعمل بوصفه منشطًا في حالة انخفاض حرارة الجسم، وهي سمعة جعلت البراندي شيئًا مهمًا في حقيبة المؤون لأوائل مستكشفين القطب الشمالي. المشكلة هي أنه على الرغم من أن الكحول يجعلك تشعر بالدفء، إلا أنه يساهم في الواقع في فقدان الحرارة عن طريق توسيع الأوعية الدموية في البداية. ولاحقًا، يمكن أن يقوم بتضييق الأوعية الذي يؤدي إلى تفاقم قزمة الصقيع. ومع ذلك، حتى لو فهمت هذه العملية البيولوجية بشكل أفضل، ستظل تجد صيادين في المناخات الباردة مع قارورة من الكحول في حقيبة الإمدادات الخاصة بهم. إنهم يجمعون بين فكرتين رهيبتين في حزمة واحدة مروعة: خلط المسدسات والكحول، والشرب من أجل "البقاء دافئًا".

على الرغم من أن تأثير الكحول الفعال في الأوعية يجعله خيارًا سيئًا لحالات انخفاض الحرارة، إلا أنه يوفر سرعات حرارية أكثر من البروتين أو الكربوهيدرات. قادت هذه الحقيقة، جنبًا إلى جنب مع ميل البراندي إلى تهدئة المرضى عبر جعلهم ثملين، كثيرًا من أطباء القرن التاسع عشر إلى تبني الكحول في إجراءاتهم الطبية.

حتى وقت قريب في أوائل القرن العشرين، كان الأطباء لا يزالون يصفون البراندي بوصفه منشطًا للصحة العامة. لكن بحلول نهاية الحرب العالمية الأولى، وفهم علم الأمراض بشكل أفضل وظهور خلطات دوائية جديدة، سقط البراندي من مكانه المشرف على رف الطبيب.

البيرة

على الرغم من وجودها لفترة أطول من النبيذ، إلا أن البيرة لم تتمتع أبدًا بالشهرة الطبية نفسها. حتى الأطباء في الماضي أدركوا أن العيوب تفوق المزايا. وفقًا للطبيب الإيطالي ألدبراندين من سينا عام ١٢٥٦:

سواء أكان قد صنع من الشوفان أم من الشعير أم القمح فهو مضرّ بالرأس والمعدة ويسبب رائحة الفم الكريهة ويتلف الأسنان ويملأ المعدة بالغازات الكريهة، وكل من يشربها مع النبيذ يصبح في حالة سكر بسرعة؛ ولكن البيرة مدرّ جيد للبول وتجعل لحم الإنسان أبيض وناعمًا.

لدى ألدبراندين فكرة جيدة عن البيرة أنها تدرّ البول. فقط أسأل الرجل الذي يتجول في وسط المدينة ليلة الجمعة مع تلك النظرة المستعجلة في عينيه. نشأت البيرة الطبية بوصفها فكرة، بشكل غريب إلى حد ما، في أثناء الفترة التي فرض قانون الحظر، وذلك عندما تتحد مجموعة من المصالح الخاصة



حرفياً، أفضل شعار رُفع في احتجاج على مر العصور

لجعل الكحول - حقاً أي نوع من الكحول - متاحاً شراؤه للاستخدام الطبي. بعد أن يأس المدافعون في الحصول على أي شيء فعال أكثر من النبيذ أو البيرة، بدأوا في الترويج للفوائد الطبية للبيرة على أمل أن يكون هناك استثناء لقانون فولستيد (الذي صدر عام ١٩١٩ لحظر استهلاك الكحول) من الحكومة. على الرغم من أن البيرة الطبية قد اكتسبت في النهاية مكانة في المستشفيات الحالية، حيث يصف الأطباء أحياناً البيرة للمرضى الذين يعانون من الأعراض الانسحابية عند اقلعهم عن مواد كحولية، إلا أن مدمني الكحول في عصر الحظر لم يكونوا محظوظين جداً.

قال جاكوب روبيرت، صانع البيرة والذي يمتلك فريق نيويورك يانكيز لكرة القاعدة، لصحيفة نيويورك تايمز «منذ أن دخل الحظر قيد التنفيذ، اتصل بي عدد من الأطباء يناشدونني لإرسال البيرة لهم من أجل فائدة مرضاهم» لكنه وبحزن شديد أخبر الصحيفة «لا أستطيع للأسف مساعدتكم».



التراب

صفقات الإعدام، تيرا سيجيلاتا، عمال المناجم المتجولون،

تسمم الكلاب، وأكلة الطين

بحلول عام ١٥٨١ باتت أيام الشاب ويندل ثومباردت معدودة، فقد أُدين في بلدة هوهنلوهي في ألمانيا، لقيامه بعدة سرقات، وحكم عليه بالشنق. لكن كان في جعبته خطة سرية. فقد سمع بمضاد سم فعال يدعى تيرا سيجيلاتا Terra sigillata أو التراب المختوم الذي انتشر في كل ألمانيا. فاقترح بدل موته بالمشنقة، أن يستخدموا جسده كفأر المختبر.

اقترح ثومبلاردت ان يسمموه بأكثر سم قاتل معروف في ذلك الوقت. كانت محاولة مثالية للتحقق من هذا الترياق الدوائي المستخرج من التراب. كما كان رهانًا ذكيًا. فإذا مات ولم ينفعه، فهذا ما هو مقبل عليه بكل الأحوال، وإذا عاش فسوف يعود حرًا طليقًا.

قبل عدة أيام فقط، ظهر عامل منجم ألماني تحول إلى طبيب مسافر يدعى أندرياس بيرتهولد في المدينة، يبيع أقراصاً طينية صغيرة تُعرف باسم تيرا سيجيلاتا. وفقاً لبيرتهولد، تعدّ هذه الأقراص علاجاً شاملاً لأي شيء يزعجك، لكن ميزتها الأساسية هي أنها ترياق للسم. فالترياق أمر هام في ذلك الوقت، عندما كان تسميم شخص ما سهل للغاية كقيامك بالذهاب إلى الصيدلية المجاورة، ما عليك سوى مزج سريع لمسحوق السم في كأس نبيذ. مثل أي حاكم صالح في القرن السادس عشر، عندما كان آل ميديشي ذوي سلطة في جميع أنحاء أوروبا، أخذ وولفجانج الثاني، أمير المنطقة، ترياق السم على محمل الجد. فقبل برهان السجين.

أُخرج ثومبلاردت من زنزانته الجهنمية وأُجبر على تناول جرعة ونصف من الزئبق الممزوج بعصارة الزهور. فقد كان للسجين ما طلبه، «أكثر سم قاتل أُخترع على الإطلاق». يعدّ التسمم بالزئبق طريقة وحشية ومروعة للموت، إضافة إلى تسببه بأضرار كلوية مروعة وتآكل مؤلم وشديد للأغشية المخاطية وبطانة المعدة. . . وأنت لا تزال واعياً. تعادل الجرعة التي فرضوها على المجرم والمزوجة بشكل مدروس مع عصارة الزهور لتحقق فعالية أفضل، ثلاثة أضعاف الجرعة اللازمة لقتل شخص ما.

بعدما تناول ثومبلاردت السم، أُعطي على الفور نبيذاً يحتوي على ٤ جرام من أقراص بيرتهولد التي أحلت به.

يا للدهشة، نجا ثومبلاردت بأعجوبة ليرى يوماً جديداً قبل أن يذيقه السم سوء العذاب. قام وولفجانج الثاني كخطوة أولى، لاعتقاده أن النجاة

من التسمم بالزئبق هو رادع قوي للسرقة، بإطلاق سراح ثومبلاردت ليعتني بوالديه. ثانيًا، قام بشراء كل ما بحوزة البائع المتجول من أقراص تيرا سيجيلاتا. حتى أنه قام بإعطاء بيرتهولد خطابًا يحمل طابعه وموافقته لكي يتمكن من التجوال بأمان في كل أرجاء ألمانيا لترويج حبوبه.

الأرض القديمة، الأرض المقدسة



تعدّ ممارسة أكل التراب قديمة إلى حد كبير، حيث تعود إلى ما لا يقل عن ٥٠٠ قبل الميلاد، عندما كان سكان ليمنوس، وهي جزيرة إغريقية في البحر الأبيض المتوسط،

تيرا سيجيلاتا من ليمنوس، في ظلّ كوب كبير يجمعون الطين الطبي الأحمر من تلة معينة في يوم خاص كل عام. مع قيام المسؤولين الحكوميين بالإشراف على العملية، كان يُغسل الطين ويُصقل ويُلف، ثم يُعدّ على شكل أقراص صغيرة. ثم تأتي كاهنات الجزيرة بعد ذلك، ليباركن ويختمن الألواح بختمهن الرسمي (ومن هنا جاء اسم terra sigillata أي التراب المختوم) قبل توزيعها، على ما يشابه صيدليات اليوم، في ليمنوس، حيث بيع الطين كمساعدات طبية.

لكن لماذا؟ قد تسأل نفسك. كان الطين يستخدم بوصفه مضادًا للسموم منذ القدم؛ لأنه يبطن امتصاص الأدوية داخل الجهاز الهضمي. إنه مفيد حتى في التثام الجروح. يأتي الدجل في الجانب الذي يخص الأهمية الدينية للأقراص الطينية، والموقع الجغرافي الخاص الذي يُزعم أنه يعزز قوتها، وقدرات العلاج الشاملة التي نُسبت لها. يمكن أن يكون الطين فعالًا في

بعض الحالات الطبية، حتى وإن لم يكن مباركًا ومختومًا على يد كاهنة أو قد استخرج من تلال ليمنوس.

يذكر أبقراط الخصائص العلاجية لتناول أقراص الطين، وفي حالته يشير إلى الطين من جزيرة ساموس. تبعه ديسقوريدوس، الذي أوصى باستخدام الطين بوصفه مضادًا للتسمم، ودواءً قابضًا، ومضادًا للإسهال، وجالينوس، الذي سافر إلى ليمنوس لمشاهدة تصنيع أقراص تيرا سيجيلاتا شخصيًا. لقد تأثر كثيرًا لدرجة أنه أعاد عشرين ألف قرص إلى روما عام ١٦٧ قبل الميلاد.



الأختام المختلفة لتيرا سيجيلاتا في جميع أرجاء أوروبا



تخيل أنك تعرضت للتسمم ولديك الآن ثلاثة خيارات فضي، ذهبي، أحمر من أقراص تيرا سيجيلاتا، ماذا ستختار؟

تضاءل توزيع أقراص تيرا مع سقوط العصر الكلاسيكي، لكنه عاد إلى أوروبا مع القوات الغازية التركية العثمانية، الذين كانوا مقتنعين بأن الطين من أرمينيا كان علاجاً للطاعون. على الرغم من أن تناول الطين الأرمني قد يكون غير فعال من الناحية الفنية ضد الهجوم البكتيري للطاعون الدملي، إلا أن تأثير الدواء الوهمي المتمثل في تناول شيء مقدس ربما يكون قد ساهم بالفعل في التعافي العرضي.

ما المنطقة التي احتلها الأتراك؟ الأرض حول ستريجا Striga (حالياً مقاطعة سترزيجوم في بولندا)، حيث كان يعيش أندرياس برتولد ويعمل بوصفه عامل منجم.

بناء إمبراطورية من الطين

ظهر برتولد في عدة بلدات في ألمانيا، وقدم تيرا سيجيلاتا للقادة المحليين. لكنه ترك خلفه رتلاً من الكلاب الميتة، التي كانت حيوانات المختبر المفضلة عندما أراد سكان المدينة معرفة ما إذا كان الطين الغامض يعمل بالفعل بمثابة مضاد للسموم. الكلاب التي أعطيت الأقراص نجت من التسمم. في عصر النهضة، أُستخدم تيرا سيجيلاتا في جميع أنحاء أوروبا، ليس فقط بوصفه ترياقاً للسم، ولكن أيضاً لعلاج الزحار، والتقرح، والنزيف، والسيلان، والحمى، وأمراض الكلى، والتهابات العين. كانت معظم هذه

العلاجات غير فعالة من وجهة نظر بيولوجية، ومن المحتمل أنها كانت نتاجًا ثانويًا للحماس تجاه هذه الأقراص الطينية الصغيرة التي كانت تعمل أحيانًا بوصفها مضادة للسموم. إذا كانت قوية بما يكفي لإنقاذ شخص تسمم بفعل الزئبق، فلماذا لا نختبر فعاليتها مع مرض السيلان؟

بعدها ترقى بيرتهولد إلى مرحلة أعلى عبر تطبيقه الأقراص على البشر في هوهنلوهي، نمت شهرة بيرتهولد وثروته. وأصبح عرضًا لا ينتهي لرجل يبيع الوحل في أواخر القرن السادس عشر. بطبيعة الحال، الطين ليس معدنًا نادرًا. من السهل جدًا العثور عليه. لذلك كان من المهم بالنسبة إلى بيرتهولد - وأولئك الذين تبعوه - إضفاء بعض الجودة الخاصة لمصادر الطين الخاص بهم. ادعى بيرتهولد أن الخصائص الطبية الخاصة لتيرا سيجيلاتا تعود إلى مصدرها الجغرافي في التلال المحيطة بستريجا.

بعبارة أخرى، لم يكن هذا مجرد وحل قديم. من المؤكد أنك لن تحصل على الفوائد الطبية الرائعة إذا حفرت في حديقة جارك. كلا، أنت بحاجة إلى تيرا سيجيلاتا، المادة الأصلية المختومة خصيصًا بختم والمأخوذة من التلال المحيطة بستريجا. كانت خطة بيرتهولد التسويقية الذكية ناجحة في البداية، وفي غضون سنوات قليلة، عُرض تيرا سيجيلاتا الخاص بستريجا للبيع في متاجر الصيدليات من نورنبرغ إلى لندن.

كما أُضيف إلى هذا الدواء الوهمي بعض الخواص التجميلية: من ليمنوس إلى ستريجا، كانت أقراص تيرا سيجيلاتا أيضًا أشياء جميلة، لدرجة أن جزءًا من فعاليتها يمكن أن يُعزى إلى إيمان المريض بالجودة السحرية لتلك الأقراص الطينية الصغيرة.

حتى إن هناك سحرًا خاصًا ينتج عن قربك من تيرا سيجيلاتا. أوصى بعض الأطباء، وهم يتأرجحون على خط النهضة الباهت الذي يفصل العلم عن السحر، أن يرتدي مريضهم قرص تيرا سيجيلاتا حول الرقبة للاستمتاع بخصائصه العلاجية.

آكلو الطين في الجنوب

في عام ١٩٨٤، نشرت صحيفة نيويورك تايمز مقالاً عن تراجع أكل التراب. إذا كنت تعتقد أن الناس لن يضطروا إلى أكل حفنة من التراب إلا في أكثر الظروف قسوة، فهذا يعني أنك لم تقابل السيدة جلاس، المقيمة في ريف ميسيسيبي، والتي قالت في مقابلتها مع التايمز: «بأن طعمه لذيذ بالنسبة إلي. عندما يؤخذ التراب من المكان المناسب، يكون له طعم لاذع».

لسنوات عدة، كان أكل التراب جزءاً من تقاليد الطهي في الريف الجنوبي، حيث جاءت هذه الممارسة مع تجارة الرقيق من غرب إفريقيا. كان تناول التراب منتشرًا نسبيًا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ولا سيما من قبل النساء الفقيرات.

في أثناء مقابلة السيدة جلاس كانت قد أقلعت عن هذه الممارسة، فأضافت بحزن: «هناك أوقات أفقد فيها حقاً أكله. أتمنى لو كان لدي بعض الطين الآن».

اختار الجنوبيون الطين، الذي يملك في الواقع بعض الصفات الطبية؛ اعتماداً على المصدر، يمكن أن يحتوي على مستويات عالية من الكالسيوم والنحاس والمغنيسيوم والحديد والزنك، وكلها مهمة لصحة الإنسان، ولا سيما للنساء الحوامل اللاتي شاركن في أكل التراب في كثير من المجموعات الثقافية.

تصادف أن تربة غرب أفريقيا والجنوب الأمريكي غنية بهذه المعادن، مما قد يفسر تطور واستمرار هذه الممارسة.



تيرا سيجيلاتا برفقة اللاتينية

لم يكن من الممكن أن يستمر إلى الأبد، وسرعان ما بدأت كثير من المدن بحصد الطين بأنفسهم، ووضع طابعهم الخاص عليه، وأعلنوا أن أقراصهم تحمل مزاياها الطبية الخاصة. وبدأت إمبراطورية بيرتهولد في الانهيار. أصبح التسمم تدريجياً أقل شيوعاً (نعم، إنهم البشر!) وأدى التقدم في الطب في أوائل العصر الحديث إلى ظهور علاجات أكثر فعالية للزحار، والتقرح، والنزيف، والسيلان، والحمى، وأمراض الكلى، والتهابات العين. وهكذا توقف استخدام تيرا سيجيلاتا تدريجياً، حيث نجت حفنة من تلك الأقراص اللوحية بسبب بعض الأثرياء الأثريين الذين كانوا يقومون برحلات عبر أوروبا في القرن التاسع عشر، وشقت تلك الأقراص طريقها في النهاية إلى الخزائن، والمتاحف للفضوليين، وهواة الاستطلاع.

تناول طينك

من غير المحتمل أن يوصيك طبيبك بذلك، إلا أن تناول الطين للأغراض الطبية لا يزال شائعاً في العلاجات البديلة. يدّعي المؤيدون أن تناول الطين يمكن أن يساعد جسمك على إزالة السموم عن طريق امتصاص المعادن الثقيلة التي تراكمت في داخلك.

لكن المشكلة تكمن في أننا نحتاج بالفعل إلى بعض المعادن في نظامنا مثل الحديد والطين ليس جيداً جداً في التمييز بين أنواع المعادن. كما أنه ليس من السهل دائماً أن تعرف بالضبط ما الذي يوجد في الطين الذي تأكله. يمكن أن يحمل طفيليات أو بكتيريا أو حتى معادن ثقيلة مثل الرصاص. نتيجة لذلك، لا ينصح الأطباء عادة بهذه الممارسة اليوم.

لكن هذا لم يمنع الممثلة شايلين وودلي من إعلان تجربتها الخاصة مع تناول الطين في أثناء مقابلة في برنامج "العرض المتأخر مع ديفيد ليرمان" وفي منشور في مدونة لموقع التجميل في عام ٢٠١٤:

وهكذا، اكتشفت أن الطين مفيد لك؛ لأن جسمك لا يمتصه، ويبدو أنه يزودك بشحنة سالبة، لذلك يرتبط بالنظائر السالبة. وهذا يدعو للحماس: فهو يساعد أيضاً في تنظيف المعادن الثقيلة من جسمك. بدأت صديقتي بتناوله وفي اليوم اللاحق اتصلت بي وقالت، "يا صديقتي، رائحة برازي تشبه رائحة المعدن". لقد كانت قلقة حقاً بشأن ذلك، لكننا قمنا ببعض البحث معاً وتبين أنه عندما تبدأ في تناول الطين لأول مرة، فإن رائحة البراز والبول وحتى أنت ستكون مثل المعدن.

إذا كنت ترغب في تجربة جعل رائحة برازك مثل المعدن، فاحذر: إن تناول كميات صغيرة من الطين المعالج يعد في الغالب غير ضار، ولكن الإفراط في تناول الأشياء سينتهي بك الأمر بالإمساك... أو أسوأ. أفضل طريقة للحصول على الكالسيوم والمعادن الأخرى ليست من حفرة تحفرها خارج منزلك.

أسوأ أنواع الترياق

يتواجد السم في كل مكان. سواء بشكل طبيعي أو غير طبيعي، يمكن أن يكون في التربة (الزرنيخ)، في الهواء (أول أكسيد الكربون)، في مشروباتك (الرصاص)، وفي طعامك (السيانيد). مع وجود كثير من مخاطر السموم، فلا عجب أن يكون البشر مهووسين بإيجاد ترياق ينقذهم من جميع السموم. تخيل أنك أمير في العصور الوسطى على وشك أن يرث العرش. هناك احتمال كبير لوجود من هم على أتم الاستعداد للانقضاض على العرش. قد يكون القليل من الزرنيخ أو الشوكران أفضل صديق أو أسوأ كابوس لك. فقط في أحد الحالات تلك، من الأفضل أن يكون الترياق في وضع الاستعداد. لآلاف السنين، وُظف التفكير السحري للتسلح ضد السم؛ لأن العلم كان بطيئاً بشكل يدعو للقلق في اللحاق بالركب. لذا أمسك بقرن وحيد القرن الخرافي يونيكورن والبازهر، ودعنا نلقي نظرة.

البازهر



بازهار هندي مرصع بالذهب يعود للقرن السابع عشر، يبدو أن كرات الشعر ليست جميلة

استخدم البازهر لعدة قرون بوصفه مضاداً للسموم. وهو عبارة عن كتلة صلبة من الطعام غير المهضوم، أو الألياف النباتية، أو الشعر الموجود في الجهاز الهضمي للحيوانات، بما في ذلك الغزلان والنيص والأسماك، وأيضاً، البشر. أي شخص يملك هرة على معرفة بكرات الشعر تلك. تكمن وراء إنتاج الحيوانات للبازهر وغيرها من المواد الشبيهة بالحجر قصة جديرة بالذكر. تحدثت الأساطير عن الغزلان التي تأكل الثعابين السامة فتصبح

محصنة أو تبكي الدموع التي تتصلب وتتحول إلى أحجار علاج للسموم. ادعى المؤلف العربي في القرن الأول البيروني، أن البازهر يمكن أن يحمي من سم واحد يسمى «مخاط الشيطان»، والذي نأمل ألا نصادفه أبداً. بحلول القرن الثاني عشر، عندما ابتليت أوروبا بوباء الطاعون، تسلل البازهر إلى الصيدليات بعدة الدواء الشافي وترياق للسموم. كان البازهر فكرة مغرية للأثرياء والعائلة المالكة، الذين كانوا معرضين لخطر الاغتيال. غالباً ما كانت الحجارة محاطة بالذهب المرصع بالجواهر لعرضها أو ارتدائها بوصفها توائم. بُحث عن البازهر الهندي، بشكل خاص لعلاج الحمى المهددة للحياة والعضات السامة والنزيف واليرقان والكآبة. ومن المعروف أيضاً أن المستهلكين أيضاً يأخذون قسمة من البازهر ويضيفونها إلى مشروباتهم من أجل صحة القلب وحصي الكلى. كانت هذه المشروبات مغشوشة أحياناً بالزئبق السام أو الأنتيمون، ولذلك كان يحدث القيء والإسهال، مما جعل المشتريين يعتقدون أنها فعالة.

لكن هل كان البازهر كذلك؟ قام فريق من الباحثين بنقع البازهر في محلول من مادة الزرنيخ ووجدوا أن الحجارة تمتص الزرنيخ أو أن السم أبطل مفعوله. لكن من الصعب القول ما إذا كان يعمل بشكل جيد بما يكفي لعلاج جرعة قاتلة. شكّ أمبروا باري Ambroise Paré، أحد الأطباء الفرنسيين البارزين في القرن السادس عشر، بقدره البازهر. فقام بتجربته على طباخ الملك الذي كان يسرق الفضة، حيث خيّر بين أمرين: إما الموت شنقاً أو أن يكون فأر المخبر للطبيب باري. بعدما تناول الطباخ السم، كان الطبيب باري ينظر إليه بعين الرضا بينما كان يلتهم البازهر. لكن بعد ست ساعات من معاناته الشديدة مع الألم، مات المسكين.

ميثراداتس

سمي هذا الترياق على اسم ميثراداتس السادس، ملك بنطس وأرمينيا الصغرى. ولد عام ١٣٤ قبل الميلاد، وهو صاحب عبارة «ما لا يقتلك يجعلك

أقوى» عبر استهلاك السموم يوميًا لمنع اغتياله. كان منزله الملكي مليئًا بأشواك سمك الراي اللاسعة والفطر السام والعقارب والسموم المعدنية وحادقة مليئة بالنباتات السامة. وبذلك لم يكن أحد قادرًا على تسميمه لدرجة أنه عند إعدامه بعد أن استولى ابنه على مملكته، لم يكن قادرًا على الانتحار بالسم! توصل إلى الحارس ليطعنه حتى الموت. (ونجح الأمر).

على الرغم من أن وصفة الملك الفعلية للترياق لم يُعثر عليها في أي مكان، لكن نسخ وصفاته انتشرت بعد وفاته، وأصبحت مرادفة للملك نفسه. احتوت على قوائم طويلة من المكونات المكلفة، بما في ذلك السوسن والهيل واليانسون واللبان ونبات المر والزنجبيل والزعفران. في القرن الأول، قال بليني الأكبر بسخرية: «إن ترياق ميثراداتس يتكون من أربعة وخمسين مكونًا... أي آلهة، حددت هذه النسب العشبية؟... من الواضح أنه كان استعراضًا مبهرجًا من الفن والتفاخر بالعلم». سواء أكان مبهرجًا أم لا، كان الناس يتناولون مزيجًا متنوعًا من الأعشاب، ويطحنوها مع العسل، ويأكلون جزءًا بحجم الجوز لشفاء أنفسهم. على الأقل أصبح أنفسهم ذا رائحة غالية الثمن.

القرون

تعدّ قرون الحصان وحيد القرن يونيكورن Unicorn جزءًا من أسطورة الترياق منذ أن دخل هذا الوحش الأسطوري في الأدب حوالي ٣٠٠ قبل الميلاد. لقرون بعد ذلك، كانت الوحوش الأرضية الحقيقية تضحي بحياتها وقرونها لتروي عطشنا للحيوان المعجزة الذي لا وجود له، بما في ذلك وحيد القرن والكركدن والمها. حتى إنهم استخدموا حيوانات الأمونيت المتحجرة. أُعتقد أن أواني الشرب المصنوعة من تلك القرون قد تبطل مفعول السموم، ويمكن علاج الجروح عبر إبقاء القرون قريبة منها. في القرن السادس عشر، ورد أن ماري، ملكة اسكتلندا، استخدمت قرن وحيد القرن لحمايتها من التسمم. من المؤسف أن القرن لم يمنع قطع رأسها.

اللالئ

كان يُعتقد أن اللالئ ترياق قوي. جوهرة جميلة ونادرة تتشكل في المحار الطبيعي، عندما (تفرز الرخويات عرق اللؤلؤ القزحي اللون لتغطي أي عامل مثير ومزعج مثل الطفيلي أو حبة الرمل). على الرغم من أنها جميلة، فهي مفيدة مثل الأقراص الطباشيرية المضادة للحموضة على منضدة سيريك؛ كلاهما مصنوع بشكل رئيس من كربونات الكالسيوم. جيد لآلام المعدة بعد بعض الطعام الحار، ولكن ليست معجزة تماماً

أستخدم مسحوق اللؤلؤ في الطب الصيني التقليدي لعلاج مجموعة متنوعة من الأمراض، واستخدمه أطباء الأيورفيدا بوصفه ترياقاً في العصور الوسطى. كما زعم أنه يجعل الناس خالدين. أوصت إحدى الوصفات الطاوية القديمة بأخذ اللؤلؤ ونقعه في الشعير و«مرارة الثعبان» وقرص العسل وحجر الخفان. عندما تلين، تُسحب مثل حلوى التافي Taffy وتُقطع إلى قطع صغيرة الحجم لتناولها، فجأة لم تعد بحاجة إلى الطعام للبقاء على قيد الحياة. اشتهرت كليوباترا بشرب لؤلؤة كبيرة ومكلفة مذابة في خل البيض، على الرغم من أنها في هذه الحالة لم تتجنب السم. لم تكن تريد أن تخسر رهاناً مع أنطوني - والذي ربما يكون قد أصاب كبريائها بجروح بالغة.

الثرياك Theriac

كان الثرياك مزيجاً عشيبياً أوجده في القرن الأول طبيب الإمبراطور نيرون، أندروماتشوس، الذي قيل إنه يملك معلومات سرية عن ترياق ميشراداتس. كانت الصيغة عبارة عن مزيج من حوالي سبعين مكوناً، بما في ذلك القرفة والأفيون والورد والسوسن والخزامى والصمغ الموجود في قاعدة خلية عسل. في القرن الثاني عشر، صُنّف الثرياك المصنوع في مدينة البندقية على أنه من نوع خاص، وأصبح سلعة مشهورة. غالباً ما جذب إنتاجه المثير والدرامي حشوداً من الفضوليين.

بحلول القرن الثامن عشر، أُستبدل العسل بدبس السكر الأرخص ثمنًا. وعندما بدأ الدبس يفقد بريقه بوصفه علاجًا، اختفى تعريفه بوصفه علاجًا عشبيًا في اللغة العامية الشائعة. وهكذا عندما يرد اسم الدبس، نفكر فقط في الكعكة المصنوعة منه، وليس بوصفه وسيلة خيالية لإنقاذ أنفسنا من تسمم مميت.

ما الذي يعمل حقاً

لحسن الحظ، قدم لنا العلم مجموعة واسعة من مضادات السموم المؤلفة من كثير من العناصر التي لا ينبغي أن نتناولها بكميات خطيرة، على كل حال ن-أسيتيل سيستين^(١). N-acetylcysteine الذي يسميه الأطباء باعتزاز NAC، ينقذنا من الجرعات الزائدة من عقار الأسيتامينوفين^(٢). يمكن أن يعالج الإيثانول التسمم بمضاد التجمد. الأتروبين، وهو من المفارقات، أحد المكونات الرئيسة للنباتات في عائلة الباذنجانيات السامة (مثل نبات اليبروح)، يمكنه علاج التسمم من بعض الأسمدة الخطرة والمواد العصبية الكيميائية المستخدمة أسلحة. لسنوات، عولجت حالات التسمم بالقيء، على الرغم من أنه اتضح أن الكربون القديم المنبسط - على شكل فحم فعال - يمكن أن يمتص السموم (السموم تلتصق بسطح الفحم) في الجهاز الهضمي قبل أن يذوبها ويهضمها الجسم.

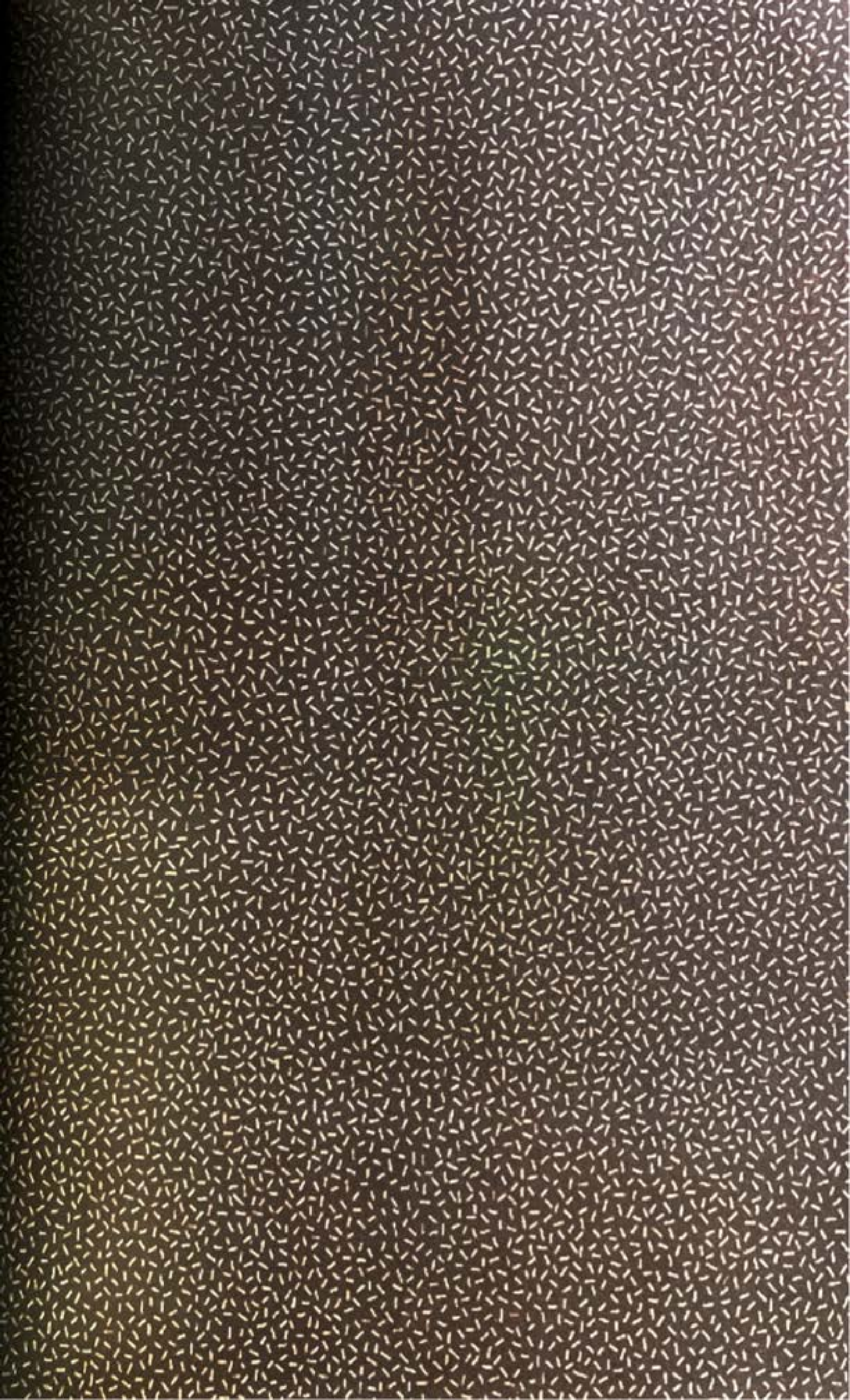
طالما استمر العالم الطبيعي وبشره في صنع الأشياء لإبادتنا، فسوف نستمر في تطوير أساليب لتجنب الموت المبكر.

سنمتنع فقط عن كرات الشعر الرائعة من القائمة السابقة.

(١) أسيتيل سيستين: مضاد للسموم ويمكن أن يمنع السرطان. المترجمة
(٢) الباراسيتامول أو الأسيتامينوفين، وهو الاسم المعتمد في الولايات المتحدة، هو مسكن وخافض للحرارة واسع الاستخدام. مُستخلص من القطران، وهو المُستقلب النشط للفيناسيتين. المترجمة

الأدوات

التقطيع، المقامرة،
الغمر، التجفيف





* الفصد *

قداس موتسارت، الأخلاط غير المتوازنة،

أصل عمود الحلاق، رجل حديدي حقيقي،

زكام جورج واشنطن، الزكام الشديد

في أغسطس ١٧٩١، في سن الخامسة والثلاثين، تلقى المريض فولفجانج أماديوس موتسارت عمولة لتأليف قداس لزبون مجهول. كان موزارت حينها يعاني من فقدان الوزن، وفقر الدم، والصداع، والإغماء. لكن تبين أنه قد كُلف بكتابة قداسه هو.

*الفصد bloodletting: أحياناً تُترجم بالحجامة. لكن اخترت مصطلح الفصد لوجود فرق بين الفصد والحجامة. الفصد هو قطع الأوعية الدموية، بينما الحجامة تُجرى عن طريق شفط موضعي بواسطة أكواب خاصة بعد خدش الجلد بمشرط. المترجمة



صورة لموتسارت بعد وفاته

بعد أسابيع، لم تكن شخصيته المتقلبة بالفعل هي الشيء الوحيد الذي ساء. بحلول نوفمبر، لم يكن قادرًا على مغادرة سريره. نوبات القيء والإسهال والتهاب المفاصل، إضافة إلى تورم يديه وقدميه، جعلته من المستحيل الاستمرار في التأليف. أصبحت أغاني محبوبه الكناري لا تطاق. كان على ثقة بأنه مسموم. حاول أطباؤه إنقاذه، لكن أحد العلاجات الشعبية في ذلك الوقت ربما كان السبب الأساسي في وفاته: الفصد. قدر بعضهم أنه ربما فقد أكثر من لترين

من الدم في الأسبوع الأخير من حياته. قالت شقيقة زوجته، صوفي هايبل، «استنزفوه ووضعوا كمادات باردة على رأسه، وعندها خارت قواه بشكل واضح وفقد وعيه، ولم يسترده أبدًا». توفي موتسارت بعد أربع وعشرين ساعة ودفن في قبر لا يليق به. من دون تشريح الجثة، لن يعرف أحد السبب الحقيقي لوفاته، لكن يعتقد كثيرون على وجه اليقين أن الفصد هو المسؤول عن إنهاء حياة استثنائية.

الدم الفاسد

قد يصدم المرء في العصر الحديث من مشاهد كانت شائعة قديماً، مثل ارتشاح الدم من أذرع المرضى. رائحة الكي في الهواء. التقطير المؤلم للدم وتجميعه في وعاء من السيراميك. اليوم، يُرفض قطع الأوعية الدموية لاستنزاف الدم عن قصد. في العصور القديمة، كان الدم يعدّ المكون الأساس للحياة. حتى الكتاب المقدس يذكر أن «حياة الجسد هي في الدم»، مما جعل ممارسة الفصد رائعة للغاية.

إذن، لماذا نريق على الأرض ما نحتاجه للعيش؟

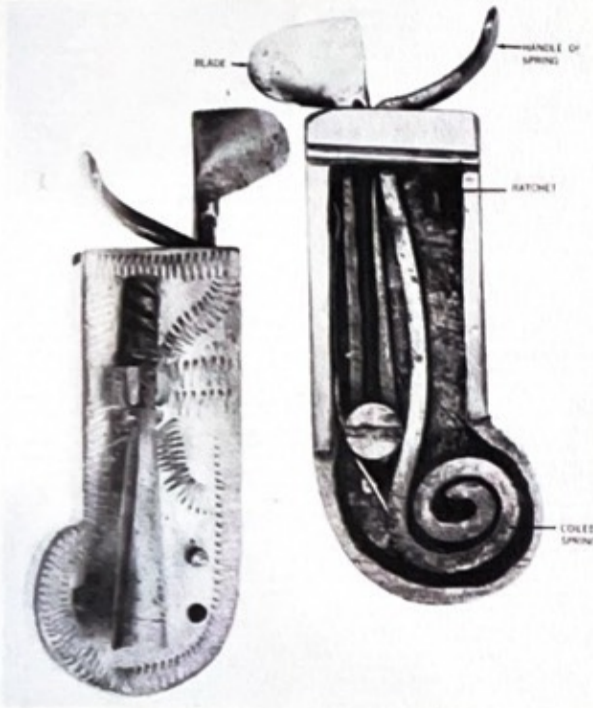
أولاً، عليك أن تضع نفسك في عقل الأطباء القدامى. يرجع أقدم دليل على الفصد - إلى المصريين حوالي عام ١٥٠٠ قبل الميلاد - إلى وقت كانت فيه العمليات الداخلية للجسم لغزاً غامضاً. وكانوا يستخلصون استنتاجاتهم من معلومات محدودة. اعتقد الرومان القدماء أن حيض المرأة هو طريقة طبيعية لإزالة السموم من الجسم، لذلك بدا أن إزالة الدم من الناس طريقة معقولة ليقى المرء صحياً. ولأنه قبل وقت طويل من اكتشافنا أن الدم يدور في جميع أنحاء الجسم، ذكرت نصوص تعود لسلالة هان في الصين (٢٠٦ قبل الميلاد - ٢٢٠ قبل الميلاد) كيف يمكن أن يصبح الدم "راكداً" وكيف أن إزالة الدم القديم «المتحلل» كانت إحدى الطرق لإصلاح ذلك الركود.

أو ربما كان لدى المرضى نسب غير متوازنة من الأخلط الأربعة وبحاجة إلى تطهير جيد، وذلك بحسب نظرية أبقرراط. في حال وجود كثير من الدم، أو البلغم أو الصفراء أو السوداء، يكون التطهير عن طريق الفصد أو القيء أو تنظيف الأمعاء.

وأيضاً من المعجبين بنظرية «الكثير من الدم»، الطبيب إيراسيستراتوس الذي لم يدافع عن الفصد - لكنه عزز هذه الممارسة عن غير قصد في القرن الثالث قبل الميلاد عبر تأكيده أن كثيراً من الأمراض تنجم عن كثرة الدم. على الرغم من أنه أوصى بالتقيؤ واتباع نظام غذائي وممارسة التمارين الرياضية لإصلاح كثرة الدم، إلا أن كثيراً من الأطباء تحولوا إلى الفصد.

لقد كانت مسألة وقت فقط قبل أن يصبح الفصد علاجاً لكل شيء. في القرن الثاني قبل الميلاد، أعلن جالينوس أنه الحل لكل مشكلة في الجسم - بما في ذلك النزف الدموي! من الواضح أن علم التشريح وعلم وظائف الأعضاء كان لهما أساليب جيدة للاستمرار.

في كثير من الأحيان، استنزفت الدماء بشكل معقول نوعاً ما - حيث أُسْتَبْعِدَت الممارسة تلك عند الأطفال الصغار وكبار السن أو عند تجنب التخلص من كميات كبيرة - ولكن لم يكن هذا هو الحال دائماً. كانت هناك كثير من العثرات الضارة في طريقنا إلى الفصد. من المؤكد أن السبب وراء الفصد كان مقلقاً، لكن كيف كانوا يخدرون الجلد؟ من كان يقوم بالفصد؟



مفصد محشو بنابض

كان المفصد Lancet واحدًا من أكثر الأدوات المتطورة في القرون القليلة الماضية. كان عبارة عن شفرة منحنية أو مدببة في نهاية المقبض. في يومنا هذا، سُميت واحدة من أكثر المجلات الطبية العالمية شعبية نسبة إلى هذه الآلة المحبوبة: لانسيت. كان مفصد ثام Thumb بحجم الجيب مطوي في علبة جميلة من العاج أو صدف السلحفاة لكي يسهل على المعالج حمله في أثناء التنقل. المشرط: أداة متعددة الشفرات ومتعددة الأحجام تستعمل لإحداث جروح كبيرة، وغالبًا

أدوات استنزاف الدماء

أُستخدمت أي أداة يمكنها أن تُسيل الدماء. أسنان الحيوانات والحجارة وقطع الخشب الحادة، والأشواك والأصداف. مع تطور العملية، تطورت الأدوات أيضًا. بحلول القرن السابع عشر، كان الأطباء قد اقتربوا من العلم: لذلك استخدموا الملقط الدوار ليفتح الوريد الأبطي للذراع. لكن، ما الذي أُستخدم لفتح الوريد؟ لنرى.



مشرط حديدي يعود للقرن الثالث عشر



السطح الخارجي لمخدج

للكائنات الأكبر حجمًا مثل الخيول.

المخدش: عبارة عن علبة بها شفرات متعددة محملة بنابض، وغالبًا ما تستخدم قبل الفصد (تحتوي على فراغ أسفل كوب زجاجي) من أجل سحب المزيد من الدم.

كان لكل أداة معجبون مخلصون.. عبّر جي. أي سنودجراس في عام ١٨٤١ عشقه لفصد لانسييت ذو النابض: أحبك ملطخًا بالدماء، أيها الصديق المخلص! وسأحبك إلى الأبد!

ربما لم يكن بجانبه أحد ما ليقول له هل تحتاج غرفة للمواعدة معه؟

الحلاقة وقص الشعر والفصد



عمود حلاق كلاسيكي، من بقايا مهنة الفصد

في روما القديمة، كان الحلاقون متعدّدو المواهب، مسؤولين عن تهذيب مظهر زبائنهم عن طريق قص الشعر وتقليم الأظافر وإزالة مسمار القدم ونزع الأسنان الفاسدة والفصد. مقابل ثمن، وهو أن تخرج وقد قلّمت أظافر يديك وأقدامك، مبتسمًا وفي أسنانك فجوة، ومصاب بفقر الدم.

في أوروبا في العصور الوسطى، أصبح الجراح- الحلاق الخبير المناسب ليس فقط لخدمات التجميل، لكن للبتر والفصد والإعلاق (وضع العلق على الجسم لامتصاص الدم) وتجفيف البثور. هل تعاني من الجدرى؟ فلتنزف.

الصرع؟ فلتنزف أيضًا. الطاعون؟ أكثر من النزف، وتجاهل الخرق الملطخة بالدماء على الأرض، ورجاءً لا تموت في كرسي الحلاق.

في البداية، كان رجال الدين يقومون بالفصد لهم ولغيرهم. كان الرهبان ورجال الدين لا يمارسون الجنس، ويبدو أن الفصد يروض الرغبة الجنسية لديهم (مضاد فياجرا اليوم!). لكن بعد عام ١١٦٣، منع البابا ألكسندر الثالث رجال الدين من إقحام أنفسهم في دراسة طبيعة الجسم. أعلن القانون الكنسي أن «الكنيسة تمقت الدم» وبعد ذلك لم يقيم رجال الدين بإجراء جراحة أو فصد، ولم يدرسوا علم التشريح. في إنجلترا، تولى الجراحون الحلاقون الدور. حيث سيشرحون حالة المريض عبر شم وتذوق ولمس دمائه. كانت الأواني التي تحتوي على الدم توضع على عتبات نوافذ الحلاقين لجذب الزبائن قبل صدور قانون يلزمهم بصب الدماء بهدوء في نهر التايمز بدلاً من ذلك.

عمود الحلاق الحديث، الذي أصبح بالفعل تحفة في يومنا هذا مع الألوان الأحمر والأزرق والأبيض بشكل حلزوني (أو الأحمر والأبيض فقط)، يمثل هؤلاء الجراحون الحلاقون، الذين كان يضعون العمود خارج مكان عملهم للإعلان عنهم. يرمز العمود إلى العصا التي يضغط عليها المريض لتسهيل عملية الاستنزاف، مع وجود وعاء في الأسفل لالتقاط السائل المنسكب. يقول بعضهم: إن الشريط الأبيض يرمز إلى وقف النزف، بينما يمثل اللون الأزرق إلى الوريد، ويمثل اللون الأحمر الدم.

في المرة القادمة التي تذهب فيها إلى حلاقك، ربما تطلب منه استنزاف دمك، وسترى إذا كان يعلم بتلك الأضحوة التاريخية.

دع نفسك تنزف حتى تحظى بالنعيم

تخيّل أنك في القرن السابع عشر وقد تخلّى عنك الحبيب الذي كنت تعتقد أنه نصفك الثاني، يا إلهي، ما الذي يمكن أن يصلح هذا القلب المكسور؟

بعض البراندي وبعض الدردشة مع صديق جيد؟ نصف لتر من شراب مثلج خاص بعصر الباروك والذي يوازي مشروبات بين وجيري الثلجة Ben & Jerry^(١)؟ كلا! يتطلب القلب المكسور نصف لتر من شيء آخر؛ لكنه ليس ممتعاً مثل مثلجات تشانكي مونكي Chunky Monkey^(٢)

في عام ١٦٢٣، كتب الطبيب الفرنسي جاك فيران كتاباً كاملاً عن العلاجات الجراحية لمرض الحب، ولا سيما إذا كان المريض «ممتلئ الجسم ويتغذى جيداً». وأوصى بالفصد لدرجة قصور القلب (قصور القلب بالمعنى الحرفي) وأشار إلى أن "فتح البواسير هو أضمن علاج". لأنه بطريقة ما اكتشف أن حسرة القلب والبواسير يسيران جنباً إلى جنب.

لم تكن هذه هي المرة الأولى التي يدخل فيها الفصد مجال الصحة العقلية. كعلم التشريح، كان علم النفس لغزاً للأطباء. الأمراض المربكة والتي تبدو غير قابلة للشفاء مثل القلب المكسور والكآبة والهوس، جعلت كثيراً من الأطباء يبحثون عن مفصد. أوصت نصوص هوانغ دي ني جينغ من عهد أسرة هان بالفصد لأعراض «الضحك المستمر» أو الهوس؛ لأن النزف القليل كان من المؤكد أنه سيهدئك.

لاحقاً، اعتقد جالينوس أن أنواعاً مختلفة من «الخلل العقلي» - الجنون، والهوس، والكآبة، والحماسة - كانت بسبب اختلال في نسب الأخلاط الأربعة، وبذلك، فالأمر يتطلب استنزافاً للدم.

في القرن الثامن عشر، اشتهر أحد أكثر مشافي الطب النفسي شهرة في العالم، سانت ماري في لندن والذي يعرف باسم بيت لحم، بالسلوكيات المروعة في العلاجات المتبعة فيه. أحضر الكاتب ألكسندر كرودين عدة مرات إلى ذلك المشفى بسبب

(١) بين وجيري: شركة لصنع الثلجات مقرها الرئيس فير مونت. المترجمة

(٢) يشير المصطلح في العامية إلى المرأة الممتلئة التي تمتلك أردافاً كبيرة وإلى أي شخص يمتلك وزناً زائداً وهو أيضاً اسم نوع من الثلجات التي تنتجها شركة بين وجيري. المترجمة

سلوكه المروع مثل محاولة مواعدة الأرامل وارتكابه سفاح القربى. كيف تجرّأ على ذلك؟ دوّن ملاحظاته مشيراً أن "الوصفات الشائعة لطبيب بيت لحم هي التطهير والقيء، والقيء والتطهير مرة أخرى، وأحياناً الفصد". كان هذا للأسف قبل اختراع غرفة رذاذ لإزالة الروائح.

أوصى بنيامين راش، الطبيب والأب المؤسس، لـ «علاج الطب البطولي»^(١) (انظر إلى فصل الزئبق) لكثير من الأمراض، بما في ذلك هذه الوصفة الطبية للهوس: «يمكن استنزاف ٢٠ إلى ٤٠ أوقية من الدم [مكيال ونصف باينت] مرة واحدة. . . . النزيف الغزير أيضاً رائع في تهدئة الناس». إنه محق نوعاً ما. يشعر الناس على اختلاف طباعهم بالهدوء بعد الإرهاق والإصابة بفقر الدم.

حتى ساسروتا سامهيتا، النص السنسكريتي القديم، ذكر أن الفصد يتبعه شعور بالبهجة عند المريض.

إليك بعض الأشخاص الذين ربما لم يصفوا تجربتهم بأنها «مبهجة».

أغنياء ومشاهير أصيبوا بفقر الدم

نزفت ماري أنطوانيت بعد ولادتها في غرفة مليئة بالمراقبين. (إذا كنت تعتقد أن هذا مثير للإعجاب، تخيل لو أنها تملك إحدى وسائل التواصل الاجتماعي، لكانت قد ولدت أمام الملايين):

وقد أغمي عليها نتيجة ذلك، واستعادت وعيها بالفصد، أو ربما بالألم الذي سببه. كان لبعض من أريقت دمائهم بحجة العلاج نتائج أسوأ بكثير، ولا سيما عندما استخدمت هذه الوسيلة بوصفها ملاذاً أخيراً.

في عام ١٦٨٥، عندما أصيب تشارلز الثاني ملك إنجلترا بإصابة بالغة في أثناء الحلاقة. تعرض أطباؤه الأربعة عشر لضغوط كبيرة لإبقائه على

(١) علاج الطب البطولي: هو العلاج بالاستنزاف والتطهير والتعرق لإعادة توازن الأخلط الأربعة في الجسم. المترجمة



تنفس الوريد عام ١٨٦٠

قيد الحياة. إلى جانب الاستنزاف، تحمل الملك الفقير الحقن الشرجية والمطهرات والحجامة، وكان عليه أن يأكل الحصى الصفراوية لما عجز من شرق الهند. وُضعت اللصقات المصنوعة من فضلات الحمام بعناية على قدميه. نzf كميات كبيرة من الدماء وبشكل متكرر، حتى إنهم شقوا الوريد الوداجي ذات مرة.

في نهاية المطاف، فقد كل دمه تقريبًا قبل وفاته، على الرغم من أن روحه ربما كانت ببساطة تصرخ من كمادات فضلات الطيور. بعد ثلاثين عامًا،

خضعت الملكة آن، ابنة أخت تشارلز الثاني - التي كانت على العرش آنذاك - لنزيف الدم والتطهير بعد نوبات تشنج وفقدان للوعي؛ نجت بعد يومين فقط من وصول الأطباء.

كان يعاني اللورد بايرون من نزلة برد شديدة مصحوبة بحمى وآلام في الجسم، خاض معارك مستمرة مع أطبائه حول الفصد. رفض بشدة، بحجة أنه لم يساعد في الأمراض السابقة. أخيرًا، استسلم لتذمرهم وقال، «تعالوا، أرى مجموعة من الجزارين الملعونين. خذوا كثيرًا من الدم كما تريدون وأنهموا كل شيء». بعد عدة ليترات من النزف على مدار ثلاث مرات، فوجئ أطباؤه بأن بايرون ساءت حاله. في حالة يائسة، قيّحوا جلده ووضعوا العلقات حول أذنيه. توفي اللورد بايرون بعد فترة وجيزة، وألقى أطباؤه باللوم عليه على الفور لتأجيله عملية الفصد لفترة طويلة.

كان جورج واشنطن آخر ضحية للعلاج بالفصد. بعد ثلاث سنوات من تقاعده من الرئاسة، أُصيب بالحمى وبصعوبة في التنفس بعد ركوبه الخيل في

طقس مثلج. ربما نتيجة التهاب شديد للسان المزمار. استنزف الأطباء دمه بكميات كبيرة، وجربوا مشروب دبس السكر والخل والزبدة (التي كادت أن تخنقه حتى الموت)، قيحوا جلده، واستنزفوا دمه مرة أخرى، وجربوا المسهلات والقيء، وأيضاً استنزفوا دمه مرة ثالثة بوصفه إجراء جيداً. بعد يوم واحد، أُستنزف مرة أخرى. أخيراً، ربما قد نزل من خمسة إلى تسعة بايت (نصف لتر) من الدم وتوفي بعد فترة وجيزة. تماماً هذا هو الثمن الذي يجب دفعه مقابل مرض بدأ بنزلة برد شديدة.

GEORGE TIEMANN & CO.'S SURGICAL INSTRUMENTS. 115

بضع الوريد

FIG. 1645.—Spear-pointed Thumb-Lancet.

FIG. 1647.—Tiemann & Co.'s Spring Lancet.

FIG. 1646.—Bisul-pointed Thumb-Lancet.

FIG. 1648.—Button Trigger Spring Lancet.

FIG. 1650.—Tiemann & Co.'s Patent Scarificator.

FIG. 1649.—Plain Spring Lancet.

FIG. 1651.—Ten-Bladed Scarificator.

FIG. 1652.—Twelve-Bladed Scarificator.

FIG. 1653.—Tiemann & Co.'s Soft Rubber Cupping Cup.

FIG. 1654.—Glass and Rubber Cup.

FIG. 1655.—Cupping Pump, Stop-cock and Cup.

الحجامة

No. 1 Cupping Set. \$13.

No. 2 Cupping Set. \$15.

Contains:

1 Brass Cupping Pump.
3 Stop-cocks.
3 Glass Cups.
1 Ten-bladed Scarificator.
1 Mahogany or Black-walnut Case, lined with velvet.

Contains:

1 Brass Cupping Pump.
3 Stop-cocks.
6 Glass Cups.
1 Twelve-bladed Scarificator.
1 Mahogany or Black-walnut Case, lined with velvet.

No. 1. Without Scarificator... \$1.00
Also, Breast Pumps.

No. 2. Without Scarificator... \$10.50

مجموعة أدوات إراقة الدم

إراقه الدم إلى زوال تدريجي

حتى في مواجهة منتقديه، حافظ الدكتور بنيامين راش على دفاعه القوي والصريح عن الفصد، يؤكد تنسيق حديقته ذلك. في ذروة وباء الحمى الصفراء في فيلادلفيا، كان عشب حديقته الأمامية مشبع بالدماء المتخثرة الذي جذب كثيراً من الذباب. لا يمكن لأي عرض على قناة HGTV التلفزيونية^(١) أن يصلح تلك الكارثة. لسوء الحظ بالنسبة إلى مرضى راش، بالغ الطبيب في تقدير حجم الدم في الجسم بشكل كبير - بنسبة ٢٠٠ في المائة. غالباً ما كان يزيل أربعة إلى ستة باينت من الدم في يوم واحد (لدى الرجل البشري العادي حوالي اثني عشر باينتاً). وتذكر أنه غالباً ما كان يُستنزف الدم في أثناء عدة أيام متتابة. كان معدل وفيات علاجه مرتفعاً جداً لدرجة أن أحد الناقدین ويدعى ويليام كوبيت شجب قائلاً: «تكون الأوقات منذرة بالشؤم حقاً، عندما يصرخ الدجال ويصيح طهر وانزف». حتى أن كوبيت ذهب إلى حد القول إن ما يسمى بالعلاج البطولي لراش كان «تحريفاً لقدرات الطبيعة العلاجية».

على الرغم من أن الفصد كان اجراءً محبباً عند الأطباء لأكثر من ألفي عام، إلا أن المنتقدين مثل كوبيت كانوا دائماً موجودين. اعتقد إيراسيستراتوس أن فقدان الدم يضعف المرضى (كان على حق). في القرن السابع عشر، ادعى عالم إيطالي يُدعى راماتسيني، «يبدو كما لو أن الفاصد [من يريق الدم] قد أمسك سيف دلفي^(٢) بيده لإبادة الأبرياء».

بحلول القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، اعترض كثير من الأطباء والعلماء بشدة على تلك الممارسة مما قاد إلى تيار التغيير. بين لويس باستور

(١) إتش جي تي في هي قناة تلفزيونية أمريكية. تبث في المقام الأول برامج متعلقة بتحسين البيوت والعقارات المترجمة.

(٢) سيف دلفي نسبة إلى عرافة دلفي في الأساطير اليونانية التي كانت تنبأ كذباً بالمستقبل وأشهر نبوءة لها كانت كاذبة وعلى أثرها هُزم كرويسوس من قبل الإمبراطورية الفارسية بعد أن تنبأت له العرافة بعكس ذلك. المترجمة

وروبرت كوخ أن الالتهاب يأتي من العدوى ولن يُعالج بالفصد. في عام ١٨٥٥، استعمل جون هيوز بينيت، وهو طبيب من إدنبرة، الإحصائيات لإظهار أن معدل وفيات الالتهاب الرئوي انخفض مع انخفاض ممارسة الفصد. مع الفهم الحالي لعلم وظائف الأعضاء وعلم الأمراض البشرية، بدأت الممارسات الطبية في الغرب بالابتعاد عن الأفكار القديمة للطب المعتمد على نظرية الأخلاط الأربعة.

اليوم، لا يزال الفصد (باليونانية «قطع الوعاء الدموي»)، مستخدمًا في جميع أنحاء العالم. كان على كاليفورنيا أن تحظر الفصد على أيدي اختصاصيي الوخز بالإبر في عام ٢٠١٠. ولا تزال تلك الممارسة موجودة وتسمى الطب اليوناني، فرع من فروع الطب الفارسي العربي الذي تعود جذوره إلى القرن الثالث عشر. العلاج باستخدام أكواب شفط الدم التي تسمى الحجامة الرطبة، مازال يستخدم في الطب العربي التقليدي مع بعض الدراسات الإيجابية. (في دورة الألعاب الأولمبية الصيفية لعام ٢٠١٦، شوهه السباح مايكل فيلبس مغطى بكدمات نتيجة «الحجامة الجافة» باستخدام الشفط فقط من دون استنزاف وتجريح للجلد).

عبر فهمنا الحديث لجسم الإنسان، سيكون من المنطقي أن يؤدي الفصد إلى تحسين أعراض ارتفاع ضغط الدم وأحيانًا قصور القلب؛ بدلاً من ذلك، لدينا حبوب غير جراحية. لكن بالنسبة إلى بعض الأمراض، يظل الفصد علاجًا مناسبًا. يعالج ترسب الأصبغة الدموية، وهو اضطراب يسبب تراكمًا مفرطًا خطيرًا للحديد، بالاستنزاف المنتظم الذي يؤدي إلى استنفاد هذا العنصر من الجسم. يمكن أيضًا استخدام الفصد في مرض يدعى كثرة الحمر الحقيقية والذي يسبب زيادة مرضية في خلايا الدم الحمراء. بعد كل ما كتبه جالينوس، اتضح أن كثيرًا من الدم هو حقًا مشكلة.

من المؤسف أن ممارسي الفصد في الماضي لم يدركوا أنه في معظم الأوقات، أنه من الأفضل ترك الدم داخل الجسم وليس خارجه.



الجراحة الفصية

رؤوس مثقوبة قديمة، حجر الجنون

مضرب البيض العصبي،

معول الثلج، جراحة والتر فريمان الفصية

لا أحد يشك في أن آل كينيدي كانوا العائلة المالكة لأمریکا. يتمتعون بالوسامة والجمال والتهديب والنفوذ، لديهم المال والنسب والذكاء والروابط السياسية لترك بصمة لا تمحى على تاريخ أمتنا ووعيتها الثقافي. لكن لديهم أيضا أسرار لإخفائها.

لعقود من الزمان، كانت روزماري كينيدي هي الأقل شهرة بين أشقاء جون كينيدي. تُظهر صورها في بلاط الملك جورج والملكة إليزابيث عام ١٩٣٨ ابتسامتها، وشعرها الداكن المصّفّف بشكل مثالي، وقفازات بيضاء وعباءة أنيقة تلائم جسدها وانحناءاته الجميلة. ضجّت الصحافة البريطانية بجماها. وكان الشباب يسعون لكسب رضاها في المناسبات. للوهلة الأولى، تفوقت بسهولة على والدتها الأرستقراطية وأختها البسيطة، كاثلين.

ولكن ما لم يكن يعرفه كثير هو أن الكثير من عالم روزماري الداخلي كان سرّاً. تأخرت ولادتها وأبقت والدتها ساقياً مضمومتين حتى وصل الطبيب بعد ساعتين - بناءً على نصيحة ممرضة على الرغم من أن الطفلة كانت تخرج. تسبب ذلك في قصور روز العقلي، ربما بسبب نقص الأكسجين في أثناء تلك الساعات الحاسمة. كان أشقاؤها رياضيون وحققوا كثيراً من الإنجازات، لكن روزماري لم تكمل مراحل نموها في الوقت المحدد لكل مرحلة. كشخص بالغ، كانت تمتلك ذكاء طالب في الصف الرابع وتكتب رسائل بسيطة مليئة بالأخطاء الإملائية. يمكن رؤية والدها، جو كينيدي، السفير في إنجلترا، وهو يمسك ذراعها بإحكام في بضع صور، وهو دليل على محاولاته للسيطرة على سلوك روزماري.

بحلول أوائل العشرينات من عمرها، كانت جميع المكاسب المعرفية من سنوات التدريس والحراسة المشددة والمستمرة تتلاشى ببطء. كانت تهرب من مدرسة الدير الداخلية وتتجول في الشوارع ليلاً. تعثرها نوبات انفعالات غير متوقعة - في بعض الأحيان الصراخ، وأحياناً الضرب (كانت اللكمات تؤلمها، لأن روزماري قوية وصحية) - أصبح من الصعب جداً احتواء تلك الانفعالات. بالنسبة إلى عائلة عريقة في بوسطن نشطة اجتماعياً مثل عائلة كينيدي، فإن إنجاب طفل لا يمكن السيطرة عليه يعاني من قصور عقلي، أمر «مشين» يمكن أن يرقى إلى حد الانتحار

الاجتماعي. لقد احتاجوا فقط أن تكون هادئة. مثل كينيدي.
صادف حينها انتشار تقنية جراحة الأعصاب الجديدة والمثيرة للاهتمام.
زعم مقال في المجلة الامريكية ساتردي ايفنينغ بوست Saturday
Evening Post في عام ١٩٤١ أنه يمكن أن يساعد المرضى الذين يعانون
من "مشاكل لعائلاتهم ومضايقة لأنفسهم". اتصل جو كينيدي بالدكتور
والتر فريمان وطلب المساعدة من دون علم زوجته التي كانت في الخارج.
في نوفمبر ١٩٤١، أُجري لروزماري كينيدي جراحة فصية، واختفت عن
أعين الجمهور.



كاثرين، روز، روزماري كينيدي عام ١٩٣٨

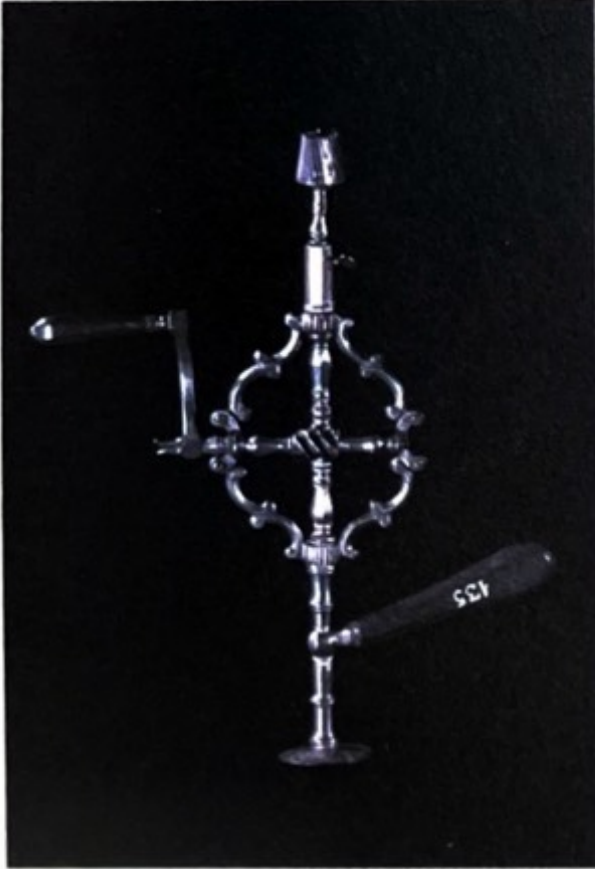
أدوات استنزاف الدماغ

يطلق على أقدم شكل من أشكال الجراحة، اسم نقب الجمجمة trephining وأيضاً اسم trephining، وكلا التسميتين تعودان إلى الكلمة اليونانية trypanon، بمعنى الحفر أو التجويف، كانت تُجرى هذه العملية عن طريق كشط الجمجمة، وقص قطع على شكل مربع لإزالة المركز، إضافة إلى ثقب دائرية تشبه الختم. الأدوات المستخدمة يمكن أن تكون صوان أو حجر السَّبَج أو معدن أو صدفة. من المفترض أن هذه لم تكن عملية جراحية في المخ. في الحقيقة لم تكن كذلك.

لم يُلمس الدماغ وأوعيته الدموية والسحايا، بدا أنهم كانوا يدركون أنه إذا حركت حلوى الدماغ، فستكون هناك عواقب سيئة. لماذا إذا تُخذ ذلك الإجراء؟ لكثير من الأسباب الوجيهة: هناك كثير من الأدلة على أنها أجريت بعد كسور في الجمجمة، ربما لإزالة الشظايا المكسورة ولتخفيف الضغط عن طريق إزالة الدم المتجلط.

في الواقع، أظهرت كثير من الجماجم دليلاً على شفاء العظام، مما يعني أن المرضى نجوا.

الأسباب السيئة لإجراء النقب؟ صداع عابر. الصرع. كآبة. مرض عقلي. وكذلك إصابات الرأس الطفيفة. أوصى أبقراط بهذا الإجراء لمن لديه فقط نتوء في الرأس.



في أثناء عصر النهضة، زادت الأسلحة النارية من عدد إصابات الرأس وبذلك العلاج بنقب الجمجمة. لسوء الحظ، بحلول القرن الثامن عشر، أصبح نقب الجمجمة إجراءً خطيرًا. كانت أوروبا ما قبل التعقيم مكانًا قدرًا إلى حد ما. قدر بعضهم أن ٥٠٪ من هؤلاء ماتوا نتيجة النقب (على عكس الجماجم القديمة التي عُثر عليها من قبل - التي تتفاخر بمعدل وفيات يقترب من ٢٠٪). حتى أن الجراح السير أستلي كوبر قال عام ١٨٣٩، «إذا كان يجب عليك أن تنقب جمجمة أحد ما، لا بد لجمجمتك أن تنقب بدورها».

على الرغم من أن نقب الجمجمة لا يزال يستخدم لعلاج إصابات الدماغ الرضوية، إلا أن البعض أحياناً قد ابتعد عن هذا الإجراء لإنقاذ الحياة. لكنهم قاموا بالنقب من أجل الطنين.

في عام ١٩٦٥، اعتقد الهولندي بارت هوجز أن نقب الجمجمة يمكن أن يعيده إلى حالة أعلى من الوعي^(١). فقام بالنقب باستخدام مثقاب كهربائي وسكين وإبرة تحت الجلد.

بعد ذلك، قال: «أشعر وكأني في سن الرابعة عشرة. (كما لو أنني أريد أن أعيش من جديد سنوات المراهقة الأكثر حرجًا في حياتنا الهرمونية - إلى الأبد). حدثت هذه الحادثة بعد رسوبه في كلية الطب وقبل أن يواصل كتابته النقب: علاج الذهان».

هذا آخرون حذوه، لكن لحسن الحظ يفضل الأشخاص الأكثر منطقية عقار LCD ثنائي ايثيل أميد حمض الليسرجيك بدلاً من جراحة المخ والأعصاب لتعطيل الاحساس الوجودي. إنها أقل عبثًا بكثير.

(١) حتى مطلع القرن التاسع عشر كانت تُجرى عملية نقب الجمجمة في المنزل وبشكل ذاتي. المترجمة

التنقيب للوصول إلى جذور الجنون

لفهم مصير روزماري بشكل أفضل، نحتاج إلى العودة بالزمن إلى أصول جراحة الدماغ، أول جراحة على الإطلاق، في الواقع: ممارسة نقب الجمجمة. يُعدّ نقب الجمجمة أو إحداث ثقب في الجمجمة، أول عملية جراحية مسجلة في التاريخ. الجماجم من العصر الحجري المتوسط (ربما يعود تاريخها إلى ٨٠٠٠ إلى ١٠٠٠٠ قبل الميلاد) تُظهر بوضوح علامات تلك العملية، والتي نعلم أنها كانت تمارس في كثير من الحضارات القديمة، بما في ذلك أمريكا الوسطى واليونان والإمبراطورية الرومانية والهند والصين.

يرافق كل عملية لنقب الجمجمة، لإزالة قطع من العظام في كسور الجمجمة أو لتخفيف الضغط، كثير من الأخطاء. الجانب الإيجابي هو أن الناس وضعوا نظرية مفادها أن الدماغ هو مقر الفكر والعاطفة. أما الجانب السيئ هو اتباعهم طرقًا مروعة لإصلاح عملية التفكير المضطربة. أوصى جراح يوناني من القرن الثاني عشر بإجراء ثقب للجنون والكآبة. هناك أيضًا نص يوناني يعود إلى القرن الثالث عشر يوصي بثقب جمجمة المصابين بالصرع حتى «تخرج الأخلاط والهواء ويتبخران». وهو ببساطة مثل ترك الهواء يخرج من البالون، أليس كذلك؟ يُعتقد أيضًا أن الشياطين التي تسبب المرض تغادر هاربةً بمساعدة فتحة صغيرة في الجمجمة.

في أثناء عصر النهضة، ظهرت نظرية مفادها أن الحجر الموجود داخل الدماغ هو مقر الجنون والغباء والخرف. قم بإزالته وسوف تمنع ارتباك بقية العقل. في لوحة رسمها هيرونيموس بوس لعام ١٤٧٥ بعنوان «قص الحجر»، والتي تُعرف أيضًا باسم «استخراج حجر الجنون»، يجلس مسكين مربوط بكرسي فاخر، ينظر بطرف عينه إلى الحاضرين. (في اللوحة طبيب، لسبب غير معروف، يرتدي قمعًا معدنيًا) يقص رأس المسكين. تصوّر كثير من الأعمال الفنية الأخرى في هذا القرن والقرن الذي يتبعه هذه الجراحة الواعدة. من غير الواضح ما إذا كانت اللوحات مصطنعة أم أنها تصور محاولات جراحية حقيقية لإزالة تلك الأحجار المزعجة (وغير الموجودة). ومع ذلك، اتجهت الحياة لتقليد الفن، عندما قام الطبيب السويسري



عرض لأدوات ثقب الجمجمة الخاصة
بالعامّة، في حال أردت تقوم بها لوحدك من
دون أن تدفع تكاليف العملية لمختص



غوتليب بوركهارت بقص ستة أدمغة في عام ١٨٨٨. من دون خبرة جراحية، أجرى بوركهارت عمليات جراحية لمرضى الفصام والهلوسة الذهانية. مثل الأطباء القدامى في الماضي، استخدم أداة تدعى trephine (عبارة عن منشار دائري يقص ثقوب دائرية الشكل) لحفر ثقوب بالقرب من الصدغ، ولكن هنا حيث انحرف وحاد عن المسار: اخترق الجافية وأخرج أجزاء من القشرة الدماغية بواسطة ملعقة، في بعض الحالات ملعقة حادة. نعم، أُزيلت ملاعق من الدماغ. على الرغم من أن بعض المرضى أصبحوا «أكثر هدوءاً» ولم يعودوا مصابين بالهلوسة، فقد تُرك كثير منهم يعانون من مشاكل عصبية مزمنة، أو ماتوا من المضاعفات اللاحقة، أو حتى انتحروا. علق طبيب نفسي في ذلك الوقت قائلاً: «ارتأى [بوركهارت] أنه يمكن تهدئة المرضى الذين يعانون من القلق عن طريق إزالة أجزاء صغيرة من القشرة الدماغية». كان إجراء بوركهارت أول عملية جراحية لفصوص المخ، على الرغم من أن هذا المصطلح لم يكن كذلك حتى عقود لاحقة. على عكس ثقب

الجمجمة، الذي كان يهدف فقط إلى إحداث ثقب في الجمجمة من دون إزعاج الدماغ أو السحايا، كان هذا النهج الجديد للجراحة يستخدم الملاعق لإزالة أجزاء منه. (سيرد استخدام كسّارة الجليد. ومضارب البيض. والمزيد من هذه الأدوات الأخرى قريباً). كما شهد فجر الجراحة النفسية - إتلاف الدماغ عن قصد لعلاج الأمراض العقلية - وهو اختراع جديد رافق اكتشافات مثيرة حول الروابط بين أدمغتنا وسلوكياتنا (انظر المربع في الأسفل صورة الرجل ذي الثقب في رأسه والذي يدعى فينيس غيج)، وتطورات أخرى في علم التشريح العصبي.

اعتقد المجتمع الطبي أن بوركهارت همجي وأثار عمله رعباً شديداً. وبذلك لم يحاول الكرة مرة أخرى. استغرق الأمر ما يقرب خمسين عامًا قبل أن يحاول شخص ما إجراء عملية جراحة فصية أخرى.

ما الذي تغير؟ لقد دخل العالم في أزمة صحية عقلية.

الجراحة الفصية : الابتكار الأمريكي (المسروق)

في أواخر الثلاثينيات وأوائل الأربعينيات من القرن الماضي، كان الأطباء في الولايات المتحدة في حالة يأس. ارتفع عدد المرضى النفسيين الموجودين في المصحّات إلى أكثر من أربعمئة ألف. استحوذ المرضى النفسيون على أكثر من نصف أسرة المستشفيات في جميع أنحاء البلاد. لم تكن هناك علاجات دوائية جيدة، وقد تسبب هؤلاء المرضى في خسائر عاطفية وجسدية ومالية هائلة على العائلات والمصحّات. عُولج المرضى في كثير من الأحيان في ظروف مروعة. من المنقذ لهم؟ عالم أعصاب برتغالي يعاني من النقرس ويحمل حقنة مليئة بالنبيذ.

في عام ١٩٣٥، حاول إيغاس مونيذ إيجاد علاج للأمراض العقلية عن طريق الجراحة: إجراء جراحة فصية للمادة البيضاء (leucotomy) (باليونانية تعني «قص البياض»، أي المادة البيضاء في الدماغ). صب اختياره من بين المرضى على امرأة في مصحح عانت لسنوات من الاكتئاب المنهك. شوهدت يدها بسبب النقرس، فوظف مونيذ جراحًا لإحداث ثقب في دماغ المريضة

بالقرب من أعلى الرأس وحقن الإيثانول النقي لقتل أجزاء من الفص الجبهي. (نعم، إنه الكحول نفسه الموجود في النبيذ الخاص بك، لكن لا، لن تقتل خلايا دماغك بعد كأس منه. لذا لا تقلق).

في الإجراءات التي لحقت، استخدموا أداة تسمى ليوكوتومي leucotome، والتي كانت عبارة عن قضيب معدني أنيق، عندما يُدخل إلى دماغك الإسفنجي، ينبثق منه حلقة سلكية تدور وتقوم بالخفق والدوران. كان أقل شبهاً بمضرب البيض الذي نستخدمه لصنع فطيرة جيدة، وأكثر شبهاً بالأداة التي تستخدم لاستخراج كرات من البطيخ الناضج.

وصف الجراح الأمريكي جيمس واتس نسيج الدماغ لاحقاً بأنه «ما يشبه الزبدة عندما تكون خارج الثلاجة لفترة من الوقت».

حصل مونيز في وقت لاحق على جائزة نوبل لعمله، على الرغم من حقيقة أن كثيراً من مرضاه انتهى بهم المطاف في المصحات التي بدأوا فيها. على الرغم من أن المجتمع الطبي أصيب بالذعر مرة أخرى، إلا أن مونيز لم يتراجع مثل بوركهارت. بل نشر أفكاره.

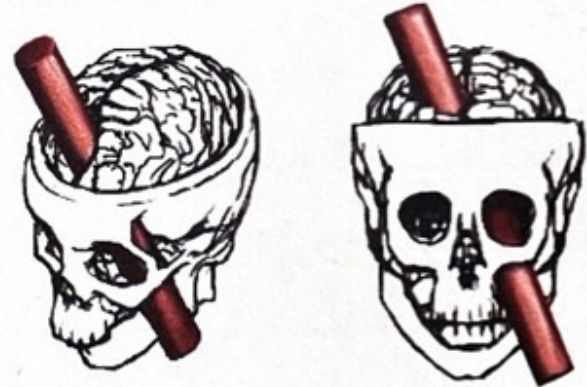
أحد الأطباء الذين استمعوا له، كان والتر فريمان، طبيب الأعصاب الأمريكي الذي قام في النهاية بإجراء جراحة فصية لروزماري كينيدي. اشترك فريمان مع جراح الأعصاب جيمس واتس لمواصلة عمل مونيز على الأراضي الأمريكية. في عام ١٩٣٦، بعد أن نجت مرضيتهم الأولى وبدأ أنها سُفيت (تضاءل قلقها، وأصبحت بصحة جيدة ولكنها «سيئة الطبع مع زوجها ومتطلبة»)، ثابروا إلى الأمام. لكن كثيراً من المرضى لم يكن لديهم أي تحسن أو كان تحسناً عابراً فقط. فقد كثير حدسهم. واستمرت الهلوسة.

هذه الانتكاسات لم توقف الثنائي المتفائل. بعد ست عمليات فقط، ذهب فريمان وواتس في حملة إعلانية قوية لعرض ما أنجزوه. ظهرت مقالات في صحيفتي واشنطن بوست والتايم. وورد أن «الأطباء الحاملين لدفاتر الجيب والعقول المتلهفة» قد دُعوا لحضور الاجتماع. لا يهم أنهم تعرضوا لانتكاسة مروعة مع مريضهم الخامس، الذي لم يظهر أي تحسن ولكنه أصيب بالصرع وسلس البول.

أدوات استنزاف الدماء

يملأون الحفرة بالرمل، ويدكّونه بقضيب حديدي.

هذا ما كان من المفترض أن يفعله غيج. لكنه كان يقوم بدك المسحوق برفق قبل إضافة الرمال، وفي لحظة من الانشغال، أدار رأسه للتحقق من رجاله، كانت جمجمته فوق قضيب حديدي يشبه الرمح. عندما أزاح القضيب إلى جانب الحفرة عن طريق الخطأ، أطلق شرارة على الصخرة، وأدى الانفجار الأكيد إلى دخول القضيب في خده الأيسر، وخلف عينه اليسرى، وعبر الجزء العلوي من رأسه. استيقظ بأعجوبة بعد لحظات. وبعد قليل من الاضطراب، تمكن من الكلام. برزت مقلة عينه اليسرى من التجويف. وكانت آثار أنسجة المخ على طول القضيب الذي نزل على بعد ثمانين قدمًا. فحصه طبيب المدينة بعد فترة وجيزة ولاحظ أن «السيد



المسار الذي دخل فيه القضيب المعدني عبر جمجمة غيج

في ١٣ أيلول ١٨٤٨، كان رئيس عمال وسيم يدعى فينيس غيج يعمل لدى شركة للسكك الحديدية في فيرمونت. كان يحفر مع فريقه ثقوبًا في صخر الأساس ويضعون المتفجرات فيها، ثم

غيج نهض وتقياً. الجهد الذي بذله للقيء أخرج حوالي نصف فنجان من الدماغ الذي سقط على الأرض». كان الشيء الأكثر إثارة للاهتمام، بصرف النظر عن بقاءه حياً، هو التغيير في شخصيته. قبل الحادث، كان يمتلك «عقلاً متوازناً وكات يتمتع بالذكاء الحاد والنشاط». بعد الحادث، أصبح غريب الأطوار وغير محترم، يتفوه أحياناً بأبشع الألفاظ النابية (لم تكن من عاداته سابقاً)، يظهر القليل من الاحترام لزملائه، بات عديم الصبر ولا يضبط نفسه ولا يقدم النصائح كعادته، أصبح كالطفل في قدرته الفكرية وكالحيوان المفترس في طباعه، قالوا «لم يعد غيج كما سبق» سيصبح دراسة رائعة في فهم فسيولوجيا الدماغ لتمهيد الطريق لمزيد من الاكتشافات العلمية التي تخص جراحة الفص الجبهي.

سرعان ما أصبحوا من المشاهير، حتى إن فريمان هو الذي صاغ المصطلح الجديد للجراحة: الجراحة الفصية lobotomy عبر تغيير العلامة التجارية لجراحة مونيوز الفصية التي تسمى leucotomy وهكذا ابتعد فريمان بنفسه عن الطبيب البرتغالي، وأصبح المصطلح مرتبطاً به. أحسنت اللعب يا دكتور فريمان. لقد كان مروج إعلانات وبائعاً لامعاً أيضاً، حيث أرسل آلاف الرسائل والمقالات إلى مؤسسات الطب النفسي في جميع أنحاء الولايات المتحدة ولم يترك أي فرصة للتحدث عن جراحته.

في عام ١٩٣٨، قرر فريمان وواتس تغيير الجراحة. بدلاً من حفر الثقوب في الجزء العلوي من الجمجمة، بدأوا بحفرها في الصدغ. لم تكن جراحة مونيوز الفصية leucotome عنيفة بما يكفي. في بعض الأحيان، لا تتجاوز حدودها الدماغ. لذلك، استخدموا ما يشبه سكين زبدة ضيق. استخدموه أيضاً في عملية روزماري كينيدي. وفقاً للسيرة الذاتية لكيت كليفورد لارسن عن روزماري، أدخلت «الملقعة المرنة بعرض ربع بوصة» عبر الثقوب الموجودة في صدغها. «كشط واتس وهو يتعمق أكثر في دماغها». طلب من روزماري أن تقرأ القصص والآيات وأن تغني في أثناء العملية.

ولكن بعد إزالة شريحة أخرى من دماغها أكثر من اللازم، «أصبحت غير متماسكة، وتوقفت عن الكلام ببطء». روزماري، كما عرفوها، قد ولت.

لم تستطع المشي أو الكلام بعد الجراحة ووُضعت في مصحح للعناية بها إلى الأبد بعد الجراحة. اختفت من رسائل عائلة كينيدي وكأنها منسية قسرًا. لكن هذه «النكسات» لم توقف فريمان من الشروع ببعض التحديثات الرئيسة.

فريمان يستمر لوحده

بعد جعل مرضاه فاقدين للوعي بالصدمات الكهربائية، كان فريمان يصل إلى الفصوص الأمامية عن طريق رفع الجفن، وإدخال أداة كمعول الثلج، والنقر عليه بلطف للوصول عبر العظم الحجاجي الرقيق فوق مقلة العين، وغرز أنسجة المخ (هنا، عادة ما يتوقف لالتقاط صورة). كان يحرك



والتر فريمان يجري جراحته الخاصة ويدخل معول الثلج بكل ثقة

قطعة الثلج يسارًا ويمينًا، لأعلى وأسفل، ثم يكرر العملية على الجانب الآخر. كان المريض يغادر بعيون مصابة بكدمات الراكون ونأمل أن يكون سلوكه أكثر هدوءًا.

كان شريكه السابق، واتس غاضبًا لأن هذا النهج الجديد ليس بحاجة إلى غرفة عمليات ولا بحاجة له، لكن فريمان لم يهتم. أصبح الآن حرًا وبإمكانه القيام بأكثر عدد ممكن من عمليات الفصوص. روج لمعالجته المعجزة في أثناء تجواله في جميع أنحاء البلاد. حتى إنه أطلق على سيارته «لوبوتوموبيل»، وقد جهزها بجميع معداته لاستخدامها في أثناء سفره. وأشار إلى مرضاه المفصصين على أنهم «غنائم». يا للغرسة!

مع ذلك، لم يكن فريمان بلا خصوم. يعتقد كثير أن قص شرائح من الدماغ وخفق أنسجته، لا يمكن أن تعيد الحياة إلى طبيعتها. هاجمه الأطباء لفظيًا في اجتماعات الجمعية الطبية الأمريكية AMA.

في وقت لاحق، أعرب أحد الأطباء عن أسفه، «إنه لأمر مزعج رؤية عدد الزومبي الذين تظهر عليهم آثار العمليات. أعتقد أن العمليات تلك التي أصبحت رائجة في جميع أنحاء العالم تسببت في إعاقات عقلية أكثر من علاجها».

على الرغم من أن أساليبه كانت قاسية، إلا أن فريمان لم يكن دجالًا. لقد كان يعتقد حقًا أن الجراحة الفصية من شأنها أن تحل أكبر عائق يواجهه الطب النفسي، ويخفف من العدد الهائل من المرضى الذين يثقلون كاهل أسرهم ومجتمعاتهم. لكن عددًا لا بأس به من المرضى أصبحوا عاجزين تمامًا بسبب هذه الجراحة أو حتى ماتوا من النزيف. كانت النسبة الكبيرة من المرضى هم من الإناث. حتى الأطفال، الذين لم تتطور أدمغتهم بشكل كامل، خضعوا للجراحة الفصية، وكان أصغرهم يبلغ من العمر أربع سنوات فقط. أخضع لهذه الجراحة كل قريب «مزعج» أو طفل يعاني من انخفاض معدل الذكاء أو ذو طباع صعبة، مثل المسكينة روزماري كينيدي. كان هوارد دولي، الذي

كتب سيرة ذاتية بعنوان (جراحتي الفصية)، طفلاً سليماً عقلياً يبلغ من العمر اثني عشر عاماً. كانت زوجة أبيه تزدري باستمرار سلوكه. أرادت إجراء عملية جراحية له على الرغم من أن ستة أطباء نفسانيين صرحوا أن هوارد لا يعاني من مرض عقلي. أخبرها أربعة منهم أنها هي التي تحتاج إلى العلاج. لكنها أقنعت فريمان بإجراء عملية جراحية على أي حال. وهل تعتقد أنت أن زوجات الأب الشريرات موجودات فقط في القصص الخيالية.

الجراحة النفسية اليوم

استمر فريمان في إجراء العمليات الجراحية لفصوص الدماغ حتى أدت عملياته الأخيرة إلى مقتل امرأة في عام ١٩٦٧ نتيجة نزيف دماغي. لكن اللجوء للجراحة الفصية كان يتلاشى فعلياً ببطء. لماذا؟ بسبب ولادة حبة صغيرة تسمى الكلوربرومازين، الاسم التجاري Thorazine (سميت على اسم إله الرعد الإسكندنافي Thor) كان هذا العقار هو أول مضاد فعال للذهان، وعلى الرغم من أنه لم يكن مثالياً، إلا أنه كان أكثر إنسانية من جراحة الفصوص.

تعد جراحة الأعصاب اليوم علماً دقيقاً ومخيفاً، بعيداً عن إجراءات كشط الجمجمة في الماضي. أما بالنسبة إلى الجراحة النفسية؟ لقد قاد الفهم الأفضل اليوم لتعقيدات الدماغ والأمراض العقلية وترسانة المعالجين متعددي التخصصات والأدوية إلى تغيير الطب النفسي.

الإجراءات الجراحية موجودة، لكن استخدامها ضئيل. معول الجليد، لحسن الحظ، قد ولى منذ فترة طويلة.



العلاج بالكّي & التقرّح

الرؤوس الساخنة، الزيت المغلي،

الإيقاظ من الغيبوبة، الذبابة الإسبانية، البازلاء لمزيد من الصديد

- لنفترض أنك تعاني من صداع مزعج. أي علاج تفضل؟
١. مكواة متوهجة حمراء اللون توضع على صدغك حتى تتفحم بشرتك.
 ٢. قطرات الزيت المغلي على جبهتك، مما يتسبب في موت بشرتك وتقرّحها.
 ٣. عجينة الخنفساء الخضراء اللامعة على فروة رأسك حتى يتقرّح وينزّ.
 ٤. بعض الإيبوبروفين، قيلولة في غرفة هادئة، والإحساس بالسلام العالمي .

إذا اخترت الخيار الرابع، فستفوتك بعض العلاجات المروعة. فكرة استخدام هذه العلاجات محيرة حقًا. كيف يلجأ البشر إلى التقرّح! ومعظمهم يرغب في الحفاظ على البشرة سليمة، غير مليئة بالصدید أو القيح. وماذا عن الكي! وقد تمثلت إحدى الوظائف الرئيسة للجهاز العصبي البشري في إبعاد يدك عن مقبض الإناء الساخن الذي لمستَه الآن. بغض النظر عن التمارين الأيروبيك الهوائية، لا أحد يريد حقًا الشعور بالحرق. لكن هذه «العلاجات» أستخدمت بشكل شائع لعلاج كل حالة، من التعب إلى مرض الحب. هل أنت مستعد لبعض اللحم المحروق وانفجار البثور؟ واصل القراءة يا صديقي.

أساليب فنية قديمة تجعلك تصرخ بأعلى صوتك

استخدام معدن حارق أو الكي بالكهرباء لوقف النزيف، أو تقطيع اللحم، أو حرق الورم حتى الموت، أو القضاء على كل ما يجعل الجرح متقيحاً - كل ذلك له معنى علمي. في الواقع، يُستخدم الكي بشكل شائع وناجح في الجراحة اليوم لكثير من هذه الأسباب. ومع ذلك، في أثناء آلاف السنين الماضية، لم يكن هذا الإجراء أنيقًا. ولم تكن نوايا الأطباء حسنة، كانت أدواتهم قاسية جدًا لتنفيذ المهمة بطريقة لا تشبه شيئاً إلا الكابوس. كيف؟ دعونا نلقي نظرة سريعة على تاريخ حرق البشر.

عند تقطيع اللحم بالمعدن الساخن أو الكهرباء، يُطلق على هذه العملية الكي الفعلي. إذا كنت تتخيل برنامج الطبخ المفضل لديك عندما يُطلب منك «شواء اللحم وختمه لإغلاق المسام منعاً من تدفق السوائل الموجودة في قطعة اللحم»، حسنًا، لقد اقتربت. ما عليك سوى استبدال كلمة «لحوم» بكلمة «بشري» و«الختم» بكلمة «حرق» حرق كل ما يزعجهم بسرعة.



رسم يعود للقرن العاشر يصور عملية كي على لوح التزلج

كيف كان ذلك؟ لنفترض أنك خادمة في حجرة غسيل الصحون تعاني من صداع شديد و اخترت الخيار الأول مسبقاً. كان الطبيب أو الصيدلاني يضع قضيب حديدي طويل (أو الأقل شيوعاً، نحاسياً أو بلاتينياً إذا كان يجبك) في الموقد أو مجمرة مليئة بالفحم اللاذع. عندما يُسخن القضيب ليصبح أحمر اللون، كان يضعه على صدغك حتى يصدر أزيزاً ويقلي الجلد. وماذا لو كان لديك جرح مفتوح في رأسك؟

يقوم الطبيب بحرق الأطراف المفتوحة للأوعية الدموية لإغلاقها، يبخر الجرح حتى يجف، وإذا سارت الأمور على ما يرام، يترك وراءه بقايا متفحمة. ستصرخ بأعلى صوتك، لكن مهلاً، على الأقل أنت على قيد الحياة! (في الوقت الحالي) أما بالنسبة إلى الصداع، فمن يهتم بحق الجحيم؟ أنت مشغول الآن بالتعامل مع الجلد المتفحم على وجهك.

أما إذا اخترت الخيار الثاني للعلاج، فأنت الفائز المحفوظ الذي ربح ما يسمى بالكلي الاحتمالي! تتضمن هذه التقنية حرق اللحم كيميائياً بطرق «الطف» مثل الأسيد والزيت المغلي. أولاً، ستستلقي بينما يقوم طبيبك بتسخين الزيت في دورق نحاسي. بمجرد أن يغلي - فكر في درجات حرارة مناسبة للبطاطس المقلية - كان يصب كمية صغيرة في وعاء أصغر ثم يقوم بالتنقيط على جبهتك. وإذا استدعى الموقف مادة كاوية، فسيضع قطعة صلبة صغيرة من مادة كيميائية مشتعلة تحت ضمادة لاصقة. على عكس الكلي الفعلي، سيكون لهذا نكهة أبطأ للتعذيب؛ لأن المادة الكاوية تستغرق وقتاً لتذوّب الأنسجة وتحرقها.

بالتأكيد أن كلا النوعين من الكلي لا يسيران على الدوام كما هو مخطط له. إذا التصق اللحم المتفحم بقضيب الكلي، سيُفتح الجرح على مصراعيه عند إزالته. من المؤسف أن رشاش الطبخ الذي يمنع الالتصاق لم يكن متوفراً حينها. لقد تُركت تنزف مع جرح أكبر. وإذا لم يسخن الحديد إلى درجة الحرارة المناسبة، فإن العملية برمتها بحسب مزاعم جيمس يونغ من القرن السابع عشر «لا تولد سوى الألم والكرب». إضافة إلى كل ذلك، فهناك أيضاً حمى وندوب مروعة وموت بعد تطبيق الكلي. عند استخدام الزيت المغلي، قد يصل الزيت إلى الأنسجة الطبيعية، مما يتسبب في حدوث «آلام والتهابات وأعراض مروعة أخرى»، وفقاً للجراح الفرنسي الشهير أمبرواز باريه.

هل ذكرنا أنه كان هناك كثير من الصراخ؟

العلاج بالنار ووصفات مؤلمة أخرى

قد تتساءل عن نوع الوحش الذي سيُخضع مرضاه لمثل هذا الألم. الأب المؤسس للطب أبقراط، على سبيل المثال. في القرن الرابع قبل

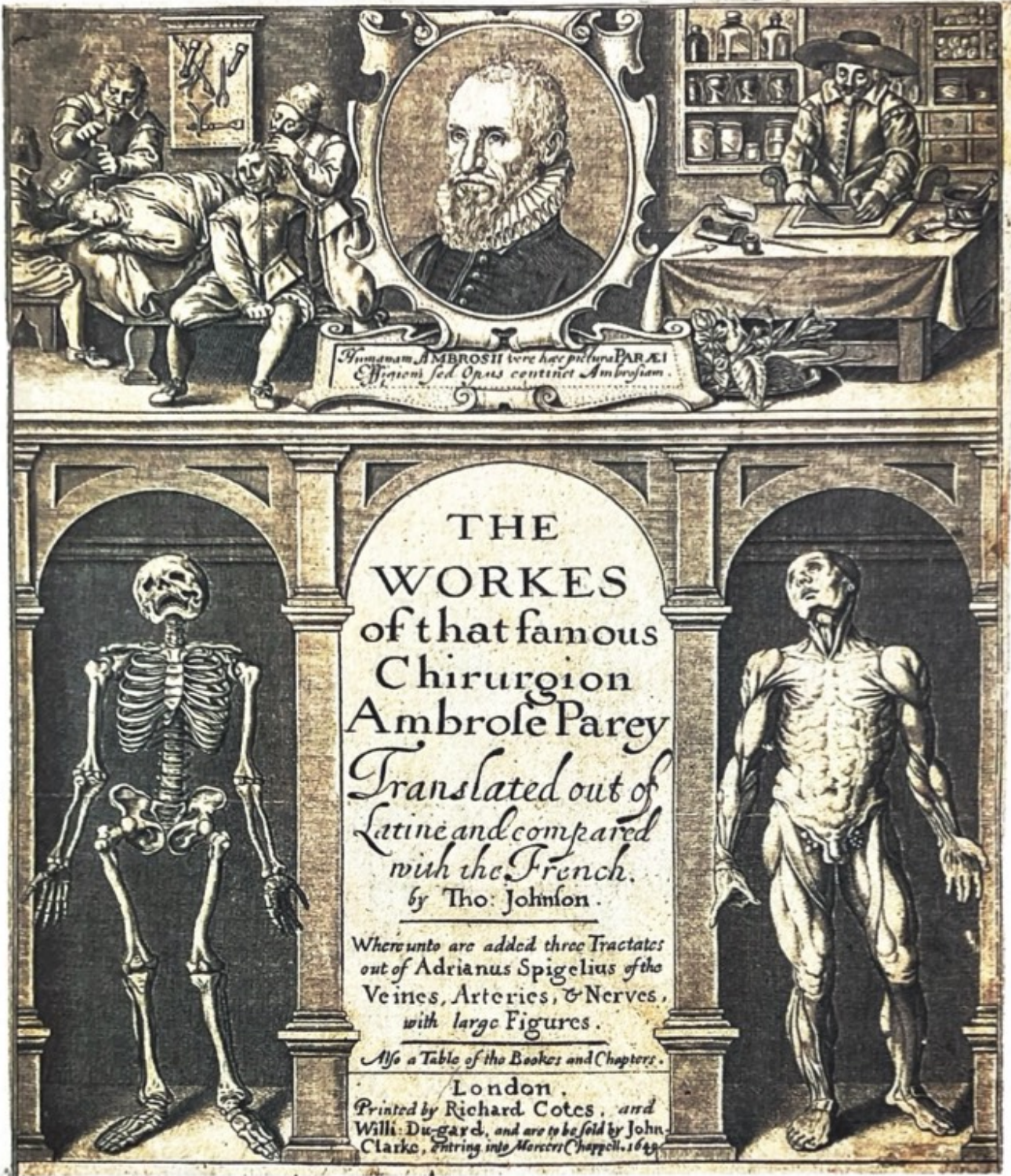
الميلاد، استخدم الحديد الأحمر اللاذع لحرق البواسير المؤلمة. وأوصى «عند تطبيق الكي، يجب إمساك رأس المريض ويديه بحيث . . . يجب أن يصرخ؛ لأن هذا سيجعل المستقيم بارزاً للخارج أكثر» لحسن الحظ، ليس لدينا صورة توضيحية لهذا المثال. بعد ذلك، أوصى بوضع كمادات من العدس والخضروات على فتحة الشرج. لذلك من الأفضل أن تشطب حساء العدس من قائمة الأطعمة التي ستتناولها هذا الأسبوع.

يمكننا أيضاً أن نشكر أبقراط لإلهامه أجيال من الممارسين في الطب استخدام القضبان الساخنة. واحدة من الحكم الشهيرة له في الجسد، يثني فيها على الكي بعدة الدواء الشافي الذي يجب على الأطباء تجربته عندما لا تنجح الخيارات الأخرى: «في الكثير من الحالات عندما لا تنفع الأدوية، ينفع العلاج بالمشروط، إذا لم ينفع المشروط، فالعلاج بالنار ينفع، وإذا لم ينفع، حينها يمكن القول بأنه غير قابل للعلاج».

في القرن الأول، تبنى سيلسوس نظرية «النار يعالج كل شيء قابل للشفاء» وبادر بتطبيقها. فذكر: «كل العلل . . . عندما تكون متعسرة الشفاء ولا تقبل العلاج، فلا بد من الكي». يمكن وضع حديد الكي على الرأس من أجل الصداع حتى يتقرح الجلد. هل لديك سعال شديد؟ يجب استخدام الكي تحت الذقن والرقبة والثديين وتحت لوح الكتف. الصرع؟ سكتة دماغية؟ اكوي ما تبقى من هذا المريض المسكين.

مع اختراع البندقية، واجه الأطباء مشكلة كبيرة جديدة لم يكن أبقراط يعرف عنها شيئاً: جروح الرصاص. لم يكن الآباء المؤسسون للطب القدامى مضطرين للتعامل مع البنادق، لذا فإن الأطباء في القرنين الخامس عشر والسادس عشر كان عليهم فعل شيء حيال ذلك.

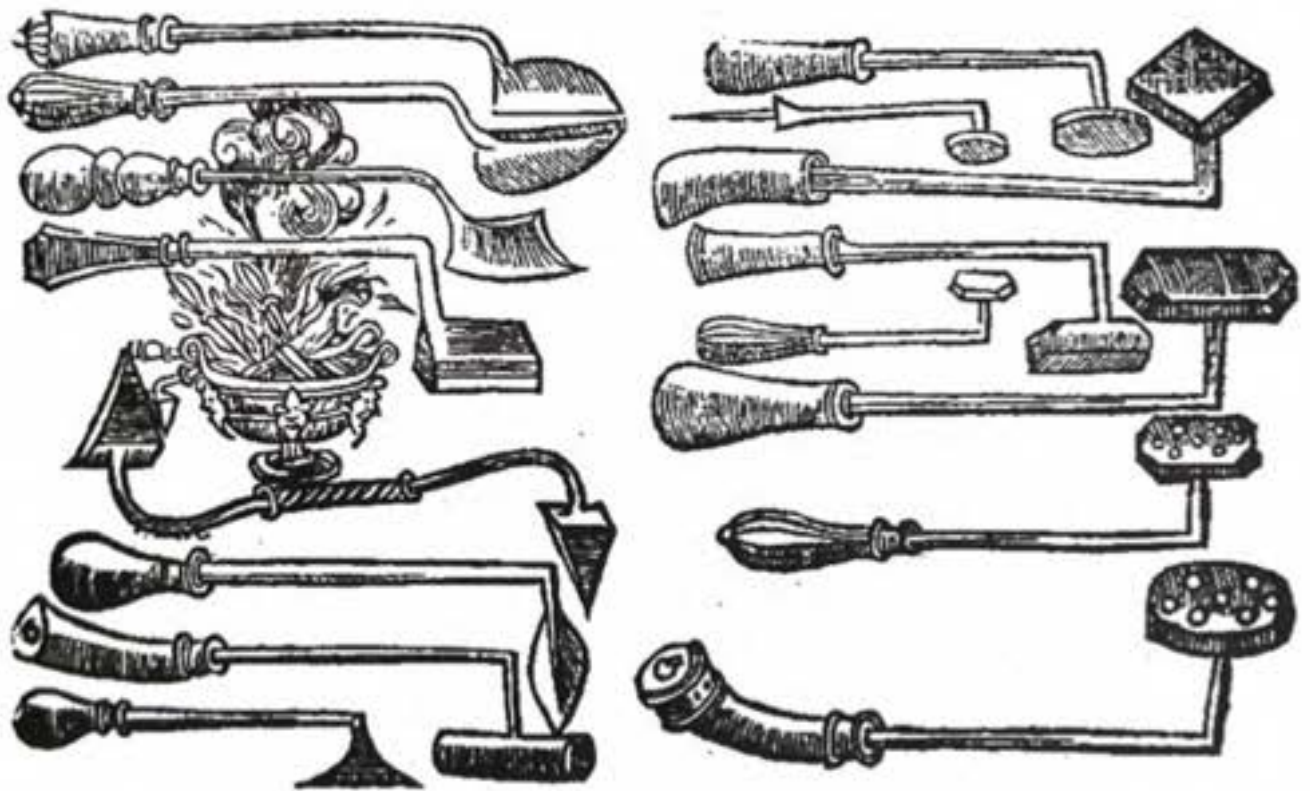
في الواقع، دعت الأوقات العصيبة إلى تخمين ما يجب أن يتبع في هذه الحالات، لجأوا إلى الزيت المغلي - حتى ظهر أمبرواز باريه على الساحة. عُيّن باريه في سن السابعة والعشرين ولم يكن قد أدى القسم بعد جراحاً، في أثناء



عالج الجراح الفرنسي أمبرواز باريه في القرن السادس عشر «الأعراض المروعة» بالكي
الحرب الثالثة بين فرنسا والإمبراطور الروماني المقدس، تشارلز الخامس، في
عام ١٥٣٧. عالج الجروح الناجمة عن البندقية بحسب كتابات الجراحين
المشهورين هيرونيموس برانشويغ وجوفاني دافيغو - عن طريق كي
الجروح بسبب الاعتقاد السائد بأن البارود سام. لكن كان لدى باريه مشكلة
صغيرة. نفذ زيت البلسان من أجل الكي. بدلاً من ذلك، استخدم وصفة
مؤلفة من صفار البيض وزيت الورد وزيت التربنتين على الجروح وذهب

إلى الفراش خوفاً من موت الجنود الجرحى جميعاً في الصباح. استيقظ من النوم على مفاجأة- كان المرضى المصابون بالكوي يعانون من جروح مروعة، لكن الجروح التي لم تُكوّ كانت تتعافى من دون ألم. بدأ باري في الشك في الممارسة القديمة، مشيراً إلى أن الكوي يسبب «أعراضاً مروعة... وغالباً ما يكون الموت نفسه».

كان اكتشاف باريه علامة فارقة، لكن الاطباء لم يكونوا قادرين على التخلي عن الزيوت والكوي حينها. كان الكوي لا يزال يستخدم في الجروح الناتجة عن طلقات نارية وبتر الأطراف بعد أكثر من مائتي عام في أثناء الحرب الأهلية الأمريكية. على الرغم من حقيقة أن باريه أظهر أن الأوعية المربوطة (لإيقاف النزيف) تعمل بشكل أفضل في عمليات البتر، فقد فرضت أوقات الحرب أساليب رخيصة وسريعة وسهلة. للأسف، لم تتضمن تلك القائمة من الإجراءات أساليب غير مؤلمة. المثير للدهشة بشكل غير متوقع، أن الألم الناتج عن الكوي هو الذي جعله شائعاً للغاية بالنسبة إلى بعضهم. دعنا نقدم لك المفهوم المحير للتهيج المضاد.



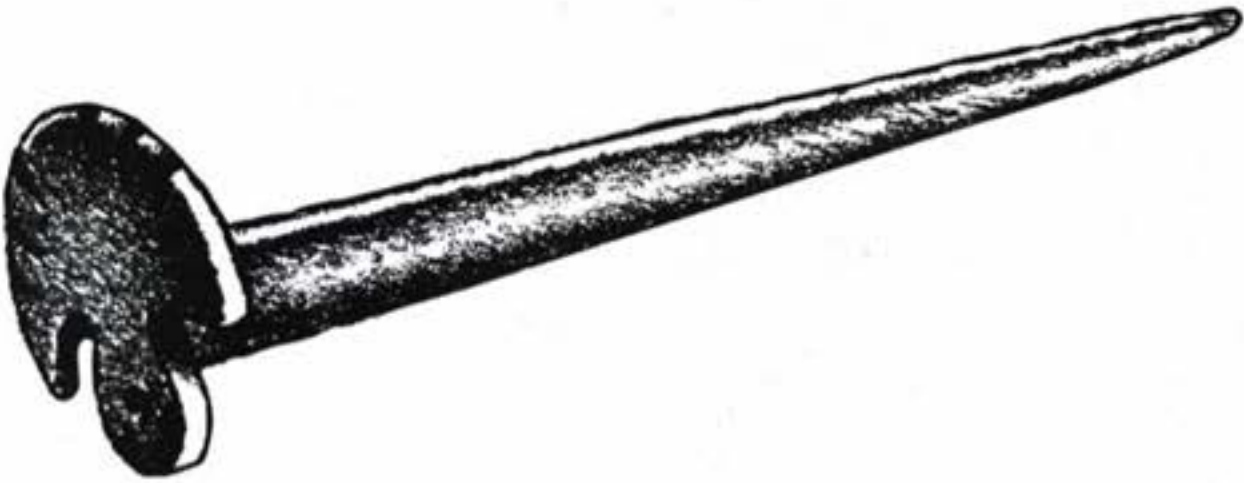
مجموعة متنوعة من أدوات الكوي (التعذيب)

مفتاح القديس هوبرت

لنفترض أنك تعرضت لعضة كلب تشيهوا هوا. يا له من يوم سيئ. داء الكلب لا علاج له. ولكن قبل أن يبدأ الزيد الرائع بالخروج من فمك، ولأنه ليس لديك ما تخسره، ما رأيك في غرز مسمار ساخن في مكان العضة؟

تعود هذه الفكرة إلى القرن الأول قبل الميلاد، عندما وصف سيلسوس الكي الفعلي لعلاج عضات الكلاب المسعورة. وإذا كنت حقًا جادًا بشأن حرق مكان عضة الكلب، سيصل الأمر بك إلى مفتاح سانت هوبرت. تبدو الأداة وكأنها مسمار. وسُمي على اسم قديس بلجيكي من القرن الأول. كان راعياً للصيادين وعلماء الرياضيات واختصاصي البصریات وعمال المعادن. (وصل ذلك المفتاح إلى ديفيد لي روث الذي كان يعمل مسعفاً طبيًا)، بعدما أعطاه إياه القديس بطرس لعلاج داء الكلب. الأمر الذي جعله مشهورًا.

لقرون بعد ذلك، صنع الناس نسخًا طبق الأصل عن الأداة، زاعمين أن مفتاح سانت هوبرت الساخن المحترق يمكن أن يمنع داء الكلب إذا كوى الجرح الناجم عن عضة الكلب. من الأفكار الجيدة



أيضاً، باستثناء علاج داء الكلب، إحداه جرح في جبهة الشخص الذي تعرض للعض، وإدخال خيط من ملابس سانت هوبرت، وتغطية الجرح بقطعة قماش سوداء.

عُلقت المفاتيح في المنازل، ظناً أنها تحميها. لسوء الحظ، امتدت الخرافة إلى درجة وسم الكلاب والأشخاص بالنار كإجراء وقائي لدرء داء الكلب.

احرق هنا، لا تحرق هناك: التهيج المضاد

في عام ١٨٨٢، استشارت مريضة الدكتور أ.ر. كارمان من نيويورك. كانت الشابة طريحة الفراش لأسابيع. لم تستطع متابعة عملها كمدرسة بسبب الصداع الشديد والأرق، كان المصطلح الشامل *malaise* «الشعور بالضيق» يفيد في وصف كل شيء ببساطة. بالتأكيد، كانت الصيدليات مليئة بالعلاجات التي قد تكون مساعدة - المقويات، والمنشطات، والمهدئات التي تساعد المريض على النوم المخدر اللطيف أو القيلولة وقت الظهر - لكن كان لدى الدكتور كارمان فكرة أفضل. كان لديه مرضى كحالتها، تعافوا بأعجوبة بعد القيام بسلسلة من الحروق في أعلى وأسفل العمود الفقري فكيف كانت حالها؟ حسناً، لقد تحسنت بعد علاجات الكي وعادت إلى العمل مباشرة. من الواضح أن هناك عوامل أخرى لعبت دورها. (إذا هددك شخص ما بحرقك بالمكواة الساخنة مرة أخرى إذا بقيت في السرير ليوم آخر، ألن تقفز من السرير وتعود إلى العمل بدلاً من ذلك؟). لكن بالنسبة إلى الأطباء في ذلك الوقت، كانت هذه الطريقة شائعة وتعدّ من عجائب التهيج المضاد عن طريق الكي.

لا يحدث التهيج المضاد عندما تصفع شخصاً ما لقوله شيئاً فظاً وتتلقي صفعاً لطيفاً بالمقابل (في الواقع، سيكون ذلك بمثابة تحريض لرفع دعوى قضائية). فالتهيج المضاد بحسب النظرية يكون بتهيج منطقة ما في الجسد بصرف النظر عن مكان المشكلة الفعلية، لجذب المرض إلى المنطقة المهيجة،

حتى تتمكن المنطقة الأصلية من الشفاء. الكتب مليئة بالحكايات، مثل الرجل الذي يعاني من «الهيجان» (يُعتقد أنه تهيج في الدماغ) الذي عُولج «بالتطبيق العرضي للنار على الأجزاء السفلية». عرضي؟ كيف يكون هذا عرضياً؟ لكن في بعض الأحيان، بدت النظرية ضعيفة جداً في مواجهة ما هو واضح وجلي. في عام ١٨٧٥، استخدم الدكتور تشارلز إدوارد براون سيكواري الكي «لإيقاظ الناس» من الغيبوبة العميقة (الذي لن ينجح عملياً - ربما كان قد أيقظ المرضى النائمين للتو). أُستخدم التهيج المضاد عن طريق الكي أيضاً لعلاج الحزن ومرض المستذئب «عندما تفشل جميع العلاجات الأخرى». ادعى الأطباء أنه عالج حتى الصداع وضربة الشمس والشلل. من المؤكد، على الرغم من ذلك، للكي تأثير كبير وهمي، فهو يبعد التركيز على المشكلة الفعلية. في عام ١٦١٠، أوصى جاك فيران بكي الجبهة بمكواة ساخنة من أجل مرض الحب. بالنسبة إلى التورم، أوصى طيبب من القرن الثاني عشر بما لا يقل عن عشرين حرقاً في جميع أنحاء الجسم، بما في ذلك الصدغ والصدر والكاحلين وتحت الشفة وعظام الترقوة والوركين. ليس مفاجئاً أن التهيج المضاد لم يكن محبباً للمرضى. كان لدى الدكتور كارمان ملاحظة أخيرة عن الكي توضح إلى حد كبير ذلك: «من الصعب أحياناً إقناع شخص جبان بأنه ليس إجراءً فظيماً». لكن النار لم تكن الأسوأ. كانت بعض الأساليب القديمة في التهيج المضاد فظيعة للغاية. مثل التقرح.

التقرح: قصة الخنفساء

لنفترض أنك اخترت الخيار الثالث من العلاجات المقترحة للصداع. ربما لأنك وجدت أن وضع المكواة على ظهر أحد ما ليقفز من سريره، أمر مروّع. عندها ستسعد بمقابلة خنفساء الزمردة الخضراء (الذبابة الإسبانية)، والتي تسبب التقرح.

مفتاح القديس هوبرت

في بعض الأحيان، لم يكن التقرح أو الكي كافيين لحل المشكلة. كلما زاد خروج الأخطا من الجرح، كان ذلك أفضل، أليس كذلك؟ لذلك في بعض الأحيان، تُفتح البثرة، أو تُستخدم مكواة كي لعمل فتحة صغيرة في الجلد. ثم تُدفع حبة البازلاء المجففة إلى الداخل. قد تسبب البازلاء مزيدًا من التهيج، ونأمل أن تنتج صديدًا غزيرًا. (نعتذر منك الآن عن عدم قدرتك على أكل البازلاء في الأسابيع القادمة). في بعض الأحيان، تُستبدل البازلاء أو يُضاف إليها خيط من الحرير أو الكتان أو شعرة من حصان ويُدخل تحت الجلد، ويفضّل أن يكون ذلك في مؤخرة العنق. ثم «يُنظف» الخيط يوميًا والذي يسبب تهيجًا أكثر بعد تغطيته بمرهم أساسه الراتنج.

كان الأمر أشبه بوضع الراتنج الصنوبري على قوس كمان والعزف على الجرح. يجب أن يكون الصوت المصاحب فظيعةً جدًا. فقط فكر في كل هذا القيح، ناهيك عن النحيب والصراخ.

أشتهرت الذبابة الإسبانية بوصفها منشطًا جنسيًا، لكن استخدامها بوصفها عاملاً لإثارة القيح يعود إلى قرون. الخنفساء كائن جميل - يبلغ طولها نصف بوصة وظهرها أخضر قزحي الألوان. من الأفضل رؤيتها وليس لمسها، حيث يحتوي جسمها على مركب يسمى الكانثاريدين، الذي يسبب ظهور تقرحات عند وضعه على الجلد. تحتوي ذكور هذا النوع الكانثاريدين أكثر من الإناث. عادة ما يُستخدم لإحاطة بيض



الأنثى للاحتفاظ به بعيداً عن الحيوانات المفترسة.

قدم مستوصف في لندن في أوائل القرن التاسع عشر وصفة تحتوي على رطل من مسحوق الخنفساء ورطل من الشمع ورطل من شحم الخنزير. كانت تُوضع العجينة على الجلد طوال المدة التي تستغرقها لإثارة القيح. أين؟ كان يعتمد. بشكل عام، على الهدف الذي هو خلق القيح بالقرب من المشكلة من أجل سحبها إلى السطح. لذلك كان يُقرّح البطن لأمراض المعدة، أو أسفل الساقين لمرض النقرس. إذا أصيب المريض بالهذيان، فيجب أن تكون القروح في رأسه بدلاً من ذلك. لسوء الحظ بالنسبة إلى بعضهم، سببت التقرحات الغرغرينا، حيث مات اللحم تحتها ببساطة وأصبح أسود اللون.

لماذا التقرّح إذن؟ يصف كتاب مدرسي طبي عام ١٨٤٥ نظرية رائدة للدكتور تشارلز ويليامز: كثير من الأمراض، مثل الحصبة، لا تتحسن إلا بعد تهيج الجلد. كان يُعتقد أن الطفح الجلدي دليل على المسار الصحيح للشفاء. وبذلك، آمن عدد لا يحصى من المعالجين أن تهيج الجلد يمكن أن يشفي، وترجع هذه النظريات إلى الأطباء اليونانيين القدماء.

وكلما كبرت مساحة التقرّح، كان ذلك أفضل. أما المواد التي أُستخدمت تُعرف باسم المنقّطات وكانت متنوعة مثل نكهات حلوى الجيلي بيلي. أُستخدمت طرطرات البوتاسيوم الأنتيمونية، التي تُستخدم عادة كمقيئ (انظر إلى فصل الأنتيمون)، كمرهم لإنتاج بثور مملوءة بالصديد تشبه الجدري. كانت الأحماض القوية فعالة أيضاً لكن يصعب السيطرة عليها. كان الزيت المغلي مجدياً وكذلك الماء المغلي. كلاهما يخلق بثورًا لطيفة ومؤلمة عبر حروق ذات سماكة جزئية.

مثل معظم علاجات الدجالين، أُستخدم التقرّح بوصفه ملاذًا أخيرًا لعلاج كل شيء تقريبًا: الهستيريا، التهاب الحنجرة، الوسواس، الالتهاب،

الحمى، الدفتيريا، التهاب الدماغ، حتى إدمان المواد الأفيونية في وقت متأخر من عام ١٩٢٩.

في بعض الأحيان، كانت تُفتح البثور للسماح بالتجفيف المستمر للسوائل، أو حتى أُستخدمت المراهم المقرحة لخلق مجموعة من البثور للحفاظ على "تصريف مستمر للأخلاق"، وفقاً لما ورد في مادة طبية تعود للقرن الثامن عشر. في بعض الأحيان، كان يُجمع السوائل، وفي عملية أُخرى نادرة الاستخدام تدعى العلاج بالفلكتين phlyctenotherapy، كانت تُحقن سوائل البثور بعد تجميعها مرة أُخرى في المريض.

إذن دعك من خيار التقرح فهو لا يناسبك. أعتقد أنك أخيراً ستختار الخيار الرابع. الإحساس بالسلام العالمي. لقد نجحت.

التقيح والكلي اليوم يستمر الكلي حتى اليوم، على الرغم من أنه بات إجراءً أقل فظاعة من قبل. بفضل التخدير، وبفضل تخلينا عن نظرية الأخلاق الأربعة ولأننا لم نعد نشعر بالذعر في عجزنا عند مواجهة المرض. يستخدم الجراحون أدوات الكلي الكهربائي

الحديثة بدقة. وتُركت المكاوي القديمة منذ مدة طويلة لتبرد في المتاحف في جميع أنحاء العالم.

لا يزال الناس يستخدمون نوعاً من الإلهاء عن الألم والتهيج عن طريق الفك بمراهم المشول أو الكابسييسين أو الكافور أو ساليسيلات الميثيل (برائحة نباتات وينترغرين العطرية) لألم الجسم أو الاحتقان. تميل هذه المراهم إلى إحداث إحساس خفيف بالوخز والحرق بدرجات متفاوتة، ولكن لا تُمتص بكميات كبيرة تضرّ بممر البلغم أو الكتف المؤلمة.

أما بالنسبة للتقرح، فهناك سبب وجيه لعدم وجود مكان له في عدة الطيب في العصر الحديث. لا يمكن أن "تُخرج" التقرحات المرض من الجسم حقاً. بات واضحاً سبب وجود المهيجات اللطيفة في مراهم

العضلات العلاجية على الرفوف، بدلاً من مراهم الذباب الإسبانية. تبدو المرممات وطرق التدليك الحديثة لطيفة بالفعل، طالما أنك لا تغطي مساحة كبيرة من الجلد (نعم، يمكنك في الواقع أن تتسمم حتى الموت من قبل تلك الكريهات). إنها آمنة نسبيًا، ولحسن الحظ لن تكون هناك فقاعات، ينز القيح منها.



الحقن الشرجية

التسمم الذاتي، الخوف من البتومين، الحقن

الشرجية للعامة، منضدة لتفجير السوائل في المستقيم، حراس الشرج

على أرضنا الآن، يوجد تمثال حقنة شرجية يزن ثمانمائة رطل. نعم. إنه تمثال من النحاس الأصفر يقع في الحمامات المعدنية في مدينة جليز نافودسك الروسية المشهورة بتطهير القولون. يبلغ طول الحقنة الشرجية حوالي أربعة أقدام ويحملها ثلاثة ملائكة ساذجين، ويوجهونها بمحبة نحو السماء. يبدو الأمر كما لو أنهم يدعون بإغراء بعض الأرداف السماوية إلى الأرض من أجل غسل لطيف للشرج. ياله من تكريم ذهبي ودليل على هوسنا بالحقنة الشرجية.

منذ وقت طويل مضى، كان البشر يركزون على أمعائهم. لطالما حارب الأطباء الوحش المسمى بالإمساك، وغالباً كان السيف في هذه المعركة هو الحقنة الشرجية. من المؤكد أن الإمساك مشكلة مزعجة لا يريد أحد، ولكن كان يُعتقد أن الحقن الشرجية تعالج جميع أنواع المشاكل إلى جانب الإمساك.

تعود كلمة الحقنة الشرجية enema إلى كلمة يونانية تعني «رمي» أو «طرد». في وقت لاحق، أصبح المعنى اللاتيني inject مرادفاً للحقن الشرجية. بينما كان مصطلح الحقنة الشرجية في القرن السابع عشر هو clyster، وهي كلمة أطف إلى حد ما، اشتقت من الكلمة اليونانية التي تعني «غسل».

على مر التاريخ، احتوت الحقن الشرجية مجموعة من المواد، بما في ذلك الماء، والخلطات العشبية، والحليب، والدبس، وزيت التربنتين، والعسل، والبيرة، والصابون، والنيذ، والزيوت. ماذا عالجت؟ مجموعة متنوعة من



الأمراض مثل السل، الاستسقاء، الفتوق، التهاب الزائدة الدودية، الاكتئاب، سوء التغذية، الصداع (قال والد موتسارت ذات مرة قولاً مشهوراً «المؤخرة تُشفي الرأس»)، السمنة، الخمول، مشاكل التنفس، الأمراض المنقولة بالحمى، العجز الجنسي والغرق وسعال

جرة إسبانية تعود لعام ١٦٠٠، مكتوب عليها «أنا جرة دون خواكين هيرنانديز، على الرغم من تفاني الشديد لدستور بلادي، أجد نفسي في هذه المناسبة أحقن بشكل مخجل على يد بعض العبيد»



جالينوس يدير عملية حقن شرجي، يبدو الكلب مستمتعاً إلى حد ما

الدم. في مكان ما في ذلك الكهف القابع في مؤخرة الإنسان المريض كان ثمة مكان مظلم يعد بالصحة، إذا غُسل بفعالية وبيد ماهرة.

كانت الأدوات أكثر بدائية، القرع المجوّف، والعظام على شكل أنبوب، أو المثانة الحيوانية. كما وُظف بعض الأشخاص كـ «نافخين» لدفع السوائل العلاجية دفعة صغيرة عن طريق الفم إلى

تلك الوجهة المظلمة. في القرون الأخيرة كان هناك محاقن مصنوعة بشكل جميل من المعدن والعاج يصل طولها إلى قدم واحدة، أو أنابيب بها حجيرات للضخ مزخرفة، أو مقعد يُجلس عليه ليُدفع بالسائل... إلى الأعلى. قد يعرف معظم الناس الأكياس المطاطية ذات الأنابيب المرنة والكرة المطاطية على شكل مصباح الخاصة بالحقنة الشرجية التي لا تزال موجودة حتى اليوم. كانت مجموعة المنتجات والسوائل العلاجية واسعة. أشهرها وأسوؤها سمعة تلك التي كان يستخدمها هتلر (شاي البابونج، ليس للشرب، ولكن كحقن شرجية «للتطهير» وفقدان الوزن بشكل محتمل). لماذا هذا الهوس بالحقن الشرجية؟

التسمم الذاتي:

ليس الأمر عبارة عن شرب غالون من البيرة

يعود سبب الإعجاب بالحقن الشرجية إلى مفهوم التسمم الذاتي، ونظرية أن البراز مليء بالسموم والعوامل الضارة. نحن نعلم الآن أن أمعائنا لا

تسممنا في الحال الطبيعية، ولكن الأمر استغرق بضعة آلاف من السنين لمعرفة ذلك.

أطلق قدماء المصريين اسم $wh^{\sim} dw$ ، على العنصر الفاسد الموجود في البراز الذي يسبب في المرض، وبذلك يجب تطهير الجسم عن طريق القيء والحقن الشرجية لمدة ثلاثة أيام في الشهر، وفقاً لكتابات هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد. ورد أن أبقراط، في المرحلة نفسها تقريباً، قال إن المرض ينشأ من الأبخرة الناتجة عن الطعام غير المهضوم في القولون. في القرن الثاني، اعتقد جالينوس أن أخلاط الجسد ستتعفن في ظل ظروف معينة، وطردها عن طريق البراز أمر مساعد.

ثم ظهرت نظرية مفادها أن جسيمات التعفن هذه قد تكون في الهواء مستعدة للتسبب في المرض. إضافة إلى نشأتها داخل الأمعاء، كان يُعتقد أن «بخار العفن (ميازما)» الذي هو عبارة عن هواء يحمل الأمراض يأتي من مستنقعات نتنة أو نباتات متعفنة. يُعرف أيضاً باسم الهواء الفاسد أو الهواء الليلي، وهو المسؤول عن كثير من الأوبئة، بما في ذلك الكوليرا والموت الأسود. لاقى هذا المعتقد رواجاً واسعاً لعدة قرون. في رواية جين آير، ذُكر أن التيفوس الذي قتل نصف الأيتام نشأ من «وباء يسببه الضباب». وحذرت إنغلز المدعو (با) في رواية بيت صغير في البراري من أكل البطيخ لأنه «نما في هواء الليل» وقد يصيبه «بالحمى» والمalaria، (التي تعني نفسها في الإيطالية «الهواء السيئ») التي كانت تضرب المستوطنين. لكن (با) أكل البطيخ على أي حال ونجا.

من السهل أن نفهم لماذا كان الإمساك مصدرًا نظريًا للتعفن - فالفضلات البشرية، بالنسبة إلى معظم الناس، مثيرة للاشمئزاز تمامًا، ومعرفة أن كومة الفضلات المثيرة للاشمئزاز جاءت من داخلك، يعني أن ذلك البراز بحد ذاته شيء مخوف بالمخاطر. ربما إذا قضى البراز فترات أطول في القولون ولم

تتكرر حركة الأمعاء، فإن هذه السموم القذرة سوف تتسلل إلى الجسم. ثم تصل العناصر المتعفنة إلى الدورة الدموية، مما يسبب الحمى والقيح والجنون والنزيف، ثم الحروب العالمية، ثم الغزوات الفضائية... فهمت! في القرن الثامن عشر، أكد يوهان كايمبف أن كل الأمراض تأتي من البراز الجاف القاسي الذي يكون «عالقاً» في القولون. وبذلك، إذا طردته بشكل أسرع بالحقن الشرجية، فستقل احتمالية إصابتك بالمرض. أو هكذا تقول النظرية.

في ثمانينات القرن التاسع عشر، أدى الخوف المحموم من «البتومين» إلى تفاقم هذه المعتقدات حول الشر الكامن في أمعائنا. البتومين هي المواد الكيميائية - بوتريسكين وكادافيرين (أسماء لذيذة!) - التي تجعل رائحة الأشياء المتعفنة كريهة ويُعتقد أنها المركبات المسؤولة عن المرض الشديد. في الأساس، كان الافتراض أن الجراثيم تستهلك المواد العضوية في أمعائك، وأن البتومين هو المنتج الثانوي. من الكلمة اليونانية $pto\bar{m}a$ التي تعني «الجسد الهاوي» أو «الجثة»، أُلقي اللوم على البتومين فيما يتعلق بأي مرض ينقله الطعام.

لم يقتصر الأمر على عدّ البتومين سبباً للتسمم الغذائي، بل كان يُعتقد أيضاً أنه يتواجد في براز الإمساك. (عدنا إلى التسمم الذاتي مرة أخرى!) وقد زاد هذا الخوف من أن البراز الداخلي وحده يصيب الناس بالمرض، بدلاً من أن يكون المنتج النهائي لعملية فسيولوجية صحية. يمكن لنظافة المستقيم أن تصلح الأمر كله، لأنه إذا كانت القذارة هي السبب الجذري للمرض (صحيح، في كثير من الحالات)، فإن نظافة القولون الداخلية يمكن أن تمنعه. نظرية البتومين كانت خاطئة؛ البكتيريا وسمومها، وليس البتومين يسبب في الواقع التسمم الغذائي، لذلك لم تعد النظرية صالحة للاستخدام. غسل اليدين؟ طريقة رائعة للوقاية من الالتهابات. غسل القولون؟ ليس كثيرًا.

إضافة إلى التسمم الذاتي كانت نظرية الأخلاط الأربعة منتشرة. لعدة قرون، وكانت الحقن الشرجية والنزيف والتطهير هي أساليب العلاج لكل شيء، ولا سيما إذا كانت السوداء (أحد الأخلاط الأربعة) المسؤول عن الكآبة ليست على طبيعتها. طرق العلاج هي جعل الصفراء والسوداء تتدفق خارج فتحة الشرج. عدت الحقن الشرجية المنقذ لكل الأشياء المختلفة في جسم الإنسان. أصبح حب الحقن الشرجية شديدًا لدرجة أن كتاب مولير المريض الوهمي سخر منها عام ١٦٧٣. عندما سُئل الطبيب مرارًا وتكرارًا عن كيفية علاج الاستسقاء، ثم الرئتين، ثم الأمراض المزمنة، كانت إجابته دائمًا هي عليك بالحقن الشرجية، ثم النزيف، ثم التطهير. ونعيد الكرة مرة أخرى.

المشهد هو افتتاحية مضحكة وناقدة جدًا للطب في ذلك الوقت وأسلوب العلاج الواحد الذي يناسب كل شيء والذي استمر لفترة طويلة جدًا.

حراس بوابة الشرج

في مصر القديمة، كان الاهتمام بالصحة والهضم أمرًا بالغ الأهمية لدرجة أن الحقنة الشرجية كانت جزءًا لا غنى عنه في الحياة. الوثائق من ١٦٠٠ إلى ١٥٥٠ قبل الميلاد وصفت الحقن الشرجية وكيف كان لدى الفراعنة خادمهم المتخصص للرعاية الصحية - الملقب بشرف «حارس الشرج». قد نضحك على هذه الفكرة، ولكن على عكس اليوم، كانت صحة الجهاز الهضمي السفلي في مصر القديمة موضع تقدير بأسلوب كوميدي أقل بكثير. روج أبقرات أيضًا لفوائد الحقنة الشرجية المحبوبة، من أجل «الحمى الشديدة» أو الحمى المتقطعة التي غالبًا ما تُلاحظ مع الملاريا. إذا لم يفلح ذلك، «تطهروا بحليب الحمير المغلي». وصف جالينوس، في القرن الثاني بعد الميلاد، خدمته لسيدة مريضة تسعل الدم. بصرف النظر عن فرك جسدها

وإعطائها الأفيون، «أعطيتها حقنة شرجية حادة» يا إلهي.
 في العصور الوسطى، بدأنا أولاً بعرض صورة لاستخدام الحقن الشرجية.
 هناك رسم توضيحي من القرن الخامس عشر لجالينوس وهو يصب السوائل
 عبر قمع في شرح شخص ما بينما يتسكع الآخرون في الغرفة. وفي الجوار،
 كلب يعوي أو يضحك؛ إنه غير واضح إلى حد ما.
 أصبحت الحقن الشرجية أسلوباً شائعاً في فرنسا في القرنين الخامس
 عشر والسادس عشر - ربما لأن الملوك أحبوا ذلك. أشيع أن الملك لويس
 الرابع عشر قد نِعِمَ بألفي علاج في حياته. في ذروة الجنون في فرنسا استخدم
 كثيرون الحقن الشرجية ثلاث مرات في اليوم الواحد للحفاظ على الصحة.



وسط فوضى التمرد البروتستانتي في القرن السابع عشر، يتلقى الملك لويس الرابع عشر حقنة
 شرجية في أثناء جلوسه على العالم.

وقد اُشتهر هذا الإجراء على يد دوق بورجوندي التي كانت تُبقي خادمها تحت ثوبها ليصرف على عملية الحقن الشرجية. أمام الملك! طبعاً، لكن كانت مؤخرتها مغطاة في أثناء الحقنة الشرجية. الأمر يجعلك مسروراً لأنك لست جزءاً من بلاط لويس الرابع عشر الملكي أو أحد الخدم المسؤولين عن الحقن الشرجية. مهما كانت تلك الحقن مزخرفة ومرصعة بالمجوهرات.

الحقن الشرجية ذاتية الاستخدام

في أواخر القرن التاسع عشر، بدأ المخادعون في استغلال مخاوفنا من التسمم الذاتي بمجموعة من المنتجات. باع ألكينوس بيرتون جاميسون «منظف القولون» إضافة إلى «حمام النافورة الداخلية» على شكل حدوة حصان، مع محاولته تخويف زبائنه بشأن «الوباء الناتج عن امتصاص السموم» داخل الأمعاء. كان المرضى المتحمسون يُربطون على طاوولات مائلة بإحكام لتسير الأمور على ما يرام. لكن «د. يونغ» سارت علاجاته في الاتجاه الآخر. كانت لديه «موسعات المستقيم ذاتية الاستخدام» (انظر فصل الجنس) قصيرة ومؤلفة من عصي ذات حجم متزايد، توصف لعلاج الإمساك والبواسير. لأنه لا يوجد شيء يهدئ آلام البواسير مثل تثبيت عصا مطاطي سميك في مؤخرتك.

سنأخذ الآن استراحة قصيرة لمقابلة الدكتور تشارلز أ. تيريل (١٨٤٣ - ١٩١٨)، الذي ربما يستحق تاج الشعوذة بسبب أدواته الخاصة بالإمساك. نبدأ بالقصة التي سردها بنفسه. ادعى قبل مسيرته الطبية، أنه سافر إلى مناطق غربية بما في ذلك نيوزيلندا وجنوب أفريقيا والشرق الأقصى؛ تناول العشاء مع الشعوب الأصلية وعانى من أمراض مثل الملاريا والتيفوئيد والزحار. كما أصيب بالشلل جراء إصابته بطلق ناري في الهند. ولكن حتى عام ١٨٨٠ عندما أصيب بنوبة شلل ثانية، لأسباب غير معروفة، جاءت الحقن الشرجية

للإنقاذ. قرأ أطروحة طبيب تمجد القدرة العلاجية للحقنة الشرجية والتي تعالج كل شيء. وبعد سنوات من العلاج الذاتي للشلل، أُوحي له البدء بمنهج علاج للمستقيم وفتحة الشرج. افتتح تيريل المعهد الصحي في مدينة نيويورك وأعلن، «هناك سبب واحد فقط للمرض» وهو الإمساك.

الحقن الشرجية للإنقاذ! (ها قد عدنا)

استمرارًا مع نظرية التسمم الذاتي في الماضي، اعتقد تيريل أن الأمراض مثل الامساك، وآلام المفاصل، والكوليرا، والزحار كانت بسبب التعفن الناجم عن القناة الهضمية، لذلك كان من الضروري اتخاذ تدابير متطرفة لطردهم. كانت معظم الحقن الشرجية في ذلك الوقت تتكون من كيس مطاطي مملوء بسائل وتستخدم الجاذبية لإدخال محتوياته في المريض المتكئ، عبر أنبوب وفوهة. لكن حقنة الدكتور تيريل كانت مختلفة والتي تسمى كاسكيد «J.B.L. Cascade». يرمز J.B.L إلى «الفرح، والجمال، والحياة» كما زود بميزة "حمام داخلي"، عبر زجاجة مطاطية كبيرة تحتوي على خمسة لترات من السائل. فوهة بارزة من المركز، لذلك يمكن للباحث عن الصحة أن يضع نفسه عليها وهو في وضع الجلوس. سوف يضغط وزن الشخص على الخزان ويفجر محتواه، بقدر ما يشاء. لقد أوصى بحقنته كاسكيد أربع مرات في الأسبوع وكان سعيدًا بالترويج لبضاعته باستخدام اقتباسات مما قاله العملاء الراضين. يُقال إن إحدى الزوجات التي شبَّ حريق في منزلها، سارعت لانتشال حقن كاسكيد من الحريق بدلاً من أي شيء. نأمل، لم يكن لديهم أطفال. رجل نبيل آخر وهب ابنته حقنة كاسكيد في حفل زفافها. كم كانت هدية فاضحة ومحبة. للأسف ليس لدينا مثل هذه الهدايا في قائمة متطلبات الزفاف في يومنا هذا.

في وقت لاحق من القرن العشرين، واصل الطبيب من مواليد ألمانيا ماكس جيرسون حملته لإزالة السموم وتحقيق ربح جيد. في بداية حياته

المهنية، كان النظام الغذائي النباتي قد أنهى نوبات الصداع النصفى، وادعى أنه عالج نوبة مزعجة من السل. وألقى باللوم على الملوثات البيئية في الجسم. وفي عشرينات القرن الماضي، ادعى بأنه يمكن علاج السرطان أيضاً، وأوصى بالحقن الشرجية التي تحتوي على العصائر النباتية والفيتامينات وإنزيمات البنكرياس والقهوة وزيت الخروع، إضافة إلى علاجات غاز الأوزون من المستقيم. لماذا استخدام حقنة القهوة الشرجية؟ على ما يبدو، فقد ساعد في إزالة السموم من الكبد (وهو ما لا يفعله حقاً). انتهى الأمر بجيرسون إلى الموت في ظروف غامضة - تدعى ابنته أنه تسمم بالزرنيخ. ومع ذلك، لا يزال معهد جيرسون يروج لمزاعمه وكثير من الناس على استعداد للاعتقاد بفاعلية الحقن الشرجية للقهوة.

The J. B. L. CASCADE



Is the only Perfect Appliance for Administering the

INTERNAL BATH

Continuous Good Health

without the aid of drugs, in a position more easily solved than some may imagine. My want to send to every reader, whether sick or well, with my compliments, a copy of a treatise on the restoration and maintenance of good health by Dr. Chas. A. Tyrell, the famous and successful exponent of SCIENTIFIC INTERNAL BATHS treatment of internal ailments. This work gives indisputable facts and symptoms, showing that a great majority of human ailments emanate from disordered stomachs and inactive intestines. The colon or large intestine, which is the physiological sewer, is the seat of great trouble. The colon after becoming clogged with impure waste matter, congesting the entire drainage system. By the clogging, for a short time only, of the human sewer, like a temporary clogging of the city drainage-system and suffering are bound to immediately follow. Dr. Tyrell also demonstrates that the only rational way to thoroughly cleanse the human sewer is by the flushing of the colon with purifying antiseptic water and that the only logical method of administering it is by means of the J. B. L. CASCADE, square does not permit further detail here. The book must be read to understand and appreciate the true merits of the

"J. B. L. CASCADE" TREATMENT

The following ailments and diseases quickly succumb to Dr. Tyrell's treatment: Constipation, Dyspepsia, Headache, Insomnia, Indigestion, Loss of Appetite, Liver Troubles, Nervousness, Stomach Troubles, Vertigo, etc. It is the only treatment that gives instant relief to almost every ailment by acting on digestion. By its use one human strain against Typhoid and Malarial diseases. It

PREVENTS and CURES APPENDICITIS

The J. B. L. CASCADE TREATMENT is used and prescribed by hospitals in all parts of the country, by health societies, like the National Health Club, and by hundreds of physicians all over the world. Lack of space prohibits the publication of testimonials, but in numerous papers you will read pages of unvarnished testimonials of prominent people who praise the treatment without stint and are glad to testify to personal letters.

One J. B. L. Cascade will keep an entire family in good health. It will save hundreds of dollars each year in doctor's and druggist's bills. Write for our booklet, entitled, "The What, The Why, The Way." You will thank us for the suggestion.

TYRRELL'S HYGIENIC INSTITUTE, Dept. 702 1562 Broadway, New York
Incorporated under the Laws of the State of New York

Send Postal request for Sample Copy of HEALTH, America's foremost Magazine, Devoted to Health, Physical Culture & Hygiene.

سعادة، جمال، حياة، فقط
بمجرد نفخة من الحقنة
الشرجية

الحقن الشرجية اليوم

من الصعب القضاء على فكرة التسمم الذاتي. اليوم، يستمر الناس في تلقي العلاج عبر عملية تطهير القولون بحجة «إزالة السموم» على الرغم من الحقائق المناقضة. منذ أن أُستُخدمت الحقن الشرجية في حالات الإمساك للمساعدة (حتى لو لم تعالج بالضرورة)، أصبحت دعامة أساسية في عالم الطب ومتوفرة في كل مكان. يمتلك المستقيم والقولون السفلي القدرة على امتصاص السوائل والأدوية، ومن هنا جاء وجود التحاميل. لكن ما تغير هو سبب استخدام الحقن الشرجية.

لم يعد الطب الخلطي و «النزيف والتطهير والحقن الشرجية» طرقاً دقيقة علمياً لعلاج الأمراض الآن بعد أن فهمنا أسبابها. سقطت فكرة البتومين من الوعي العام؛ لأن معظم الناس يقبلون أن التسمم الغذائي يحدث من أسباب مرضية مثل السالمونيلا والعصيات القولونية.

في عام ١٩١٢، كتب الدكتور آرثر جاي كارمب مقالاً في مجلة جاما عن تيريل وحقنته الشرجية كاسكيد، وقال بأن شهادته المهنية بالكاد تكون شرعية وقد أُصدرت على أيدي صانعي أدوية براءات اختراع، من غير الأطباء، الذين كانوا مفلسين ذلك الوقت. أطلق تيريل على نفسه اسم طبيب منذ أن أسس معهد الصحة الخاص به، على الرغم من أنه حصل على شهادة الطب في أواخر الخمسينيات من عمره، أي بعد مرور سنوات من افتتاحه المعهد. حصل على شهادته من معهد اكلكتيك Eclectic المشكوك فيه.

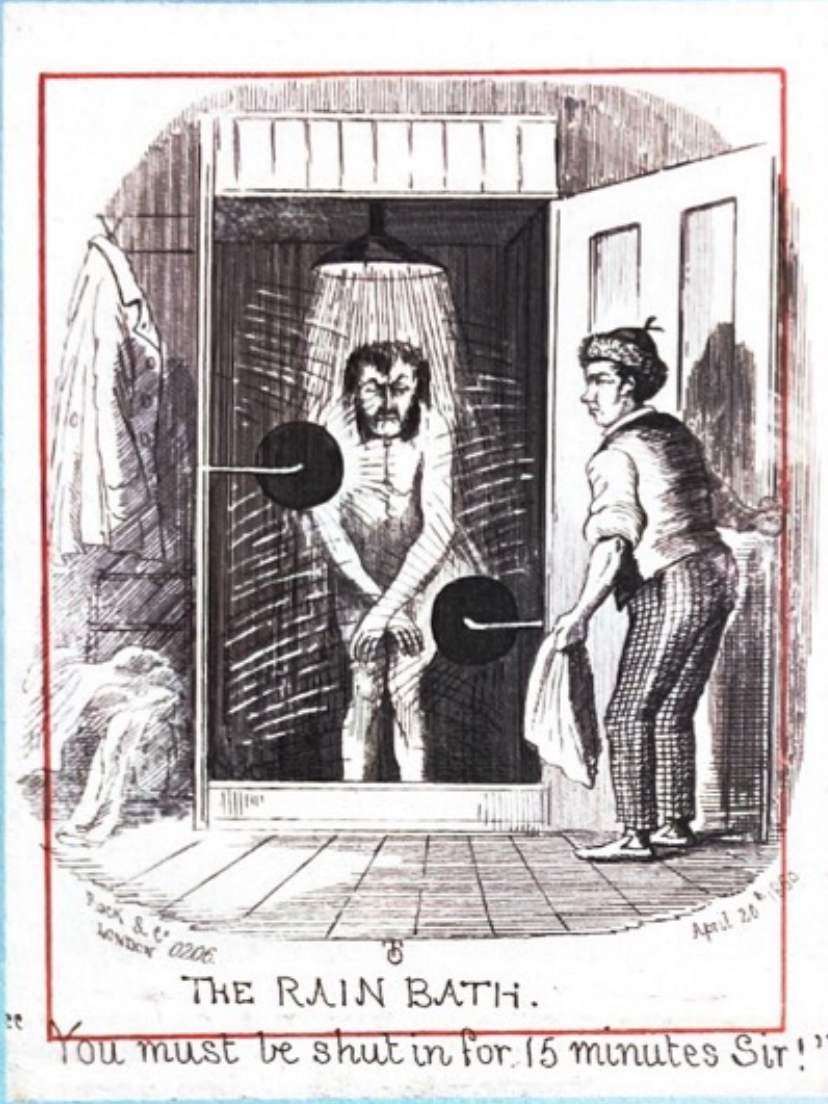
وفي عام ١٩١٩، كشف مقال في جاما للدكتور والتر سي ألفاريز أكذوبة التسمم الذاتي وبتّ بأمره. وانتقد الأطباء الذين تجاهلوا ارتفاع ضغط الدم وأورام الرحم وأمراض الكلى وركزوا فقط على الإمساك بوصفه سبباً لكل شيء. وأشار ألفاريز إلى أن جدار الأمعاء ليس باباً مفتوحاً يحتوي على مسام للسموم وأن فلورا القولون مفيدة وليست ضارة. كان على الطبيب أن يعرف

السبب قبل «حقن مرضاه بالخوف» وتجاهل «الجراحين المستعدين لتعطيل جزء من القولون».

ومع ذلك، فإن مفهوم إزالة السموم و«التطهير» عن طريق الأمعاء لا تزال صناعة تقدر بمليارات الدولارات، وذلك بفضل شهادات التزكية والكلمات الرنانة والتسويق الممتاز. يمكن للمرء أن يقول إن القولون ظل في وعي الجنس البشري كما كان دائماً.

لا تزال فكرة جيرسون عن استخدام الحقن الشرجية للقهوة في علاج السرطان أيضاً نظاماً علاجياً يمارسه المعالجون البديلون بنشاط، على الرغم من دراسة المعاهد الوطنية للصحة التي أظهرت أن المرضى المصابين بسرطان البنكرياس يعيشون لفترة أطول مع العلاج الكيميائي التقليدي. سيكون هناك دائماً أنصار حقنة القهوة الشرجية:

لكن من فضلك، حباً بأبقراط، لا تستخدم القهوة الساخنة المغلية.



العلاج بالماء والماء البارد

المشاكس النمساوي، تأسيس العلاج بالماء وطرق

مدهشة وكثيرة للنقع في المياه الباردة

كان فينسينز بريسنيتز يبلغ من العمر ثمان سنوات فقط عندما أصيب والده بالعمى في عام ١٨٠٧. ثم تبع تلك المأساة وفاة أخيه الأكبر بعد أربع سنوات، فبات فينسينز الراعي الأساسي للعائلة ومزارعهم في جبال الألب النمساوية.



في أحد الأيام، كان بريسنيتز البالغ من العمر ثمانية عشر عامًا، يقود عربة محملة بالشوفان إلى مزرعة مجاورة عندما هاج حصانه. قفز لتهدئة الحصان، لكن الحيوان ركله برجليه الخلفيتين، مما أدى إلى إخراج أسنانه الأمامية وإلقائه مباشرة أمام العربة التي انقلبت عليه على الفور. أغمي عليه من

فينسينز بريسنيتز يرتدي لباساً كمجرم

آلام كسور متعددة في الضلوع وضرر داخلي كبير.

استيقظ على يد جراح زائر، الذي أكد أن بريسنيتز ميؤوس من أمره. وقال بأنه قد يعيش إذا حالفه الحظ مع إعاقة ستدوم لبقية حياته.

ومع ذلك، كان فينسينز بريسنيتز مشاكس. نمت برأيه. لم يستسلم بهذه السهولة. بعد أن ألقى جانباً كمادات الجراح الساخنة حول ضلوعه المكسورة، التي كانت تزيد من ألمه، نهض بريسنيتز من السرير، ووضع كرسيًا خشبيًا على بطنه، وأخذ نفسًا عميقًا، وأعاد ذلك المراهق أضلاعه إلى مكانها، وتخلص من الضغط المؤلم على أعضائه الداخلية.

بينما كان مستلقيًا في السرير يتعافى من مشاكسته، تذكر بريسنيتز مشهدًا في الغابة بعد ظهر أحد الأيام عندما لاحظ غزالًا يعود عدة مرات إلى نبع بارد ليغسل جرحًا. قام بتطبيق الأسلوب نفسه على وضعه الحالي، وعالج إصاباته بسلسلة من الكمادات المصنوعة من مناشف كتان مبللة بالماء البارد، على عكس كمادات الماء الساخن التي أوصى بها طبيبه. كما بدأ بشرب كميات كبيرة من الماء البارد وتغيير الضمادات بانتظام.

نتيجة لذلك، ربما كان متوقعًا لجماهير العصر الحديث، نجا بريسنيتز من



الإصابة، ومنع الحمى من أن تتفاقم، وعالج نفسه وعاد ليتولى الإشراف على العمل في المزرعة بعد أيام قليلة من وقوع الحادث.

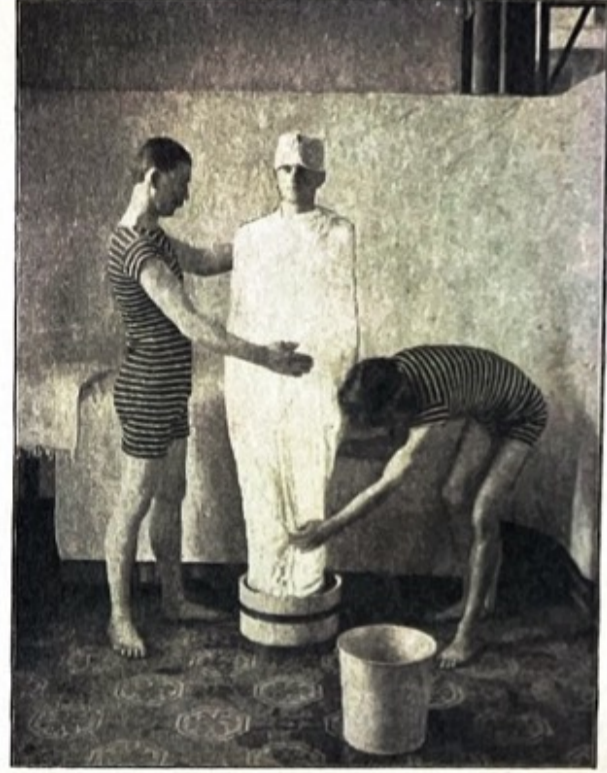
على الرغم من أنه لم يدرك ذلك حينها، إلا أن بريسنيتز اكتشف «علاج

الماء البارد»، وهي ظاهرة سرعان ما اكتسحت المجتمع الطبي في أوائل القرن التاسع عشر وجعلته رجلاً ثرياً ومشهوراً.



لا ترح نفسك

اليوم، تُعدّ الاستنتاجات الطبية لبريسنيتز إلى حد كبير منطقية. شرب كثير من الماء، وتغيير الضمادات بانتظام،



المحافظة على نظافة الجروح. لكن في أيام بريسنيتز، لم تكن أي من هذه الممارسات شائعة. أعاد بريسنيتز بناء منزله وحوّله إلى مصحة، أطلق عليها اسم مصحح جرافنبورغ للعلاج بالماء، في عام ١٨٢٦ انتشرت الأخبار بسرعة عبر جبال الألب النمساوية عن صبي أنقذ نفسه من الموت، يمكنه علاج المرض والإصابات بالماء البارد.

وصلت شعبية بريسنيتز ونجاحه إلى أبعد الحدود، وهذا يزودنا بنظرة ثاقبة عن حالة الظروف الصحية المروعة في وقت مبكر من القرن التاسع عشر في أوروبا. تخيل الأيام التي كان بإمكانك فيها تحقيق مهنة ناجحة كطبيب عبر نصح الناس ببساطة بالاستحمام كثيرًا. وسرعان ما اصطف الملوك الأوروبيون أمام مصحح بريسنيتز ليتلقوا العلاج بالماء.

نشأ المقلدون في جميع أنحاء أوروبا. في إنجلترا، أُفتتحت كثير من المراكز التي يطلق عليها «معاهد المعالجة بالماء»، مما جذب انتباه مجموعة من الشخصيات البارزة في العصر الفيكتوري مثل توماس كارليل، وتشارلز ديكنز، وألفريد لورد تينسون.

كانت معاهد العلاج بالماء مختلفة اختلافًا طفيفًا لكن جميعها يدور حول

موضوع مشترك: استحم كثيرًا واشرب المزيد من الماء. ومع ذلك، تباينت تقنيات معينة من معهد إلى آخر. على الرغم من أن مفاهيم الاستحمام والترطيب صحيحة، إلا أن العلاج بالماء، مثل كثير من علاجات الدجل، أودى بأفكاره الجيدة إلى أبعاد خطيرة. فيما يأتي بعض طرق المعالجة المائية التي ستجدها في معاهد المعالجة المائية في القرن التاسع عشر:

غطاء مبلل في علاج يبدو أنه مستوحى من الأعراض التي يعاني منها ضحايا الحمى، كان المريض يُلف بإحكام في ملاءة مبللة بالماء البارد، ثم يُطلب منه الاستلقاء. بعد تجفيف الملاءة، يبدأ المريض في التعرق بغزارة من لف الجسم بشكل ضيق. في النهاية، تُزال الملاءة ويُلقى بالمريض في بركة من المياه الباردة، يتبعه تجفيف صارم. كان هذا العلاج البارد - الساخن - البارد جيدًا للبقاء مستيقظًا، ولكن ليس فكرة محبذة إذا كنت مريضًا بنزلة برد، أو حمى، أو أي شيء آخر.

الثوب المبلل كان المريض يرتدي ثوب نوم فضفاضًا، منقوعًا بالماء البارد، في أثناء تجوله في أنحاء المعهد، وكان ذلك أول عرض لموضة "مظهر القميص المبتل". (لحسن الحظ، للتوافق مع معايير اللياقة الفيكتورية، كانت هناك أجنحة منفصلة للرجال والنساء.)

في بعض الأحيان كان المرضى ينامون في ثوب مبلل. أصبح هذا الفستان المنتفخ شائعًا للغاية في عصر مشد الخصر للنساء والتنورات الداخلية، وقاد إلى موضة أزياء نسائية جديد تمامًا: البنطلونات (bloomer) نسبة للصحفية أميليا بلومر، التي كتبت بشغف وبشكل متكرر عن موضة الملابس الدارجة الشبابية من الفستان المبتل الذي قدمته إليزابيث سميث وإليزابيث كادي ستانتون). كانت الفائدة الحقيقية الوحيدة لارتداء فستان مبلل هي الاستراحة المنعشة لجسمك من مشد الخصر. أما البرودة والرطوبة؟ كان هذا مجرد عقبة أمام جسمك للتغلب عليها حتى تتمكن من الاستمتاع بهذا الفستان المنسدل بحرية.

الحمام البارد كانت هذه الممارسة، المألوفة لقارئ اليوم، بمثابة صدمة كبيرة لمريض علاج الماء في القرن التاسع عشر. تذكر أنه كان عصرًا يقال فيه «أعتقد أنني استحمت في وقت ما في كانون الثاني الماضي، لذلك ما زلت نظيفاً لفترة من الوقت». لا توجد بالضبط ثقافة الاستحمام. أنشئت بعض معاهد المعالجة المائية بالقرب من مياه النهر الباردة لتلقي المرضى من ارتفاع لا يقل عن عشرة أقدام على رؤوسهم، وهي ممارسة أدت فعلياً إلى موت بعض المستحمين المساكين. في الشتاء (وبالمناسبة لم تكن تعطل معاهد المعالجة بالماء في الشتاء)، كان على المرضى أيضاً تفادي سقوط الكتل الجليدية المتدلّية. كانت النجاة من العلاج بالحمام البارد في معهد المعالجة المائية إنجازاً يكافئ عليه حقاً. أما حقنة الماء الشرجية لا داعي للشرح عنها، اسمها يدلّ عليها.

تشارلز داروين



كان تشارلز داروين من المتحمسين للعلاج بالمياه. عانى العالم طوال حياته من مرض غامض وغير مشخص ترافقه مجموعة غريبة من الأعراض.

نتيجة لذلك، أمضى داروين معظم وقته في تجريب التطورات الطبية الجديدة، بما في

ذلك العلاج المائي. (ملاحظة: بعد أن حير الموضوع المؤرخين الطبيين لسنوات عدة، استنتج كثير من الخبراء الآن أن داروين عانى من مرض كرون). كتب داروين عن علاجه في معهد المعالجة المائية: "لا أستطيع على الأقل أن أفهم كيف يمكن للمعالجة المائية أن تكون فاعلة كما هي معي. إنه يُضعف دماغ المرء بشكل رائع، لم أفكر في أي صنف من الأنواع منذ مغادرة المنزل".

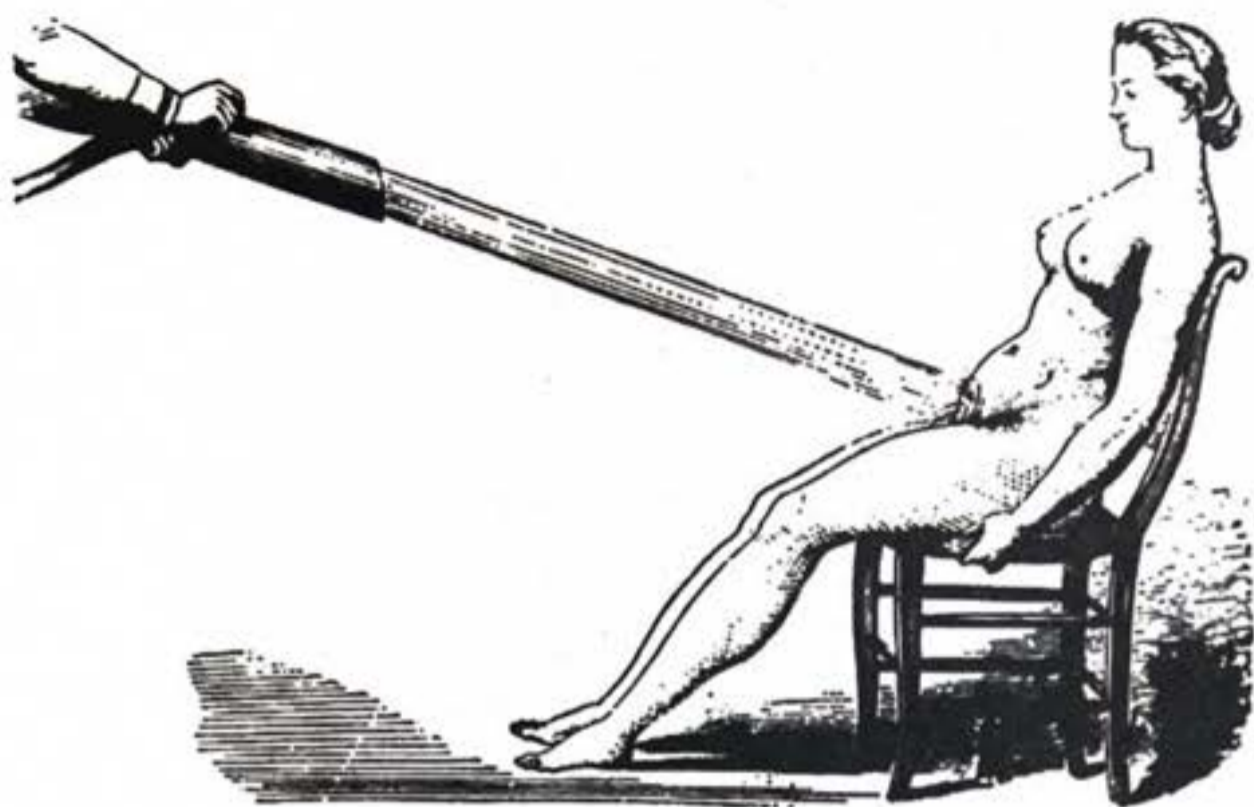
إنه ثناء كبير في الواقع من شخص مهووس بتطور الأنواع.

على الرغم من أن العلاجات التي تلقاها المرضى في معاهد المعالجة المائية غير مريحة في كثير من الأحيان، إلا أنها كانت على الأقل طوعية. يمكنك أن تأتي وتذهب كما يحلو لك. ولكن، لم تكن حريات الاختيار والحركة البسيطة هذه من الكماليات التي يتمتع بها المرضى في المصحات العقلية في القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، حيث كانوا يُغمرون بشكل متكرر بالماء البارد أو يُغرقوا في الحمامات في محاولة لإثارة الخوف لديهم بحجة «تصحيح» سلوكهم.

مع تقدم القرن التاسع عشر، تطوّر أطباء المصحات العقلية نسبيًا، وبدأوا في استخدام العلاج المائي بطريقة غير عقابية. أو على الأقل هذا ما شعروا به حيال ذلك. استخدموا مجموعة متنوعة من تقنيات المعالجة المائية لتهدئة المرضى، أو إحداث «صدمة» لإخراج الجنون من أدمغتهم، أو تخفيف حرارة الجنون على ما يبدو. ومع ذلك، ربما شعر المرضى أن تقنيات المعالجة المائية اللاحقة كانت عقابية للغاية:

صب الماء البارد: أوصى به الدكتور بنجامين راش، «أبو الطب النفسي الأمريكي». يهدف سكب الماء البارد إلى «السيطرة على المرضى المجانين» عن طريق صب الماء البارد في أكمام معاطفهم.

حمام ساخن متواتر: تخيل أنك محاصر في حوض استحمام ساخن لا يمكنك الهروب منه. كان المريض يُنزل في حوض تتدفق فيه باستمرار المياه التي تتراوح درجة حرارتها بين ٩٥ و ١١٠ درجة. ثم يُغطى الحوض بملاءة بها ثقب حتى يتمكن المريض من إخراج رأسه عبرها. يبقى المريض في الحوض لمدة تتراوح بين بضع ساعات إلى بضعة أسابيع. وصفت ممرضة سويدية العلاج: «يمكن للمرضى العيش هناك لمدة ثلاثة أسابيع في كل مرة في الحمام. كانوا ينامون في أحواض الاستحمام أيضًا. قمنا بإطعامهم في الحمام ونضع كؤوس الشرب في أفواههم. . . . إنهم يتبولون ويتغوطون



في الماء بالطبع... أصبح بعض المرضى أكثر هدوءًا بسبب ذلك حقًا! لقد أرهقهم الحمام».

الدوش: نوع مختلف من الدوش الذي خطر ببالك. كان هذا الدوش عبارة عن تيار من الماء البارد يتساقط باستمرار على رأس مريض مقيد. كان مخيفًا جدًا، وغالبًا ما كان ينتج عنه الإغماء والقيء والإرهاق والصدمة.

دوش الحوض: خرطوم مائي تخرج منه المياه بضغط عالي يستهدف الأعضاء التناسلية، وهو بديل أكثر متعة لوسيلة «الدوش» المذكورة أعلاه.

أستخدم «دوش الحوض» لعلاج جميع «اضطرابات المرأة» مثل تشخيص الهستيريا الذي انتشر في القرن التاسع عشر. كان الهدف، بالطبع، هو

الحصول على الفوائد المبهجة للنشوة الجنسية، على الرغم من أنه لم يطلق أي شخص شارك في دوش الحوض هذه التسمية في ذلك الوقت. في عام

١٨٤٣، كتب طبيب فرنسي وصف شعبية دوش الحوض بين مرضاه النساء: «تخلق النشوة الجنسية الناتجة عن الدوش، والتي تسبب احمرار

الجلد وإعادة التوازن، إحساسًا مُرضيًا وسارًا لكثير من الأشخاص، مع

ضرورة اتخاذ الاحتياطات بعدم تجاوز الوقت المحدد، والذي عادة ما يكون أربع أو خمس دقائق».

النقع: هل تذكر المشاركة في تحدي دلو الثلج في عام ٢٠١٤ والذي جمع كثيرًا من المال لمرضى التصلب الجانبي الضموري؟ كان النقع في الماضي تحديًا إلزاميًا، وليس لسبب وجيه.

آلة التقطير: يوضع دلو فوق رأس المريض يقطر ببطء على منطقة معينة في جبين المريض. هذه هي التقنية نفسها التي يُطلق عليها عادةً «التقنية الصينية للتعذيب بالمياه» (على الرغم من أنه من المفترض أن يكون هذا اختراعًا إيطاليًا في وقت ما في القرن الخامس عشر أو السادس عشر).

ثمانية أكواب؟ جرب ثلاثين

كان تناول الماء البارد بكثرة هو أحد العلاجات المميزة في معهد العلاج المائي. تنبع نصيحتنا الطبية الحديثة بشرب «ثمانية أكواب من الماء يوميًا» من علاجات المعالجة المائية، على الرغم من أنها أكثر اعتدالًا من حيث الكمية. في إحدى معاهد العلاج المائي، أفاد مريض بشرب ثلاثين كوب ماء قبل الإفطار!

بالطبع، كان من المحتم أن يتبنى بعض الدجالين أفكارًا جيدة مثل شرب الماء، ويبالغوا بها حد الإفراط. أدخل الدكتور فريدون بتمانغليج، الذي صدر كتابه الشهير «صراخ جسمك المتعددة من أجل الماء» في عام ١٩٩٢. وادعى بتمانغليج أن الجفاف هو مسبب «لكثير من الأمراض التنكسية المؤلمة والربو والحساسية وارتفاع ضغط الدم وزيادة وزن الجسم وبعض المشاكل العاطفية، بما في ذلك الاكتئاب». العلاج؟ اشرب ماءً كثيرًا من الماء.

رؤج بتمانغليج لنفسه قصة أصلية مقنعة: بينما كان الطبيب سجينًا

سياسيًا في إيران، غالباً ما كان الحراس يأمرونه بمعالجة زملائه السجناء. وبسبب الافتقار إلى الأدوات الطبية المناسبة، لجأ الطبيب إلى الشيء الوحيد المتاح له: الماء. وخلص إلى أن الألم هو حقاً وسيلة الجسم للمطالبة بمزيد من الماء. لذلك أصبح الماء علاج بتمانغليج أساساً لكل شيء.

ومع ذلك، كانت معرفة الطبيب رديئة بعض الشيء. ادعى في كتابه أن الماء كان مصدرًا رئيسًا لطاقة الدماغ والجسم عبر إنتاج طاقة "كهرومائية"، وهي طاقة لا أساس لها على الإطلاق. كما ادعى أن لديه خلفية واسعة في البحث الطبي، وهي خلفية غامضة مشتبه بها عندما حاول أطباء آخرون التحقق من أوراق اعتماده. والعلاقة بين شرب الماء وعلاج كل الأمراض المزعومة في كتابه ليس لها أساس علمي على الإطلاق.

ومع ذلك، حقق كتاب بتمانغليج أكثر الكتب مبيعاً في التسعينيات ولا يزال تُعاد طباعته، وبقي مشهوراً حتى اليوم.

في أعقاب بتمانغليج، جاءت وحدة توليد الأوكسجين المبردة، والتي ظهرت لأول مرة في أوائل العقد الأول من القرن الماضي مع ادعاءات مبالغ بها بتزويد مائك بالأكسجين. يتميز المبرد بتركيز أكسجين أعلى بنسبة ٦٠٠٪ في الماء من المعدل الموجود في ماء الصنبور العادي. الفوائد المعلنة لهذه المستويات المرتفعة هي تزويد خلايا الدم بالمزيد من الأكسجين «لتعزيز قدرة الجسم على محاربة البكتيريا والميكروبات والفيروسات المعدية». حتى إن الماء المؤكسج ينظف «الفضلات وتلك السموم المتبقية في الجسم». كما أن الشركة المصنعة روّجت ادعاءً غريباً مفاده أن مستوى الأكسجين في الهواء اليوم «أقل بكثير مما كان عليه في العصور القديمة» (كانت نسبة الأكسجين ٣٨٪ منذ عشرة آلاف سنة مقارنة بنسبة ٢١٪ الآن).

هل أنت في حالة ذعر الآن؟ لا داعي. محتوى الأكسجين في الغلاف

المياه المعدنية

إن موضحة المياه المعبأة في القرن الحادي والعشرين، الذي بلغ ١٥ مليار دولار في عام ٢٠١٥، يعود أصوله أيضًا إلى طب القرن التاسع عشر. في الجزء الأخير من القرن التاسع عشر، كان الأمريكيون يشربون غالونات من المياه المعدنية من أكثر من ٥٠٠ ينبوع في جميع أنحاء البلاد. كان هدفهم هو الشفاء من جميع أنواع الأمراض، ولكن بشكل خاص ذلك الإرهاق العصبي العام، وهو مصطلح يُعرّف الآن بشكل أفضل على أنه الإجهاد. نمت شعبية المياه المعدنية مع انتشار الاعتقاد العام بأن المعادن الموجودة بشكل طبيعي في مياه الينابيع كانت علاجية وخيارًا أفضل بكثير من شرب مياه المدينة. (بالنظر إلى الحالة العامة لنظافة المدينة في أواخر القرن التاسع عشر، ربما كانت لديهم وجهة نظر جيدة) أوصى الأطباء أن يشرب المرضى المياه المعدنية في أثناء «المرحلة غير النشطة» من المرض، بمعدل حوالي كوبين إلى أربعة أكواب في اليوم.

ومع ذلك، فإن الادعاءات الطبية بشأن المياه المعدنية لم تستند في الواقع إلى أدلة علمية، وأثار مصنعو المياه المعدنية غضب الجمعية الطبية الأمريكية، التي أصدرت تقريرًا دامغًا في عام ١٩١٨: «لن تُقبل المياه المعدنية في مهنة الطب على أنها تمتلك الخصائص الطبية المزعومة والمدعومة فقط بشهادات رجال الدولة الرعويين والسيدات المسنات الرومانسيات». .. ونتيجة لذلك، سقطت مرتبة المياه المعدنية المعبأة، ولكنها عادت إلى الظهور مرة أخرى في ثمانينيات القرن الماضي عندما كان الأمريكيون يعانون من صداع الكحول بعد عقد من شرب الكحول بين عامي ١٩٧٠ و ١٩٨٠ في نهاية الليل. فعادت هذه الممارسة إلينا منذ ذلك الحين.

الجوي للأرض هو تقريباً كما كانت قبل عشرة آلاف سنة. ولا يستطيع جسمك استخراج الأكسجين من الماء، حتى لو كان ذلك مفيداً. البشر ليسوا سمكاً. إذا كنت ترغب في الحصول على المزيد من الأكسجين، جرّب هذا الاقتراح البسيط بدلاً من ذلك: خذ نفساً عميقاً.

علاج الماء اليوم

لا تزال العديد من مبادئ العلاج بالماء معنا اليوم. جاءت عادة الاستحمام المنتظم لأول مرة عن طريق المعالجة المائية، وقلما مر على الأمريكيين في القرن الحادي والعشرين يوم واحد دون الاستحمام (إليك مقتطف من رسالة إلى المصلح الأخلاقي في بوسطن عام ١٨٣٥: «كنت معتاداً خلال الشتاء الماضي على أخذ حمام دافئ كل ثلاثة أسابيع. هل يعتبر هذا كثيراً على مدار السنة؟»). شاعت الملابس الفضفاضة. تعد المنتجات الصحية الحديثة وعلاجات المعالجة المائية المتوفرة في معظم الصالات الرياضية والأندية الرياضية نسلًا مباشرًا للمعاهد المائية في القرن التاسع عشر. يعدّ شرب كمية كافية من الماء يوميًا أمرًا عالميًا آخر يُعتمد في الممارسات الطبية الحديثة، على الرغم من أن الكمية الدقيقة من الماء التي يجب أن تشربها لا تزال تثير نقاشًا حادًا.

على الرغم من وصول الدجالين إلى مشهد المعالجة بالمياه، إلا أن الحمامات المائية الأصلية كانت معروفة ولها أهميتها. لقد جاءت في الوقت المناسب تمامًا مع تقدم التاريخ لإحداث تغييرات ضرورية للغاية في النظافة الشخصية. من خلال شرب الماء، وممارسة الكثير من التمارين، والاستحمام بانتظام، يمكن للناس بالفعل منع بعض الأمراض والعيش حياة أكثر صحة. في المرة القادمة التي تحسب فيها أكواب الماء الخاصة بك ليوم معين، تذكر أنك متأثر بممارسة طبية تعود للقرن التاسع عشر. فقط لا تفرغ دلو الماء البارد على صديقك بدعوى أنك تساعد في تبريد النيران في دماغه.



الجراحة

القوس والنشاب، الحاجة إلى السرعة،

معدل وفيات يصل إلى ٣٠٠٪، مسرح الجراحة،

المعاطف المغطاة بالقبيح

تخترق الجراحة الجسد، ذلك الحاجز الفان، عن طريق تشريح الجلد،
ووخز مقل العيون، وقطع العظام، من المحتمل أنك خضعت لعملية
جراحية. إن لم تخضع؟ فقط انتظر. ربما ستفعل يوماً ما. ما كان ذات
يوم اجراءً محدوداً لا يُلجأ إليه إلا مع أكثر الأمراض الطبية خطورة،
أصبح شائعاً الآن. اختياريّاً في كثير من الأحيان. نحن نفترض أن
كل شيء سيكون معقماً وغير مؤلم، وأن جراحينا سيكونون ماهرين.
ولكن في وقت ما كان مليئاً بالصديد، لم تكن الجراحة منظمة ودقيقة
كما تظن.



اخراج سهم من رقبة مريض بواسطة قوس. حسناً، تبدو فكرة جيدة وقتها

تخترق الجراحة الجسد، ذلك الحاجز الفان، عن طريق تشريح الجلد، ووخز مقل العيون، وقطع العظام، من المحتمل أنك خضعت لعملية جراحية. إن لم تخضع؟ فقط انتظر. ربما ستفعل يوماً ما. ما كان ذات يوم اجراءً محدوداً لا يُلجأ إليه إلا مع أكثر الأمراض الطبية خطورة، أصبح شائعاً

الآن. اختيارياً في كثير من الأحيان. نحن نفترض أن كل شيء سيكون معقماً وغير مؤلم، وأن جراحينا سيكونون ماهرين. ولكن في وقت ما كان مليئاً بالصديد، لم تكن الجراحة منظمة ودقيقة كما تظن.

تخترق الجراحة الجسد، ذلك الحاجز الفان، عن طريق تشريح الجلد، ووخز مقل العيون، وقطع العظام،

وربط الأوعية الدموية. يعني تغيير الطبيعة والتاريخ الطبيعي للمرض والصددمات. هل تشبه الجراحة الآلهة إلى حد ما؟ لنترك الإجابة للمحللين النفسيين.

منذ العصور القديمة، لجأ الأطباء إلى الجراحة لإصلاح الكسور في العظام وعلاج الإصابات الرضية وقطع الأطراف المصابة. لقد حفرنا ثقوباً في الجماجم من أجل الصداع والصرع، وقمنا بالكوي بعد البتر بالمكواة الحارقة، كما أننا استخدمنا القوس لإخراج السهام من أجسامنا. هذا صحيح. كانت جروح السهم هي المشكلة الرئيسية في



عصور ما قبل التاريخ حتى ظهور المدافع. كانت إزالة السهم مهمة مزعجة، ولذلك، قرر الأطباء بعد تمحيص وتفكير أن استخدام القوس هو الطريقة المثالية لإزالتها. يُظهر رسم توضيحي من العصور الوسطى انسان مسكين مُثبّت بعمود بينما السهم المغروس في رقبتة مرتبط بقوس لإزالته. أما زلت تعتقد أنك تمر بأسبوع سيء؟

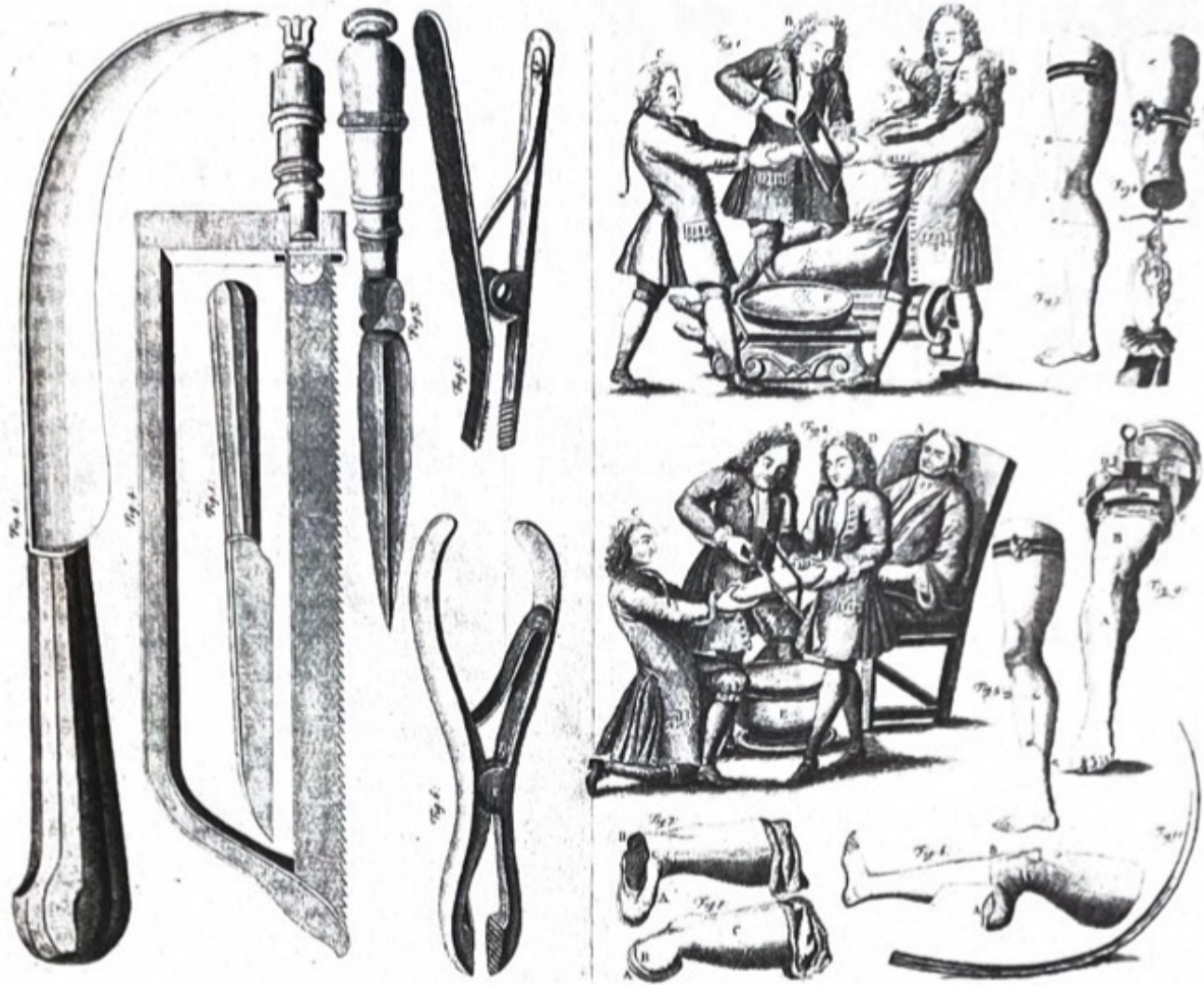
هنا، سنركز على فجر الجراحة الحديثة، بدءًا من القرن السادس عشر، عندما التقى الاكتشاف واليأس والبراعة (وأحيانًا الغرور) معًا. عبر التاريخ الدموي الطويل، والرائحة الكريهة في غرفة العمليات، هناك العديد من نقاط التوقف التي تجعلنا نشعر بالذعر إلى حد ما من منظور يومنا هذا، تمتلئ سجلات الجراحة بالممارسات والدجالين البعيدة كل البعد عن العلم. لنلقي نظرة.

«حان وقتي، أيها السادة!»

تكاليف السرعة وتنظيم العروض.

ربما كان البتر هو الإجراء الجراحي الأكثر شيوعًا لآلاف السنين لمواجهة جروح الساق والغرغرينا القاتلة. غالبًا ما كانت أفضل فرصة للبقاء على قيد الحياة، حتى لو كان معدل الوفيات مروّعًا ويصل إلى ٦٠ في المائة أو أكثر (خلال الحرب الفرنسية البروسية في عام ١٨٧٠، كان معدل وفيات بتر الأطراف مذهبًا بنسبة ٧٦ في المائة).

حتى القرن التاسع عشر، لم يكن هناك تخدير موثوق به، مما يعني أن عمليات البتر يجب أن تكون سريعة قبل استيقاظ المريض. وبحجة السرعة، كان يُبتر أي شيء بطريقة متشابهة، وتسمى الطريقة بقطع المقصلة أو الفرغ. كما لو أن هذه المصطلحات لم تكن فظيعة بدرجة كافية، ففي الحرب العالمية الأولى، أطلق الجراحون الفرنسيون مصطلح البتر saucisson،



أدوات بتر وكيفية استخدامها

الذي يشبه تقطيع النقائق إلى نصفين.

على الرغم من أن هذا قد يبدو مخيفاً، لكن إذا كنت جندياً مصاباً بجروح خطيرة، فقد ترغب في تقطيع النقائق بسرعة. من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر، كان بتر الساق النموذجي يسير على هذا النحو: يُمسك المريض بقوة لمنع الحركة (ربما يغير رأيه ويفر بعيداً)، بينما يُوضع رباط مشدود لإغلاق الشريان الرئيسي للساق. باستخدام شفرة منحنية، يقوم الجراح بقطع الجلد والعضلات حول العظام، بشكل مثالي ثم يُقطع العظم. في بعض الأحيان تُكوى الأوعية المفتوحة (بالمكواة الساخنة، أو الزيت المغلي أو كيميائياً بالزاج (أملاح الكبريتات))، ويترك اللحم كما هو أو يُخيط.

كان يتم كل هذا في وقت أقل مما يتطلبه مشاهدة فيديو موسيقى على اليوتيوب. تمكن الجراح الأسكتلندي بنيامين بيل في القرن الثامن عشر من



البر عام ١٧٩٣. لاحظ كيف يُثبَّت المريض بالحبال والناس

بتر فخذ في ست ثوان. كان الجراح الفرنسي دومينيك جان لاري بطيئًا نسبيًا. لكن خلال حروب نابليون، أجرى مائتي عملية بتر في فترة أربع وعشرين ساعة - واحدة كل سبع دقائق.

بالتأكيد، تقلل السرعة من الوقت الذي سيقضيه المريض بشكل لا يطاق مع الألم. لكنها أدت أيضًا إلى أداء سيء فيه الكثير من الأخطاء. في كثير من الأحيان، تُترك العظام بارزة. أو يُمزق اللحم المقطع، مما يؤدي إلى بطء عملية الشفاء. أدت سرعة البتر وخاصة إذا كان مكان العضو حرجًا إلى تقطيع مكان آخر بشكل عرضي. وبغض النظر عن سرعة الجراح، كانت العمليات بشكل عام مصحوبة بصراخ المريض المروّع.

في بعض الأحيان، كانت الصرخات تأتي من شخص آخر غير المريض. دعنا نقدم لك روبرت ليستون، المعروف أيضًا باسم «أسرع سكين في ويست إند». كان ليستون شخصية مميزة جدًا، نصف جراح ونصف مهرج داخل غرفة العمليات في اسكتلندا في أربعينيات القرن التاسع عشر. وحضر



روبرت ليستون على مسرح العمليات

عملياته عدد لا بأس به من الطلاب الذين يحدقون باستعراضاته. كان ليستون يصرخ، وأحياناً بسكين مثبتة بأسنانه، على المتفرجين، «حان وقتي، أيها السادة، حان وقتي!».

كان ليستون سريعاً (استغرقت عمليات بتره عموماً أقل من ثلاث دقائق من الخطوة الأولى إلى إغلاق الجرح). كانت سرعته كبيرة لدرجة أنه قطع خصيتي أحد المرضى عن طريق الخطأ. إخصاء حر!

وفي مرة أخرى، قطع أصابع مساعده عن طريق الخطأ (الذي غالباً ما كان يمسك ساق المريض لثبتها)؛ أثناء العملية، سقط أحد المتفرجين ميتاً من الرعب عندما رأى السكين قد مزق معطفه. لسوء الحظ، مات المريض. كما توفي المساعد الفقير لاحقاً بسبب الفرغرينا نتيجة بتر الأصابع، وبالتالي أصبح ليستون الجراح الفخور الذي يمكنه التفاخر بمعدل وفيات مذهل يصل إلى ٣٠٠ في المائة في عملية جراحية واحدة.

لم يكن الجو المحيط بعمليات ليستون الجراحية المبهرجة فريدياً؛ مع ظهور الجراحة الحديثة، كان الجمهور يتدفق لمشاهدة الجراحين (نجوم الروك) وهم يعملون. كما تباغت لندن وباريس بعمليات جراحية كانت أقرب إلى عروض برودواي. بيعت التذاكر برسوم عالية لعروض المشاهير الجراحين الأكثر تسلية وتهريجاً، إلى عشرات ومئات المتفرجين. قوبل الجراح بالتصفيق قبل وأثناء العملية. علّق أونوريه دي بلزاك، المعاصر لتلك العروض، "مجد الجراحين مثل مجد الممثلين". هذه النكهة من التباهي لا يمكن تصورها اليوم، على الرغم من أن فكرة الطبيب المشهور ليست كذلك بالتأكيد.

الاعتزاز بالقيح

من المحتمل أن الجميع قد ألقى نظرة خاطفة على غرفة العمليات الحديثة في الحياة الواقعية أو على شاشة التلفزيون - معقمة بعناية ومشرقة، مزودة بمعدات حادة، بالإضافة إلى أقنعة وقفازات مُعدّة للاستخدام مرة واحدة فقط ومن ثم تُحرق.

كانت مسارح العمليات في القرن التاسع عشر فظيعة، وفضلها الناس بهذه الطريقة.

في أوائل ومنتصف القرن التاسع عشر، كنت ترى طاولة تقريباً سوداء بسبب الدم والقيح نتيجة عدد لا يحصى من العمليات الجراحية السابقة. لم يكن الجراحون يرتدون قفازات جراحية لأنها لم تُخترع بعد. غالباً ما تُغسل الأدوات بالماء فقط، هذا إن غُسلت أساساً، وغالباً ما كانت أيدي الجراحين غير مغسولة. والمعطف الذي يرتديه الطبيب؟ غالباً ما كان مغطى بطبقات من الدم المتيبسة - دلالة على "الجراح الجيد".

حتى الجراحون أنفسهم نالوا قسطاً من المخاطر الكامنة في المستشفيات وكليات الطب. توفي البروفيسور جاكوب كوليتسككا في عام ١٨٤٧ من تعفن الدم بعد أن قطع أحد أصابعه أثناء تشريح الجثة. كان طلاب الطب في

مستشفى فيينا العام في عام ١٨٤٠ يحضرون بأيديهم غير المغسولة مباشرة من التشريح إلى جناح التوليد، مما أسفر عن مقتل واحدة من كل ثلاث أمهات بسبب حمى النفاس. في المقابل، كان معدل الوفيات في الجناح الذي يديره تلاميذ القبالة ٣ في المائة. لاحظ الطبيب أجنتاس سيملفيس ذلك، وطلب من العاملين القيام بشيء بسيط ولكنه معجزة: غسل أيديهم بالصابون ومحلول الكلور. فويلا، وانخفضت معدلات الوفيات. لكن للأسف، لم يستمع أحد.

في القرن التاسع عشر، بنى جوزيف ليستر على نظرية جرثومة المرض لعالم الأحياء الدقيقة لويس باستور وأحدث ثورة في الجراحة من خلال تقديم مفهوم التعقيم. لكن كثير من الناس عارضوا فكرة وجود البكتيريا. صرخ أحد الأساتذة في إدنبرة، «أين هذه الوحوش الصغيرة... هل رآهم أحد حتى الآن؟» أصر جراح آخر على أن «هناك سببًا وجيهاً للاعتقاد بأن نظرية باستور، التي يستند إليها ليستر في علاجه، غير سليمة». لكن في الحقيقة، كان هناك عدد أقل من الوفيات عند استخدام المواد الكيميائية المطهرة مثل حمض الكربوليك وعند اتباع إجراءات النظافة العامة والتعقيم وذلك بحلول مطلع القرن العشرين. حتى أنهم أطلقوا على اسم غسل الفم: ليسترين نسبة إلى جوزيف ليستر.

لسوء حظ رئيسنا العشرين، جيمس جارفيلد، لم يكن أطباؤه معجبين بليستر. بعد إصابته برصاصة غير مميتة، فحص الأطباء جارفيلد بحثاً عن الرصاصة بأصابع وأدوات غير مغسولة. بدأ القيح يتشكل في الجرح أثناء محاولته التعافي، ثم قام الأطباء بالتحقيق مرة أخرى بأيديهم غير مغسولة. توفي بعد أشهر، في عام ١٨٨١، بسبب مضاعفات العدوى.

وسرعان ما اختفت حتى غرف العمليات العامة وأسطحها القذرة. أصبحت النظافة وغسل اليدين والقفازات الجراحية أمراً ضرورياً. لم تعد الجراحة هي الملاذ الأخير، لكنها مناورة تكتيكية قوية في مكافحة المرض.

إزالة الحصى

لم يكن برانسبي كوبر جراحاً جيداً، ولكن يبدو أن عمه الجراح المشهور أستلي كوبر أصر على تعيينه في مستشفى غاي في لندن. كان الإجراء عبارة عن إزالة بسيطة لحصوات المثانة، تسمى استئصال الحصاة. عادة، يمكن القيام بهذه العملية في حوالي خمس دقائق.

كانت ركبتا المريض المسكين تُشد بحزام قماش مثبت خلف رقبته، وأعضاؤه التناسلية تزهزها عندها (ومن هنا جاءت الوضعية الحديثة لاستئصال الحصاة التي تماثل وضعية المرأة عندما تلد في المستشفيات). عادةً ما يقطع الجراح المنطقة بين فتحة الشرج وكيس الصفن (منطقة تسمى العجان)، وصولاً إلى المثانة، ويُخرج الحصى ويُحاط كل شيء بينما يصرخ المريض، ما هذا بحق الجحيم.

ليس هذا بالضبط ما حدث عندما قام برانسبي كوبر بهذا الإجراء. لم يستطع العثور على المثانة. ثم لم يستطع العثور على الحصى. فاستخدم كل أداة جراحية في متناول اليد قبل أن يستخدم أصابعه في محاولة لصيدها.

ثم صرخ المريض، «أوه! دعها تذهب! دعها تدخل!» ولكن من دون جدوى. ألقى كوبر باللوم على المريض لامتلاكه عجان عميق قبل أن يصرخ على المساعد، «دود، هل لديك إصبع طويل؟» فوجد الحصى في النهاية، ولكن بعد خمس وخمسين دقيقة.

في اليوم اللاحق، توفي المريض، ولا شك في وجود حفرة بحجم فوهة البركان في منطقتة السفلية. بعد أن فضح



مؤسس ذا لانست The Lancet، توماس واكلي، عدم كفاءة كوبر علناً، رفع الطبيب دعوى قضائية ضده مقابل ٢٠٠٠ جنيه إسترليني. انتهى به الأمر بالفوز، لكن فقط بمبلغ زهيد يبلغ ١٠٠ جنيه إسترليني. وقد يتبين أنها أول محاكمة غير عادلة في التاريخ، لكنها ليست الأخيرة طبعاً.

أولاً، لا تؤذي... لا يهيم

كانت بعض الابتكارات الجراحية مخدرة للجلد ولكنها كانت رائعة. في كتاب «جامع المعارف»، الذي كتبه الجراح الهندي ساسروتا في عام ٥٠٠ قبل الميلاد، أوصى، «يجب وضع النمل الأسود الكبير على أطراف الجرح ثم فصل أجسادهم عن رؤوسهم، بعد أن يعضوا الجرح بفكهم بقوة» ها هو الفك السفلي للحشرة كمواد أساسية طبيعية لإغلاق الجرح. عبقرى، أليس كذلك؟ لكن كثيراً من كتب التاريخ الجراحية تحكي عن قصص غير بارعة تغير ما لا ينبغي تغييره جراحياً. التلعثم مثال كلاسيكي. في القرن التاسع عشر، قام الجراح الألماني يوهان فريدريش ديفنباخ بقطع وتد بالقرب من جذر اللسان لعلاج التلعثم. وحاول آخرون «تغيير حجم» اللسان، أو قطع اللجام (قطعة الأنسجة الرقيقة بين اللسان وقاعدة الفم). لم تنجح أي من هذه الإجراءات. في عام ١٨٣١، قرر السيد بريستون أن ربط الشريان السباتي من الجانب ستكون فكرة جيدة إذا أصيب المريض بسكتة دماغية. لكن: تحدث السكتات الدماغية غالباً بسبب نقص تدفق الدم إلى الدماغ. ومحاولة المساعدة بقطع إمداد الدم تشبه المساعدة في حالة حدوث الجفاف بإخبار سحابة المطر بالقيام بعملها في مكان آخر. نجا المريض بطريقة ما.

كما أوصى بريستون بإمكانية ربط الشرايين السباتية لعلاج السكتات الدماغية والصرع والجنون. لحسن الحظ، لم يأخذ أحد بنصيحته.

بسبب الخوف من التسمم الذاتي - ازدهرت النظرية القائلة بأن المنتجات النهائية الطبيعية للهضم تحتوي على سم (التي ذكرناها سابقاً في فصل الحقن الشرجية)، حيث حاول كثيرون علاج الإمساك باستخدام عدد لا يحصى من

الأدوات والمسهرات في مطلع القرن العشرين. أحد الجراحين البريطانيين، السيد ويليام أربوثنوت لين، اتخذ خطوة إلى الأمام واستأصل القولون بالكامل. أجرى أكثر من ألف عملية استئصال للقولون، معظمها للنساء. بالتأكيد، كانت حركة القولون البطيئة سبب أوجه القصور العقلي للمرأة مثل الغباء والصداع وحادّة الطباع. لحسن الحظ، يمكنك اقتلاع القولون والبقاء على قيد الحياة، ولكن من المحتمل أن يكون لديك آثار جانبية كالإسهال الحاد. مثل معظم أعضاء الجسم الوظيفية، من الأفضل ترك القولون سليماً.

كان لين أيضاً مؤيداً لإصلاح الأعضاء التي في غير محلها. نعم، ما قرأته صحيح. في أوائل القرن العشرين، اعتقد كثيرون أن ما يضايقك في بطنك وكامل جسمك، هو «هبوط» أعضاء أو تغيير «في مكانها». ربما كانت الكلية أكثر الأعضاء ترشيحاً لتكون في غير محلها. ألقى لين باللوم على هبوط الكلى أو التهابها على أنها سبب في الانتحار والقتل والاكتئاب وآلام البطن والصداع، والأعراض الجسدية لمشاكل المسالك البولية.

أدت إزالة كلية واحدة إلى قتل عدد كبير جداً من المرضى، لذلك أجرى الجراحون بدلاً من ذلك عملية «تثبيت الكلية» - شد الكلى وثبتها إلى الخلف قليلاً أو كثيراً باستخدام الخياطة وأحياناً الأربطة المطاطية وحشوات من الشاش. بحلول عشرينيات القرن الماضي، كان هذا الإجراء غير مرغوب فيه مع ادّعاء بعض الجراحين أن «تثبيت الكلية أشد خطراً من مضاعفات التهابها» وأن أطباء المسالك البولية منغمسون بحماس شديد في «طقوس تثبيت الكلى». (لكي نكون منصفين، جزء من وظيفة طبيب المسالك البولية هو تثبيت الكلى، لكنه كان الجزء الأكثر إثارة لبعض الشيء لهم). لم تكن الكلى هي الجزء الوحيد من الجسم الذي عبث به الجراحون بشكل فظيع.

كان استئصال اللوزتين والغدد الموجودة في مؤخرة الحلق أمراً شائعاً بشكل كبير في محاولة لوضع حد لجميع التهابات الأطفال، وهو هدف حسن النية ولكنه مضلل. بطبيعة الحال، استئصال اللوزتين له مكانته بوصفه علاجاً حديثاً في حالات انقطاع التنفس في أثناء النوم والتهاب اللوزتين المتكرر، ولكنه يعدّ

آخر حل يُلجأ إليه بوصفه ملاذًا أخيرًا. سيصاب كثير بالصدمة لمعرفة أنه في عام ١٩٣٤، أظهرت دراسة في نيويورك أنه من بين ألف طفل، كان أكثر من ستائة منهم قد خضعوا لعملية استئصال اللوزتين. لم تكن العمليات الجراحية خالية من المخاطر أيضًا؛ يموت كثير من الأطفال سنويًا من هذه العملية. الوعد بالآيس كريم بعد العملية لم يكن كافيًا.

ولن تكتمل أي مناقشة عن الجراحة التي كانت تُجرى بلا فائدة من دون قصة العبث غير المجدي بالمناطق السفلية للرجال. أوصى جون هارفي كيلوغ، الطبيب وأخصائي التغذية ومخترع الحبوب، بالختان لقمع الدوافع الشريرة لممارسة العادة السرية إذا فشلت الطرق الأخرى، بما فيها تضميد الأعضاء التناسلية وتغطيتها بالأقفاص وربط الأيدي. يجب أن يتم الإجراء «من دون تخدير؛ لأن الألم القصير الذي يحضر العملية سيكون له تأثير مفيد على العقل، ولا سيما إذا كان مرتبطًا بفكرة العقوبة». رائع! لكن يمكن أن يخبرك أي رجل مختون، بأن هذا الإجراء لا يمنع الاستمناء.

ويستمر سحر المشروط

جذب المشروط، الذي يعد بالتشريح السريع لإصلاح كل شيء، كثيرًا من الجماهير. لدرجة أن بعض الأشخاص من غير المرضى أحبوا أن يخضعوا للجراحة بحثًا عن أعراض مزيفة، بينما يعود آخرون باستمرار إلى غرفة العمليات بحثًا عن الكمال الجسدي الذي لا وجود له. ولكن على عكس القرون الماضية، يخضع الجراحون والمستشفيات لتدقيق شديد فيما يتعلق بالنظافة والتدريب الجيد، كما أن معدلات الوفيات منخفضة، وتصمد النتائج أمام اختبار الزمن وعدسات العلم المكبرة. وبفضل تطور التخدير، لم نعد بحاجة إلى تسريع عملية القطع والنشر لإجرائها في دقيقتين. والحمد لله على ذلك.



التخدير

الاختناق، الاسفنج المخدر، الكلوروفورم، غاز الضحك،
تخدير الحيوانات الأليفة، الإثيريون المرحون، إطلاق الريح السام

قهر الألم ليس بالأمر السهل. التخدير Anesthesia، مشتقة من
الكلمات اليونانية التي تعني «غياب الإحساس»، بحث الجنس البشري
عن شيء يقهر الألم منذ أن تجرأ لأول مرة على حفر ثقب في الرأس
لإجراء الجراحة. استخدمت الصين القديمة الحشيش. واستخدم
المصريون الأفيون. أوصى ديسقوريدوس بالماندريك (البروح) القاتل
مع النبيذ. في العصور الوسطى، كانت هناك وصفة لـ «إسفنجة مبللة»
منقوعة بالماندريك، والبنج الأسود، والشوكران، والأفيون، تجفف في
الشمس. ثم تبلل بالماء الساخن، وتُعصر ولكن تُترك رطبة، ثم تُوضع
على أنف المريض للاستنشاق.

تكمُن مشكلة استخدام الكحول أو المواد الأخرى المماثلة له في أنك بحاجة إلى كميات كبيرة - لتصبح كميات سامة - لمنع أي شخص من الاستيقاظ في أثناء الجراحة. لذلك طُوّرت طرق أخرى. تُروى القصص عن رجال يتعرضون للضرب على رؤوسهم ليدخلوا في نوم عميق ناجم عن الارتجاج وذلك قبل الإخفاء في الصين القديمة. من الواضح، كان لدينا طرق رائعة.

استغرق الأمر كثيرًا من المحاولات والأخطاء وعدد قليل من الحيوانات الأليفة المخدرة للوصول إلى الإجراءات الطبية غير المؤلمة في عصرنا الحديث. كتبت بعض الشخصيات العدائية للمجتمع والمتحمسة لكثير من الفصول في سجلات التخدير. لذلك في المرة القادمة التي تستيقظ فيها بسعادة من الجراحة، تذكر أن تشكر الأطفال المخنوقين، ومن كانوا ينفخون الإسفنج، والمرحين الإثريين من الماضي.

دعونا نقدم لكم القليل منهم :

سيفقدك ثاني أكسيد الكربون الوعي

جرّب الطبيب البريطاني هنري هيل هيكمهان، والذي يعد أحد آباء التخدير الحديث، نظريته عن «الانعاش المعلق» على الحيوانات في أوائل القرن التاسع عشر. استخدم غاز حمض الكربونيك (ما يعرف الآن باسم ثاني أكسيد الكربون). ذكر ما يأتي عن تجربته:

حبست جرّواً عمره شهر في وعاء... ووضعت غطاءً زجاجياً لمنع وصول الهواء إليه. في الدقيقة العاشرة، ظهرت أعراض عدم الارتياح بشكل ملحوظ، وفي الدقيقة ١٢ أصبحت عملية التنفس صعبة، وفي الدقيقة ١٧ توقفت تمامًا، في الدقيقة ١٨ قطعت إحدى الأذنين... ولم يشعر الحيوان بالألم.



هنري هيل هيكممان، لاحظ الجرو الفاقد
للووعي أو ربما الميت

دعونا نتوقف للحظة لنبكي
على هذا الاختبار. من أجل صراخ
ذلك الجرو المسكين بصوت عال!
وهكذا، كان هيكممان يخنق
الجراء - حتى الموت أحياناً. ولكن
لم يكن أول من استخدم الاختناق
للتخدير: يزعم بعضهم أن
الآشوريين اعتادوا خنق الأطفال
لكي يفقدوا الوعي لإجراء
عمليات الختان - وهي أيضاً
ممارسة في إيطاليا حتى القرن السابع عشر.

(الخنق قبل بتر الأعضاء التناسلية؟ كلا يا إلهي)، والمشكلة أن ذلك كان
يُجدي! عندما تكون فاقدًا للوعي بسبب نقص الأكسجين، يمكن قطع أذنك
أو أعضائك السفلية من دون ألم.

لكن المشكلة أنها أودت بحياة كثير من الناس. لكن هيكممان، بخطوة ذكية
منه، لم يذكر إلا النتائج الإيجابية عندما كان يشرح عن طريقته.

وهكذا شهد المجتمع الطبي تمثيلية: إما أنهم تجاهلوه أو وجهوا له
انتقادات لاذعة. إحدى الانتقادات كانت من مجلة ذا لانسييت، بعنوان
«دجل الجراحة»، إن العالم «سوف يسخر منه إذا نصح شخصاً يريد قلع سنه
بأن يُشنق أولاً أو يُغرق أو يُخنق لبضع دقائق حتى لا يشعر بأي ألم في أثناء
العملية».

وصف الكاتب أيضاً عمل هيكممان بأنه «نسيج من دجل» و«هراء» ووقع
على هذا العمل، «أنا، وما زلت، أحارب الدجالين».

يتساءل المرء إذا أعطى هيكممان لنفسه جرعة من ثاني أكسيد الكربون

ليخفي نفسه بعد تلك الكلمات. من الجيد أن فكرة هيكمان لم تنجح.
استخدام ثاني أكسيد الكربون بوصفه مخدرًا جيدًا كاستخدام حبل المشنقة.
الاختناق المميت هو عرض جانبي لا رجعة فيه.

الكلوروفورم: استنشاق بعمق...

كان طبيب إدنبرة جيمس يونغ سيمبسون رائدًا آخر في التخدير في
القرن التاسع عشر. هذا، إذا كانت الريادة تعني استنشاق مواد عشوائية مع
زملائك، فقط لترى ما سيحدث.

بعد التقاط زجاجة من الكلوروفورم من تحت كومة قمامة (لأنه افترض
أنها لم تكن تستحق المحاولة من قبل)، بدأ هو وأصدقاؤه بالشم بعمق.
الكلوروفورم له رائحة عطرية تبعث على الغثيان، وقبل أن يشعر المتنشقون
بالدوار الطويل وأزيز في الأذنين وثقل في الأطراف. يبدأون بالضحك
(«المرحلة الأولية من الإثارة»، أوضح سيمبسون)، ثم يستمرون بالكلام



يلتقي جيمس يانج سيمبسون مع زملائه في مباراة الكلوروفورم

كثيراً قبل أن يفقدوا وعيهم جميعاً، بعد أن أثاروا الفوضى في غرفة الطعام حيث حدث الاستنشاق.

بعد أن استيقظوا، قرروا أن الكلوروفورم كان رائعاً جداً، لذلك قاموا بشمّه عدة مرات للتأكد من أنه يفقدهم الوعي. انضمت ابنة أخت السيدة سيمبسون إليهم، وصرخت، «أنا ملاك! أوه، أنا ملاك!» قبل الاغماء.

الكلوروفورم جزئيء بسيط. خذ الميثان (المكون الرئيس من الغاز الطبيعي)، استبدل ثلاثة من الهيدروجين فيه بثلاثة كلور، وتحصل على الكلوروفورم. سرعان ما بدأ سيمبسون في الدفاع عن الكلوروفورم كمخدر في الجراحة، وأصبح رائجاً في الحفلات الصاخبة في منتصف القرن التاسع عشر والتي تميزت أيضاً باستنشاق الإثير (المزيد حول ذلك لاحقاً).

كما هو الحال مع معظم الأدوية التي تخفي الألم، لم يمضِ وقت طويل قبل أن نبدأ في الخلط بين الراحة والعلاج. ربما اعتقد الناس، إذا كان ذلك يجعلني أشعر بالدوار والخدر، فمن المؤكد أنه جيد بالنسبة إلي. بدأ الكلوروفورم بالظهور في كثير من المستحضرات الصيدلانية، مثل عرق السوس وبذر الكتان من جيبسون وحبوب الكلوروفورم وبي براند من الصنوبر الخماسي Bee Brand وشراب السعال تار Tar. زعموا أنها تساعد في علاج جميع أمراض الحلق والرئتين (على الرغم من أن الكلوروفورم في الواقع مزعج للغاية) وعلاج السل (لم تعالجه طبعاً). وعدت الأدوية المدجّلة الأخرى بالمساعدة كمسكن في حالات القيء والإسهال والأرق والألم (من المنطقي في هذه الحالات فقط) لكن الكلوروفورم بعيد عن أن يكون علاجاً مثالياً لكل شيء. إنه قاتل.

أدى استنشاق الكلوروفورم إلى مقتل عدد كبير جداً من المرضى. كما مات المرضى الأصحاء لأسباب غامضة، بسبب عدم انتظام ضربات القلب، إضافة إلى فشل الجهاز التنفسي والقلب. يمكن أن يتسبب الكلوروفورم أيضاً في تسمم الكبد والكلى وربما يكون مادة مسرطنة. بحلول القرن العشرين،

فقد شعبيته بسبب مخاطره وأصبح الآن من بقايا أَلغاز القتل، بوصفه عامل قتل مفضل (وإن كان غير كامل).

التدحرج على الأرض ضحكاً من الغاز

على ما يبدو، كان العثور على غازات جديدة ليستنشقها الناس أمراً شائعاً في المملكة المتحدة في القرن الثامن عشر. افتتح مركز الهواء المضغوط لتخفيف الأمراض عن طريق الغازات الطبية في السبعينات من القرن الثامن عشر في بريستول، وجرب مؤسسوها كثيراً من العلاجات المشبوهة. كان همفري ديفي، الذي انضم عام ١٧٩٨ وساهم في تطور فسيولوجيا الجهاز التنفسي والتخدير، لديه طريقة مخيفة لمعرفة ما إذا كانت بعض الغازات آمنة أم لا: استنشقها بنفسه. (هل تشعر بمسؤولية رواد التخدير؟)

كان أول أكسيد الكربون أحد هذه الغازات. ووصف: «بدا وكأنني غارق في الهلاك، لكن لحسن الحظ لم أمت». وعند استنشاق الهيدروجين: «أخبرني أحد المارة بذلك. أصبح خدي أرجوانياً». المتأنق الشجاع. لكنه أدرك أن أكسيد النيتروجين، المعروف أيضاً باسم غاز الضحك، يخلص من آلام الأسنان في عام ١٨٠٠. لقد أدرك أيضاً أنه يمكن أن يجعلك تشعر بالغثيان، بعد أن شرب زجاجة من النبيذ في ثماني دقائق، مع خمسة لترات من غاز الضحك، وتقياً على الفور.

أوه، ماذا عن المركز الذي يعمل بالهواء المضغوط؟ أغلق بعد إدراكهم لعدم جدوى أي غاز من الغازات التي جربوها مع أمراض الرئة، بما في ذلك السل. أصبح بحث ديفي طبي النسيان لبعض الوقت، ويرجع ذلك إلى الفشل التام للمركز في شفاء أي شخص، إضافة إلى أن ديفي حوّل عقله الفضولي من المواد المخدرة إلى مجال دراسي أكثر نشاطاً — الفيزيولوجيا الكهربائية. وُضع أكسيد النيتروجين للأغراض الطبية على الرف في ذلك الوقت. لكنه عاد وأصبح عقاراً ترفيهياً يستخدم في الحفلات لعدة عقود في

القرن التاسع عشر. في عام ١٨٤٤ قرر طبيب الأسنان الأمريكي هوراس ويلز مواصلة التحقيق في خصائص تخدير غاز ديفي غير المعترف بها سابقاً. كان ويلز قد اقتلع سنه تحت تأثير أكسيد النيتروجين ووجد أنه غير مؤلم، ثم طرحه للجمهور. كما اخترع جهاز تنفس وطلب من الجراح جون كولينز وارن (مؤسس مستشفى ماساتشوستس العام ومجلة نيو إنجلاند للطب والجراحة) إجراء عملية بتر باستخدام الغاز. عندما رفض المريض، سُمح لطالب طب متطوع بخلع ضرسه. لكنه لم يُعطَ الغاز بشكل صحيح، ربما فشل جهاز ويلز الجديد، وشعر الطالب بكل شيء.



عنوان اللوحة «وصفة لتوبيخ الزوجات المتسلطات»، يبدو أن الطريق طويل أمام حقوق المرأة

عانى ويلز المسكين من إحراج رهيب وأصبح في النهاية مدمناً على الكلوروفورم. أصبح مختلاً عقلياً، وبعد أن ألقى حامض الكبريتيك على البغايا، انتحر في سجن تومبز Tombs سيء السمعة في مدينة نيويورك. في وقت لاحق من ستينيات القرن التاسع عشر، أعطى أطباء الأسنان أكسيد النيتروجين فرصة أخرى. اعتمده مهنيون طبيون آخرون بدلاً من الإثير والكلوروفورم، وكلاهما كان مشكلة. ربما ينام ويلز بشكل أكثر هدوءاً في قبره لو علم أن أكسيد النيتروجين لا يزال يستخدم بوصفه مسكناً حتى يومنا هذا. وربما لا.



في اتجاه عقارب الساعة، من أسفل اليسار: جهاز بويل، الذي سمح بتحكم أكبر في تدفق التخدير (١٩١٧)؛ جهاز الاستنشاق Junker، أول من استخدم منفاخ مطاطي لتحريك الهواء فوق السائل (١٨٦٧)؛ قناع تخدير للوجه (أوائل القرن العشرين)؛ جهاز الاستنشاق Ombredanne، مع كرة معدنية معبأة باللباد لامتصاص الإيثر السائل (١٩٠٧)؛ قناع وجه آخر، مع زجاجات من الكلوروفورم.

كفى خداعاً؟ دعونا نمرح

كان ويليام مورتون طبيب أسنان في بوسطن قد حضر العرض الفاشل لهوراس ويلز. لم يرتكب مورتون الخطأ نفسه. بدلاً من أكسيد النيتروجين، قام باختبار استنشاق الإثير. «الزيت الحلو للزاج»، المعروف أيضاً باسم ثنائي إيثيل الإثير أو مجرد الإثير العادي، صُنع لأول مرة في القرن السادس عشر عن طريق إضافة حمض الكبريتيك إلى الإيثانول. أُستخدم (من دون فائدة) لعلاج التهابات الجهاز التنفسي وحصوات المثانة والإسقربوط في القرن الثامن عشر. ولكن في أربعينيات القرن التاسع عشر، ظهر استخدامه أخيراً بوصفه مخدرًا. وضع مورتون قطرات منه على لثة مرضاه قبل قلع الأسنان ووجد أنها خدرت المنطقة. ما الخطوة التالية؟ بدأ بإعطائه لسمكته الذهبية. لم تكن زوجته إليزابيث سعيدة بهذا الأمر، لكن مورتون تابع وجربه على كلبهم الصغير الأليف نيغ. حاولت إليزابيث جهدها منعه من ذلك، لكن مورتون خدر نيغ الصغير على أي حال. يمكن للمرء أن يتخيل أن الزواج لم يكن سعيدًا تمامًا في أسرة مورتون.

في ١٦ أكتوبر ١٨٤٦، نقل مورتون نتائجه إلى معرض عام مع الدكتور وارين الذي أجرى العملية الفاشلة مع ويلز باستخدام أكسيد النيتروجين. في غرفة العمليات الجراحية في مستشفى ماساتشوستس العام، أزال



جهاز مورتون لاستنشاق الإثير

وارن ورمًا في الرقبة من مريض تحت تخدير الإثير، بإشراف مورتون. في ختام الجراحة، عندما استيقظ المريض، خاليًا من الألم، أعلن الدكتور وارن، «أيها السادة، هذا ليس خداعاً!»

(يجب أن نذكر تعريف الخداع بأنه سلوكيات مراوغة. كما أن المصطلح هو اسم لفلم حلوى النعناع، لكن بالتأكيد د. وارن قصد المعنى الأول).
سرعان ما أطلق على المسرح الجراحي في مستشفى ماساتشوستس لقب قبة الإثير Ether Dom وأصبح له موعد تاريخي اسمه يوم الإثير Ether Day. لسوء الحظ، استغل مورتون اكتشافه بطريقة احتيالية. قام بتلوين الإثير ووضع مواد إضافية لإخفاء الرائحة، وأعاد تسميته ليثيون Letheon نسبة إلى نهر الليثي^(١) اليوناني الأسطوري، والذي منح النسيان والسلوى لشاربي الكحول. حصل على براءة اختراع الليثيون بعد شهر من إدخاله المشؤوم إلى العالم، لكن سرعان ما اتضح أن براءة اختراعه كانت ببساطة للإثير. سخر المجتمع الطبي في أمريكا والخارج من مورتون لمحاولته الاحتفاظ بهذا الاكتشاف بعيداً عن الناس - وهو مادة من السهل تحضيرها - فلم تتعاف سمعة مورتون أبداً.

لكن سمعة الإثير استمرت في التزايد. بعد فترة وجيزة من أول عرض ناجح لمورتون، صاغ أوليفر ويندل هولمز مصطلح التخدير anesthesia. وسرعان ما أُستخدم الإثير على نطاق واسع للتخدير الجراحي، وهو أمر رائع، باستثناء ثلاث سلبيات، وهو أنه كان سريع الاشتعال، ويسبب الغثيان والقيء، ويهيج الرئتين (وهو أمر مثير للاهتمام، بالنظر إلى أن الأطباء استخدموه لعلاج الالتهاب الرئوي قبل قرن من الزمان). أيضاً، كانت له رائحة كريهة تبقى عالقة لدى المرضى.

كما أنه اكتسب سمعة أخرى - واحدة أنه يسود المناسبات الترفيهية وأخرى أنه من أدوية الدجال.

ظهر الإثير على الرفوف لعلاج المغص والإسهال. قطرات هوفمان التي تحتوي على جزء واحد من الإثير مقابل ثلاثة أجزاء من الكحول، قيل إنها

(١) كلمة ليثي Lethe تعني النسيان باليونانية. المترجمة

تعالج أمراض النساء مثل التشنجات ولكن سرعان ما أصبح علاجاً أدمن عليه لكل شيء.

والأسوأ من ذلك، أن إساءة استخدام الإثير كانت مقبولة اجتماعياً. في منتصف القرن التاسع عشر، أصبح يُطلق على الحفلات أسماء الإثير أو النشوة. كان المشاركون يستنشقون الإثير الذي يُشعرهم بالدوار والنشوة، وغالباً ما كانوا يفقدون الوعي. كان أحد الأطباء الذين شاركوا، كروفورد لونغ، شخصاً فاسقاً. بعد تناوله للإثير، تفاخر قائلاً، "لدينا بعض الفتيات في جيفرسون اللاتي يتقن لأخذه، وأنت تعلم أنه لا يوجد شيء يمكنه أن يسعدني أكثر من أن أخذه في حضرتهن والحصول على بعض القبلات اللطيفة" ياله من فاسق. لم يكن الأمر مرعباً فقط مع أولئك الرجال الشرهين. كان المتعاطون يستيقظون مع كدمات وإصابات. مات بعضهم. لسوء الحظ، قام أحد الرجال بتدخين التبغ في أثناء استخدام الإثير، دون أحد المتفرجين، «أنه أشعل غليونه بعد جرعة الإثير فأضرمت النار في داخله».

قرر أحد الأطباء، وهو دكتور كيللي في إيرلندا، أن الإثير سيكون العلاج لإدمان الكحول. بالتأكيد، ما عليك سوى تبديل مادة مسببة للإدمان بأخرى. كان «علاج الدكتور كيللي» للمرضى يُعطى بوصفه بديلاً غير كحولي. لقد كان «شرباً يمكن للمرء أن يشمل بنية صافية»، بالتأكيد كانت صافية. لكن كثيراً من البلدات بدأت تفوح منها رائحة الإثير النتنة، حرفياً (تنبعث منها رائحة نفاذة كريهة).

أخيراً، صنفت الحكومة البريطانية الإثير على أنه سم وبدأت في ضبط بيعه في عام ١٨٩١.

شيء جيد أيضاً. إلى جانب كونه يسبب الإدمان، وقابل للاشتعال، ومميت في بعض الأحيان، تسبب الإثير في حدوث بعض التجشؤ والحازوقة والغازات الكريهة.

التخدير اليوم

اليوم، معظمنا قد اختبر التخدير في مرحلة ما من حياته، سواء كان ذلك لقلع الأسنان أو الجراحة. نحن مدينون كثيرًا للتجارب الرهيبة والنهايات غير السعيدة التي رافقت تلك الأحداث في بعض الأحيان. تم التخلص من الكلوروفورم والإثير المخدر من الرفوف والمستشفيات، وحلّ مكانهم أدوية أكثر أمانًا، بما في ذلك الأدوية المهدئة والمنومة مثل البروبوفول (الملقب بـ "حليب فقدان الذاكرة" بسبب لونه الأبيض)، والمواد الأفيونية مثل الفنتانيل والبنزوديازيبينات مثل الميذازولام والعديد من الأدوية الأخرى. لقد أصبحنا أكثر دقة في كيفية استخدام التخدير. عقاقير احصار العصب المحلي مثل نوفوكاين تجعل علاج الأسنان غير مؤلم. يقلل التخدير النخاعي والتخدير فوق الجافية من الآثار الجانبية مثل مشاكل التنفس أو المخاطر القلبية من التخدير العام. على الرغم من كونه آمنًا للغاية هذه الأيام، إلا أن التخدير العام يحمل معه مخاطر خاصة بالأدوية، بما في ذلك الوفاة - مما يزيد من إصابتك بالمرض في أثناء إجراء الجراحة.

تهدئة جسم الإنسان ودفعه إلى حالة غيبوبة قصيرة الأمد مع نهاية سعيدة لا تتم إلا بالحذر والدقة في استخدام الأدوية. من الجيد أن حفلات الغاز الضاحك / الكلوروفورم / الإثير قد انتهت. سيتعين على الناس إيجاد طرق أخرى قانونية (أو غير قانونية) للمرح بدلاً من ذلك.

أسوأ العلاجات الصحية للرجال

يعرّف قاموس أكسفورد الإنجليزي الفحولة بأنها «امتلاك القوة والطاقة والدافع الجنسي القوي». ميريام وبستر اختصرت الجدل، وعرفت الفحولة بسهولة على أنها "الرجولة". يمكننا أن نشكر اليونان القديمة وروما، حيث دمجوا القوة العضلية مع ضبط النفس، والثقة، والمشاركة السياسية، والتكاثر الجنسي، ومستويات عالية من الطاقة لخلق أنموذج

ذكوري انتقل إلينا عبر العصور، لكن مع بعض الاختلافات.
الآن، بطبيعة الحال، فإن تحقيق الأنموذج الذكوري للرجولة مخفوف
بالتعقيدات واحتمالات انعدام الأمن. يعاني الرجال في كل مكان من أسئلة
مزعجة من الشك الذاتي: ماذا لو خسرت هذه المنافسة؟ ماذا لو لم أحصل على
هذه الوظيفة؟ ماذا لو لم أستطع إطلاق اللحية؟ ماذا لو أصبت بالصلع؟ «ماذا
لو لم يحصل عندي انتصاب»؟

هذه هي الأفكار التي أبتت الرجال يقظين في الليل طوال تاريخ الحضارة
الغربية. وقد استغل الممارسون الطبيون الدجالون هذه المخاوف دائماً لتحقيق
مكاسب مالية. انظر الصورة على اليسار: إعلان جريء عن «مطوّر العضو
الذكوري المثالي» (جهاز شفت لضعف الانتصاب) ذكر بجرأة أن «الرجل
الضعيف جنسياً غير صالح للزواج. والرجال الضعفاء يكرهون أنفسهم».
فيما يأتي بعض الطرق التي أقرها الدجال لكي يكره الرجال الضعفاء أنفسهم
بدرجة أقل.

الحديد في الجوز المقيئ Nuxated Iron

ما هو القاسم المشترك بين لاعب البيسبول العظيم تاي كوب وبطل الملاكمة
جاك ديمبسي والبابا بندكت الخامس عشر؟ قدم الثلاثة موافقات رفيعة
المستوى لدواء «Nuxated Iron». بسبب التمسك بمتطلبات الذكور
الأبدية للحياة والرجولة، ادّعي أنه يعيد «النشاط البدني أو العقلي» عن طريق
زيادة مستويات الحديد في مجرى الدم. على الرغم من أن المنتج يحتوي بالفعل
على كبريتات الحديد الثنائي ولمسة لذيذة من زيت القرفة، إلا أنه يحتوي على
الجوز المقيئ (الستركنين)، وهو إن أخذته بجرعة كبيرة قد يؤدي إلى التسمم.

حزام ستيفنسون المنوي

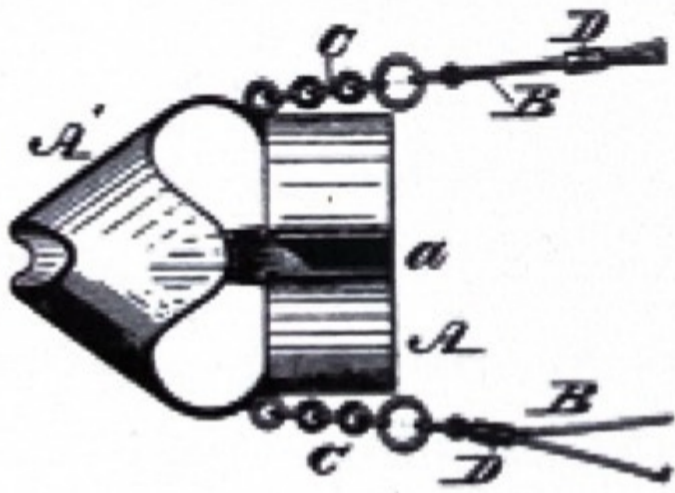
ظهر هذا الحزام عام ١٨٧٦، وهو جاهز للمساعدة في كبح ميول الرجال

للعادة السرية عبر تقديم طريقة مرهقة وغير مريحة لربط قضيبك على ساقك. من الواضح أن الحزام لم يكن فعالاً بما فيه الكفاية، حيث تضمنت الإصدارات الأحدث منه مسامير صغيرة من شأنها أن تنغرز قضيبك في حال خانك الحظ وأثرت لسبب ما.

جهاز المعالجة الذاتية

يُبقى جهاز العلاج الذاتي القضيب منتصباً. روجت له الشركة على أنه «أربعة في واحد - الشفط، والحرارة الرطبة، والاهتزاز، والكهرباء». حيث جمع الجهاز الماء الساخن، والمحرض، والتيار الكهربائي، والشفاطة، إضافة إلى قطب كهربائي يمكن تغطيته بالفازلين وإدخاله بضع بوصات في المستقيم للاستفادة الإضافية من «مساج البروستات». أكدت الشركة للمستهلكين أنه «كان أروع اكتشاف منذ بدء العالم».

جهاز بوين



جهاز بوين بكل أمجادة الرهيبه

يهدف إلى تثبيط ممارسة العادة السرية، لن يبدو بوين مناسباً في صندوق الألعاب الجنسية لامرأة الفيمدوم (التي تهيمن على الرجل) اليوم. كان في الأساس عبارة عن غطاء للقضيب على شكل قلنسوة متصل بشعر العانة بواسطة سلاسل

صغيرة. كلما زاد شعورك بالإنارة، زادت شد السلاسل الصغيرة على شعر العانة. يا إلهي.

أول حلقات للقضيب

حوالي ١٢٠٠ اخترعت أول حلقات للقضيب في الصين. مصنوعة بشكل

خلاق من جفون ماعز، تُركت الرموش سليمة في حلقات القضيب عمداً لزيادة المتعة الجنسية. بعد بضع مئات من السنين، انتقل الصينيون إلى حلقات مصنوعة من العاج، وهو تحسن واضح لكل من الرجال والماعز.

تدفئة غدة البروستات

صنعت شركة Electro Thermal Company في ولاية أوهايو، جهازاً لتدفئة غدد المستقيم يُدعى Thermal aid، والذي يجري فيه تيار كهربائي منظم بواسطة مصباح كهربائي، عبر الجزء الخارجي من المطاط الصلب في محاولة «لتحفيز الدماغ الباطني».

«إذا استخدم موسع المستقيم معه، فإنه سيوفر حرارة ثابتة لإجراء جراحة للمستقيم، لأنه يتسبب في تحفيز لطيف للأوعية الدموية الشعرية وتحسن في حالة الأعصاب المحلية».

جهاز الدوار ريكتو

كان يُدخل هذا الجهاز الخبيث المظهر في المستقيم، حيث يقوم بتلين البروستات والقولون و «تدليك عضلات منطقة المستقيم». طمأنت الإعلانات المستهلكين بأنه يمكن استخدامه من قبل المريض نفسه «في منزله»، مما يجنب المستخدم الإحراج من استخدامه في المراكز العامة. كما أُعلن عن حجمه بأنه «كبير بما يكفي ليكون فعالاً، وصغير بما يكفي لأي شخص يزيد عمره عن خمسة عشر عاماً» وهذا يثير كل أنواع الأسئلة المقلقة، أليس كذلك؟

رذاذ الشعر

إذا كنت قد نمت في بيت أحد ما في وقت ما من التسعينيات، ومن المحتمل أنك صادفت إعلاناً في وقت متأخر من الليل يقول بأنه يُخفي الصلع والشعر الخفيف بواسطة علبة من «رذاذ الشعر». المنتج المسمى (GLH) اختصار لـ

«شعر رائع المظهر» كان سعره سخيلاً كما يبدو (٩٢, ٣٩ دولارًا فقط!)، ولكن الإعلان التجاري يستحق المتابعة على اليوتيوب لرؤية شهادة شاب غير محظوظ يعاني من انحسار شعره فقام بتسريحة mullet (وهي شعر خفيف في مقدمة الرأس وشعر طويل على الجانبين)، والذي يدعي بجرأة أنه بعد استخدامه عاد كالطفل «لا يزال يوجد سوق لرذاذ الشعر حتى يومنا هذا».

منبهات العضلات

هل تبحث عن شد عضلاتك من دون فعل أي شيء؟ تعمل أجهزة آلات تحفيز العضلات الإلكترونية (EMS) والتي تعمل على «تشغيل» العضلات عن طريق هزها بالكهرباء، مما يتسبب في تقلصات لا إرادية. ومع ذلك، تسبب أنموذج الحقيبة من Executive Fitness Products أيضًا في حدوث رد فعل لا إرادي آخر: عدم انتظام ضربات القلب. فأمرت إدارة الغذاء والدواء الأمريكية (FDA) بتدمير هذه الآلات في عام ١٩٩٦.

محفزات نمو اللحية

ربما كان عصر النهضة في إنجلترا الفيكتورية (أو بورتلاند، أو أوريغون) أسوأ وقت في التاريخ بالنسبة إلى رجل لا ينمو شعر لحيته في الوقت الذي كانت اللحية التي تصل للصدر، والسوالم الكثيفة المتدلّية على الخدين، والشوارب المتقنة هي الموضة السائدة. أُعلن عن علاج موضعي يسمى مولد اللحية للبروفيسور موديفي في صحف لندن، مدعيًا أنه يسبب نموًا كثيفًا للحية من أربعة إلى ستة أسابيع من الاستخدام، حتى من قبل «الشباب الذين لم يتجاوزوا السابعة عشرة من العمر». [لم يذكر المكونات].

TWENTY YEARS' SUCCESS.—The only really certain means of growing a beard hitherto discovered is the use of Professor Modavi's

BEARD GENERATOR



Before use.

Success guaranteed after four to six weeks' use, even by young men not above seventeen years of age. Perfectly harmless for the skin. A 5s. bottle, or double-sized 8s. bottle, sent directly on receipt of P.O.O. or stamps for the amount. Only to be had genuine of

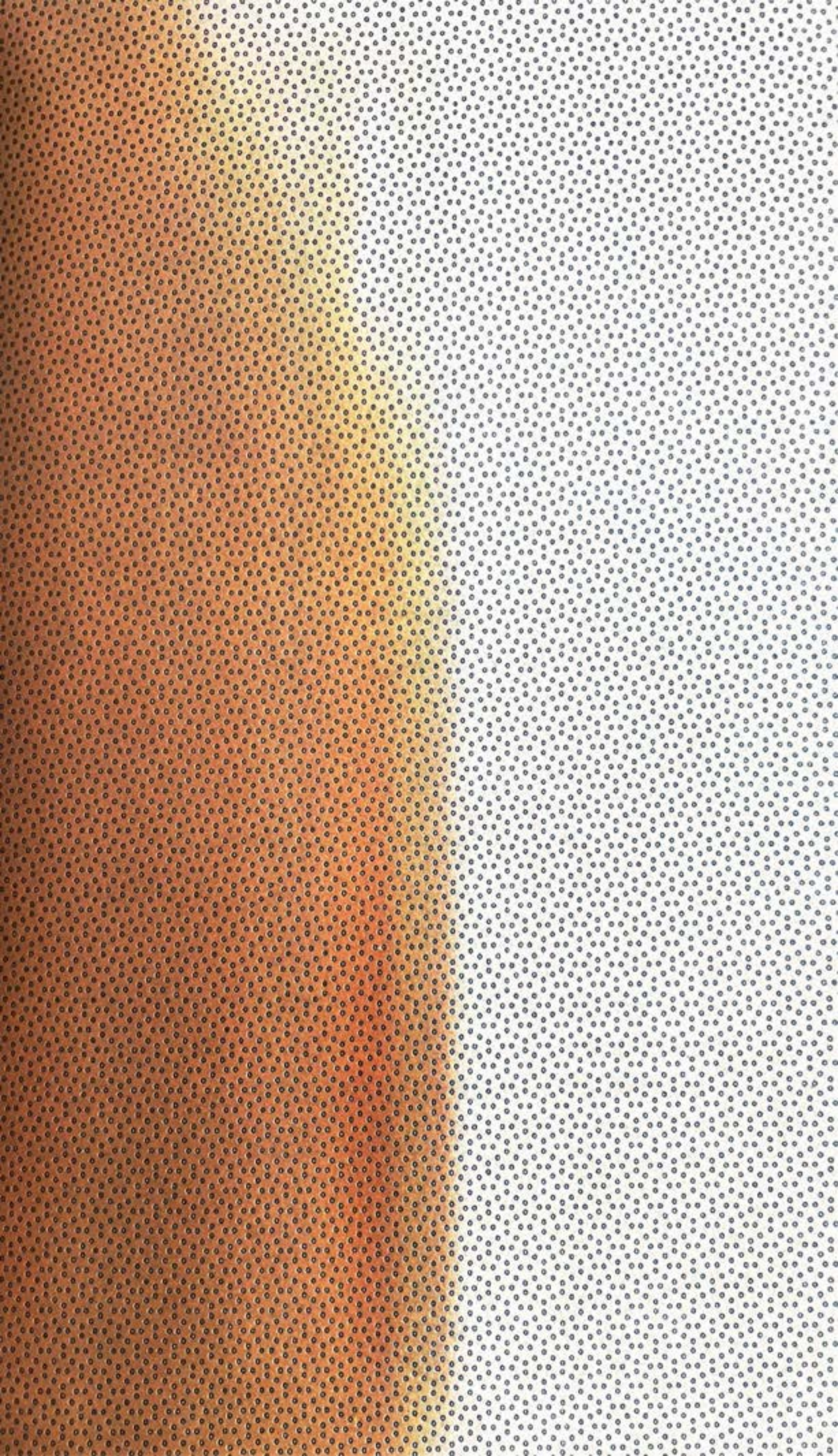


After use.

GIOVANNI BORCHI, Manufacturer of Eau-de-Cologne and Perfumery, Cologne-on-the-Rhine, Germany.

الحيوانات

الزواحف المخيفة، الجثث،
قوة الشفاء في جسم الإنسان





العلاقات

قلادة العلق، عضه على شكل علامة مرسيديس بنز،

سباق قتال العلاقات، الديدان آكلو لحوم البشر الثملة، علاقات بلا مؤخره

في عام ١٨٥٠ في لندن، قام طبيب بعلاج امرأة تعاني من التهاب الحلق المزعج. من الواضح أن اللوم يقع على عاتق اللوزتين المتورمتين. وبذلك، إزالة الاحتقان وتقليص حجمهما سيحل المشكلة. والحل بالتأكيد هو... العلاقات.

سحب الطبيب، من جرة خزفية محمولة، علقه واحده داكنة لزجة، طولها حوالي ثلاث بوصات. تتلوى بخفة من الجوع. ثقب نهاية الذيل بإبرة خيط حريري، ثم وضع العلقه في أنبوب زجاجي شفاف، لتوجيه فم العلقه الجائع إلى اللوزتين.

غرزت العلقه فكها الصغير المسنن في الأنسجة المتورمة، لكن المريضة بالكاد شعرت باللدغة؛ لأنه من المفضل ألا تكون مزعجة قدر الإمكان. العُض خلسة شيء جيد.

كان لدى المريضة إحساس بالددغة عندما تلوت العلقه التي كانت تتفخ شيئاً فشيئاً لامتلائها بالدم. قبل أن تبتعد بعد ذلك بسعادة. امتلاً فم المريضة بقطرات الدم المالح لمدة ساعة أو أكثر.

أصول مهنة العلاج بديدان العلق

يُعتقد أن العلقات والفصد يحققان الهدف نفسه - تخفيف «احتقان» الدم والالتهابات. عن طريق إراقة الدم "الفاسد"، من المحتمل أن تُحل المشكلة. لكن أي مشكلة؟ كانت أسباب استخدام العلقات لمص الدماء كثيرة، بما في ذلك الأمراض التناسلية، والتهاب الدماغ، والصرع، والهستيريا، وأمراض الأعضاء، والسبل.

إذن من المسؤول عن إدخال العلقات في حياتنا؟ يمكنك أن تبدأ

بالمصريين، الذين توثق مقابرهم أول استخدام للعلقات، لعلاج الأمراض التي تنقلها الحمى وانتفاخ البطن، منذ عام ١٥٠٠ قبل الميلاد. في إياذة هوميروس، كان بوداليريوس، أحد أبناء أسكليبيوس، معالجاً ويشار إليها باسم علقه. ثم هناك القصة الصينية القديمة التي تزعم أن العلاج بالعلقه بدأ عندما ابتلع الملك هوي (المتوفى ٤٣٠ قبل الميلاد) علقه عن طريق الخطأ في سلطته وتفاجأ عندما وجد أن معدته تحسنت. لكن العلاج بالعلقات انطلق فعلياً مع



جرة للعلقات تعود للقرن التاسع عشر

نظريات أبقراط في القرن الرابع قبل الميلاد، ثم لاحقاً، جالينوس في القرن الثاني بعد الميلاد. أيد كلا الطبيين بشدة فكرة أن النزيف يمكن أن يحقق التوازن بين الأخلاط الأربعة والتي تُعد مصدر الصحة والمرض. قادت هذه الأفكار إلى نظريات في مجال الرعاية الطبية في الغرب لما يقارب قرنين من الزمان.

بعد أبقراط وجالينوس، بدأنا في رؤية المزيد والمزيد من الأدلة على استخدام العلقة في كل شيء من إزالة الأرواح الشريرة (الطبيب السوري ثيميسون اللاذقي) إلى علاج ضعف السمع (الاسكندر التراقي). حتى إن أحد الأطباء في العصور الوسطى ادعى أنه «يطور السمع، ويوقف الدموع ويجعل الصوت عذبا». لو أننا نستطيع جميعاً وضع علقة مصاصة تتلوى لنصبح بيونسيه.

لذا، إذا كانت الإعلاق والفصد يحققان الهدف نفسه، فلماذا تستخدم مخلوقاً لزجاً بدلاً من المشروط لإراقة الدم؟

العلقه مقابل المشروط

أولاً، ضع في اعتبارك الحيوان نفسه. خُلق الهيرودينا، وهو الاسم اللاتيني النبيل للعلقه الطبية الشائعة، لامتصاص الدم. يحتوي لعابه على (الببتيد) الذي يمنع الدم من التجلط ويضمن تدفقه. ولهضم الوجبة؟ تفوق هذه المخلوقات الثدييات التي تحتوي على معدة أو اثنتين أو ثلاث بسبب امتلاكها عشرة معدات للهضم. كما أن العلقه لا تمتلك فكاً واحداً من الأسنان، بل ثلاثة، مع حوالي مائة سن لكل فك. هذه عضه لثلاثمائة سن، والتي ترك وراءها علامة على شكل زخرفة غطاء محرك السيارة مرسيدس بنز.

على عكس المشروط، أو المِخدجة ذات الشفرة، كانت عضه العلقه غير مؤلمة نسبياً، وذلك بفضل لعابها الذي يحتوي على مزيج من المواد الكيميائية المخدرة لإبقاء مضيفها مرتاحاً وغير واع لألم العض، وهو مفيد حتى لا

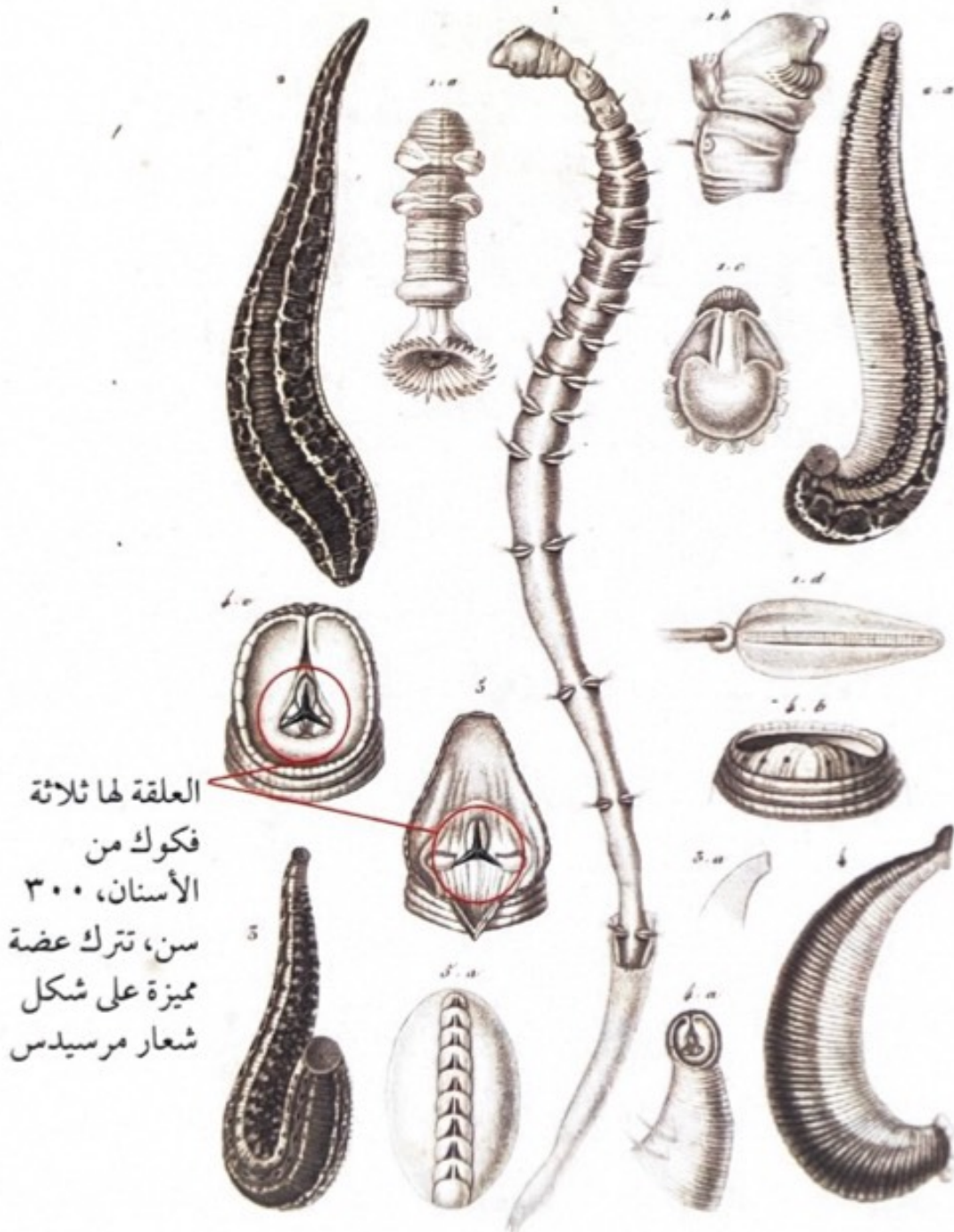


يقطع المضيف عليها عملية التغذية قبل أن تبدأ. أشادت «ساروتا سامهيتا» هي نصوص طبية مهمة مكتوبة باللغة السنسكريتية، باستخدام العلق بدلاً من الفصد بانتظام على الناس «البلهاء والمترددون والخجولين بشكل مفرط». حيث عدّوه في هذه الحالات علاجًا لطف.

كما كُلفت العلقات أيضًا بعمليات النزيف الأكثر دقة. غالبًا ما كان الفصد يُجرى في أعلى الذراعين، ولكن في المناطق الأصغر والأكثر حرًا، كانت هناك حاجة إلى شيء أصغر حجمًا. لأن ممارسي الإغلاق اعتقدوا أن النزيف يجب أن يحدث بالقرب من منطقة المشكلة، وضعوا العلقات على الصدغ لعلاج الصداع، وخلف الأذنين للدوار، وعلى مؤخرة الرأس للخمول، وعلى البطن لأمراض المعدة، وفوق الطحال لعلاج الصرع. ولألم الدورة الشهرية، وضعوا على الفخذين العلويين أو الفرج، وأحيانًا على عنق الرحم مباشرة. في الواقع، صُممت كراسي بفتحات في منطقة الجلوس لتطبيق العلقات الشرجية.

لا تقلق! واستعد فالأمر يزداد سوءًا، حيث يمكن استخدام العلقات في الأماكن داخل الجسم التي لا يمكن استخدام المشروط فيها. في بعض الأحيان، لا يكفي النزيف الشرجي الجيد. بل النزيف الداخلي ضروري وخاصةً لالتهاب الأمعاء ومشاكل البروستات. كانت هناك عقبة واحدة فقط: كيف ستدخل العلقات إلى الداخل. ابتكر أحد الأطباء الماهرين قضيبًا معدنيًا محزّزًا ذو مقبض جلدي مزخرف مصمم لامتصاص وإدخال العلق الذي يتلوى لتحقيق تأثير رائع. في عام ١٨٣٣، وصف الدكتور أوسبورن

هذه العملية. بعد دفع الديدان بقوة في «الشرح» تُسحب الأداة، وتُعاني
 العلقات في الداخل حتى تلتهم «الدم» وكلمة «تعاني» مناسبة لهذا السيناريو.
 كما أُستخدمت العلقات في المهبل إما لتحفيز تدفق الدورة الشهرية أو
 علاج آلام الدورة الشهرية، ولكن لوحظ أن هذا الاستخدام الخاص يجب
 أن يقتصر على النساء المتزوجات و «يجب تعليم ممرضة ذكية تطبيقها».
 نأمل مخلصين أنها حصلت على أجر جيد مقابل هذا.



العلقة لها ثلاثة
 فكوك من
 الأسنان، ٣٠٠
 سن، تترك عضة
 مميزة على شكل
 شعار مرسيدس

1. *Clymene amphitima*. 2. *Sanguisuga officinalis*. 3. *Sanguisuga medicinalis*. 4. *Bdella neohelena*. 5. *Hemopsis sanguisuga*.

الاستفادة القصوى من العلقة

تفضل العلقات أن تعض جلدًا نظيفًا وجليقًا حديثًا. لا سطحًا خشنًا! صرّح السيد ويلكنسون، خبير علقه في لندن عام ١٨٠٤: "لقد وجدت أن النقاط الحادة للشعيرات المحلوقة تزعج العلقات بشكل كبير". لذلك عند الخوض في البرك الموحلة - يمكن أن تكون الأرجل الخشنة شيئًا جيدًا. ولكن حتى مع الجلد الأكثر نعومة، كانت الوحوش اللطيفة تحتاج في بعض الأحيان إلى القليل من الإقناع والملاطفة. ذكرت مجلة "ذا لانسيت" في عام ١٨٤٨ أن العلقات تعض بقوة أكبر إذا ما غُمرت في البيرة الداكنة اللطيفة أو بعض النبيذ المخفف. يمكن شطف الجلد بالحليب أو الماء المحلى بالسكر أو الأفضل القليل من الدم الطازج. حتى إحداث جرح صغير بطرف السكين يمكن أن يفى بالغرض. لا تزال هذه التقنية الأخيرة مستخدمة حتى اليوم.

بعد خمسة عشر دقيقة تقريبًا، عادة ما تسقط العلقه المليئة بالدم عن جلد المريض، ولكن في بعض الأحيان كان على الممارس إزالتها. يساعد نثر ملح الطعام على رأس العلقه بذلك. لأن إزالتها بقوة قد تؤدي إلى إصابة الجلد بصدمة. إذا بدت العلقه وكأنها نائمة من غيبوبة طعام، فإن نقرة قوية من الإصبع ودفقة من الماء تعيد إحيائها بسرعة.

في كثير من الأحيان بعد إزالة العلقات، كان يُفضّل المزيد من النزيف عن طريق لف المنطقة بقطعة قماش دافئة لتوسيع الأوعية الدموية للمريض. وأوصى آخرون بإدامة النزيف عن طريق غمر المريض في حمام دافئ.

في عام ١٨١٦، نشر الدكتور جيمس رولينز جونسون أطروحته حول العلقه الطبية. إلى جانب الأساليب المذكورة أعلاه لاستخدام العلقه، درس العلقه نفسها بدقة شديدة. حاول التحقق فيما إذا كانت آكلة للحوم البشر (فكانوا كذلك)؛ قام بتجميدهم بالملح أو من دونه ليرى إن كانوا سيموتون

(كان الثلج والملح أسوأ). حتى إنه أجرى مسابقات ومعارك خاصة بالعلقات، بين علقات الخيول قوية البنية والعلقات الطيبة (فازت علقات الخيول). عذبهم أيضاً بحمض الكربونيك والزئبق ومضخات الغاز وزيت الزيتون، وتفاجأ عندما اكتشف أن العلقة «ثابتة جداً في الحياة». (توقف المؤلفون عن القراءة بعد أن وصلوا إلى هذه الجملة: «الحمل الخثوي قد يحدث في علقة واحدة»).

كما ذكرنا سابقاً، أستخدمت العلقات داخل الجسم وخارجه. هذا بالطبع يطرح السؤال: كيف نخرجها؟ كان لدى الطبيب المتحمس فيليب كرامبتون عام ١٨٢٢ حلاً: ربط العلقات بخيط.

بعد تطبيق هذه العلقات مباشرة على اللوزتين المتورمتين، لاحظ أن ربطها "يجعلها تعض بحماس أكبر، وفي الواقع، حفز أيضاً العلقات الخاملة". لا داعي للقلق: إذا ابتلعت علقة، فمن المحتمل أن تُهضم عن طريق حمض المعدة. من دون معرفة مسبقة، أوصى الممارسون في العصور الوسطى بالغرغرة ببول الماعز، أو إقناع العلقة بالخروج بمكواة الكي، أو جعل المريض يشعر بالعطش لكي تعطش العلقة وتخرج لتناول مشروب منعش من الماء. الغايات لم تبرر الوسيلة بأي حال لأنها لم تنجح. تعال لنفكر في الأمر، لا شيء يبرر شرب بول الماعز.

كان هناك أيضاً شيء من إعادة التدوير. لم تكن تُرمى العلقات دائماً بعد المص. يمكن إعادة استخدامها ما يصل إلى خمسين مرة إذا شجعنا تلك المخلوقات على التقيؤ: فقط ضع القليل من الملح على أفواهها. ثم تتقيأ العلقات مثل نجم الروك أوزي أوزبورن في أوج عنفوانه وشبابه.

كان التوفير أمراً ضرورياً. حيث رمى أطباء آخرون العلقات المتخمة في الخل (حمام كامل في الحمض!) وكانت العلقات تستمتع. أو هكذا تخيلوا. بهذه الطريقة، يمكن استخدامها مرتين في الأسبوع لمدة تصل إلى ثلاث سنوات.

لم تكن رعاية العلقات والحفاظ عليها مهمة سهلة. أوضح السيد ويلكنسون، "باختصار، يتطلب الأمر كثيرًا من الصبر والبراعة في إدارة هذه الحيوانات المتقلبة أو المزعجة إلى حد ما". يبدو أن السيد ويلكنسون على وشك أن يعرض العلق في تلك اللحظة.

عيوب العلقات وسقوط مكانتها

كانت للعلقات عيوبها. لم تكن العضة التي تشبه علامة مرسيدس-بنز الكلاسيكية شارة شرف. على الرغم من الوقت القصير الذي كانت فيه العلقات موضة عصرية (حيث طُرزت أشكال العلقة على الفساتين في القرن التاسع عشر)، غالبًا ما كان الناس يغطون عضات العلقات في الأماكن العامة.

تذكر أن «إعادة استخدام العلقة»، قبل اعتماد «العلق ذات الاستخدام الواحد» وغيرها من المعدات الطبية، يمكن أن يخلق مشاكل أكثر من العلاج. أظهر تقرير في عام ١٨٢٧ كيف استخدمت علقة لمريض الزهري، ثم أعيد استخدامها لعلاج طفل، فأصيب بالمرض.

من العيوب الأخرى للعلق أنها لا تستوعب أكثر من ملعقة كبيرة من الدم. وللحفاظ على التدفق المستمر، قُطع ذيلها للسماح للدم المبتلع بالتدفق بحرية. إنه نوع من الأسلوب السيزيفي^(١) يأكلون ويأكلون ولا يشبعون أبدًا، إضافة إلى

أنهم بلا مؤخرات. ثم يموتون. يا لها من حياة.

توفي بعض المرضى بسبب الإفراط في استخدام العلقات، كما في حالة فتاة

(١) نسبة إلى سيزف في الميثولوجيا الاغريقية الذي غضب عليه زيوس وعاقبه بحمل صخرة من أسفل الجبل إلى أعلاه، فإذا وصل القمة تدحرجت إلى الوادي، فيعود إلى رفعها إلى القمة، ويظل هكذا إلى الأبد، فأصبح رمز العذاب الأبدي. المترجمة.

تبلغ من العمر عامين في عام ١٨١٩ ماتت بسبب نزيف من لدغة واحدة.
لأن بصاق العلقة يمنع التجلط، يمكن أن يستمر نزف المريض بشكل
حاد بعد الإعلاق. في كثير من الأحيان، لا يكفي تطبيق العلقة مرة واحدة،
بل العديد من المرات. قام فرانسوا جوزيف فيكتور بروسيس، أحد أكثر
الأطباء دموية في القرن التاسع عشر، بتطبيق ما يصل إلى خمسين علقة في المرة
الواحدة. قام طبيب آخر بتطبيق ١٣٠ علقة على خصية رجل مسكين لعلاج
مرض السيلان. ربما يكون أحد أفضل الإعلانات لحمالات الجنس الآمن
للوفاية من الأمراض التي تنتقل عن طريق الاتصال الجنسي.

إضافة إلى كل ما ذكرناه، قد تصبح اللدغات نفسها ملوثة بعدوى خطيرة
تهدد الحياة. تمتلئ الأدبيات الطبية في القرن التاسع عشر بتقارير الحالات
التي أصبحت فيها اللدغات بؤرة للعدوى.

على عكس المشرط، كانت العلقات تتطلب صيانة عالية. فهي أكلة
صعبة المراس ولا يمكن التنبؤ بسلوكهم. ليس من السهل الحصول على
علقه لتعض في المكان الذي تريده بالضبط، وبذلك استخدمت أنابيب
زجاجية مخصصة لتطبيقها. وأستخدمت الجرار الخاصة لحملهم في جميع
أنحاء المدينة. كان هناك كثير من العمل!

بحلول منتصف القرن التاسع عشر، بدأ حشد متزايد من الأطباء في
التنديد بجديّة بهذا "العلاج البطولي"، وذلك بفضل فهم أقوى لعلم
وظائف الأعضاء وعلم الأمراض والإحصاء.

كان بيير لويس أحد الآباء المؤسسين للطب المسند بالأدلة، والذي كان
مدافعاً قوياً عن الحقائق حول التنظير الغامض. لم يجد أي دليل مقنع بأن
نزيف الدماء إجراء فعال. وحذا حذوه آخرون، مثل جون هيوز بينيت.

بحلول أوائل القرن العشرين، استبعدت طرق الفصد والعلاج
بالعلقات.

علقات طازجة للبيع!

من أين كانوا يحصلون على العلقة؟ في مطلع القرن التاسع عشر، كان الأطفال الإنجليز الفقراء يخوضون في المياه العكرة ويبيعون العلقات التي تتشبث بأرجلهم مقابل مصروف الجيب. ولكن سرعان ما أصبح العلق نادراً. حتى لو وُضع له طعاماً من قطع الكبد، فلن يجدي نفعاً.

بحلول ثلاثينيات القرن التاسع عشر، وصل استهلاك إنجلترا من العلق إلى أعلى مستوياته على الإطلاق. حتى أنهم استوردوا العلق من تركيا والهند ومصر وأستراليا. وبلغ عدد العلقات المستوردة من فرنسا إلى إنجلترا ٤٢ مليون



علقة في عام واحد. كانت الولايات المتحدة تحب العلقات أيضًا، لكن علقه ماكروبيديلا ديكورا *Macrobdella decora* المحلية كانت لدغتها أصغر وتسحب دمًا أقل، لذلك قاموا أيضًا باستيراد الهيرودينا. وسرعان ما ظهرت تربية العلقه لتلبية الطلب. فدُفع بالأبقار والحمير والخيول في المياه الموحلة أو المستنقعات، بعد جرحها أحياناً بجروح صغيرة لتشجيع العلقه على التثبيت بهم. في عام ١٨٦٣، أشارت المجلة الطبية البريطانية، عن حق، إلى أن "تربية الأحياء المائية هي عمل مثير للاشمئزاز." اليوم، استزراع العلق إجراء نظيف، باستخدام أنظمة المياه المفلترة والتربية المنظمة علميًا. وليس بواسطة طفل فقير أو حصان عاجز.

العلقات في الطب اليوم

سيصاب الكثيرون بالصدمة والدهشة عندما يسمعون أن العلقات لا تزال تستخدم لأسباب مشروعة. (أيضًا، الحمد لله على المضادات الحيوية. لا أحد يريد حقًا أن تمتص العلقه دمه بسبب التهاب الحلق، أليس كذلك؟) لسبب واحد مازالت تُستخدم، اكتشاف الببتيد بواسطة جون بيرى هيكرافت في عام ١٨٨٤. الببتيد هو البروتين الرئيسي الذي يعمل كمخفف للدم في لعاب العلقه. الآن، حلب العلقات الصغيرة لإفرازاتها عن طريق الفم، على غرار الأفعى الجرسية، ليس ممكنًا حقًا. لذلك قام العلماء بدلاً من ذلك بتصنيع نسخ من الببتيد، وما زالوا يستخدمونها حتى اليوم كمضادات تخثر ومضاد للجلطات.

إن قدرة العلقه على عض مناطق صغيرة من الجسم، وإزالة الدم غير المرغوب فيه، ومنع تجلط الدم مفيدة في الحالة الصحية. بعد العمليات الجراحية الترميمية للمناطق الدقيقة والحساسة مثل الأصابع والأذنين وأطراف الأنف، يمكن للعلقات إزالة ضغط الأنسجة المحتقنة بالدم، ومن

خلال القيام بذلك، يتحسن تدفق الدم ويزداد معدل بقاء تلك الأنسجة. في عمليات إعادة بناء السديلة الحرة، حيث تُنحط أجزاء كاملة من اللحم والجلد، جنبًا إلى جنب مع الأوعية الدموية والأعصاب في مناطق جديدة (مثل عمليات إعادة بناء الرأس والرقبة بعد إزالة ورم سرطاني)، تمنع العلقات الأنسجة المتورمة من قطع إمدادات الدم الضعيفة. لذلك في بعض الحالات، تكون العلقات مفيدة لك! تجعلك ترغب أن تحضن ذلك المخلوق اللزج لتقول له: شكرًا لك.



أكل لحوم البشر & طب الجثث

مصاصو الدماء الحقيقيون، عصير المصارعين،

البابا إينوسنت، مربى الدم، طحالب الجمجمة، وعلاجات المومياء

في عام ١٧٥٨. أُعدم جيمس ووالتر وايت، اللذان يبلغان من العمر ثلاثة وعشرين عامًا وواحد وعشرين عامًا، شنقًا في كينينجتون كومون، في لندن. كان الشنق وسيلة رائعة لتذكير الناس بعدم ارتكاب الجرائم، لكنه كان مصدرًا ممتازًا للتسلية. على غرار كثير من عمليات الإعدام في ذلك الوقت، يُساق المجرمون إلى المشنقة في عربة، يلف أعناقهم حبل متين مربوط بعارضة منصوبة على مرأى من الجميع.

ثم تُسحب العربة بعيدًا ويبقى أولئك الذين كانوا في يوم من الأيام مجرمين يتأرجحون في النسيم حتى يصبحوا جثث هامدة.

ورد في أحد إصدارات مجلة جنتلمان عدد أبريل ١٧٥٨ أنه بينما كانت الجثث معلقة، «وُضع طفل يبلغ من العمر حوالي تسعة أشهر في يد الجلاد، الذي قام بضرب الطفل على وجهه تسع مرات بإحدى يدي كل من الجثتين». كان الطفل يعاني من أكياس شعرية على الجلد (من المحتمل أن تكون دمامل). وكان الأمل في أن يتمكن الموتى من شفائهم.

قد يبدو هذا غريبًا، لكن استخدام أجزاء من جسم الإنسان للأغراض الطبية كان شائعًا منذ اليونان القديمة وروما، وامتد إلى العصور الوسطى وانقرض قبل القرن العشرين. أُستخدمت الجثث، ليس فقط للمس بل للأكل والشرب وغير ذلك. وتدعى هذه الممارسة بأكل لحوم البشر، أو أنثروبوفاجي، أو طب الجثة. سمها ما شئت.

عبر التاريخ، سعى البشر بشغف للحفاظ على الشباب والحيوية والقوة. بالنسبة لكثير من كبار الأطباء الذين وضعوا المعايير في الطب، استهلاك قطع من البشر الميت يتناسب مع فلسفاتهم في استعادة الصحة. دعم أنموذج جالينوس للأخلاط الأربعة فكرة أن كثيرًا من الدم قد يكون سيئًا، ولكن شرب القليل جدًا منه قد ينفع. ذكر أبقراط استخدام شيء ملوث - «أكل الجثة» أو «دم العنف الملوث» (أي دماء المجرمين) - لمحاربة النجاسة أو المرض. ولاحقًا، اعتقد باراسيلسوس أن العلاجات التي تحتوي على الإنسان تشفي وتعالج عن طريق «الأرواح» والجوهر الموجود بداخلها. لمسة سحرية بسيطة تعمل أيضًا. في القرن السابع عشر، لاحظ روبرت فلود أن «يد الجثث تصبغ الثآليل عند لمسها». اعتقد يان بابتست فان هيلمونت، العالم والطبيب البلجيكي في الوقت نفسه تقريبًا، أن الجثة البشرية تحمل «حيوية غامضة»، وأن قوة الحياة بقيت بطريقة ما في الدم والجسد، ولا سيما

إذا ماتت الأجساد موتاً عنيفاً. وبعبارة أخرى، لم تُهدر أي طاقة على مرض أو ضعف مزمن. هذا هو السبب في أن المجرمين الذين واجهوا نهايات في غير أوانها كانوا سلعة قيّمة.

في هذا الجزء، سنركز في الغالب على استخدام الجسم والدم. بالطبع، كانت هناك وصفات للبول، ومقالات عن حليب الأم للبالغين، وكمادات البراز، وإكسير العرق، ومناقشات كثيرة حول حبوب المشيمة - لكن يمكن استخراج هذه المواد «المُفرزة» إلى حد ما من دون الإضرار بها. يمكن إعطاء الدم أيضاً من دون ضرر. حيث تبرع به البشر بسخاء في القرن الماضي لإنقاذ عدد لا يحصى من الأرواح. لكن استخدام الدم في الماضي لم يكن نظيفاً يسوده الإيثار. كان عبارة عن فوضى دموية.

مربي الدم ووجبات مصاصي الدماء



يعتقد بليني الأكبر أنه يجب أن تمص دم اثنين من المصارعين، ثم تعاود الاتصال به صباحاً

نظن أن مصاصي الدماء يتمتعون بالأنياب المتلألئة والسحر المغربي، ولكن في الواقع، كان البشر الذين يشربون الدم أقل بريقاً من هذا الوصف. في القرن الأول، كتب بليني الأكبر أن «دماء المصارعين يشربها مرضى الصرع كما لو كانت جرعة الحياة»، وهو مثال ممتاز للمرضى الراغبين في التمتع بالصحة من عينة رفيعة من البشرية. لماذا الدم؟ ليس من الواضح، ولكن عندما يصر عالم بعد عالم على أن «الأمر يعمل

لأنني سمعت أنه يعمل»، فإن الناس يصدقونه. قوة الحكايات! إضافة إلى ذلك، غالبًا ما تكون نوبات الصرع عرضية. سيكون من السهل تصديق أن أي دواء كان فعالًا عندما يكون الشخص خاليًا من النوبات لبضعة أشهر بعد تناول الجرعة.

كان الدم هو الأرقى بين الأخلاط الأربعة، وكان يُسمى بإكسير الحياة. في القرن الخامس عشر، اعتقد الباحث الإيطالي مارسيليو فيسينو أن دم الصغير في العمر يمكن أن يعيد الحيوية إلى كبار السن. يجب أن «يمتصوا، مثل العلقات، أونصة أو اثنتين من وريد بالكاد مفتوح في الذراع اليسرى».. «أوه، ولكن ماذا لو كنت تعتقد أن شرب الدم أمر بغيبض؟ بعد ذلك، نصح فيسينو» بطهو [الدم] أولاً مع السكر، أو مزجه مع السكر ويُقَطَّر باعتدال على الماء الساخن ثم يشرب.

أولئك الذين لم يكن لديهم مصارعون ميتون تحت تصرفهم يجب أن يكونوا أكثر حيلة. شهد رجل إنجليزي يُدعى إدوارد براون عدة عمليات إعدام في فيينا في شتاء عام ١٦٦٨. وفي أحد المرات بعد قطع رأس أحد المصارعين، شاهد «رجلاً يركض بسرعة حاملاً إناء في يده ويملاًها بالدماء، ويشرب بسرعة من عنق الجثة الدماء المتدفقة منها». غمس آخرون مناديلهم في الدم، على أمل علاج أنفسهم من الصرع، أو كما أطلقوا عليه «مرض السقوط».

وتستمر القصة.

ولكن إذا كان هناك أي صحة للقول المأثور القديم القائل بأن «الحقيقة أغرب من الخيال»، فربما تكون القصة الآتية - غير المؤكدة - الوحشية بما يكفي لتكون حقيقية. في عام ١٤٩٢، كان البابا إينوسنت الثامن على فراش الموت. لم يكن بالضبط قديسًا، بل سياسياً عديم الضمير، استنفذ الخزانة البابوية في أثناء نزاعاته مع الدول الإيطالية، وإنجابه لستة عشر طفلاً غير

شرعي، وانخراطه في اضطهاد الساحرات واستغلال العبيد. ليس رجلاً جميلاً لنبداً به. ترددت شائعة مفادها أن طبيبه قام برشوة ثلاثة فتيان صغار بعملة ذهبية لكل منهم بوصفها ملاذاً أخيراً لإنقاذه. نزفوا بغزارة وشرب البابا المريض دمائهم. مات الأولاد. مات البابا. وانتشرت بعد ذلك سمعة سيئة للطبيب (يقول البعض إن الشائعات انتشرت بوصفها حملة تشهير معادية للسامية ضد الطبيب). هل كان بإمكان البابا إينوسنت الثامن، الرجل ذو القوة الهائلة والأخلاق المشكوك فيها، أن يسمح بقتل عدد قليل من الشباب في محاولة يائسة للبقاء على قيد الحياة؟ ربما.

لم يكن دم الإنسان يُشرب فقط. بل كان يُجفف، ويطحن ليصبح مسحوقاً، ويخلط مع الأطعمة والمراهم ويُستنشق. اعتقد الطبيب الإيطالي ليوناردو فيرافانتى أن منتجات الدم جيدة لدرجة «تربية الموتى». توفي عام ١٥٨٨، لذلك ربما لم ينجح الأمر معه. وصف بليني كيف حاول الملوك المصريون علاج العدوى الطفيلية، التي تسببت في تورم هائل يسمى داء الفيل، عن طريق الاستحمام بدم الإنسان.

كان الدم يستخدم في التهابات الجلد والحمى وإطالة الشعر. في أماكن أخرى من أوروبا، كان الدم يُطهى أحياناً لصنع مربى لزج. نعم. مربى الدم. أتساءل كيف كان يُحضّر؟ إليك وصفة الصيدلاني الفرنسيكاني عام ١٦٧٩:

١. دع الدم يجف ليصبح كتلة لزجة.
 ٢. قطعه إلى شرائح رقيقة واترك الماء يرشح منه.
 ٣. قلب المزيج على الموقد بسكين.
 ٤. اسحق المزيج بواسطة منخل من أجود أنواع الحرير، ثم قم بوضعه في وعاء زجاجي بإحكام.
- لم يذكروا ما إذا كان ينبغي تناوله مع الخبز المحمص أو الكعك. لكنهم



أخبرونا من أين نحصل على الدم: من شخص «ذو بشرة حمراء ملطخة». في الواقع، بُحث عن دماء الضحايا ذوي الشعر الأحمر بشكل خاص. عشاق ويزلي^(١) في العالم، نعتذر منكم.

تاريخ موجز لأكل البشر من أجل الصحة

الشفقة على أولئك الذين يمتلكون شعرًا أحمر. الوصفة الأخرى لجثث أصحاب الشعر الأحمر تأتي من طيبب ألماني في أوائل القرن السابع عشر. «اختر جثة رجل أحمر، كاملة، خالية من العيوب، تبلغ من العمر أربعة وعشرين عامًا، ويجب أن تكون الجثة نتيجة الموت شنقًا أو الإعدام بالعجلة». يجب بعد ذلك تقطيع اللحم إلى قطع صغيرة، ورشها بالأعشاب مثل المر والصببار، ونقعها في النبيذ. بعد ذلك، تُترك لتجف في مكان ظليل، كحال اللحوم المدخنة «من دون رائحة كريهة». إذا كنت تتخيل اللحم المقدد، فأنت على حق، على الرغم من أن تناول المقدد لم يكن نقطة النهاية.

(١) ويزلي: أحد شخصيات هاري بوتر ذو شعر أحمر (المترجمة)

حيث أُستخرجت الصبغة الحمراء من اللحم المجفف، وأُستخدمت بوصفها علاجًا ترميميًا للجروح أو لمجموعة من الأمراض الأخرى. يقودنا هذا إلى أكل لحوم البشر - استهلاك البشر. عندما سقط هؤلاء المصارعون، شرب الناس نصف لتر تقريبًا من الدم، لكنهم أكلوا أيضًا أكبادهم الطازجة، على أمل علاج الصرع. غالبًا ما كان يُعدّ الكبد عضوًا تسكنه الشجاعة ومليئًا بالدم المفيد.

البروتستانتى إدوارد تايلور (المتوفى عام ١٧٢٩)، خريج جامعة هارفارد ومشهور إلى حد ما بكتابة الشعر، لكن لم يكن مشهورًا جدًا بوصفاته الطبية، التي وصف فيها كيف يحتوي جسد الإنسان الميت على ثروة من العلاجات. كان نخاع العظام جيدًا للتشنجات. المرارة «تريح من يعاني من الصمم». القلب المجفف يشفي من الصرع. والقائمة تطول.

ثم كان هناك احتمال وجود ما يُسمى الانسان المغطى بالسكر. تأتي أسطورة "الرجل المعسول" من نص عالم صيدلاني صيني في القرن السادس عشر يُدعى لي سايجن. وكتب عن شائعة مفادها أن هناك ممارسة عربية لتحنيط الإنسان بالعسل. يبدو أن الجسد يُقدّم طواعية من شخص مسن. من دون التضحية بالنفس. لن يأكل المتطوع سوى العسل لأيام وأيام، حتى تتحول فضلاته إلى عسل وعرقه إلى عسل ويتبول عسلًا (غير ممكن تمامًا، ولكن هذه أسطورة). وبعد الموت (كما قد يحدث في النهاية)، يُدفن الجسد في نعش مليء بالعسل. بعد مائة عام بالضبط، سيأكل الجسد المحنط قطعة قطعة كالحلوى. من الذي لا يريد قطعة من الرجل المعسول؟

يُعدّ العسل مادة حافظة ومضادة للبكتيريا، وقد استخدمت للأغراض الطبية في الثقافات لعدة قرون. لكن بكل تأكيد، لا يوجد دليل على وجود «الرجال المعسولين» على الإطلاق، ولكن بالنظر إلى تاريخ أكل لحوم البشر لأغراض علاجية، يتساءل المرء إن كان صحيحًا.

القوة العلاجية لـ «شحم الإنسان»

يستخدم في التئام الجروح وتسكين الآلام والسرطان وجرعة للحب والنقرس والروماتيزم. تقول قصيدة ألمانية قديمة: «الدهون البشرية الذائبة جيدة للأطراف العرجاء. إذا فرك أحدهم بها، فسيصبح على ما يرام».



كما وُصفت الدهون بأنها علاج لرهاب الماء (الخوف من شرب الماء)، والذي غالبًا ما يكون مرادفًا لداء الكلب. يمكن أيضًا استخدام «شحم الرجل» في مستحضرات التجميل، ولا سيما إذا كان لديك ندوب الجدري، وعدّ مرهمًا رائعًا مضادًا للالتهابات.

لم تكن الجثث فقط لشرب دمها أو للمسها من أجل العلاج. جنى الجلادون ثروة لا بأس بها من جلد ودهون المجرمين المعدومين. كان الصيادلة مغرمين بشكل خاص بـ «زيت الدهون البشرية»، ويسمى أيضًا شحم الرجل، ودهن الآثم المسكين، ومرهم الجلاد. كان



في الأعلى: أواني صيدلانية للدهون البشرية. على اليسار: أمبولات من دهن الإنسان

كما أوصى الجلادون الذين تعاملوا مع الموت بأن جلد الإنسان يمكن أن يساعد النساء الحوامل - نعم، لقد كان لهم علامتهم التجارية الخاصة، ولم يشك أحد في نقاء منتجاتهم. اعتقدت بعض النساء أن ارتداء الجلد المدبوغ حول بطونهن يساعد في آلام الولادة.

يمكن أيضًا ارتداء جلد الإنسان حول الرقبة لمنع تضخم الغدة الدرقية. استخدمت زوجة أحد الجلادين الدهون البشرية لعلاج يد امرأة مكسورة في القرن الثامن عشر. وفي أمريكا الاستعمارية، كان الطبيب إدوارد تايلور - وهو صاحب النهج المثير للقلق في التعامل مع أكل لحوم البشر - يعتقد أن الجلد يشفي «الانفعالات الهستيرية».

ماذا نقول؟ حقا يجعلك هذا الوصف تشعر بالقرف. أنت بحاجة إلى قدرة عالية لقراءة هذا. حسنًا، سنتوقف الآن.

طعام لرأسك (أو العكس)



خذ دماغ شاب مات نتيجة العنف، مع الأغشية والشرايين والأوردة والأعصاب. واسحقه بهاون حجري بشكل جيد. ثم ضع من روح الخمر قدر ما يغطيه... [ومن بعد ذلك] احفظه نصف عام في روث الخيل.

وصفة «جواهر أدمغة الإنسان» من فن التقطير (١٦٥١)، جون فرينش

وصفة طبية من القرن السابع عشر لمن يعاني من النزف الأنفي: اكشط بعض الطحالب من الجمجمة واحشها في أنفك

هي مجرد وصفة واحدة ضمن محاولات كثيرة لعلاج الصرع باستخدام الأدمغة والجماجم. جاء كثير من المنطق وراء أكل

لحوم البشر لغاية العلاج من نظرية المعالجة المثلية (الطب التجانسي، علاج المثل بالمثل)، لذلك كان للدماغ والجمجمة دور أساس في علاج العلل التي يعتقد أن مصدرها الرأس نفسه. يعتقد كثيرون أن الجمجمة مهمة بشكل خاص كما وصفها الطبيب البلجيكي جان بابتست فان هيلمونت، بعد الموت «كل الدماغ يُستهلك ويزوب في الجمجمة» و«من هنا يكتسب مثل هذه الميزات».

من الإغريق، الذين قيل إنهم استخدموا أقراصًا من أدمغة رجل ميت، إلى كريستيان الرابع من الدنمارك، الذي قيل إنه عالج نفسه بمسحوق الجمجمة، أُستخدم الدماغ نفسه في المعركة ضد الصرع، والمعروف أيضًا باسم «النوبات». من وجهة نظر الأطباء حينها، الذين افترضوا أن أعراض الصرع كانت بسبب مرض في الدماغ، فإن العلاج يبدو منطقيًا. إضافة إلى استهلاك الجماجم بوصفها مسحوقًا، كُشطت الجماجم مثل جذر الزنجبيل، أو استخدمت أحيانًا وعاءًا لشرب الماء. إذا شربت النبيذ من جماجم من كنيسة سانت تيودول أو سانت سيباستيان المرصعة بالجواهر والمرصعة بالفضة، فقد تعالج نوبات الصرع والحمى.

من القرن السابع عشر حتى القرن التاسع عشر، غالبًا ما عُثر على جماجم معلقة للبيع في الصيدليات في إنجلترا وفي جميع أنحاء أوروبا. ولن تكتمل خزانة الأدوية المروعة من دون بعض طحالب الجمجمة. طحلب رقيق مخضر ينمو على جمجمة معرضة للعوامل الجوية لفترات طويلة من الزمن، ترددت شائعات لوقف نزيف الأنف عند حشو أنفك به.

اشترى الملك تشارلز الثاني ملك إنجلترا (انظر فصل الفصد)، الذي انخرط في الكيمياء في القرن السابع عشر، وصفة خاصة من كيميائي يُدعى جوناثان جودارد. عُرف الإكسير باسم «روح الجمجمة» ولسنوات باسم «قطرات جودارد»، ولكن بعد أن اشترى تشارلز الثاني الوصفة، اشتهرت

باسم «قطرات الملك». كانت وصفته هي طهي قطع من الجمجمة في وعاء زجاجي. بعد كثير من المعالجة، يمكن استخدام السائل المقطر الناتج بوصفه دواءً سحريًا، ولكن على وجه التحديد للنقرس، قصور القلب والأورام والصرع. كتبت سيدة حزينة تدعى آن دورمر في عام ١٦٨٦ أنها عندما شعرت بعدم الارتياح والاضطراب، أخذت «قطرات الملك».

في القرن الثامن عشر الميلادي، كثرت التوصيات لروح الجمجمة البشرية للإغماء والسكتات الدماغية والنوبات العصبية. أُستخدمت قطرات الملك حتى العصر الفيكتوري، بعدها اختفت من دستور الأدوية. بعد كل شيء، يبدو أن سمعة المنتج تفتقر بشكل مزعج إلى ملاحظة واحدة مهمة؛ على فراش موته، أخذ تشارلز الثاني قطراته المسماة باسمه في محاولة لشفاء نفسه، وتوفي.

المومياء

فيما يخص الحديث عن الموتى منذ زمن بعيد، عُثر على أحد المصطلحات الواردة في المواد الطبية الأوروبية لمئات السنين الذي يشير إلى مكوّن يسمى موميا *mumia*. من المحتمل أن هذا الاسم أتى من المومياوات المصرية القديمة التي تعتمد على هذا العنصر، وهذا ما يدل عليه أصل الكلمة. دعونا نناقش.

كان أحد مكونات الطب العربي المبكر عبارة عن زفت معدني يسمى موميا، مشتق من الكلمة الفارسية *mu⁻m*، أي الشمع. له شكل البترول الأسود اللزج، وأحيانًا شبه صلب وكان يستخدم في الكمادات وبوصفه ترياقًا. حوالي القرن الحادي عشر، ضلّ الناس في التعرف على مصدر آخر مفترض لهذه الطبقة المعدنية الداكنة التي توجد في تجاويف الرأس والجسم في الجثث المصرية القديمة المحنطة. أطلق عليها اسم مومياء أو موميا،



وسرعان ما أصبح الاسم مرادفًا للجنة المحنطة بأكملها أو أي منتج مشتق منها. يصف دستور الأدوية في لندن عام ١٧٤٧ بأن طعم المعادن في موميا الجمجمة «لاذع ومر». شكر الله.

لأنه إذا كان طعمه مثل كريمة دونات بوسطن، فسنجد الرؤوس تُلف كحلوى. كان الطلب على مادة الموميا من المومياوات في ذروة شعبيته في القرنين الخامس عشر والسادس عشر في أوروبا، بسبب الاعتقاد أنه «العلاج الملكي» وفقًا لباراسيلسوس.

يعتقد الطبيب وأتباعه أن روح الجسد يمكن تقطيرها فيزيائيًا لاستخلاص «الجوهر» الذي يمكن أن يعالج كل شيء تقريبًا. ليس صحيحًا - لا يوجد أساس بيولوجي لفعاليتها. لكن أكل لحوم البشر من أجل العلاج بحسب باراسيلسوس نجح على أي حال وأصبح ممارسة مقبولة تمامًا، ولا سيما الموميا. ادعى الأطباء أنه يمكن للموميا علاج القرحة والأورام الخبيثة وبصق الدم والكدمات والنقرس والطاعون والتسمم وداء السعفة والصداع النصفي. هل أسقطت هاتفك في المرحاض؟ ربما تستطيع الموميا إصلاح ذلك أيضًا.

أُستخدمت الكمادات المحشوة بالموميا لعلاج لدغات الأفاعي، والتقرحات الزهرية والصداع واليرقان وآلام المفاصل، والصرع مرة أخرى. في عام ١٥٨٥، صرّح الجراح الملكي الفرنسي أمبرواز باري أنه عندما يتعلق الأمر بعلاج الكدمات والرضوض، فإن الموميا كانت "الدواء الأفضل على الدوام لجميع المعالجين تقريبًا".

أدى الطلب إلى تجارة نشطة وغير مشروعة في بعض الأحيان. أُقْتَحِمَت المقابر في القاهرة وسرقت الجثث لاستخلاص المادة الزيتية الطافية في الأعلى. بيعت رؤوس المومياة مقابل الذهب. حتى إنه فُرِضت ضريبة استيراد مومياة في إنجلترا. بيعت أرتال من أجزاء المومياة لأطباء لندن. يعتقد بعضهم أن المكونات المستخدمة لتحنيط المومياوات - المراهم، الصبار، المر، الزعفران - أضفت عليها السحر والغنى. بعد كثير من النهب، أصبحت المومياوات نادرة. بدأت المنتجات المقلدة تظهر وهي جثث أخرى تعود للمتسولين والجذام وضحايا الطاعون. بعد أن تُنظف وتُحشى بالعود والمر والبيتومين (القار)، تُخبز أو تُجفف في الفرن وتُغمر في الزيت. لم يعرف المشترون أيهم أفضل ولكن نُصحوا «باختيار اللون الأسود اللامع، وليس المليء بالعظام والأوساخ بل بالرائحة الطيبة» توسعت الحاجة إلى المومياوات لتطال أولئك المسافرين التعساء الذين لقوا حتفهم في الصحراء الأفريقية نتيجة العواصف الرملية القاتلة. حُنِطت هذه الجثث التي يطلق عليها «المومياوات العربية» بشكل طبيعي في البيئة الجافة. لحسن الحظ، جفّت أيضًا تجارة المومياة في أواخر القرن الثامن عشر. بمجرد أن فشل منطق باراسيلسوس مع الأطباء المعاصرين، تلاشت منتجات مومياة. تقدمت المعرفة الطبية واستبدلت الصفات السحرية لجسم الإنسان بحقائق تشريحية عقلانية. لعب الاشمئزاز - وحقيقة أن المومياة لم تنجح بالعلاج - بالتأكيد دورًا أيضًا.

لا تأكل نفسك

انتهت «ضربة الجلاد» في إنجلترا في أبريل ١٨٤٥. ربما لم يدركوا ذلك حينها، لكن تلك النساء القلائل المحظوظات الاتي شهدن الإعدام كن آخر من فرك دماغه بجثة، وُصِف المشهد بأنه «استثنائي بقدر ما كان يبعث على الاشمئزاز».

ابتلاع الجثث وطبخ الأدمغة وامتصاص الدم كلها أمور لا يمكن
تصورها اليوم. ومع ذلك، فمن الشائع والمقبول تمامًا استخدام أجزاء جسم
الآخرين لأسباب طبية. التبرع بالأعضاء وزرع الأعضاء معجزات تتحقق.
يُنقل الدم بشكل يومي. أصبحنا أكثر دقة في تركيزنا عند استخدام أجسام
الآخرين - الخلايا الجذعية ونخاع العظام والتبرع بالبويضات والحيوانات
المنوية، على سبيل المثال. نحن نستأجر أرحام الآخرين. ومع ذلك، فإن كثيرًا
من الناس يرتبون من فكرة بنوك حليب الأم. نحن مجتمع التناقضات.
تظهر مقالات مرعبة من حين لآخر حول «حبوب جنينية» تُهرب من
الصين، بهدف تعزيز القدرة على التحمل وعلاج أي نوع من الأمراض. لا
تزال قصص الأعضاء المسروقة من أجل زراعتها في السوق السوداء تهددنا.
لحسن الحظ في الولايات المتحدة، تقف القوانين إلى جانب المتوفين لتكريم
رغباتهم بشأن التبرع بالأعضاء وعدم السماح لهم بأن ينتهي بهم الأمر في
ظروف غامضة في خزانة الأدوية الخاصة بشخص ما.
لا عجب في أن البشر أدركوا أن علاج كل شيء كان خاطئًا. البحث
اليأس عن الصحة يجلب أحيانًا الأفضل والأسوأ إلى البشرية.



الأدوية المشتقة من الحيوانات

بائع زيت الأفعى الأصلي، دماغ الثور، وجميع أنواع الخصى

وسط الصخب والضجيج في المعرض الكولومبي عام ١٨٩٣ في شيكاغو، المكان الذي عزفت فيه فرقة جون فيليب سوزا كل ليلة، وعُرض أول مطبخ كهربائي، وظهر بابست بلو ريبون Pabst Blue Ribbon لأول مرة، كان كلارك ستانلي الذي يسمى بملك الأفعى الجرسية بحاجة إلى ترك أثر.

وقف ستانلي، الذي يرتدي أزياء مبهرجة، على خشبة المسرح أمام الحشد الكبير ومد يده إلى كيس عند قدميه. أخرج أفعى جرسية، استعرض للجماهير جسدها المتلوي السام، ثم شقها ببراعة بسكينه وأغرقها في وعاء من الماء المغلي خلفه.

عندما طفت دهون الأفعى إلى السطح، قام ستانلي بقشطها وخلطها في مرطبان معد مسبقاً، ثم باعها للجمهور باسم «مرهم زيت الأفعى لكلارك ستانلي».

ربما كان الحشد الذي حضر ظهور ستانلي لأول مرة في المعرض هم المشترىون الوحيدون لزيت الثعبان الخاص به - وسيكون هناك الآلاف في أثناء السنوات القادمة - الذين لن يكون لديهم بالفعل أجزاء من الثعابين في منتجاتهم. مرهم ستانلي، كما اكتشف المحققون الفيدراليون بعد أربعة وعشرين عامًا، كان بالكاد يحتوي على الثعابين. أو ربما لا يحتوي على الإطلاق.

وكشف التحقيق الرسمي في النهاية عن المحتويات: زيت المعدني، دهن البقر، الفلفل الأحمر، وزيت التربنتين. على الرغم من أن هذه كانت أخبارًا جيدة للأفاعي الجرسية، إلا أنها كانت أخبارًا سيئة لكثير من مستهلكي ستانلي، الذين خدعهم أول بائع زيت ثعبان في العالم.

في عام ١٨٩٧، نشر ستانلي سيرة ذاتية تضم جزءًا من الأساطير الشخصية، وجزءًا من شعر رعاة البقر، وجزءًا للترويج لزيت الثعبان الخاص به. في كتابه حياة ومغامرات راعي بقر أمريكي: الحياة في أقصى الغرب، ادعى ستانلي أنه تعلم عن قوى الشفاء العظيمة والغامضة لزيت الثعبان من قبيلة هوبي.

على الرغم من أن أصل قصة ستانلي منتقاة بذكاء، إلا أن الحقيقة كانت أكثر تعقيدًا.

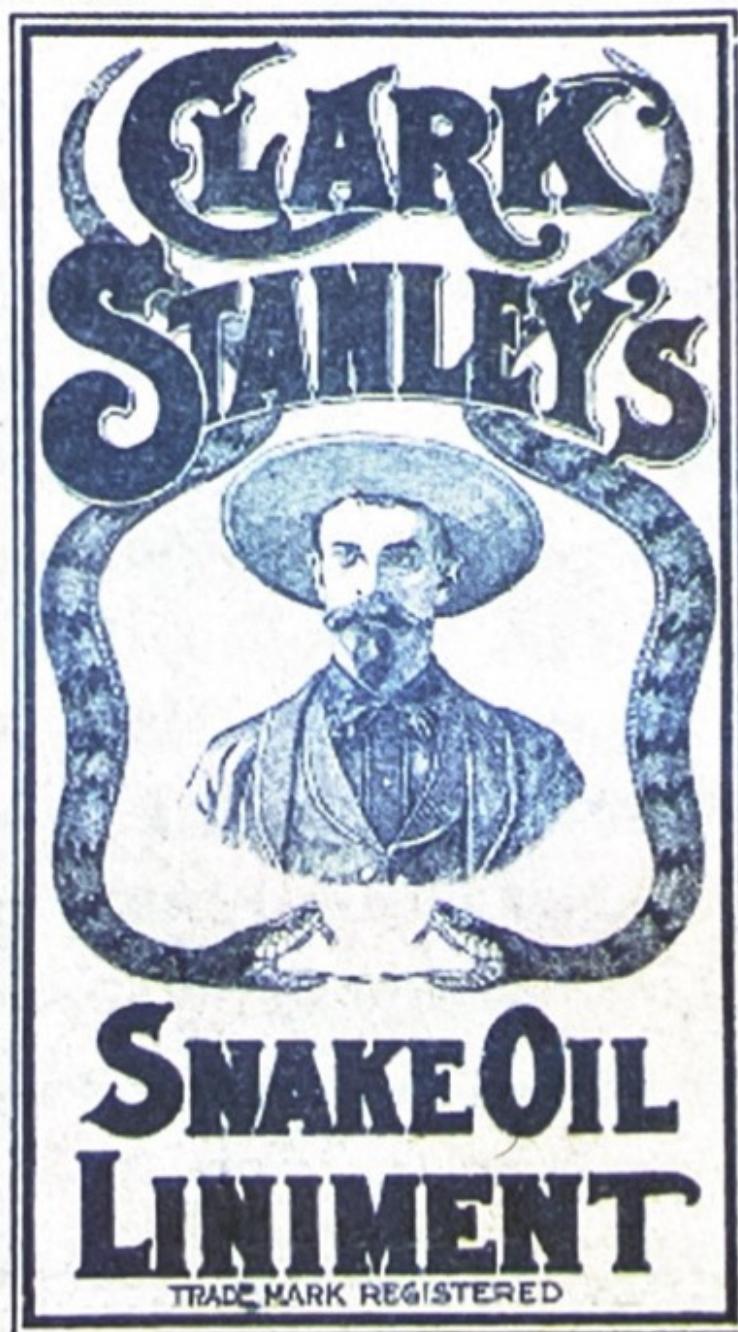
ففي أثناء موجة الهجرة الصينية إلى الغرب الأمريكي في القرن التاسع عشر، ثار الأمريكيون ضدهم. لكن الصينيون كانوا يكيّدون لهم بالمقابل بالممارسات الطبية الصينية التقليدية. كان زيت الأفعى دواءً موضعيًا شائعًا وشرعيًا يستخدمه العمال الصينيون لتخفيف الألم وتقليل الالتهاب وعلاج

**SNAKE
OIL
LINIMENT**

THE
STRONGEST AND
BEST LINIMENT
KNOWN FOR PAIN
AND LAMENESS.

USED EXTERNAL
ONLY

FOR
RHEUMATISM
NEURALGIA
SCIATICA
LAME BACK
LUMBAGO
CONTRACTED
CORDS
TOOTHACHE
SPRAINS
SWELLINGS
ETC.



—FOR—
FROST BITES
CHILL-BLAINS
BRUISES
SORE THROAT
BITES OF
ANIMALS
INSECTS AND
REPTILES.

GOOD FOR
MAN AND BEAST

IT GIVES
IMMEDIATE
RELIEF.

IS GOOD
FOR
EVERYTHING
A LINIMENT
OUGHT
TO BE
GOOD FOR

Manufactured by
CLARK STANLEY
Snake Oil Liniment
Company
Providence, R. I.

Clark Stanley's Snake Oil Liniment

Is for sale by all druggists. If your druggist fails to have it tell him he can get it for you from any wholesale druggists or it will be sent to you to any part of the United States or Canada upon the receipt of fifty cents in stamps by addressing the

Clark Stanley Snake Oil Liniment Co.

PROVIDENCE, R. I.

التهاب المفاصل والتهاب الجراب. زيت الثعبان الصيني، المصنوع من دهون ثعابين الماء الصينية - الغني بأحماض أوميغا ٣ الدهنية - كان في الواقع مضادًا فعالاً للالتهابات.

لكن مشكلة ثعابين الماء الصينية هي أنها تعيش جميعًا في الصين. لذا، بمجرد نفاد زيت الثعبان الذي أحضرته معك عبر المحيط الهادئ، ماذا ستفعل بعد ذلك؟ ستبحث عن ثعبان محلي. وإذا كنت في مكان ما غرب جبال روكي، فمن المحتمل أن يكون لهذا الثعبان المحلي جرس على ذيله. تحتوي الأفاعي الجرسية، للأسف، على أحماض دهنية أقل فائدة، أي أقل بثلاث مرات من متوسط ثعبان الماء الصيني. لذا فإن زيت الثعبان المصنوع من الأفاعي الجرسية لم يكن بالفعالية نفسها تقريبًا.

لكن ما كان أقل فاعلية هو مرهم زيت الأفعى الخاص بستانلي لأنه لا يحتوي على زيت ثعبان على الإطلاق. لا يهم. كان «ملك الأفاعي الجرسية» سيدًا في الترويج الذاتي (عندما زاره أحد المراسلين في ماساتشوستس، كان حريصًا على امتلاء مكتبه بالثعابين، التي تزحف في جميع أنحاء الغرفة وحتى على ذراعيه)، وقد سُعد بعمله لمدة عقدين من الزمان، وجمع ثروة هائلة. حتى إنه سُعد بعمله أيضًا لمدة أحد عشر عامًا حتى بعد بدء العمل بقانون الغذاء والدواء النقي لعام ١٩٠٦ الذي ساهم في إخراج كثير من زملائه الدجالين من العمل. لم يلحق الفيدراليون بستانلي حتى عام ١٩١٧، عندما استولوا على شحنة من مرهم زيت الثعبان الخاص به، وقاموا بتحليل المحتويات، وأصدروا تقريرهم الملعون.

فُرضت غرامة هائلة قدرها ٢٠ دولارًا على ستانلي لانتهاكه قانون الغذاء والدواء النقي عن طريق «إساءة تسمية» منتجه.

دفع الرسوم، وهز كتفيه غير مكترث، وخرج من صفحات التاريخ رجلاً ثريًا.

مجنون في دماغ ثور

لم يكن ستانلي أول دجال يصل إلى أقرب حيوان، ويأخذه، ويعلن أن محتوياته هي الدواء الشافي. على مدى آلاف السنين القليلة الماضية، ولأغراض طبية مشروعة وغير مشروعة، كنا نسحق الحيوانات ونختبرها ونذبحها ونعذبها. يُطلق على عملية استخدام المنتجات الحيوانية في الطب اسم "العلاج بالحيوان"، ولكنها ليست رحلة إلى حديقة الحيوان. من حين لآخر، أدت الأبحاث على الحيوانات إلى اكتشافات مهمة، بل وحاسمة. لعبت ذبابة الفاكهة دورًا مهمًا في دراسات توماس هانت مورغان المبكرة لعلم الوراثة، وأظهر إيفان بافلوف العلاقة بين تحفيز الإحساس ووظائف الجسم مع كلابه، وطور إدوارد جينر أول لقاح ضد الجدري من الأبقار (وصاغ مصطلح التطعيم vaccination على الفور من كلمة vacca اللاتينية التي تعني «بقرة»). لقد استخدمنا أيضًا الحيوانات للمساعدة في عمليات الشفاء: على سبيل المثال، كانت العلقات، (انظر فصل العلقات) لسنوات عدة تعدّ سلاحًا مهمًا في الترسانة الطبية، ولطالما كانت الحلزونات فعالة في شفاء الحروق، ويمكن أن تُستخدم شبكات العنكبوت لربط الجرح، وحتى اليوم تستخدم اليرقات لتنظيف الجروح.

لكن مقابل كل بقرة ساعدت البشرية على تجنب الجدري، مات بضعة آلاف باسم الدجل. على سبيل المثال، خذ هذه الوصفة للجنون من عصر النهضة:

اخبز رغيف خبز، ثم أزل الجزء الداخلي واستبدله بدماغ ثور. اربط هذا الخبز المحشو بدماغ الثور برأس المريض. وسيشفى من الجنون. نعم، لقد مات هذا الثور الآن حتى يتمكن الشخص المصاب عقليًا من وضع دماغ الثور على رأسه.

القليل من هذا السحر الوُدّي المعروف هنا (أي وضع دماغ ثور رزين

بالقرب من دماغ شخص مجنون) قاد كثيرًا من الحيوانات نحو حتفها، بينما في الوقت نفسه لم تنفع البشر في محاولتهم للشفاء.
ومع ذلك، فقد حافظنا على اعتقاد راسخ على مر القرون في قوة السحر الودي للتغلب في تجاربنا الطبية. إذا كان الحيوان قويًا، فسوف ينقل إلينا قوته. إذا كان الحيوان حكيماً، فسوف ينقل حكمته إلينا. وإذا كان الحيوان فحلاً، فسوف ينقل إلينا فحولته. وما هو الجزء الأكثر فحولة في الحيوان الفحل؟ الخصيتين بالطبع.

قصة خصيتين

«هل ترغب في الاستمرار في مشكلة عدم الانتصاب؟» هذا سؤال كانت تطرحه الإعلانات في الثلاثينيات. إذا لم تكن تريد ذلك، اذهب إلى «دكتور» جون رومولوس برينكلي، الذي قدم حلاً مذهلاً لمشكلة العجز الجنسي عند الذكور.

أقنع برينكلي بشكل لا يقبله المنطق عددًا كبيرًا من الرجال بشكل محرج بأن كل ما يحتاجونه لاستعادة رجولتهم هي مجموعة جديدة من الخصيتين. خصيتي الماعز، على وجه الدقة.

شق برينكلي كيس خصية الرجل، وزرع قطعًا من خصيتي الماعز، ثم خاط الكيس مرة أخرى. وهكذا أُستعيدت القوة الجنسية مرة أخرى وأصبح برينكلي مليونيرًا.

كان ذلك الدجال الأمريكي يمشي على خطي سيرج فورونوف، الطبيب الذي وُلد في روسيا ومارس عمله في فرنسا ومصر في بداية القرن العشرين. اقتنع فورونوف في وقت مبكر من مسيرته الطبية بأن عملية الشيخوخة تتسارع بسبب انخفاض النشاط الهرموني. إذا لم يكن بإمكانك زيادة إنتاج الهرمونات، أو تجديد غدد الشيخوخة، فربما يمكنك قلب عملية الشيخوخة.

في سن الثالثة والثلاثين من عمره، قام فورونوف، في عرض شجاع
للتجربة الذاتية، زرع لنفسه خصي الكلاب
وحنازير غينيا لمعرفة ما إذا كان ذلك سيوقف عملية الشيخوخة. لكنها
لم تفعل.

على الرغم من الفشل المريع، أقنعت التجربة بطريقة ما فورونوف أن
المبدأ سليم. لذلك، ابتداءً من عام ١٩١٣، تحول الطبيب إلى عائلة القردة،
وزرع خصيتين من قرد البابون في كيس الصفن لرجل يبلغ من العمر أربعة
وسبعين عامًا.

لكي نكون منصفين، لم يكن فورونوف يثقل كاهل كيس الصفن للرجل
المسكين بخصيتي البابون بالحجم الكامل. وإدراكًا منه أن مثل هذه الجراحة
ستؤدي دائمًا إلى رفض الجسم البشري للمواد الغريبة، توصل الطبيب إلى
استراتيجية أكثر دقة. قام بزرع "شرائح رقيقة" من خصيتي القرد بقياس ٢
سم في نصف سنتيمتر. وبذلك، يمكن للأنسجة البشرية أن تندمج مع هذه
الشرائح الرقيقة، وتبدأ عملية التجديد. مبدأ الاندماج صحيح، لكن عملية
التجديد... لا أعتقد. ماتت الأنسجة ولم يكن هناك نتائج طبية. ومع ذلك،
كان تأثير العلاج الوهمي قويًا.

وصف فورونوف العملية بأنها ناجحة، وحضر حوالي سبعمائة طبيب
في المؤتمر الدولي للجراحين في لندن عام ١٩٢٣ وقد دُهبوا عندما قدم
فورونوف تقنياته الجراحية الجديدة، فأضافوا بذلك جواً مدهشاً من
الشرعية المؤقتة لادعاءات فورونوف الغريبة تمامًا. أعلن الجراح أن الزراعة
الناجحة أدت إلى زيادة الدافع الجنسي (المشكلة الذكرية الدائمة التي استغلها
الرجالون لقرون)، إضافة إلى زيادة الطاقة وتحسين البصر والعمر الأطول.

خصيتا القندس والعنبر



قندس على أتم الاستعداد
لرمي خصيته عليك

لم تكن أيّ مواد أكثر
رواجًا في صيدليات العصور
الوسطى أكثر من خصيتي
القندس ومن العنبر. يفرز
ذكور وإناث القنادس سائلًا
أصفر يسمى كاستريوم
«castoreum»، من كيس
الغدد العطرية المتوضع بين
الحوض وقاعدة الذيل. بالنسبة

إلى القنادس، يعد الكاستوريوم مفيدًا في تحديد مواقعهم. أما بالنسبة
إلى البشر، فقد اقتصروا بأن الكاستوريوم مفيد إلى حد كبير لكل حالة
طبية في مرحلة ما من التاريخ. كما اقتصروا أيضًا أن الكاستوريوم
موجود داخل خصيتي القندس. (ليس صحيحًا.)

اهتم البشر بالحصول على خصية القندس لدرجة أن إحدى الأساطير
الشعبية في العصور الوسطى تقول بأن القنادس، الذين سئموا من صيد البشر
لها، كانوا ينزعون خصاهم ويرمون تلك الخصى المحررة حديثًا مباشرة على
مضطهديهم. في حين أن الحكاية الخرافية تظهر القنادس على أنها مشاكسة،
إلا أنها أيضًا زائفة تمامًا.

العنبر، مادة تفرز من أمعاء حوت العنبر، وقد استغلها العطارون
والأطباء مثل الكاستوريوم. كان يُعتقد أنها قريبة من حيث القيمة من قيمة
الذهب، ليكون الدواء الشافي الفعال في العصور الوسطى، حيث يعالج



فورونوف يمجّد شمبانزي

الصداع ونزلات البرد وأمراض القلب والصرع.

يمكنك أيضًا حمل كرة من العنبر بوصفه مانعًا للطاعون (إذا كنت تستطيع شراء واحدة). في هذه الأثناء، كانت العشرينيات الهادرة على قدم وساق وكان الجو العالمي بين الأثرياء يسوده التفاؤل المطلق والاستعداد التام لتجربة أفكار جديدة. لقد كان بالضبط الوقت والمكان المناسبان لإجراء جراحة

خصيتي القرد لإيجاد موطن قدم ثقافي متين. وبذلك أشتهرت عمليات زرع خصى القروء بين الأثرياء وأصبح فورونوف جراحًا مشهورًا أثرياً، حيث احتل الطابق الأول بأكمله من فندق باهظ الثمن في باريس، وحضره عدد كبير من موظفي الخدمة والسكرتيرات.

دوّن أحد الجراحين أن «حفلات العشاء العصرية وسهرات السمر الريفية، إضافة إلى التجمعات الرصينة للنخبة الطبية، كانت على شرف «خصية القرد» أجرى فورونوف جراحته البالغة ٥٠٠٠ دولار على ما

يراوح بين خمسمائة وألف رجل في أثناء العقد اللاحق في عيادته الخاصة التي أنشأها في الجزائر العاصمة. (بالمناسبة، حصل على خصى القردة من الحيوانات المحفوظة في مزرعة فورونوف للقروء في ريفيرا الإيطالية). أجرى كثيرًا من الأشخاص البارزين الجراحة، بما في ذلك هارولد فولر ماكورميك، رئيس مجلس إدارة شركة انترناشونال هارفيستير International

Harvester، الذي كان يأمل أن يساعده هذا الإجراء في مواكبة زوجته الجديدة الأصغر سنًا، مغنية الأوبرا البولندية غانا والسكا. من المشاهير الآخرين الذين أجروا الجراحة كان فرانك كلاوس، بطل الملاكمة للوزن المتوسط الذي كان يخوض معركة خاسرة ضد بداية منتصف العمر. على الرغم من شعبيتها، مع تقدم العشرينيات من القرن الماضي، أصبح من الواضح بشكل متزايد أن جراحة خصية القرد بعدها "تحسينًا" للذكورة كانت فاشلة تمامًا.

اختفى فورونوف بشكل غامض وعندما توفي في عام ١٩٥١، كتبت بعض الصحف نعيه.

ومع ذلك، فإننا نعاني بشكل رهيب من الذاكرة قصيرة المدى، لم يمض سوى سنوات قليلة على سقوط زراعة خصية القرد حتى أعلن دجال جديد عن قدرات تجديد الخصية من مخلوق آخر تمامًا: الماعز. الآن نعود إلى جون رومولوس برينكلي.

بدلاً من التسجيل في كلية الطب التي اعتمدها الجمعية الطبية الأمريكية، اختار برينكلي طريقاً أرخص وأكثر دجلاً - الجامعة الطبية الانتقائية في مدينة كانساس. كان برينكلي يبحث عن الشهرة والمال، وكان له ما تمنى.

خصى القرد

تركت جراحة خصى القرد بصمة ثقافية عميقة في عشرينيات القرن الماضي، قادت إلى رواية ساخرة (قلب كلب) للكاتب ميخائيل بولجاكوف، وإلى وصفة كوكتيل مشهورة، وإلى أغنية الأخوة ماركس في فيلم Cocoanuts:

دعني آخذك بيدك إلى فرقة jungle فإذا كنت كبيراً في السن ولا يمكنك الرقص احصل على خصيتي قرد.

وصفة كوكتيل خصيتي القرد

التي أنشأها الشهير هاري ماكلون، الساق الشهير في حانة، تحتوي خصية القرد القياسية على ما يلي: 1/2 1 أوقية الجن • 1/2 1 أوقية عصير برتقال • 1 ملعقة صغيرة غرينادين • 1 ملعقة صغيرة من الأفسنتين.

رجها ، صفها ، قدمها

عند زرع خصى الماعز راندي في كيس الصفن لدى الرجال، يستعيد الذكور بالتأكيد رجولتهم وشبابهم. لم يحققوا ذلك بالطبع - رفض الجسم الأنسجة المزروعة، لكن نتائج تأثير العلاج الوهمي كانت مرة أخرى قوية بشكل مدهش. ماذا عن المرضى الذين أصيبوا بشكل دائم على يد الجراح الذي لم يكن حاصلًا على رخصة طبية فعلاً؟ حسنًا، مُسح هذا الجزء من القصة بسهولة واختفى.

تابع برينكلي عرض الماعز الخاص به على الصعيدين الوطني والدولي في الثلاثينيات. وقد وصف رئيس سابق للجمعية الطبية الأمريكية ادعاءاته بأنها «حماقة». عندما سُئل في المحكمة عن كيفية معرفته بنجاح عملياته الجراحية، أجاب أيتها الممرضة، أعطني خصيتي القرد. «أثناء جراحة برينكلي»

برينكلي، «لا يمكنني شرح ذلك ... لا أعرف.» (لا أعتقد أنك تريد سماع كلمات شخص تدفع له مقابل تشريحه كيسك الصفن).

على الرغم من طموحه المستمر (اقترب من الفوز بمنصب حاكم كانساس، وفتح محطة إذاعية ناجحة للغاية على حدود المكسيك)، توفي برينكلي مفلسًا في عام ١٩٤٢ بعد سلسلة من الدعاوى القضائية.

اللطافة النسبية في العصر الحديث

مع تطور الطب الغربي في أوائل العصر الحديث، أصبحنا نعتمد بشكل أقل على ذبح الحيوانات من أجل علاجات معقدة، وبدلاً من ذلك نكتفي بمجرد حبس الحيوانات في أقفاص واستخدامها في التجارب الطبية. الأمر أكثر «لطفًا» بهذه الطريقة. لكننا لم نتخلَّ في عقاقيرنا عن الحيوانات تمامًا. في الواقع، كثيرًا ما يجد هذا النباتي المخلص نفسه في مأزق.

لثلاثين عامًا نشعر بأننا متفوقون جدًا على أسلافنا، إليك بعض علاجات القرن الحادي والعشرين التي قُدمت بأسلوب القرون الوسطى:

مرض السكري: استخراج إفرازات البنكرياس من خنزير قُتل حديثًا، وحقنها في الوريد في ذراعك. (الأنسولين)

جفاف العيون: يستخرج الزيت من غدد جلد الخراف ويوضع في العينين (اللانولين).

الأمراض العامة: مسحوق من مجموعة متنوعة من المكونات الطبية. قم بغلي عظام وأربطة وأوتار بقرة أو خنزير، وقم بإنشاء كبسولة من الخليط الناتج. املأ الكبسولة بالمكونات الطبية، وشجع المريض على البلع. (جيلاتين)

التهبات الساخنة بعد انقطاع الطمث: اشربي بول فرس مقلّحة. (بريبارين)
منع تخثر الدم: مستخلص المخاط من الأغشية المعوية للخنازير المذبوحة أو من رثتي الأبقار المذبوحة. حقن (الهيبارين)

لذلك، في الحقيقة، لسنا مختلفين تمامًا عن أسلافنا، وقد تجد بعض علاجاتنا الحديثة المستمدة من الحيوانات نفسها هدفًا لكتب عن الدجل في المستقبل. كان أسلافنا في العصور الوسطى على معرفة بشبكات العنكبوت وحلزونات الوحل. ولكن ماذا عن ربط أدمغة الثور برؤوس المصابين بأمراض عقلية؟ في المستقبل، قد نشعر بالشيء نفسه حيال تلقيح الأفراس لنحصل على بولها.



الجنس

العريضة اليونانية، وصفات تدليك الحوض، موسعات المستقيم،

صندوق الأورغون، الضرب كوسيلة للخصوبة

هل تتذكر أغنية «الشفاء الجنسي» لمارفن غاي؟ حسنًا، كان السيد غاي يعبر بأسلوبه الذي لا يقاوم عن شعور قديم بأن الجنس يمكن أن يكون علاجًا. لا يقتصر الأمر على الإنجاب أو التعبير عن الحب أو قضاء الوقت في ظهيرة يوم الأحد الممل، ولكن أيضًا شفاء الجسد بحسن نية. على الرغم من أن الأمر لزم عبقرية موسيقياً لنشر هذه الرسالة الرائعة للجماهير، إلا أن الفكرة تعود إلى عدة آلاف من السنين.

وُصف النشاط الجنسي علاجًا لكل شيء من الهستيريا إلى البواسير. لكن في المقابل، وُصف الامتناع عنه أيضاً علاجًا، في كثير من الأحيان للأمراض نفسها. من الصعب علينا دائمًا أن نفصل بين سياساتنا وتحيزاتنا وبين تشخيصاتنا الجنسية. كانت ذروة التدخل الطبي في ذلك الجانب الحميمي في القرن التاسع عشر، عندما شجع الفيكتوريون، في حالة محيرة للعقل تكشف عن النفاق النفسي، على ممارسة العادة السرية للإناث (عن طريق الأطباء) في الوقت الذي أدانوا فيه ممارسة العادة السرية عند الذكور. لكن، صلتنا الطبية مع الجنس تعود إلى المنحدرات الجبلية في اليونان القديمة.

العريضة مع ٣٠٠

كان ميلامبوس معالجًا بارزًا يظهر من وقت لآخر في الأساطير اليونانية القديمة. ذات يوم، استدعى حاكم أرغوس ميلامبوس، لأن المدينة كانت تعاني من مشكلة صغيرة: أُصيب جميع العذارى، بعد رفض تكريم القضيب في طقس ديني، بالجنون وهربن إلى الجبال. قال ميلامبوس، «لا داعي للقلق»، تعقب مجموعات العذارى المتجولة في المنحدرات، وشجعهن على ممارسة الجنس مع الشبان اليونانيين الأقوياء. (هل تتذكر فلم ٣٠٠؟ نصح ميلامبوس بممارسة الجنس مع شبان كهؤلاء بالضبط.)

وفقًا للقصة، أخذ بنصيحة ميلامبوس الحكيمة وكانت لها نتيجتها. وجدت النساء أن جنونهن قد تلاشى بعد مضاجعتهن بعض المحاربين اليونانيين. عدن من الجبال واستأنفن حياتهن اليومية في أرغوس.

إذن ماذا تخبرنا هذه القصة حقًا؟ إنها واحدة من أولى الحالات المسجلة للحضارة الغربية التي تواجه تلك القضية القديمة «الهستيريا الأنثوية» والتي هي (من صنع الذكور). قصة شفاء ميلامبوس للعذارى هي قصة لها أساس يتعلق بجنون الإناث الناجم عن نقص الجنس. بالمناسبة، لم يكن من قبيل المصادفة أن ميلامبوس قدّم عبادة ديونيسوس، إله الخصوبة، إلى بقية اليونان.

هل تشعر بالقلق أو التوتر أو الاكتئاب أو الخيانة؟ عش العربة في حالة سكر ليلة سبت وستشعر بتحسن كبير.

كتب أبقراط كثيرًا عن الهستيريا، وهو مصطلح أُعيدت صياغته لاحقًا في القرن التاسع عشر. وضع جميع المشاكل الصحية الأنثوية على عاتق «الرحم المتجول»، وصرّح بأن النساء يمكنهن علاج مجموعة كاملة من الأمراض عبر ممارسة الجنس. فالرحم يرضيه النشاط الجنسي، فيتوقف عن التجول والتسبب للنساء بالمرض. والمكافأة الإضافية إذا أصبحت حاملاً. لكن كان عليك أن تتزوجي. كانت العذارى والأرامل والنساء العازبات بمفردهن.

اعتقد أبقراط أيضًا أن ممارسة الجنس من شأنه أن يوسع قناة الولادة عند المرأة، مما يؤدي إلى جسد أنظف وأكثر صحة. لقد كان نوعًا ما على حق في هذه النقطة. تشير الأبحاث الحديثة إلى أن النساء اللواتي لديهن قنوات ولادة أوسع، إما خلقياً أو نتيجة ثانوية للولادة، غالبًا ما يكون لديهن تقلصات أقل في الدورة الشهرية. بشكل عام، دعا أبقراط إلى أن تتزوج المرأة وتتمتع بحياة جنسية نشطة للبقاء بصحة جيدة. من ناحية أخرى، دعا كثير من الأطباء - وبالتحديد سورانوس اليوناني وجالينوس الروماني - إلى الامتناع عن ممارسة الجنس من أجل صحة المرأة. بالطبع، هؤلاء كانوا أطباء ذكور.

مرت ألف سنة أخرى قبل أن يُسمح للنساء بالتوصل إلى استنتاجاتهن الخاصة حول صحتهن الجنسية (ناهيك عن ممارسة الطب في الواقع)، أخيرًا في إيطاليا القرن الحادي عشر، أتت تروتا ساليرنو، أول طبيبة في أوروبا في العصور الوسطى. وهي أول من أشارت في كتاباتها إلى أن الأمراض الجنسية ربما كانت حميمية بعض الشيء بالنسبة إلى المرضى من الإناث لمناقشتها مع أطبائهم من الذكور. عدت الامتناع عن ممارسة الجنس سببًا للمرض ونصحت بحياة جنسية نشطة في حدود الزواج. كما أوصت بزيت المسك والنعناع لتهدئة الرغبة الجنسية إذا لزم الأمر. زيت المسك والنعناع ليس شيئًا ممتعًا؟ لا تقلقي. ربما يستطيع الفيكتوريون تقديم شيء أكثر متعة بالنسبة إليك.

الضرب طريقك إلى الخصوبة

روى الشاعر الروماني فيرجيل، أنه في أثناء الاحتفال الروماني لوبريكاليا، الذي هو أساساً عبارة عن عريضة علنية، كان الرجال العراة يتجولون في الشوارع ويضربون أي امرأة يصادفونها. اعتقد الرومان أيضاً أن صفع العروس الجديدة بمرافقة صوت الصنج، وسيلة مؤكدة لضمان خصوبتها.

حتى إن هذا الاعتقاد شق طريقه إلى مسرحية شكسبير «يوليوس قيصر» عندما أمر القيصر مارك أنتوني بـ «لمس» زوجته كالبورنيا حتى تحمل:

لا تنس أنطونيوس، أن تلمس كالبورنيا؛ لأن شيوخنا يقولون، إن زوجتي العاقر، قد لمّست في هذه المطاردة المقدسة، تخلص من لعنتهم العقيمة.



رجل يقوم بضرب امرأة على أمل إنجاب وريث

الفيكثوريون للإنقاذ!

Precminent healer **DOC CONSTANTINE** affirms
THE KEY TO HEALTH
 IS THROUGH GENTLE VIBRATING MASSAGE RESULTING IN
HYSTERICAL PAROXYSM
 THE MOST IMPORTANT HEALTH MECHANISM EVER PRODUCED
 A PRACTICAL SOLUTION FOR EVERY HOUSEHOLD


This miracle of modern medicine alleviates
 HEADACHES, EMOTIONAL DISCOMFORT,
 MELANCHOLY, PIQUE, DERANGEMENT,
 NERVOUS ENERGY, ABDOMINAL HEAVINESS,
 NIGHT BLINDNESS, MUSCLE PAINS, &c
 And Strengthens the action of the Heart

VIBRATION IS LIFE

Indispensable to the Happiness of Mankind
 It preserves HEALTH, CURES disease, and prolongs LIFE by
 Relieving all distress to the midquarters while
 Enhancing Beauty, Strength, Vigor, and Stamina

PERFECT RELAXATION IS PERFECT HEALTH
VIBRATE YOUR BODY AND MAKE IT WELL

BEAVER MOON VIBRATOR CORP.
 A DIVISION OF BLACK PHOENIX STEAMWORKS, DUNWICH, MA.



النشوة الجنسية! مفتاح الصحة

Dr. Swift A WONDERFUL HEALER
 STATES
HERE IS HEALTH
 THROUGH The Magic Power of FINE GENTLE
MASSAGE

His Home Treatment,
 which cures the patient
 in the privacy of their
 own home without the
 knowledge of any one, is
 creating a profound sen-
 sation because it is cur-
 ing the hopeless and
 those pronounced incur-
 able.

FOR ALL
DISEASE
 OF THE MID-
 QUARTERS
 FROM
 NECK
 to
 KNEE

ON AND AFTER
 FEBRUARY 1, 1907
 BOSTON, C. P. & C.



لماذا؟ يادكتور، يبدو أن هذا يبدو
 ضعيفاً... هيا.. أقوى

من المحتمل أن تكون فكرة
 هستيريا النساء قد وصلت
 إلى ذروتها الثقافية في العصر
 الفيكثوري، عندما سُخِصت هذه
 الحالة ضمن مجموعة واسعة من
 الأعراض العامة، بما في ذلك التعب
 والقلق والاكتئاب الخفيف. وصل
 الأمر في النصف الثاني من القرن
 التاسع عشر لدرجة أن الدكتور
 راسل ترال، اختصاصي العلاج
 المائي، أصدر إعلاناً جريئاً أن ٧٥ في
 المائة من النساء في الولايات المتحدة
 يعانين من الهستيريا. العلاج؟
 «تدليك الحوض» بقوة كافية
 للحض على «النوبة الهستيرية».
 كان الفيكثوريون أساتذة في إطلاق
 الأسماء المستعارة. في الواقع،
 وفقاً لبعض المؤرخين، وُصف
 تدليك الأعضاء التناسلية للنساء
 - بواسطة أطبائهن الذكور (!) -
 لتحريض النشوة الجنسية.

الآن، قد تعتقد أن هذا قد يكون
 جزءاً من الوهم الجماعي مع حلم

فرويد الرطب بالدوافع الخفية الجنسية. ولكن:

لم يعتقد الأطباء أن هناك أي دافع جنسي يتعلق بـ «تدليك الحوض». في الواقع، لقد كانوا منزعين نوعًا ما من الاضطرار إلى القيام بهذه الممارسة. اشتكى الأطباء من صعوبة تعلم التقنية الصحيحة واستهلاكها للوقت. أفاد بعض الأطباء المنهكين أن تدليك الحوض استغرق حوالي ساعة لأدائه بنجاح وأدى إلى حالات «ألم في المعصم».

لثلاثين عامًا على أطبائنا الفيكتوريين المساكين، الذين يقومون بتدليك الأعضاء التناسلية لمريضاتهم، كان هناك اختراع مهم على وشك أن ينقذهم: الهزاز الكهربوميكانيكي.

هذا الجهاز لم يكن مزحة. يزن ٤٠ رطلاً، وكان مدعومًا ببطارية خلية رطبة ويأتي مع مجموعة متنوعة من الإضافات تسمى «الهزازات». اخترع الدكتور جوزيف مورتيمر جرانفيل الهزازات في أواخر القرن التاسع عشر، وقد لاقت نجاحًا كبيرًا مع الأطباء لأنها قللت الوقت اللازم للوصول إلى النشوة الجنسية من ساعة إلى حوالي خمس دقائق.

لم يعرف الأطباء أنهم كانوا يخرجون أنفسهم من المشهد. حيث ظهرت صناعة الهزازات المنزلية وبيعت في سوق خصيب. وهكذا، تمكنت المرأة العصرية في أوائل القرن العشرين أن تطلب هزازًا شخصيًا مقابل بضعة



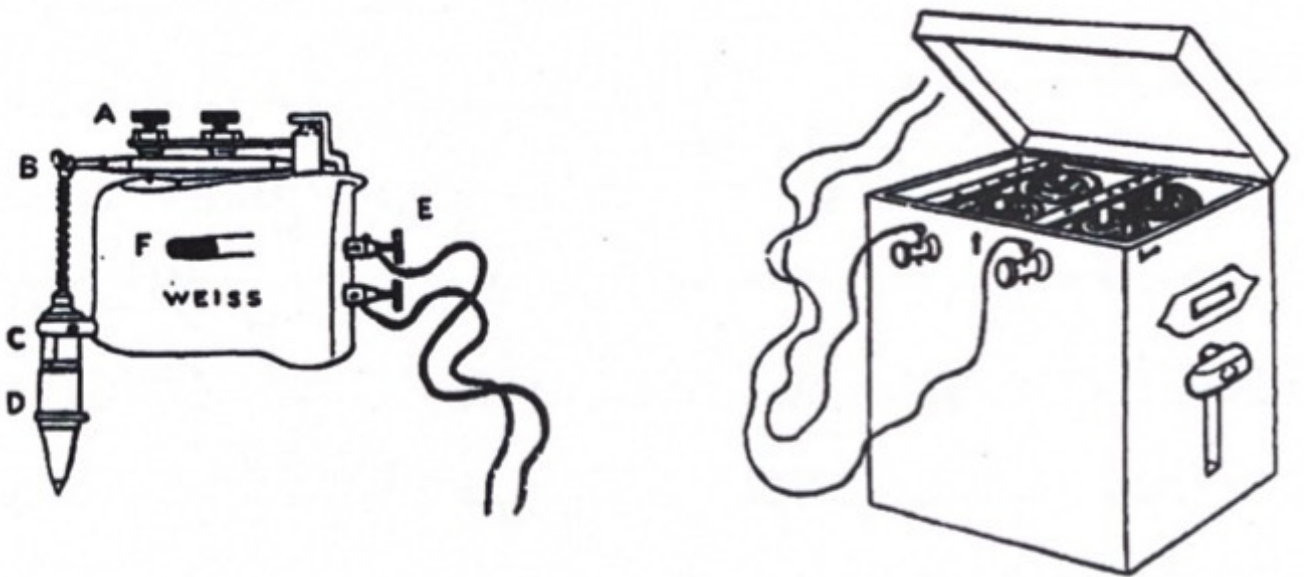
هزاز steampunk

دولارات من كتالوج سيرز. من المؤكد أنها تخلصت من الطبيب وأجوره، ولم يمضِ وقت طويل قبل أن يتوقف الأطباء عن تقديم خدمة تدليك الحوض. كان الهزاز شائعاً للغاية، ليصبح خامس جهاز كهربائي دخل إلى المنزل الحديث.

أتت الكهرباء لتجعلك تواكب ما تحتاجه من غلاية شاي وماكينة الخياطة والمروحة والمحمصة و... الهزاز.

بالغت الإعلانات المعروضة في جميع المجلات النسائية الرائدة إضافة إلى الكتالوجات العامة مثل سيرز التي كانت معنية بالتوصيل على المنازل (على غرار أمازون حالياً) في تلك الفترة: "أكتشف سر العصور في الاهتزاز. نجبرنا العلماء العظماء أننا لا ندين بصحتنا فحسب، بل بقوة حياتنا أيضاً لهذه القوة الرائعة. يعزز الاهتزاز الحياة والحيوية والقوة والجمال... اجعل جسمك يهتز وسيكون على ما يرام. ليس لديك الحق في أن تكون مريضاً".

تلاشى مفهوم هستيريا النساء على أنه مرض يمكن تشخيصه مع تقدم القرن العشرين. مع تحسن تقنيات التحليل النفسي، انخفض تشخيص الهستيريا. وبدلاً من ذلك ارتفع تشخيص الاكتئاب والقلق وكذلك حالات الصرع والفصام واضطراب الشخصية واضطراب التحويل.



هزاز جرانفيل على اليسار مزود ببطارية. صله مع الجهاز الغريب الشكل وانظر ماذا يحدث

دُمرت خدعة الهزازات بوصفها أجهزة طبية بحتة عبر الأفلام الإباحية المبكرة في عشرينيات القرن الماضي التي عرّفت المشاهدين بالاستخدامات غير الطبية لها. الفكرة القائلة بأن الهزازات كانت مجرد أجهزة طبية بسيطة قد انتهت. كُشفت اللعبة. انتقلت الهزازات إلى جانب الألعاب الجنسية.

ألعاب جنسية أخرى في خزانة الأدوية

**IN PILES AND
CONSTIPATION**



The best results may be obtained by the use of
YOUNG'S
self-retaining

RECTAL DILATORS

They are made of hard rubber and come in sets of four sizes. May be used by any intelligent person. Their use accomplishes for the invalid just what nature does daily for the healthy individual. If you will prescribe a set of these dilators in some of your obstinate cases of Chronic Constipation you will find them necessary in every case of this kind. Price to the profession, \$2.50 per set. Sold by leading instrument houses and

F. E. YOUNG & CO.,
46 Michigan Avenue, CHICAGO

بالطبع، لم تكن الهزازات هي الألعاب الجنسية الوحيدة في السوق. في تسعينيات القرن التاسع عشر، بدأت الإعلانات في الظهور في المجلات الطبية لموسعات المستقيم المثالية للدكتور يونغ. مصنوعة من المطاط وتباع في مجموعات من أربعة أحجام تتراوح بين نصف بوصة في القطر إلى أربع بوصات، كانت الموسعات الفيكتورية تباع تحت ستار المساعدات الصحية. زعمت الإعلانات أن موسعات المستقيم كانت مفيدة بشكل خاص في حالات

تأتي موسعات المستقيم بأحجام مختلفة لذلك يمكنك توسيع مستقيمك ببطء.... لتحقيق منافع صحية

الإمساك المزمن والبواسير، معلنة:

«إذا أحضرت مجموعة من هذه الموسعات لعلاج حالات الإمساك المزمن المستعصية، ستكتشف أنها ضرورية لكل الحالات المشابهة». بسعر ٢,٥٠ دولار.

بيعت موسعات المستقيم المثالية للدكتور يونغ من أواخر القرن التاسع

عشر حتى الأربعينيات من القرن العشرين، عندما صادر المدعي العام الأمريكي للمنطقة الجنوبية لنيويورك شحنة من الأجهزة لأنها تحمل اسماً مضللاً. لم تعد تكتفي الشركة المصنعة بالإعلان بسهولة عن موسعات المستقيم بوصفها علاجاً للإمساك، بل واصلت بأسلوب الدجالين، إضافة سلسلة لا نهاية لها على ما يبدو من الميزات الطبية إلى عبواتها. حتى إن الشركة وعدت بعلاج رائحة الفم الكريهة وعلاج الخلل في التذوق، كما نصت التعليمات بجرأة على «لا تهمل استخدام الموسعات الخاصة بك... لا داعي للخوف من استخدامها كثيراً». عارضت إدارة الغذاء والدواء الأمريكية FDA، بحجة أن الادعاءات القائلة بأن الموسعات ستعالج الإمساك والبواسير بشكل دائم لم تكن دقيقة. في الواقع، الموسع هو آخر شيء تلجأ إليه في أثناء هجوم البواسير. كما أعلنت إدارة الغذاء والدواء أنها تشكل خطورة على الصحة إذا استخدمت بشكل متكرر أو لفترة طويلة جداً. أتلقت الشحنة، وتوقف إنتاج موسعات المستقيم المثالية للدكتور يونغ. لا تقلق، على الرغم من ذلك، لا يزال بإمكانك العثور عليها في الإنترنت.

صندوق الأورغون

بعد فترة وجيزة من اختفاء موسعات المستقيم، ظهر عالم نفس بفلسفة جذابة حول الطاقة الجنسية مؤثراً بذلك على الثقافة الغربية. طور الدكتور فيلهلم رايش، وهو عضو في الجيل الثاني من المحللين النفسيين لما بعد فرويد، نظرية معقدة حول قوة الحياة العالمية التي أطلق عليها اسم «الأورغون»، وقد يشير اختصاصيو الوخز بالإبر لقوة الحياة العالمية نفسها بمصطلح «Qi»، أي ببساطة «القوة» لعشاق حرب النجوم. جادل رايش بأن الأورغون كان موجوداً في جميع المواد الحية وأن كثيراً من الأمراض كانت نتيجة إما أن الأورغون يكون مقيداً أو غير متوفر بكميات كافية.

أفضل طريقة لبناء ومشاركة طاقة الأورغون؟ الجنس. على هذا النحو، شجع رايش بقوة على التحرر الجنسي، وربطه بفلسفات معقدة حول ثورة الطبقة العاملة أيضًا. عدّ الرغبة الجنسية قوة أساسية لتأكيد الحياة التي تقمّعها الدولة باستمرار.

لم يكن رايش ناجحًا تمامًا مع المحافظين.

ومع ذلك، فقد كان ناجحًا مع حركة الثقافة المناهضة الناشئة في أمريكا ما بعد الحرب العالمية الثانية. احتضن جيل بيت Beat Generation أفكاره ولا سيما صندوق الأورغون الخاص به. قام معهد رايش للأورغون ببيع «صناديق الأورغون» (للتبرع فقط)، والمعروفة أيضًا باسم «مراكيم الطاقة العضوية». كانت في الأساس صناديق فارغة كبيرة يمكنك الوقوف أو الجلوس فيها لساعات. بنيت كطبقات متناوبة من المواد العضوية وغير



والآن اجلسي في الصندوق حتى تُثاري جنسياً

العضوية داخل الجدران، والتي، كما قيل لنا، تزيد من تراكم الأورغون في الصندوق. هل تشعر بالاكئاب؟ هل تشعر بنقص في الطاقة؟ يمكنك بسهولة الجلوس داخل صندوق الأورغون لبضع ساعات، وأخذ احتياطك من الأورغون، وستشعر بتحسن كبير مرة أخرى. لقد كانت أيضًا طريقة رائعة لتراكم الطاقة الجنسية (أي زيادة مستويات الأورغون) عبر زيادة الشهوة الجنسية في أثناء الجلوس لفترة طويلة لعكس الأورغون عليك. حسنًا، مهلاً، بعد الجلوس في صندوق لمدة أربع ساعات، لا شك في ممارسة الجنس.

كانت صناديق الأورغون شائعة بشكل مدهش لفترة وجيزة من الزمن. حتى أن ألبرت أينشتاين قد أغراه ذلك وقام بتجربة واحدة، لكنه سرعان ما فقد صبره من الصندوق ومن نظريات رايش بشكل عام - بعد فترة قصيرة في الداخل.

ومع ذلك، كان ويليام س. بوروز، مؤلف كتاب الغداء العاري Naked Lunch، له رأي ثابت لا يتغير. لقد بنى صندوق الأورغون الخاص به (من الناحية الفنية مخالفًا للقواعد، لكن بوروز لم يكن من أتباع القواعد بالضبط) وكان يقضي ساعات في الداخل بوصفها طريقة لتقليل أعراض «داء غير المرغوب فيه» (أي انسحاب الهيروين). لهذا الغرض، ربما عملت صناديق الأورغون بشكل جيد بالفعل.

حتى إن بوروز أدخل مغني فرقة نيرفانا كيرت كوبين إلى صندوق الأورغون، وما تزال صورته في الإنترنت حتى يومنا هذا يلوح ويبتسم من الداخل. علق المغني في عام ١٩٩٣ أنه كان عليه أن يجعل بوروز يقتل جميع العناكب في الصندوق، قبل أن يدخل.

جون هارفي كيلوغ: مع الحبوب، وضد العادة السرية

والتبغ. لكن كان هناك شيء آخر اعتقد أنه يجب عليك الامتناع عنه، العادة السرية. واعتقد أنها أكثر الأشياء المضرة التي يمكن أن تفعلها لجسدك وعقلك وروحك. في كتابه الصادر عام ١٨٧٧ بعنوان «حقائق بسيطة للكبار والصغار» يناقش كيلوغ بالتفصيل شرور ما أسماه «إساءة استخدام الذات» و «عدم العفة».

وكما هو متوقع من مبتكر رقائق الذرة، فقد صرح أن النظام الغذائي للشفاء من العادة السرية هو الابتعاد عن كل الأكل الحيواني «الرجل الذي يعيش على لحم الخنزير، والخبز الفاخر، والفطائر الغنية والكعك، والتوابل، ويشرب الشاي والقهوة، ويدخن التبغ، لا يمكن أن يكون عفيفاً إلا في التفكير»، كما حذر من عدم الإفراط في الطعام. لأن «الشراهة تقتل العفة»، وعدّ أن جميع البهارات والمخللات



كان جون هارفي كيلوغ طبيباً أسس مصحة في باتل كريك بولاية ميشيغان، وكان يروج لطريقته في الحياة الصحية.

هل يبدو الاسم مألوفاً؟ نعم، لأنه اخترع مع أخيه ويل رقائق ذرة كيلوغ Kellogg's Corn Flakes (كانت تسمى في الأصل جرانولا Granula) أعلن كيلوغ عن أفكاره بالأكل الصحي والحفاظ على الوزن وممارسة كثير من التمارين الرياضية، وعدم وجود سعرات حرارية مفرطة، والنباتية، والامتناع عن الكحول

على ما يبدو، العالم الخالي من المخدرات لا يحفز الجنس. ادعى سلف كيلوغ، سيلفستر جراهام، أن الخبز الأبيض خالٍ من العناصر الغذائية. وأوصى بالدقيق من دون إضافات.

سرعان ما حوّل الخبز إلى رقائق في عام ١٨٢٩، وتناوله مؤيدو جراهام الذين يتبعون نظامه الغذائي النباتي بكميات كبيرة، مع الكثير من القمح الكامل والأطعمة الغنية بالألياف.

طبعاً لا وجود للكحول في وصفته. كانت الرقائق جزءاً من الخطة لمحاربة الرغبة في ممارسة العادة السرية. كانت تلك الرقائق الأصلية من جراهام مختلفة قليلاً عن تلك المليئة بالسكر التي نأكلها في حفلات السمر والاجتماع حول نار المخيمات، جنباً إلى جنب مع المارشميلو المحمصة والشوكولاتة. إذا كان بإمكان جراهام وكيلوغ أن يأكلوا سمور^(١) لدينا، بناءً على تلك الرقائق العفيفة الأصلية، فمن المحتمل أن يصلوا إلى هزة الجماع التي تسبب الموت. في نهاية المطاف، جذبت ادعاءات رايش الصحية بشأن صناديق الأورغون الخاصة به انتباهه وغضب إدارة الغذاء والدواء، التي حصلت على أمر قضائي فيدرالي يمنع توزيع الأورغون. ألقى رايش أيضاً في السجن لاستمراره في توزيع أبحاثه ومنتجاته عبر حدود الولاية، ودُمّرت كثير من أبحاثه الأورغونية. إذا كنت تريد الجلوس في صندوق الأورغون اليوم، فقد تحتاج إلى إنشاء واحد بنفسك. (لا تقلق، هناك اتجاهات على الإنترنت) صناديق الأورغون القديمة من أيام رايش نادرة، على الرغم من أنه لا يزال بإمكانك العثور على واحدة في متحف رانجلي مين Rangeley Main، إذا قمت برحلة إلى نيو إنجلاند في المستقبل.

(١) السمور: حلوى شعبية تقليدية للاجتماعات حول نار المخيم في الولايات المتحدة وكندا، تتكون من حلوى خطمي وتحمص فوق النار. المترجمة

الجنس مفيد لك

حتى إذا لم تتمكن من العثور على صندوق الأورغون، فقد أظهر الأطباء أنه يمكنك الاستمتاع بفوائد طبية كبيرة من الحياة الجنسية الصحية. ولست مضطراً للجلوس في صندوق لبضع ساعات لبناء مستويات الأورغون الخاص بك في الصندوق أولاً. يؤدي الجنس المنتظم إلى تحسين نظام المناعة لديك، وخفض ضغط الدم، وتحسين نومك، وخفض مستويات التوتر لديك.

لذا أمسك بشريكك، وقم بوضع بعض أغاني مارفن جاي، ومارس الجنس معه.



الصيام

قديسو الصيام، ومرتفعات الجوع و «لغز بروكلين»

وطعم الهواء اللذيذ، والماضي المهلك لعملية تطهير شائعة

كان عام ١٩٠٨ عامًا مهمًا في حياة «أخصائية الصيام» ليندا هازارد. كانت تلك هي السنة التي ألفت فيها كتابها الأول، الصوم من أجل علاج المرض، والذي جادلت فيه بأن الصيام هو الدواء الشافي لكل مرض تقريبًا. كما كانت هذه هي السنة الأولى التي ماتت فيها مريضة تحت إشرافها.



ليندا هازارد

ادّعت هازارد أن السموم هي أصل كل الأمراض ويجب القضاء عليها عن طريق الصيام. سرعان ما أطلق السكان المحليون على مصحتها في أولالا بواشنطن اسم «مرتفعات الجوع» حيث انتشرت الشائعات عن الحقن الشرجية التي استمرت لساعات والتدليك الكثيف والوجبات الغذائية التي لم تتضمن سوى كميات ضئيلة من الطماطم والهلين وعصير البرتقال لأيام متتابة. على الرغم من أنه قد يبدو وكأنه أحدث صيحات صيام المشاهير المستوحاة من Goop، إلا أنها كانت في الواقع استراتيجية حمية سيئة ورهيبة، وتوفي كثير من الناس بسببها. لذلك لا تحتفظ بأي من هذه الأفكار. كانت أول مريضة ماتت تحت رعايتها هي المهاجرة النرويجية ديزي هاغلوندا، التي وافتها المنية بسبب المضاعفات المرتبطة بالجوع عن عمر يناهز الثامنة والثلاثين. (ملاحظة جانبية تاريخية: نجل ديزي، إيفار هاغلوندا،

الذي أيضًا عولج من حين لآخر على يد هازارد، ذهب لتأسيس مطاعم Seafood، وهي سلسلة مطاعم في سياتل لا تزال تعمل حتى اليوم. لذا اطلب وجبة ضخمة في المرة القادمة التي تكون فيها في أحد مطاعم إيفار احتفالاً بعدم تجويع نفسك حتى الموت).

لسوء الحظ، استغرق الأمر أربع سنوات أخرى وموت امرأة بريطانية ثرية تدعى كلير ويليامسون قبل أن يلحق القانون أخيراً بهازارد. هل تعلم كم كان وزن ويليامسون وقت وفاتها؟ خمسون رطلاً فقط. كامرأة بالغة. كانت شقيقة كلير، دورا، لا تزال تحت رعاية هازارد وقت وفاتها. انخفض وزنها أيضًا إلى ما يقرب خمسين رطلاً، وهو وزن منخفض جدًا



دورا ويليامسون التي انخفض وزنها إلى خمسين رطلاً

لدرجة أن الجلوس كان مؤلمًا لها. بعد وفاة أختها، تمكنت دورا من إرسال برقية بشكل سري تطلب فيها مساعدة عائلتها. أنقذت الصغيرة ويليامسون من المصح وأُتهمت هازارد بتهمة القتل غير المتعمد.

في المحاكمة اللاحقة، اتضح أن هازارد قد زورت وصية كلير ويليامسون، بينما ساعدت نفسها أيضًا في الحصول على مجوهرات من الأختين بحوالي ٦٠٠٠ دولار. لم تكن حادثة فريدة:

مات ما لا يقل عن أربعة عشر مريضاً آخر تحت رعاية هازارد، ولكن ليس قبل أن تقنعهم بحالتهم العقلية والجسدية الضعيفة، وبالتوقيع والتنازل عن ممتلكاتهم لها، أو ببساطة تزوير إرادتهم لصالحها.

أديننت هازارد، وحكم عليها بالسجن لمدة تتراوح بين عامين وعشرين عامًا، ولكن ما لبث أن أفرج عنها بشروط تافهة بعد عامين. والأسوأ من ذلك، تمكنت من الحصول على عفو من حاكم واشنطن. على الرغم من أنها مُنعت من ممارسة الطب مرة أخرى، إلا أنها افتتحت "مدرسة صحية" في أولالا، حيث استمرت في تبني إنجيل الصيام حتى عام ١٩٣٨ عندما توفيت جوعاً في أثناء محاولتها الصيام. على الأقل مارست ما بشرت به.

معجزة سوء التغذية : صوم الدهر

كانت هازارد قد بالغت إلى حد خطير بممارسة طبية تعود، مع بعض الشرعية، إلى قرون إلى الوراء.

في اليونان القديمة، ذكر فيثاغورس بأن الصيام الدوري مفيد للجسم. في عصر النهضة، أشار باراسيلسوس إلى الصيام على أنه «معالج باطني». وترجع الحكمة القديمة المتمثلة في «إطعام البرد، وتجويع الحمى» إلى قاموس عام ١٥٧٤ لمؤلف المعاجم الإنجليزي جون فيثاليز، الذي كتب، «الصوم علاج رائع للحمى».

في الاعتدال، كان باراسيلسوس على حق: يمكن أن يكون الصوم مفيداً للجسم. أدرك القادة الدينيون عبر التاريخ أيضاً أنه يمكن أن يكون مفيداً للروح. نشأ الصوم بوصفه ممارسة روحية بشكل مستقل في جميع أنحاء العالم بوصفه وسيلة لإقامة الطقوس الدينية، أو لاستحضار رؤى وأحلام تسودها النشوة. تبحث عن وحي إلهي؟ يعدّ الصيام عبر الثقافات طريقة جيدة لذلك.

الحالة الغريبة للغزبروكلين

شُخصت حالة مولي فانشر، الملقبة بـ "لغزبروكلين"، بعسر الهضم في عام ١٨٦٤ عندما كانت في السادسة عشرة من عمرها وبعد بضعة أشهر فقط من التخرج من مدرسة بروكلين هايتس. أدت أعراض عسر الهضم التي تعاني منها فانشر، إضافة إلى نوبات الإغماء المتكررة وضعف في صدرها، إلى ترك المدرسة.

سأت الأمور منذ ذلك الوقت. في وقت لاحق من ذلك العام، وقعت مولي من على حصان وفقدت الوعي وكُسرت ضلوع عدة. بعد مرور أكثر من عام بقليل، عُلّق ثوبها بخطاف عربية جرتها في كامل المدينة، ومرة أخرى فقدت وعيها وكُسرت ضلوع عدة.

لم تتعافَ مولي أبدًا. ورقدت في الفراش للشفاء؛ وفُسخت خطوبتها. وظهرت سلسلة غريبة من الأعراض، وفقدت في النهاية غالبية حواسها، بما في ذلك البصر واللمس والذوق والشم. توقفت مولي عن الأكل إما بسبب مرضها أو في محاولة للتعافي. يقال إن ستة عشر عامًا قد مرّ من دون أن تأكل أي طعام. وزعم المراقبون أن معدتها «أتلفت»، بحيث يمكن تحسس عمودها الفقري «بيدك».

بينما كانت مستلقية وذراعها مفرودة

على رأسها، ورجلاها

ملتويتان تحتها، وعيناها

مغمضتان، ادعت

مولي أنها قادرة على

قراءة العقول، وقراءة





حادثة القديسة ليدوينا في أثناء التزلج

الكتابة من مسافة بعيدة، وتقديم النبوءات.

في بلدة مسحورة بالحركة الروحانية، باتت ضجة كبيرة بين عشية وضحاها. بين عامي ١٨٦٦ و ١٨٧٥، ظهرت قصص مرارًا وتكرارًا في الصحافة حول القدرات الروحية العجيبة، ونوقشت قضية مولي كثيرًا في الأوساط الطبية والمجتمعية.

في وقت ما في أواخر ثمانينيات القرن التاسع عشر أو أوائل تسعينيات القرن التاسع عشر، بدأت مولي على ما يبدو في تناول الطعام مرة أخرى، وبدأت أعراضها الغريبة في الاختفاء.

(إن عكس مسار الجوع هو حقًا علاج رائع). وعاشت مولي، من دون

مزيد من الحوادث، حتى عام ١٩١٦.

كانت القديسة ليدوينا من أوائل الأشخاص في سجلات التاريخ الذين جمعوا بين الصوم من أجل التنوير الروحي والصوم من أجل العلاج الطبي.

في زمن ليدوينا في أواخر القرن الرابع عشر، كان الترحلق على الجليد لا يزال الوسيلة الأساسية للتنقل على طول القنوات المتجمدة في هولندا في الشتاء. عندما كانت في الخامسة عشرة من عمرها، سقطت ليدوينا في أثناء خروجها على الزلاجات. في الواقع كانت الحادثة سيئة لدرجة أنها لم تتعاف تمامًا، تدريجيًا أصبحت معاقة أكثر فأكثر. (اليوم، يُعتقد عمومًا أن حالة ليدوينا كانت واحدة من أولى حالات التصلب اللويحي المتعدد).

بدأت ليدوينا محاولة للشفاء مع لمسة دينية تتجلى بصيامها الصارم، وشقت طريقها من التفاح، إلى التمور، إلى النبيذ المائي، إلى مياه الأنهار الملوثة بملح البحر، إلى التنفس بمفردها. وأشتهرت بوصفها معالجة وامرأة قديسة، وقام المسؤولون الهولنديون بوضع حراس حولها للتحقق من ادعاءاتها بعدم تناول أي شيء على الإطلاق. وتحققوا على أنها لا تأكل (وربما اغتصبوها في أثناء حراستها، بحسب بعض الروايات). مع تقدم مرض ليدوينا، بدأت أجزاء مختلفة من جسمها تتساقط، والتي سرعان ما أُلقت واستخدمت بوصفها أوثانًا دينية. بما في ذلك أمعاءها.

استمر الصيام في لفت انتباه الناس لقرون بعد القديسة ليدوينا، وانتشر في العالم العلماني مع ظهور «الفتيات الصائمات» في العصر الفيكتوري. سرعان ما أصبحت حالة مولي فانشر التي ذكرناها سابقًا وحالة سارة جاكوبس من ويلز من الأخبار العالمية. الصيام لأغراض الشفاء، تحولت كلاهما إلى مشاهير بين عشية وضحاها. (هل سمعت من قبل عبارة «يتضورون جوعًا لجلب الانتباه»؟) بينما استأنفت مولي الأكل وتعافت في النهاية، لم تكن سارة محظوظة جدًا. نظرًا لكونها معجزة في نظر فلاحي ويلز، فقد جذبت قضية سارة انتباه الصحافة وألهمت الجميع على مدار الساعة فقامت كثير من الممرضات المحليات بحراستها للتأكد من أنها لا تأكل حقًا. لا بد أنها كانت تأكل سرًا لأن سارة، تحت ضغط المراقبة على مدار ٢٤ ساعة، غابت

عن الوعي بعد أربعة أيام، وتوفيت جوعًا بعد فترة وجيزة. وسرعان ما أدين والداها بالقتل غير العمد ونُقلا إلى السجن. كنت ستفكر بعد قصص الرعب هذه، أن الإنسانية ستتعلم درسًا. لكن دجل الصيام كان قد بدأ الآن.

طبق من الهواء والشمس المشرقة

انتشر الصيام في أواخر القرن التاسع عشر عندما بدأ كثير من الأطباء على جانبي المحيط الأطلسي في الدعوة إلى مجموعة من الممارسات الصحية التي تسمى «النظافة الطبيعية» Natural Hygiene. رغم وجود اختلافات طفيفة من ممارس إلى آخر، إلا أنهم أجمعوا على اتباع السلوكيات الصحية المتضمنة نظام غذائي متوازن، واستنشاق كثير من الهواء النقي وممارسة الرياضة، والاستمتاع بأشعة الشمس، وشرب كثير من الماء. حتى الآن، جيد جدًا، أليس كذلك؟ لكن حركة النظافة الطبيعية تضمنت أيضًا توصيات بتجنب الأدوية التي يصفها الطبيب عند المرض وشفاء نفسك عبر الصيام.



E. H. Dewey.

(C)

THE
NO-BREAKFAST PLAN
AND
THE FASTING-CURE.

READEVILLE, PA., U.S.A.
PUBLISHED BY THE AUTHOR.
L. N. FOWLER & CO.,
IMPERIAL ARCADE,
LONDON, ENGLAND.

كتاب كامل لتحذيرك من تناول الفطور

كان الدكتور إدوارد ديوي، وهو أمريكي مارس مهنته في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، رائداً في حركة الصيام العلاجي. أوجز رأيه المتعلق بالصحة في كتاب بعنوان خطة عدم الإفطار والذي انتشر في جميع أنحاء العالم. تتضمن خطة عدم تناول الإفطار لأجل الصحة مبادئ أساسية: عدم تناول وجبة الإفطار، وعدم تناول الطعام عندما تكون مريضاً. إلا إذا كنت جائعاً.

قام ديوي بطريقة ما بالاستفاضة بشرح هذين المبدأين البسيطين في كثير من الصفحات، في الغالب عن طريق ملئها بشهادات مئات المرضى الذين ادعى أنه عالجهم. قام ديوي أيضاً بتدريب مجموعة متنوعة من الأطباء الشباب الآخرين على أساليبه. بما في ذلك فتاة صغيرة من مينيسوتا تدعى ليندا هازارد.

عندما كتبت هازارد عن وفاة ديوي عام ١٩٠٤، انتقدت معلمها القديم لإدراكه الفوائد الصحية للحقنة الشرجية في وقت متأخر جداً من حياته. كما عزت وفاته بالشلل إلى «خطأ في نظامه الغذائي». على الرغم من التزام ديوي الصارم بخطة عدم تناول وجبة الإفطار، إلا أنه تجاهل «قيم الطعام» في وجبته اليومية المسموح بها. وقد أثار ذلك رعب هازارد كثيراً، حيث قالت «كان مصدر غذائه اللحوم والأسماك والبيض والحليب والخبز والمعجنات، مع عدد قليل نسبياً من الخضار، ومعظم هذه الأنواع من النشويات. لا عجب من تصلب الأوردة وارتفاع ضغط الدم والشلل التام!» وهكذا قدمت هازارد الأساس لفلسفتها الطبية في «مرتفعات الجوع».

انضمت النظافة الطبيعية لاحقاً إلى ما يسمى «علاج الطبيعة» في القرن العشرين على يد الدكتور هربرت شيلتون، في مدرسة شيلتون الصحية الشهيرة، التي زُعم أنها عالجت أكثر من أربعين ألف مريض بصيام الماء. كتب شيلتون عن خبراته التعليمية:

«تخرجت من جامعة هارد نوكس وغادرت قبل أن أحصل على شهادتي. مررت بعملية غسيل الدماغ المعتادة الذي يقوم به النظام المدرسي في غرينفيل، تكساس، وقمت بالثورة ضد النظام السياسي والديني والطبي والاجتماعي برمته في سن السادسة عشرة».

حصل شيلتون على شهادة «دكتور في العلاج الفسيولوجي» (لم يسمع بهذه الدرجة من قبل؟) من كلية وهمية أسسها بيرنار ماكفادين. كان كتابه الأول، أساسيات علاج الطبيعة، في عام ١٩٢٠ وكان مجرد بداية لتدفق كتابات غزيرة لدعم أفكاره. بعضها كان لها مزايا مثل تناول أطعمة قليلة الدسم وغنية بالألياف، وشرب كثير من الماء، والخروج. لكن الأفكار الأخرى لم تكن كذلك. من أحد الكتيبات:

ترفض النظافة الطبيعية استخدام الأدوية وعمليات نقل الدم والإشعاع والمكملات الغذائية وأي وسيلة أخرى تستخدم لعلاج الأمراض المختلفة. تتداخل هذه العلاجات مع العمليات الحيوية والأنسجة أو تدمرها. يمكن التعافي من المرض بكل الأحوال على الرغم من ممارسات التخدير و"العلاج" وليس بسببها.

وصف الكتيب نفسه أيضًا نهج علاج الطبيعة المتعلق بالصيام: الصوم هو الامتناع التام عن جميع الأطعمة السائلة أو الصلبة ما عدا الماء المقطر. في أثناء الصوم، تجتمع قوى التعافي في الجسم وتوجه جميع طاقاته نحو إعادة شحن الجهاز العصبي، والقضاء على التراكمات السامة، وإصلاح وتجديد الأنسجة. الاحتياطي من المغذيات مخزنة داخل أنسجة كل كائن حي

إزالة السموم

التخلص من السموم هو نظام غذائي يومي، وهو شكل معدل من الصيام يهدف إلى إزالة السموم من الجسم. لأجل التخلص المثالي من السموم، امتنع عن تناول الطعام لمدة أيام، وبدلاً من ذلك اعتمد على العصائر أو الماء أو المكملات الغذائية المحددة للحفاظ على نفسك. مطهر الكبد، والعصير الأخضر لمدة ١٠ أيام، ومطهر القولون، ومطهر بلوبرينت، وعصير سليندرا جارسينيا كامبوجيا وكلها تخدمك في هذا الموضوع.

ومع ذلك، فإن برنامج التطهير الأكثر شهرة هو ماستر كلينز Master Cleanse، الذي اخترعته ستانلي بوروز، ويعتمد على شرب مزيج من ماء الليمون وشراب القيقب وفليفلة كاين، مع شاي ديتوكس (شاي التخلص من السموم) لمدة عشرة أيام. الآثار الجانبية قصيرة المدى لبرنامج ماستر كلينز هي الغثيان والجفاف والدوخة والإرهاق. الآثار طويلة المدى تشمل الموت.

هذا هو بالضبط ما حدث لأحد مرضى بوروز في الثمانينيات. سعى مريض بالسرطان يُدعى لي سواتسبارغ للحصول على مشورة طبية من بوروز، الذي أوصى بتطهير لمدة ثلاثين يوماً، إضافة إلى التعرض لألوان معينة من الضوء والتدليك المكثف.



أخذ سواتسبارغ بنصائحه، وشرع في عملية التخلص من السموم لمدة شهر حيث ساءت صحته باستمرار وبدأ يتقيأ ويعاني من تشنجات شديدة. توفي قبل أن يتمكن من إكمال العلاج، بعد أن عانى من نزيف حاد في بطنه بسبب تدليك البطن الذي قام به بوروز (مقابل رسوم إضافية) على رأس خطة التخلص من السموم. أدين بوروز بتهمة القتل غير العمد (وممارسة الطب من دون ترخيص)، وهي حقيقة تستحق الذكر قبل الشروع في نظامك الخاص من ماستر كلينز.

نصحت مجموعة مايو كلينك الطبية بتناول نظام غذائي صحي يعتمد على الفواكه والخضروات والحبوب الكاملة ومصادر البروتين الخالية من الدهون بوصفها بديلاً أفضل، مع فوائد تدوم لفترة أطول، من اتباع نظام غذائي لإزالة السموم.

وهذا لا يعني أن الصيام سيئ تماماً. أظهرت الدراسات الحديثة على الحيوانات أن الصيام المتقطع لفترات قصيرة من الوقت قد يبطئ الشيخوخة، ويحمي من أضرار السكتة الدماغية، ويبطئ التدهور المعرفي. لكن الصيام الممتد كان، ولا يزال دائماً، خطيراً للغاية.

ستُستخدم لمواصلة التمثيل الغذائي وأعمال الإصلاح. حتى استنفاد هذه الاحتياطات، لا يمكن أن يحدث تدمير للأنسجة السليمة أو أن تحدث "المجاعة".

حصل شيلتون على درجة كبيرة من الشعبية في السنوات الوسطى من القرن العشرين، حيث أدار مدرسة صحية في سان أنطونيو، تكساس، وخاض الانتخابات لمنصب الرئيس بوصفه جزءاً من الحزب النباتي الأمريكي (الذي أخذ سياسة القضية الواحدة إلى مستوى جديد تماماً). كما أنه أُعتقل بشكل متكرر لممارسته الطب من دون ترخيص. (كلا، لدى "دكتور" شيلتون درجة العلاج الفسيولوجي، هل من المعقول ألا تُحسب).

في عام ١٩٤٢، وجهت لشيلتون تهمة القتل بسبب الإهمال بعد وفاة أحد المرضى جوعاً، ولكن أسقطت القضية. مرة أخرى، في عام ١٩٧٨، تمت مقاضاة شيلتون بتهمة الإهمال بعد وفاة مريض آخر في مدرسته. هذه المرة خسر. أفلسه الحكم وأغلقت مدرسته الصحية، ولحسن الحظ لا مزيد من فقدان الأرواح.

لكن دجل النظافة الطبيعية لم يُهزم بسهولة. بعد سقوط شيلتون، ظهر اتجاه جديد يدعم قوة الهواء النقي وأشعة الشمس. مع الجذور القديمة المفترضة في طب الأيورفيدا، فإن التنفسية (الاعتقاد بإمكانية العيش بلا طعام) هو الإيمان بأن حياة الإنسان يمكن أن تستمر حصرياً عبر صقل البرانا، وهي قوة حياة عالمية موجودة في جميع الكائنات الحية. يرى بعض البريثارين (دعاة التنفسية) أن ضوء الشمس هو المولد الأساس للبرانا. لذلك، يمكن أن تكون حمامات الشمس بديلاً عن الأكل... والشرب. تجربة ممتعة: حاول زراعة نباتك المنزلي من دون تقديم أي ماء له. شاهد ما سيحدث بعد ذلك.

وجدت التنفسية موطناً قدم في حركات الصحة البديلة المتطرفة في أواخر القرن العشرين وأختيرت لتحقيق مكاسب مالية من قبل دجالين مؤثرين مثل ويلي بروكس، مؤسس معهد التنفسية في أمريكا، الذي بدأ في نشر أفكاره المجنونة في البرنامج التلفزيوني. هذا غير معقول! في عام ١٩٨٠. ادعى بروكس أنه يأكل فقط عندما لا يكون هناك هواء نقي يتنفسه، أو عندما لا يستطيع الحصول على ما يكفي من أشعة الشمس. لقد زعم أن البشر، في حالتهم الطبيعية، لا يحتاجون إلى غذاء آخر. لا توجد أطعمة أخرى، باستثناء توينكي والسمك المكرين Slurpee والنقانق من شركة سفن إلفن 7-Eleven، والتي شاهدها أحد المراقبين جميعها بيدي بروكس عام ١٩٨٣.

مع تطور أفكاره، بدأ بروكس في طرح بعض الكلام الفلسفي الزائف غير المفهوم لتبرير نظامه الغذائي الصحي من الضوء والهواء والوجبات السريعة. نظرًا لتحركه روحانيًا بواسطة همبرغر كواتر باوندر الذي تبيعه مطاعم ماكدونالدز، ادعى بروكس أن البرغر يمتلك "ترددًا أساسيًا" خاصًا مفيدًا للبريثاريين. يمكنك هضمها بمشروب دايت كولا، لأن المشروب الغازي المكون من الأسبارتام والصبغة هو حقًا «سائل خفيف».

هل أنت مرتبك حتى الآن؟ لا داعي للقلق، لأن ما بين مئة ألف دولار ومليار دولار يمكنك الحصول على إرشادات من بروكس نفسه حول كيفية العيش من دون طعام. كما قدم معهد بروكس خطة دفع للأشخاص الراغبين تبدأ بمبلغ ١٠,٠٠٠ دولار أمريكي.

يمكننا تخصيص كتاب كامل لفهرسة المشعوذين مثل بروكس.

وهذا بالضبط ما يجعل هذا النوع الخاص من الدجل شديد الخطورة: مشكلة الصيام، على عكس جراحة الأعصاب مثلاً، هي إمكانية أي شخص القيام به. يقدم كثير من المهنيين غير الطبيين وغير المؤهلين آرائهم ونصائحهم. حتى الكتاب المحترمون يشاركون في اللعبة.

لم يكن أحد من أتباع الصيام أكثر حماسة من أبتون سنكلير، مؤلف كتاب الأدغال والمريض الساذج الشهير، الذي دعم مجموعة متنوعة من علاجات الدجل في القرن العشرين. كتاب سنكلير عام ١٩١١ علاج الصيام، يعرض تفاصيل تجاربه الشخصية في عدم تناول الطعام. لم يكتف سنكلير بوصف تجاربه الخاصة فحسب، بل قدم أيضًا نصائح عامة لمئات الأشخاص الذين كتبوا إليه للحصول على رأيه الطبي - بوصفه صحفياً - عما إذا كان الصيام سيساعد في علاجهم. وأوصى بفترات صيام طويلة لمن يعانون من «أمراض يائسة حقًا» مثل «مرض برايت وتليف

الكبد والروماتيزم والسرطان». (على الرغم من أن الأطباء المعاصرين قد يختلفون بشدة مع نصيحة سنكلير الطبية غير المرغوب فيها، إلا أن هناك بعض الدراسات الواعدة الحديثة عن تأثير الصيام على الفئران المصابة بالسرطان. ومع ذلك، لا تزال الدراسات البشرية غير متوفرة)، في مقدمة كتابه، يوصي سنكلير بمكانين «لتولي مسؤولية» المرضى الصائمين. بالإضافة إلى مصحح بيرنار ماكفادين في شيكاغو، أدرج عنوان آخر: ليندا ب. هازارد، من سياتل، واشنطن.

أسوأ الطرق لفقدان الوزن

لطالما كان البشر في رحلة مضطربة لمحاربة الشراهة والحصول على جسم مثالي بعيد المنال. تتغير الأسلحة التي نستخدمها في تلك المعركة اعتمادًا على الحقبة الزمنية والعادات المجتمعية. إن تاريخ الشعوذة مليء بطرق إنقاص الوزن التي جربناها أو سخرنا منها. نظّف، طهّر، خذ حبوبًا، تناول الكرب فقط - فهذه الأنظمة لها ماضٍ وحاضر ومستقبل بلا شك. لذا استرخِ وخن التطهير بقطعة كاب كيك وانظر إلى أسوأ الطرق لإنقاص الوزن.

الديدان الشريطية

بدأت بدعة حمية الدودة الشريطية في القرن التاسع عشر. الفكرة هي أن تأكل بيض الدودة الشريطية، والطفيلي يأكل طعامك. في كثير من الأحيان، كان البيض الذي يتم طلبه عبر البريد ميتينًا (أو لم يكن موجودًا على الإطلاق). شيء جيد حقًا؛ لأن عدوى الدودة الشريطية الفعلية قد تسبب الصداع والتهاب الدماغ والنوبات والخرف. تنمو الديدان الشريطية حتى يصل طولها إلى ثلاثين قدمًا، وتعيش لعقود، إضافة إلى أنها

خنشى، مما يعني أنها تصنع المزيد من الديدان الشريطية بداخلك. (نعم، ستستضيف طقوس العرودة الشريطية!).

التعرق

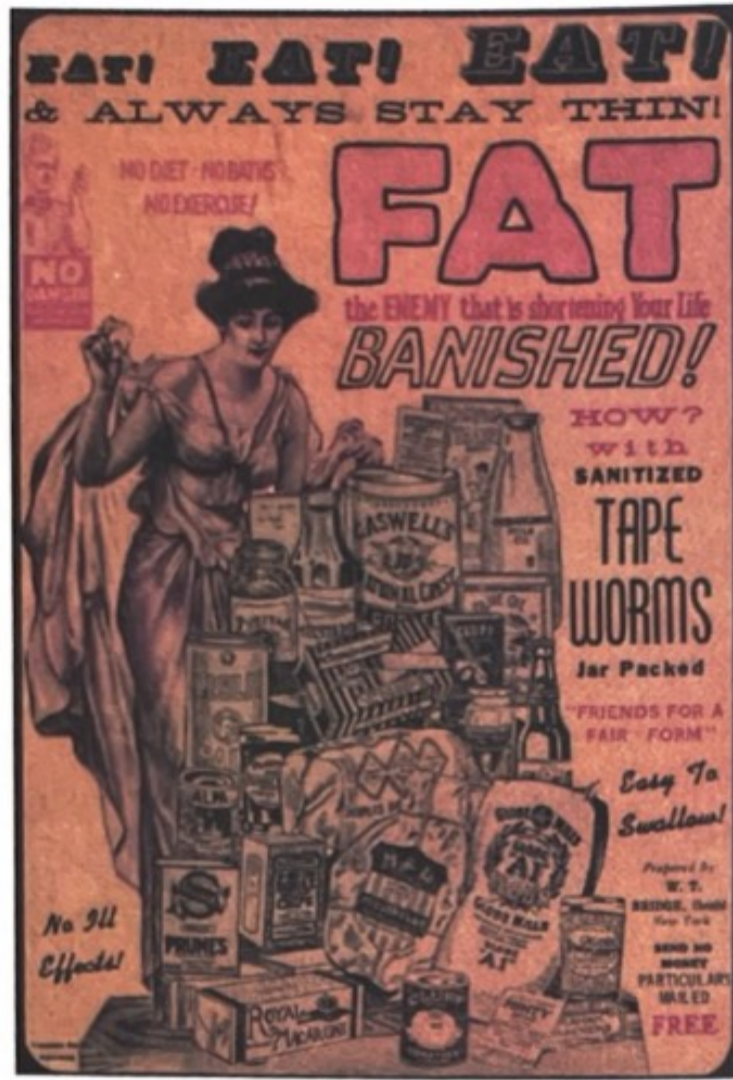


في القرن التاسع عشر، اخترع تشارلز جودبير المطاط المفلكن، ولدت النسخة السادية المازوخية من Spanx على شكل مشدات مطاطية وأبسة داخلية، ووعدت بالمساعدة في التخلص من الدهون. في الوقت نفسه تقريبًا، ظهرت طرق أخرى، مثل حمامات البخار، والحرارة الجافة، والعلاج بالضوء (علاج شديد الحرارة ١٤٥ درجة فهرنهايت)، مما أدى إلى فقدان الوزن بشكل

جيد - تحفيز العرق. ولكن كما سيخبرك أي مصارع جيد أو ممارس فنون قتالية مختلطة، فإن التعرق بوصفه وسيلة لفقدان الوزن هو أمر مؤقت. يعود الوزن مع العطش الشديد.

مستخلصات الغدة الدرقية

كان تعزيز التمثيل الغذائي عن طريق مستخلصات الغدة الدرقية شائعًا للغاية في القرنين التاسع عشر والعشرين. نظرًا لأن الغدة الدرقية تساعد في تنظيم التمثيل الغذائي، فقد عُثر على غدد مجففة ومسحوقة من الخنازير والأبقار في الأدوية المدجلة مثل حبوب السمينة للدكتور نيومان. بالتأكيد، قد تفقد الوزن، ولكن يمكن أيضًا أن تصاب بفرط نشاط الغدة الدرقية بسبب الهرمونات الزائدة، مما يؤدي إلى خفقان القلب، والتعرق، وانتفاخ العينين، وتساقط الشعر، والإسهال.



نظرًا لأن عنصر اليود ضروري لصنع هرمون الغدة الدرقية، فقد أوصى بعض أصحاب براءات الاختراع بالدواء الذي يحتوي على اليود لتعزيز عملية التمثيل الغذائي. هل نفع؟ كلا.

تحتوي المنتجات المضادة للسمنة مثل آلان أنتي فات Allan's Anti Fat على الفوقس الحويصلي، وهو عشب بحري غني باليود يوجد في كثير من المحيطات. فكرة رائعة، لكن منتجات مثل هذه لا تعمل على تغيير التمثيل الغذائي إذا كانت الغدة الدرقية تعمل بشكل جيد بالفعل.

ثنائي نetro الفينول

دخل مركب يسمى ثنائي نetro الفينول السوق بوصفه دواء لإنقاص الوزن حوالي عام ١٩٣٤. الإيجابيات: زيادة التمثيل الغذائي بسرعة. السلبيات: استخدامه لصنع المتفجرات، كما أنه مسرطن، وتسبب بمقتل كثير بسبب الزيادة السريعة في درجة حرارة الجسم. إذا لم يمت، فقد يصاب

بطفح جلدي وفقدان حاسة التذوق والإصابة بالعمى. بسبب الوفيات والآثار الجانبية الرهيبة، اختفى من السوق بعد أربع سنوات فقط.

الأمفيتامينات

١- فينيل بروبان ٢- أمين. المعروف أيضًا باسم الأمفيتامين، بنزيدرلين، والديكسيدرين، صُنِعَ في عام ١٩٢٩. في البداية رُوِّجَ لعلاج انسداد الأنف، ثم للاكتئاب الطفيف. أخذ جنود الحرب العالمية الثانية هذا الدواء لتعزيز الحالة المزاجية واليقظة، لكن كان له تأثير جانبي مفاجئ يتمثل في انخفاض الشهية وفقدان الوزن. بحلول أواخر الستينيات، كانت تُصنَع ٤ مليار جرعة (متوفرة من دون وصفة طبية) سنويًا.

أُطلق على هذه الحبوب اسم «المساعدات الصغار للأمهات» لخلق ربات بيوت مفعمات بالنعافة. ولسوء الحظ، تسببت أيضًا في «ذهان الأمفيتامين»، حيث يعاني المستخدمون من الهلوسة (مثل الشيطان، وأحواض المرحيض المتكلمة) في أثناء تحولهم إلى الإدمان. في عام ١٩٧٠، فُرض على الأمفيتامينات أخيرًا قيود صارمة، والتي ربما أدت إلى تهدئة كثير من المرحيض المتكلمة.

المضغ المفرط

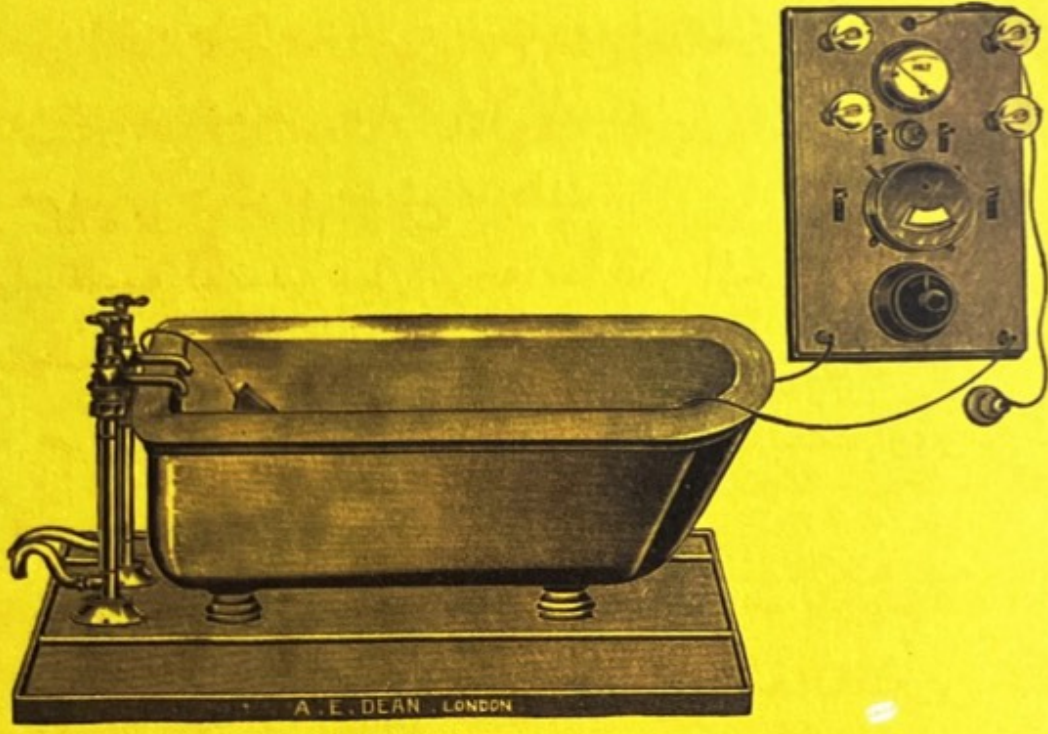
بدعة حمية واحدة لم تكن تتعلق بما تأكله، ولكن كم مئات المرات تمضغ الطعام. هوراس فليتشر (المتوفى عام ١٩١٤)، المسمى «الماضغ العظيم» شجع على الإفراط في مضغ الطعام لدرجة أنه يصبح سائلاً وبلا طعم تمامًا. وبصق أي بقايا من الألياف. إذا اتبعت فليتشر، ستأكل أقل بكثير (مشغول جدًا بالماضغ) وستكون لديك حياة اجتماعية كثيفة. (ورد أن فليتشر كان مملًا في تناول الوجبات؛ لأنه من غير المهذب التحدث في أثناء المضغ) إذا كنت "ماضغًا ممتازًا"، فقد يكون لديك براز مثل فليتشر - يشبه البسكويت وعديم الرائحة، يمكنك استعراضه وإظهاره للناس، وهذا ما فعله فليتشر.

قوى غامضة



الأمواج والأشعة والأجواء الغريبة





الكهرباء

الجثث الراقصة، المشدات الكهربائية،

حزام بولفاماخر، الحمام الجلفاني،

الجمال الأبدي لمارغريت تاتشر

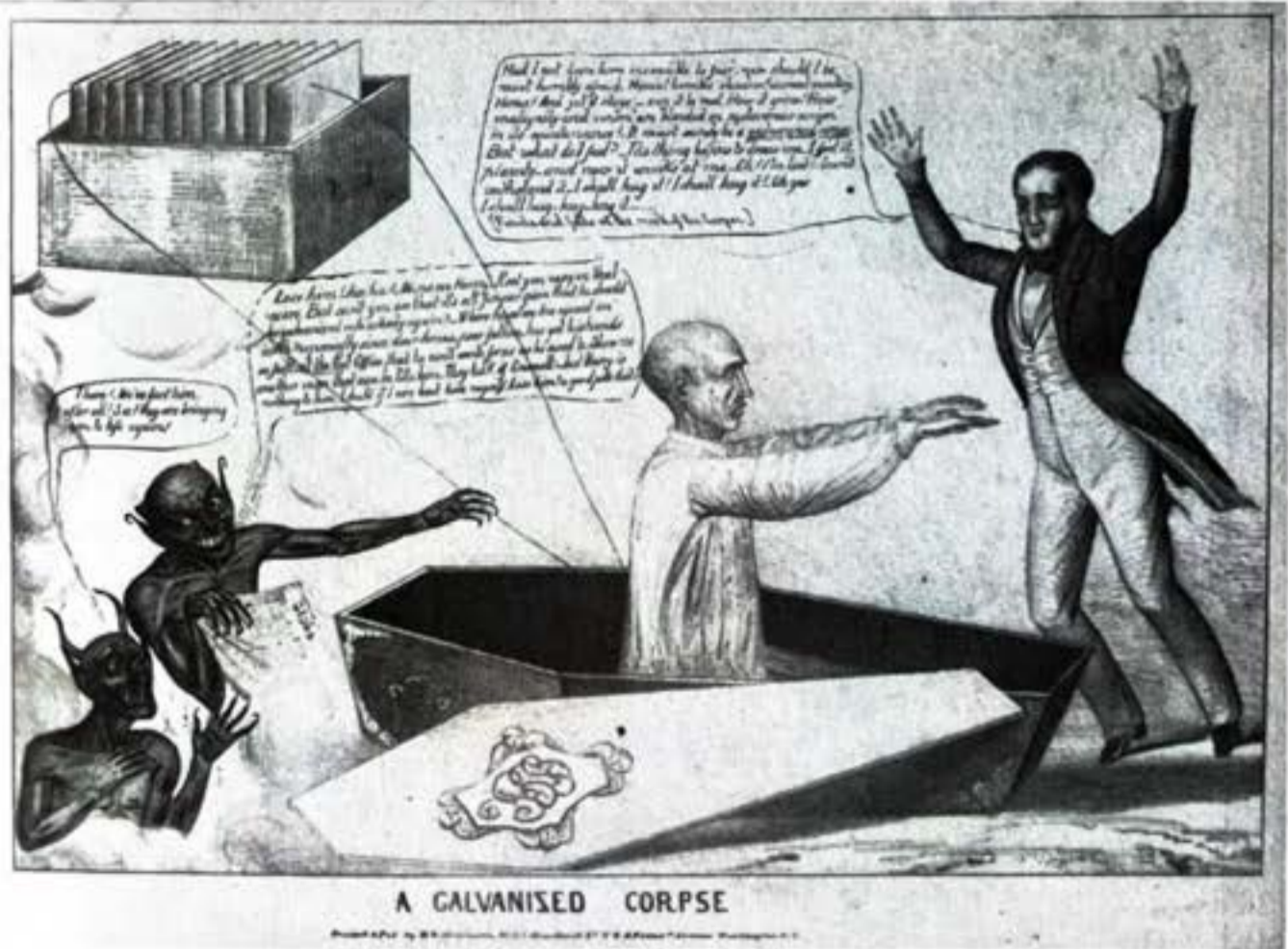
في أحد أيام شهر يناير الباردة في لندن عام ١٨٠٣، أُعدم جورج فورستر بتهمة قتل زوجته وطفله. إضافة إلى الشنق "حتى الموت"، حُكم على فورستر بالتشريح، وهو شكل من أشكال العقوبة التي وصلت إلى الدار الآخرة، للاعتقاد العام القائل بأن الجثث المفككة لا يمكن إحيائها يوم القيامة. لكن جسد فورستر كان لديه مفاجأة أخرى وهو في طريقه من حبل المشنقة إلى اللحد: عرض عام للحقل العلمي الجديد للجلفانية، أي استخدام الكهرباء لتحفيز العضلات.

في ظلمة سجن نيو جيت، سُلمت جثة فورستر إلى جيوفاني ألديني، وهو طبيب إيطالي لديه حس مسرحي، حيث رفع فورستر أمام حشد من الناس وتمرير تيارات كهربائية عبر جثة الرجل المسكين.

ذكر تقويم نيو جيت ما حدث بعد ذلك:

في أول تطبيق للعملية على الوجه، بدأ فكي المجرم المتوفي بالارتعاش، وتشوهت العضلات المجاورة بشكل مريع، وفتحت عين واحدة بالفعل. في الجزء اللاحق من العملية، رُفعت اليد اليمنى وثبتت بمسما، ومن ثم حُرِّك الساقين والفخذين.

تسبب مشهد جثة فورستر المشنوقة حديثًا، وهو يتجهم فجأة ويتحرك ويتلوى، في إثارة ضجة كبيرة بين المتفرجين لدرجة أن كثيرين اعتقدوا أن فورستر قد أعيد إحيائه من الموت. في حالة إعادة الرجل المدان بالفعل إلى الحياة من قبل ألديني، كان الجلادون على أهبة الاستعداد لشنقه على الفور مرة أخرى.

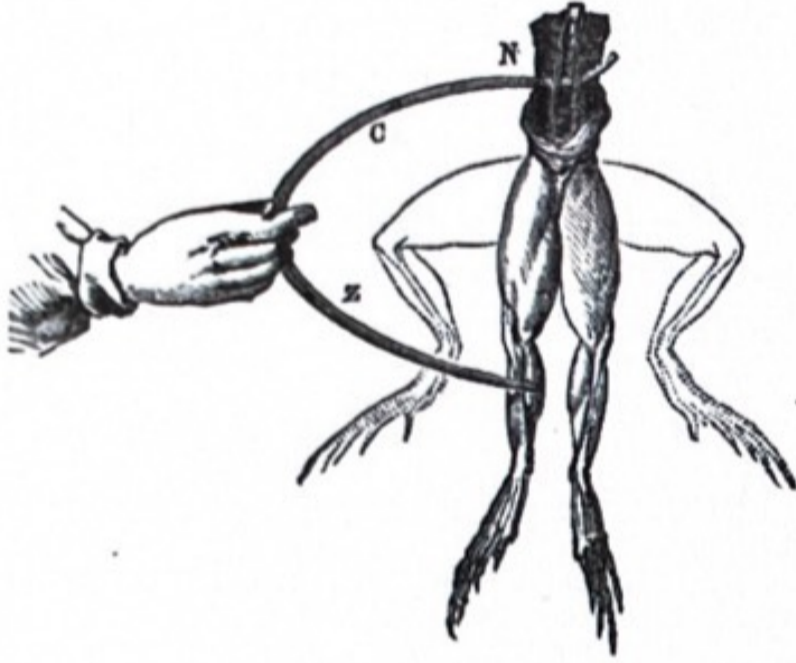


إنها معجزة، أنتشلت من براثن الشياطين بفعل الكهرباء

من البرق إلى المختبر

لقد أثارت أعجوبة الكهرباء وغموضها اهتمامنا منذ أن ذهل البشر الأوائل بقوة البرق. لاحظوا أن الكهرمان يجذب الشعر والأشياء الخفيفة الأخرى بعد فركه. ما نسميه اليوم تأثير كهرباء الاحتكاك، حيث تكتسب المواد شحنة كهربائية بعد احتكاكها مع شيء آخر. معظم الكهرباء الساكنة هي كهرباء احتكاك - في المرة اللاحقة التي تلتصق فيها ملابسك ببعضها بعضاً بعد استخدام المجفف، ستشهد هذه الظاهرة. لم يميز ويليام جيلبرت،

وهو جزء من بلاط الملكة إليزابيث الأولى، هذه الظاهرة عن المغناطيسية (من دون الاستفادة من مجفف الملابس) حتى عام ١٦٠٠، وابتكر مصطلح الكهرباء، من كلمة الإلكترين اليونانية.



مقتطف من كتيب يعود لمجموعة أدوات لصعق أرجل الضفدع بالكهرباء

في القرن الثامن عشر، تحول البحث العلمي بشكل

جدي إلى الكهرباء. اخترعت أول قارورة ليدن لحل مشكلة تخزين الشحنة الكهربائية. ومن ينسى صورة بنجامين فرانكلين مع طائرته الورقية في سماء فيلادلفيا العاصفة عام ١٧٥٢؟ تبع فرانكلين عالم فيزيائي إيطالي، أليساندرو فولتا، الذي اخترع أول بطارية كهربائية، ولويجي جلفاني (عم ألديني) الذي اكتشف أن عضلات ساق الضفدع الميت ترتعش عند ضربها بشحنة كهربائية. تضمنت تلك التجربة تحديداً تعليق مجموعة من أرجل الضفدع الميتة على درابزين معدني في أثناء العاصفة. لم يكن جلفاني يعجب جيرانه.

عندما قدم ألديني للجمهور في نيوجيت مشهده المروع وغير الأخلاقي
بجثة جورج فورستر، كان يُظهر أيضًا اكتشافاً علمياً حقيقياً وجديداً ومهماً
للغاية. لأول مرة في التاريخ، يمكن للبشر تسخير قوة الكهرباء للتلاعب
بالجسم.

إضافة إلى تحفيز الضفادع وجثث المجرمين، تبنى الممارسون الطبيون
الجلفانية^(١) للاستفادة من الخصائص العلاجية للكهرباء. بدأ كريستيان
غوتليب كراتزنستين، المعاصر لجالفاني، بتجربة الاستخدامات الطبية
للكهرباء عن طريق إعطاء الصدمات للمرضى الذين يعانون من الروماتيزم
والحمى الخبيثة والطاعون. لاحظ كراتزنستين زيادة في نبض المرء بعد
تعرضه لصدمات كهربائية، والتي يعتقد أنها ساعدت في عملية الشفاء في
بعض الأمراض. كما لاحظ أن كهربية المرضى جعلتهم، بطريقة ما، متعبين.
فاقترح أن هذا التأثير قد يكون مفيداً لأولئك الذين تمنعهم ثرواتهم وأحزانهم
ومخاوفهم من إغلاق أعينهم في الليل. في المرة القادمة التي لا تستطيع فيها
النوم، ما عليك سوى إدخال إصبعك في مأخذ للتيار الكهربائي - فقط
أمزح، من فضلك لا تفعل ذلك.

في فرنسا، بدأ الأطباء بتجربة الكهرباء على الجنود المصابين بالشلل.
في ٢٦ ديسمبر ١٧٤٧، على سبيل المثال، طبق طبيب الكهرباء على ذراع
مشلولة لمدة ساعتين في الصباح ومرة أخرى لمدة ساعتين إلى ثلاث ساعات
بعد الظهر. بعد تحمّل هذا العلاج لمدة شهر (!) شُفي المريض بنجاح من
الشلل. كانت التجارب الأخرى أقل حسماً، على الرغم من أن قصة النجاح
العرضية والإثارة العامة بشأن العملية الغامضة للكهرباء دفعت أحد الأطباء
الفرنسيين إلى القول «في هذه المدينة، يريد الجميع أن تمسه الكهرباء».
لم يمضِ وقت طويل قبل ظهور الدجالين لتحقيق هذه الرغبة.

(١) الجلفانية: توليد الكهرباء بفعل كيميائي. المترجمة

فراشي ومشدات وأحزمة كهربائية

كان حماس الجمهور للكهرباء كبيرًا في أمريكا أيضًا، حيث سجلت براءة اختراع لمجموعة متنوعة من الأجهزة للمساعدة في نشر إنجيل الكهرباء بما في ذلك الفرشاة الكهربائية (للصلع!)، والمشدات الكهربائية (لفقدان الوزن!) والأحزمة الكهربائية (للخلل الوظيفي!). كاصطفاف الناس خارج متاجر Apple عندما يُطلق آيفون جديد، كانوا يصطفون كذلك للحصول على أجهزة للكهرباء الذاتية. التكنولوجيا الجديدة تخلق الإثارة، والإثارة تخلق أرضًا خصبة للدجل.



نجاح باهر! فرشاة جميلة!

في عام ١٨٨٠، قدم دكتور سكوت فرشاة شعر كهربائية، والتي سرعان ما انتشرت في أمريكا. احتوت فرشاة شعر دكتور سكوت الكهربائية على قضيب حديدي ممغنط في مقبضها، لكنها في الواقع لم تحتو، على مصدر طاقة. كانت في الأساس فرشاة شعر ممغنطة

نوعًا ما، وهو بالتأكيد إعلان أقل إثارة. لكن سكوت عبقرى في التسويق، استغل شهرة الكهرباء، تلك الظاهرة غير المفهومة لتكوين ثروة جيدة. ادعى سكوت، الذي نشر إعلانات في الصحف في جميع أنحاء البلاد، أن فرشاته الكهربائية لا تستطيع فقط علاج مشاكل متوقعة مثل الصلع والصداع، ولكن أيضًا - والمنطق هنا في حالة محرجة - أمراض مثل العرج والشلل والإمساك.

قام سكوت بتوزيع فرشاة شعره مع تحذير يضمن في الوقت نفسه ارتفاع المبيعات ووضع الأساس للمشاحنات العائلية: «لا ينبغي بأي حال من الأحوال أن يستخدم أكثر من شخص الفرشاة. إذا استخدمها الشخص نفسه دائماً، فإنها تحتفظ بقوته العلاجية الكاملة».



صل هذا الخصر بالكهرباء

وسع سكوت لاحقاً إمبراطوريته الكهربائية غير الكهربائية لتشمل المشدات كفرشاة الشعر، كانت مشدات سكوت «الكهربائية» ممغنطة قليلاً. أعلن أنها «غير

قابلة للكسر والطبي» - يُذهل المرء عند التفكير في إجبار جسم بشري على مشد «غير قابل للطبي» - يمكن أن تعالج المشدات الكهربائية جميع أنواع الأمراض المستعصية. يمكن أيضاً أن تعالج السمينة أو النحافة إذا ما لبست باستمرار، عبر نقل القدر المطلوب من قوة أوديك (قوة الحياة) التي يتطلبها «قانون الطبيعة».

«لم تكن المرأة هي الوحيدة التي استفادت من الخصائص العلاجية للكهرباء. بل منح الرجال أيضاً أحزمة كهربائية».

إذا كنت رجلاً ثرياً وعصرياً في أواخر القرن التاسع عشر، فمن المحتمل أن يكون لديك حزام بولفاماخر الكهربائي Pulvermacher (اسم ممتاز لفرقة ديث ميتال الألمانية)، وهو أفضل الأحزمة الكهربائية في مطلع القرن. توفر الأحزمة «تيارات خفيفة ومستمرة» من الكهرباء في أثناء مدة تتراوح من ٨ إلى ١٢ ساعة في اليوم والتي من المفترض أن ترتديها في أثنائها. إضافة إلى الأحزمة، أنتجت شركة جلفاني (ومقرها مؤسسة Galvanic في سان

فرانسيسكو) مجموعة متنوعة من السلاسل الكهربائية التي يمكن ربطها بأي جزء من الجسم تقريبًا.

حتى إن حماسة مرتدي الأحزمة الكهربائية شقت طريقها إلى الخيال. في رواية "مدام بوفاري" للمخرج غوستاف فلوير، تصف شخصية هوميس بأنها "متحمسة لسلاسل بولفاماخر الكهرومائية؛ كان يرتدي واحدة بنفسه، وعندما خلع سترة الفانيلا في الليل، كانت تقف مدام هوميس منبهرة تمامًا أمام الحلزون الذهبي الذي كان يختبئ تحته، وتشعر برغبة ملحة تجاهه."

كانت أحزمة بولفاماخر، المصنوعة من الزنك والنحاس والمنقوعة قبل استخدامها في الخل، تنتج في الواقع تيارات ضوئية من الكهرباء عن طريق سحب تيار ضئيل من جسم الإنسان نفسه. كان التيار كافيًا فقط للتأكد من أن الحزام أو السلسلة تعمل.

أعطت الشركة الضمانات عبر الترويج القوي لمنتجاتها، واعتادت ملء إعلاناتها بعبارة "الكهرباء هي الحياة" مرفقة بتوصيات مطولة من الأطباء البارزين. كانت المشكلة الوحيدة هي أنهم لم يجذبوا أبدًا أي توصيات، لذا فقد اختلقوا بعضًا منها.

أعلن عن الأحزمة الكهربائية، على أنها علاج لجميع الأمراض، حيث تعالج أمراض الكلى والمعدة والكبد والأمعاء، وعلى وجه الخصوص، عسر



التحضير الدقيق
للحزام الكهربائي

الهضم. تضمنت النماذج الخاصة للأحزمة الكهربائية أيضاً وصلة للقضيب، والتي يمكن تحفيزه عبر سحر التيار الجلفاني. أثار المصنعون خوفاً شائعاً في أواخر القرن التاسع عشر - من أن الرجال لا يملكون سوى كمية محدودة من السائل المنوي يمكنهم توزيعه طوال حياتهم. لذلك، ألقى اللوم على الاستمناء في وقت مبكر من الحياة على أنه مصدر مشاكل لاحقة مع ضعف الانتصاب. لحسن الحظ، فإن تشغيل تيار كهربائي خفيف في قضيب قديم متعب يمكن أن يقطع شوطاً طويلاً لإعادته إلى أيام مجده السابقة.

دعونا نمزج الكهرباء مع الماء!

إذا لم تحصل على النتائج المتوقعة من المشدات أو الأحزمة، يمكنك تحقيق الحد الأقصى عن طريق النقع في حمام كهربائي. على الرغم من المبدأ السليم بشكل عام لتجنب الاتصال بين الماء والكهرباء، أدت حركة القرن التاسع



دش الكهرباء الروسي. يبدو شرعياً

عشر إلى تطوير حمامات كهربائية، أو «جلفانية».

افتتحت جيني كيد تراوت أحد هذه الحمامات - المعهد العلاجي والكهربائي - وقد أُحتفل به لأنها كانت أول امرأة تحصل على ترخيص طبي في كندا. عندما افتتحت تراوت معهدها في تورنتو عام ١٨٧٥، كان يضم ستة حمامات. كان المرضى يغمرون جزءاً من أجسادهم أو كلها في ماء دافئ في حوض استحمام مطلي بالمعدن. ثم يمسك المرضى بأقطاب كهربائية (غير مغمورة، لحسن



الحظ) موصولة بالبطاريات، مما يسمح للتيار المنخفض المستوى بكهربة الماء. كان في الأساس حوض استحمام ساخن، ولكن مع وجود الكهرباء داخل الماء وليس خارجه.

ومن الجدير بالذكر أن تراوت، التي كانت تدير أيضًا مستوصفًا مجانيًا للفقراء، كانت طبيبة ذكية وحسنة النية ولم تبالغ في الادعاءات الطبية لعلاجاتها. لقد اعتقدت حقًا، مثل كثير من

الأطباء الآخرين في ذلك العصر، أن علاجات الحمام الكهربائي كانت مفيدة لمرضاها. كان من المفترض أن ينشط التيار الكهربائي أعضاءك ودورتك الدموية، في حين أن الحرارة من الماء الدافئ "تفتح مسامك" وتسبب التعرق للمساعدة في طرد السموم. على هذا النحو، روجوا للحمامات الكهربائية للمساعدة في علاج حالات متنوعة مزمنة مثل الروماتيزم والنقرس وعرق النساء.

على الرغم من أن الحمامات الكهربائية لم تعد جزءًا من الممارسات السائدة، إلا أنها لا تزال تستخدم في المجال الطبي.

في عام ١٩٨٩، اندلعت فضيحة صغيرة عندما ذكرت مجلة فانيتي فير Vanity Fair أن رئيسة وزراء المملكة المتحدة مارغريت تاتشر تستحم بانتظام بالحمامات الكهربائية بوصفها جزءًا من روتين متقن للصحة والجمال. زارت رئيسة الوزراء «امرأة هندية» والتي زُعم أنها كانت تعالج «أكثر النساء نفوذًا في العالم». دفعت تاتشر ما يزيد عن ٦٠٠ جنيه إسترليني مقابل

علاجات الاستحمام الخاصة بها، حيث سُغل ٣, ٠ أمبير من الكهرباء عبر الماء. أمضت الصحف البريطانية يومًا ميدانيًا مع هذه الأخبار، مع عناوين مثل «زعيمة هندية تبقّيها مثيرة»، «كشف أسرار مارغريت وقت الاستحمام» و «كشف السر المذهل لرئيسة الوزراء».

هل الحمامات تعمل؟ حسنًا، كنت أتمنى ذلك مقابل ٦٠٠ جنيه إسترليني للعلاج. على الرغم من عدم وجود علاقة سببية علمية هنا، إلا أن تآثر جذبت بالفعل تكهنات لا نهاية لها في الصحف الشعبية في نهاية حياتها المهنية حول قدرتها على الظهور أصغر سنًا مع تقدمها في السن. لذلك كانت إما الحمامات الكهربائية أو القوة الطبيعية الناتجة عن سحق دولة الرفاهية وتدمير معاشات العمال.

الكهرباء اليوم

على الرغم من اختفاء الحمامات الكهربائية والأحزمة والمشدات إلى خد كبير، أنتج القرن العشرين مجموعة متنوعة من الأجهزة الكهربائية المشروعة، بما في ذلك مخطط كهربية القلب EKG، الذي يقيس النشاط الكهربائي للقلب. كما استخدم جراحو العظام الكهرباء لمساعدة العظام في عملية الشفاء ومن قبل أطباء القلب لتنظيم ضربات القلب باستخدام أجهزة تنظيم ضربات القلب. إضافة إلى ذلك، بالطبع، هناك جهاز مزيل الرجفان لمعالجة اضطرابات دقات القلب، الذي أنقذ أرواحًا لا حصر لها على مر السنين عبر إرسال صدمة كهربائية حيوية للقلب.

لذا فقد تصالح المجتمع الطبي مع الكهرباء. ومع ذلك، لا يزال المرء يفتقد موضة حزام بولفاماخر. فكر فقط كيف، في تلك الصور القديمة الجادة لرجال الأعمال في نيويورك، في مكان ما تحت تلك الملابس، كان الحزام الكهربائي يطن بهدوء. بكل الأحوال، إنه تفكير أكثر متعة من الجثث الراقصة تحت المشنقة في سجن نيو جيت.

معبد الصحة

استمر الدجالون باستغلال تأثير العلاج الوهمي القوي الناتج عن السحر غير المرئي للكهرباء، وربما لا أحد منهم يصل لمهارة جيمس جراهام، «الطبيب» الأسكتلندي الذي ألهم الزبائن الأثرياء لدعم خطته المجنونة. كان أحد هذه المشاريع هو معبد الصحة والبيكاراة في أدلبي في لندن عام ١٧٨٠.

تضمن المعبد آلهة يرتدون ملابس ضيقة يلقون قصائد لأبولو إضافة إلى «أكبر وأكثر جهاز طبي كهربائي أنيقة في العالم». كان الجهاز موجودًا هناك بوصفه قطعة عرض؛ لم يستخدمه جراهام في الواقع مع المرضى. بل أضفى فقط على الجونكة من



نوع خاص؛ برفقة «شعلة سماوية، وأدوية صحية منعشة ومنتقاة بدقة. تتدفق بهدوء في الدم والجهاز العصبي، مع السائل الكهربائي، أو المواد الأثرية المنشطة».

كان لدى جراهام أيضًا سرير سماوي متاح للأزواج الذين يعانون

ليلة مواعدة مكلفة

مع مشاكل الخصوبة. كان السرير، الذي يبلغ طوله اثني عشر قدمًا وعرضه تسعة أقدام، مدعومًا بأربعين عمودًا من الزجاج الملون ومزين بشرايب قرمزية كبيرة. نُفخت العطور في أنابيب زجاجية؛ برفقة موسيقى شجية عُزفت عن بعد.

كانت هناك أحجار مغناطيسية تحت السرير لتوفير «الشعلة السماوية» جنبًا إلى جنب مع أنبوب مفرغ مشحون كهربائيًا والذي قد يتصدع أحيانًا، ويبدو أنه يساهم في جو الشهوة الجنسية. سُمح للأزواج الراغبين باستخدام السرير وضمان «الحمل الفوري» مقابل ٥٠ جنيهًا إسترلينيًا. على الرغم من الآلهة الذين يرتدون ملابس ضيقة وجرأة جراهام، فقد أفلس المعبد بعد ذلك بعامين.



المغناطيسية الحيوانية

فرانز ميسمر، الأب هيل، السائل المغناطيسي العالمي،

المسرحيات الكبرى، وأصول العلم المسيحي

تخيل أنك سيدة نبيلة فرنسية ثرية عام ١٧٨٨، تعاني من الملل والضيق. وسمعت أصدقاءك يتحدثون عن طبيب ألماني مثير للاهتمام وعن نظرياته الغريبة الجديدة عن المغناطيسية الحيوانية. في الواقع، لم تسمعي سوى القليل عن الأشياء الأخرى في قاعات الرسم والصالونات في باريس الأسبوع الماضي. فقررقي أن تجربي هذا الرجل المضحك بنفسك، ووصل بك الأمر إلى الغرف المجهزة بشكل مثير في دار ميسمر House of Mesmer.

يتدفق الضوء عبر النوافذ الزجاجية الملونة في الصالون الفسيح، وجميع الجدران مزينة بالمرايا. تفوح رائحة أزهار البرتقال في الهواء. من بعيد، تسمعين غناء لطيفاً وعزفاً خفيفاً على قيثارة.

في وسط الغرفة، ترين وعاءً بيضاوياً كبيراً يبلغ طوله حوالي أربعة أقدام وعمقه قدم واحدة. في الداخل، يوجد عدد كبير من زجاجات النبيذ المليئة «بالمياه الممغنطة». يأتي المساعد ويصب المزيد من الماء في الوعاء حتى يملأ الجزء العلوي من الزجاجات. ثم يغطيها بصفحة حديدية مثقوبة، وتُدخل قضبان طويلة في كل فتحة. دُعيت المشاركات الأخريات، تقريباً جميع نساء الطبقة العليا مثلك، للضغط على الأجزاء المصابة من أجسادهن - الأرجل والذراعين والظهر والرقبة - بهذه القضبان الحديدية للاستفادة من قوى الشفاء للمياه الممغنطة.

ستُدعين للجلوس مع بعضكن بالقرب من الصفحة الحديدية، مع تلامس ساقيك مع ساق جارتك، «لتسهيل مرور السائل المغناطيسي». بمجرد أن تأخذ كل واحدة موضعها، يظهر «الممغنطون المساعدون»، يبدأون بلطف بلمس الركبتين، والعمود الفقري، وحتى أثناء المشاركات، كل ذلك في أثناء التحديق المباشر في عيون بعضكم بعضاً. تعترمون العلاج بـ «السائل الممغنط» عبر اللمس. وستلاحظين أن الممغنطين المساعدين يتسمون بالشباب والوسامة. صُدمتي بعمل لا أخلاقي.

تبدأ بعض جاراتك في الضحك بشكل هستيري، وأخريات في النحيب، أو الصراخ، وبعضهن يفررن من الغرفة، أو يغمى عليهن. بالنسبة إليك، حسناً، أنتِ بالتأكيد تشعرين بالشفاء (في الوقت الحالي) من الملل والضيق.

بمجرد أن تسوء الغرفة نتيجة الهديان الجماعي، تشاهدين النبي العظيم نفسه، فرانز ميسمر، يدخل أخيراً إلى الردهة. رجل جذاب في منتصف الأربعينيات من عمره، يرتدي رداءً أبيض طويلاً مطرزاً بالورود الذهبية. يحمل في يديه قضيباً كبيراً «ممغنطاً». يتحرك ببطء من امرأة إلى أخرى وهو يداعبها بلطف

بالقضيب ليعيد لها الهدوء مرة أخرى. وتستريح زميلاتك المريضات. بحلول الوقت الذي يقترب فيه ميسمر منك، يمد القضيب المغناطيسي، لا يمكنك بعد الآن الهروب بسرعة من الغرفة. وعند عودتك بعد الظهر، ستعترفين على الرغم من سخافة المشهد الذي لم تشاهديه على الإطلاق، بأنك استمتعت كثيرًا. وسيكون لديك الآن موضوع جديد صادم تتحدثين فيه في حفلتك المنزلية القادمة.

ماذا حدث الآن؟ للتوضيح، علينا أن نرجع قليلاً إلى الوراء في الزمن ونقدم لك الأب هيل.

الأب هيل وولادة المغناطيسية الحيوانية

في سبعينيات القرن الثامن عشر، كان فرانز فريدريش أنتون ميسمر طبيبًا شابًا يمارس الطب في فيينا، عندما غيرت فرصة لقائه مع الأب اليسوعي ماكسيميليان هيل حياته إلى الأبد. كان الأب هيل يجري تجارب طبية باستخدام ألواح المغناطيس الممغنطة. قام هيل بتطبيق هذه الألواح على الأجسام العارية للمرضى في محاولة لتوفير الراحة لأمراض مثل الروماتيزم.

تأثر ميسمر بحجج الكاهن. وتبنى نظرية هيل المغناطيسية، ثم حوّلها إلى فلسفته الغربية المبهجة التي مفادها أن جميع الأمراض تنتج عن عدم توازن السائل المغناطيسي الكوني الموجود في الجسم والذي يتسم بسرعة تأثيره بقوة الجاذبية. اعتقد ميسمر في البداية أنه يمكن تصحيح هذه الاختلالات باستخدام المغناطيس، لكنه سرعان ما أصبح مقتنعًا بأن القوة الحقيقية لإعادة تنظيم السوائل المغناطيسية تكمن في نفسه.

يعتقد ميسمر الذي أطلق على هذا السائل المغناطيسي العالمي «المغناطيسية الحيوانية»، أنه عبر وضع يديه على المرضى واستخدام قوة إرادته، يمكنه التلاعب بهذا السائل وشفاء المرضى.

لم تكن فكرة احتواء الأجسام البشرية على سائل غامض وعالمي يمكنه

التأثر بالقوى الخارجية فكرة جديدة، بل كانت، في الواقع، أحد المبادئ الأساسية للحركات الغامضة مثل علم التنجيم والخيماء. في القرن السادس عشر، اقترح باراسيلسوس أن أنظمتنا يمكن أن تتأثر بحركات الكواكب. بنى ميسمر على هذه النظرية أطروحته في جامعة فيينا عام ١٧٦٦، حيث كتب: تؤثر الشمس والقمر والنجوم الثابتة على بعضها بعضاً في مداراتها. فهي لا تسبب وتوجه فقط المد والجزر في البحر في أرضنا، بل تؤثر في الغلاف الجوي، وتؤثر بطريقة مماثلة على كل الأجسام عبر سائل خفي ومتحرك، ينتشر في الكون، ويربط جميع الأشياء معاً في تناغم واتصال متبادل.

ادعى ميسمر أن هذا "السائل العصبي"، أو "المغناطيسية الحيوانية" كما أسماها، يمكن أن يتلاعب بها الطبيب. في عصر الاكتشافات العلمية الجديدة المذهلة مثل الكهرباء والجاذبية، وجد السائل المغناطيسي لميسمر جمهوراً راغباً.

اللمسة السحرية لميسمر

بعد أن أقنع ميسمر الأب هيل بصنع بعض الألواح المغناطيسية المماثلة له لي تجربها، بدأ ميسمر في علاج المرضى في فيينا. وقد لاقى نجاحاً مبكراً في أثناء علاج فرانزيسكا أوستيرلين، وهي شابة "هستيرية" تعاني من تشنجات. في أثناء أحد النوبات، قامت ميسمر بوضع الألواح المغناطيسية على بطنها وساقها. أفادت أوستيرلين عن شعورها بـ "تيارات مؤلمة نتيجة مادة غامضة" تنتقل عبر جسدها، مما خفف من شدة التشنج وأوقفه تماماً في النهاية.

عالج ميسمر أوستيرلين في كثير من النوبات على مدار العامين اللاحقين، واستنتج في النهاية أن الألواح المغناطيسية كانت مجرد أمر ثانوي بالمقارنة مع لمسته هو. وجد أنه يمكن أن يحقق نتائج مماثلة ببساطة عن طريق تمرير يديه على طول جسم أوستيرلين أو عن طريق تحريك يديه في الاتجاه الذي يريد أن ينتقل فيه السائل المغناطيسي، حتى من مسافة بعيدة.

بعد إعلان شفاء أوستيرلين، شرع ميسمر في الكتابة إلى جميع المجتمعات

الطبية في أوروبا عن اكتشافه المثير. لقد كانت نظرية مبهجة وغريبة: تعتمد صحة الإنسان على التدفق المستمر للمغناطيسية الحيوانية في جميع أنحاء الجسم. إذا أُعيق تدفق هذا السائل المغناطيسي، فإن المرض هو النتيجة الحتمية. يمكن استعادة الصحة عن طريق إزالة العائق والتلاعب بالمغناطيسية الحيوانية عبر أي شيء ممغنط. أوضح ميسمر هذا، نوعاً ما، في أثناء الكتابة إلى صديق في فيينا:

لقد لاحظت أن السائل المغناطيسي يماثل تقريباً السائل الكهربائي، وأنه يمكن نشره بالطريقة نفسها، عن طريق الأجسام الوسيطة. الفولاذ ليس المادة الوحيدة لهذا الغرض. لقد استعملت الورق والخبز والصوف والحرير والأحجار والجلود والزجاج والخشب والرجال والكلاب - باختصار، كل ما لمستة - مغناطيسياً لدرجة أن هذه المواد أحدثت تأثيرات الألواح نفسها على المرضى.



بالتأكيد كان الساخرون يقضون أوقات ممتعة، هنا تعمل الحمير بجذ كحيوانات ممغنطة



العمل المستمر لتسهيل مرور السائل المغناطيسي

أخذ استراحة من الجلود والكلاب الممغنطة، وبدأ بعلاج مريضة رفيعة المستوى وهي عازفة بيانو شابة تدعى ماريا تيريزا فون باراديس، والتي كانت عمياء منذ طفولتها. لقد حاول تعديل المغناطيسية الحيوانية للفتاة الصغيرة، وعلى ما يبدو، أحرز بعض التقدم في علاجها قبل أن يطرده من كان قائماً على رعايتها.

تختلف التقارير حول السبب - يفترض بعضهم أن الطبيب والمريضة قد اقتربا جداً من بعضهما، وهو أمر ليس بالمفاجئ، بالنظر إلى كل هذا اللمس المكثف الذي يحدث. على أي حال، أُخرج بعدها من فيينا.

مجتمعات الانسجام

على الرغم من الفضيحة في وطنه النمسا، وجد ميسمر جمهوراً أكثر انفتاحاً في فرنسا. وجد بسبب جاذبيته، جنباً إلى جنب مع تطوره وثقته

بنفسه، تعاطفًا طبيعيًا من الشعب الفرنسي. في عام ١٧٧٨، أنشأ متجرًا عصريًا في باريس وأطلق ممارسته العلاجية المغناطيسية الشهيرة بشكل لا يصدق، التي كانت عبارة عن قسمين من المسرحية، أحدهما للشفاء. (حسنًا، أشبه بالمسرحية ذي الأجزاء التسعة، جزء واحد يُعنى بالشفاء).

كانت الدراما والنغمات الجنسية مثالية للجمهور المكبوت. حققت عروض ميسمر نجاحًا هائلًا وسرعان ما أصبح الطبيب رجلاً ثريًا. مثل كثير من الدجالين قبله وبعده، مع نمو حساب ميسمر المصرفي، تقلصت التزاماته الأخلاقية تجاه تطوير الطب.

لم يفتقر ميسمر أبدًا إلى الجرأة، سرعان ما كتب إلى الملكة ماري أنطوانيت نفسها، وطلب قصرًا ودخلًا سنويًا كبيرًا من الخزائن الملكية:

في نظر جلالتك، إذا استخدمت أربعة أو خمسة مائة ألف فرنك لغرض جيد، ليس لهذا المبلغ أهمية. رفاهية وسعادة شعبك هي كل شيء. يجب أن يُستقبل اكتشافي وأن يُكافأ بسخاء يليق من الملك الذي سألتحق بخدمته.

رد مستشارو الملكة في النهاية، وقدموا معاشًا بقيمة ٢٠٠٠٠ فرنك إذا نجح ميسمر في إثبات اكتشافه أمام الأطباء المعينين من قبل الملك. اعترض ميسمر وأعلن ازدرائه وترفعه عن المال، فر من باريس (مع إمكانية إجراء مزيد من الاستكشاف) إلى مدينة سبا البلجيكية وتبعه بعض المهتمين المتحمسين، حيث فتح أحدهم، ويدعى بيرغاس، خدمة اشتراك باسمه. سيتلقى كل مشترك، بمعدل مائة لويس دور^(١)، أسرار قائدهم ميسمر. وافق ميسمر بسعادة، متناسيًا ازدرائه السابق للمال، وتلقى ثروة قدرها ١٤٠,٠٠٠ فرنك من المشتركين الذين أرادوا نشر إنجيل ميسمر.

(١) عملة معدنية ذهبية كانت تستخدم في فرنسا قبل الثورة الفرنسية، المترجمة

ابتكار أمريكي: من المغناطيسية إلى الشفاء بالإيمان

في عام ١٨٦٢، كانت ماري باترسون ضعيفة، وهزيلة، ومكتئبة من قضاء معظم سنواتها الثانية والأربعين مريضة وطريحة الفراش. في محاولة يائسة للعلاج، ذهبت إلى مكتب فيناس باركهورست كويمبي في بورتلاند بولاية مين.

قبل بضع سنوات، سمع كويمبي محاضرة عن المغناطيسية الحيوانية من الفرنسي الزائر تشارلز بوين. أُعجب جدًا بذلك. مثل مراهق من التسعينيات حصل على أول عرض لفرقة فيش Phish ثم تخلى عن كل شيء لمتابعة الفرقة في جميع أنحاء البلاد، استقال كويمبي من عمله وأصبح مريدًا للمسمرية (المغناطيسية) وتبع بوين، وتعلم منه كل ما في وسعه. اعتمدت طريقة كويمبي للشفاء المغناطيسي على بناء علاقة بين الطبيب والمريض، وتشجيعهم على تحسين صحتهم العقلية عبر التفكير الإيجابي. كان يحدق في عيون



ماري بيكر ايدي (وليس باترسون)

مرضاه ويستمتع بعناية وهم يناقشون شكاواهم الصحية بينما يقوم بتدليك أيديهم وذراعهم.

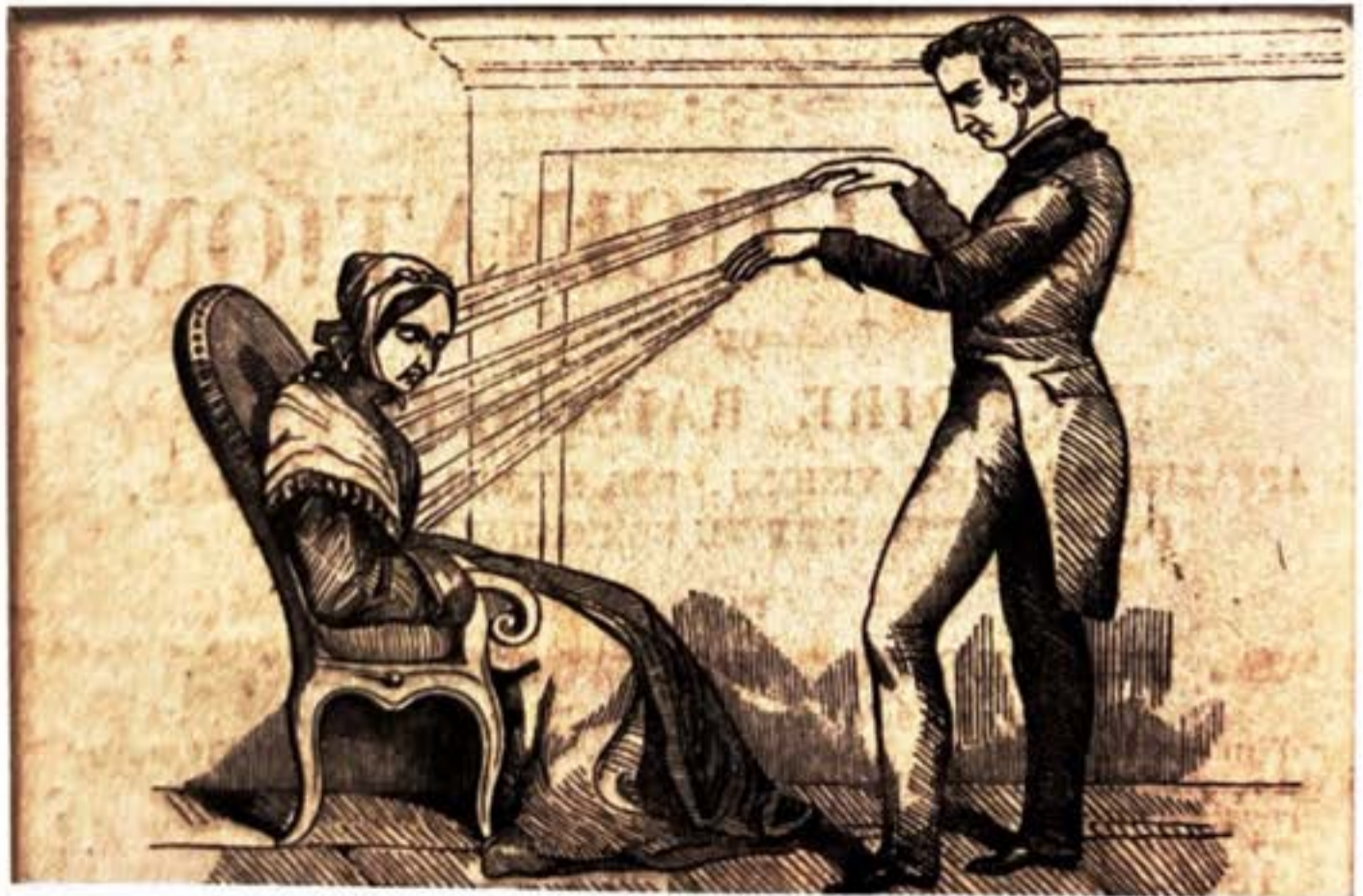
بطريقة ما، لم يعد كويمبي غريب الأطوار. العكس تمامًا؛ بعد أن استمع الطبيب إليهم ببساطة، «شُفي» كثير من المرضى.

يبدو أن كويمبي كان مؤمنًا

حقيقياً بفنون العلاج الفاتنة التي مارسها. على الرغم من أن أخلاق ميسمر قد تلاشت في اندفاعه المجنون من أجل المال والشهرة، إلا أن كويمبي كان يؤمن بهذا الإجراء وحاول مساعدة أكبر عدد ممكن من المرضى. من بينهم تلك المرأة المسكينة الشابة التي زارت مكتبه في ذلك اليوم عام ١٨٦٢.

صُدم الجميع بما فيهم هي، بعد أسبوع واحد فقط من تحديق كويمبي في عينيها بشكل مكثف وتدليك يديها، أبلغت باترسون عن تحسن مفاجئ ورائع في صحتها. سرعان ما تدفق إليه المرضى: كان لديه محبوب مخلصون. تعلمت باترسون التي استعادت نشاطها حديثاً كل ما يمكنها من كويمبي قبل تطوير نظامها الطبي المتأثر بالمغناطيسية الحيوانية.

تزوجت لاحقاً وتبنت الاسم الذي سيتذكرها التاريخ به: ماري بيكر إيدي. لكن، ما هذا النظام الطبي الصغير الذي اخترعته؟ كان بداية العلم المسيحي، أكبر أسلوب للشفاء عن طريق الإيمان أنتج في أمريكا على الإطلاق، وظلّ قوياً حتى عام ٢٠١٧ بعضوية عالمية بلغت حوالي أربعمائة ألف شخص.



قامت ماري بتعديل نظريات الشفاء المغناطيسية لكويمبي وميسمر لتضيف عنصرًا دينيًا: كل الأمراض هي وهم يمكن علاجها بالتواصل مع الله. وهكذا استمرت المغناطيسية الحيوانية - وإن كانت بشكل معدّل - في القرن الحادي والعشرين.

عاد ميسمر والمال في متناول يده منتصرًا إلى باريس، بينما افتتح مشتركوه ما أطلقوا عليه مجتمعات الانسجام في جميع أنحاء فرنسا، حيث زعموا علاج المرض عبر المغناطيسية. لم يكن من قبيل المصادفة أن كثيرًا من المشتركين كانوا متحررين أثرياء، حريصين على إقامة طقوس علاجية ممغنطة للمتعة الفاسدة لمشاهدة الشابات وهن في حالة الهذيان والانفعال الشديد.

ومع ذلك، فإن عودة ميسمر إلى باريس لم تمر مرور الكرام على الأكاديمية الفرنسية للعلوم والمتشددة نسبيًا، التي قررت النظر في هذا الاتجاه الطبي الشامل في عام ١٧٨٤. حتى إنهم دعوا القائد الأمريكي الزائر بنجامين فرانكلين إلى تحقيقاتهم. استنتجوا: لم يكن السائل المغناطيسي موجودًا. سُجِب ميسمر بعدّه محتالًا، باستخدام قوى الإيحاء والخيال لخلق تأثيرات علاج وهمي فعال في مرضاه. غادر ميسمر فرنسا للأبد واختفى، وتجول في جميع أنحاء أوروبا قبل أن يموت في النمسا عام ١٨١٥. ومع ذلك، فإن إرثه لا يزال قائمًا. اليوم، تعرف ميريام وبستر الميسمرية على أنها "التنويم المغناطيسي" أو «السحر».

لكن المغناطيسية لم تنته بعد. في الواقع، وضع ميسمر الأساس لشكل فعال من الاسترخاء وتخفيف الآلام بشكل مذهش. كيف؟ للتوضيح، يجب أن نساfer إلى البنغال، الهند، حيث كان الطبيب يتعامل مع مشكلة كبيرة إلى حد ما.

التنويم المغناطيسي: التحديث الجديد للمغناطيسية

كان جيمس إسدايل طبيبًا بريطانيًا استعماريًا يخدم في البنغال وكان حريصًا على تخفيف الآلام لمرضاه في أثناء محاولته ارتشاح أورام كيس الصفن الكبيرة

لديهم. نتيجة لتفشي داء الفيلايريا، وهو مرض طفيلي نتيجة عدوى الديدان الأسطوانية، كانت المشكلة كبيرة (أصبح ورم كيس الصفن لدى الرجل كبير جدًا لدرجة أنه اضطر إلى تحريكه عبر حبل وبكرة) حيث كان المجتمع الطبي يعاني لتقديم حل.

على الرغم من أن هذا كان على بعد آلاف الأميال من باريس، إلا أن انجيل ميسمر قد تغلغل في البؤر الاستيطانية النائبة للإمبراطورية الاستعمارية، ذلك العلاج الذي جعل المرضى مسرورين لأنه خالٍ من الألم.

قرأ إسدايل عن ميسمر، ثم قرر أن يقدم المغناطيسية الحيوانية بنفسه. ابتكر الطبيب أسلوبًا فريدًا من نوعه يتضمن عناصر من الممارسات الهندية المحلية، مثل التنفس اليوغي والتمسيد. بعد أن يصبح المريض في حالة نشوة، يخرج المشرط، ويخرج - على أمل - ورم كيس الصفن. الشيء المضحك هو أنه نجح. على الرغم من أن إسدايل كان يعد نفسه مسميرًا (مصطلح التنويم المغناطيسي كان يستخدم في ذلك الوقت في إنجلترا)، إلا أنه كان رائدًا في استخدام التنويم المغناطيسي للتخدير الجراحي، والذي كان من شأنه أن يزدهر لفترة وجيزة واستخدم بشكل فعال على طول الطريق في أثناء الحرب الأهلية الأمريكية قبل اكتشاف الكلوروفورم. في عصر كان فيه الجراح قادرًا على عدم قتل ٥٠ في المائة من مرضاه في يوم جيد، فقد إسدايل ستة عشر مريضًا فقط من بين الآلاف الذين خضعوا لعمليات جراحية في أثناء سنواته الست في الهند.

بدأ استخدام التنويم المغناطيسي في الطب الغربي حقًا، عندما تمكن الجراح الأسكتلندي جيمس بريد من إدخال تقنيات التنويم المغناطيسي إلى الممارسات الطبية السائدة. مثل كثير من الأطباء في عصره، شاهد بريد تقنيات التنويم المغناطيسي عبر عرض عام للمغناطيسية الحيوانية، والذي شاهده لأول مرة في عام ١٨٤١. اندهش بريد مما رآه وعاد في الأسبوع اللاحق لمشاهدة العرض نفسه مرة أخرى. مقتنعًا بأنه قد لاحظ ظاهرة فريدة من نوعها، لكنه غير راضٍ

عن تفسيرات التلاعب بـ «السوائل المغناطيسية»، سعى بريد للحصول على إجاباته الخاصة.

في أثناء عرضي المغناطيسية الحيوانية، لاحظ بريد أن عيون المريض ظلت مغلقة. واستنتج إلى أن المريض قد هداً بطريقة ما إلى النوم بسبب الإرهاق العصبي العضلي، الذي ربما يكون ناتجاً عن التحديق الشديد. قرر أن يقوم بالتجربة على ضيفه في عشاء المساء اللاحق، والذي دعاه للتحديق من دون أن يرمش في الجزء العلوي من زجاجة نبيذ لأطول فترة ممكنة. نام ضيف العشاء على الفور (ولم يعد لتناول عشاء آخر في منزل بريد).

بعد تكرار التجربة بنجاح مماثل مع زوجته وخادمه، استمتع بريد وانعزل مع نفسه لبضع دقائق، ووضع قدميه على مائدة العشاء، ووصل إلى نتيجة مهمة: الحالة الميسمارية، التي يطلق عليه «النوم العصبي»، يمكن أن تُفسر على أنها ظاهرة فسيولوجية ونفسية.

أمضى بريد الثمانية عشر عاماً اللاحقة من حياته في البحث في التنويم المغناطيسي وتوظيفه في مجموعة متنوعة من التطبيقات الطبية، بما في ذلك علاج انحناء العمود الفقري والصمم والصرع. ادعى أن علاجاته نجحت، وقبلها تدريجياً المجتمع الطبي بسبب استكشافات بريد والنشر شبه الدائم في المجلات الأكاديمية. وضع الطبيب الأساس للاستخدام الطبي المقبول في بعض الأحيان للتنويم المغناطيسي، والذي يتضمن علاج الألم، والهبات الساخنة، والتعب، وكثير من الأمراض النفسية.

حتى إن بريد كان مسؤولاً عن تعميم الاسم الذي سيذكر التاريخ به هذه الممارسة: التنويم المغناطيسي. إنه بفضل بريد تبحت اليوم عن العلاج على يد معالج تنويم مغناطيسي وليس «مغنط حيواني».

أليس هذا شيئاً يجب أن نكون شاكرين له؟



الضوء

الزجاج الأزرق، حمامات كيلوغ الضوئية،

معهد سبيكترو كرومو، الشعاع الجراحي،

مكتب المعالجة بالكون

كان العميد أوغسطس ج. بليسانتون مواطنًا محترمًا في فيلادلفيا في منتصف القرن التاسع عشر والذي قضى وقتًا طويلًا يتأمل السماء. «لقد فكرت لفترة طويلة أن اللون الأزرق للسماء، أبدي وممتد إلى ما لا نهاية. . لا بد أن له علاقة وثيقة وتواصل حميمي مع الكائنات الحية على هذا الكوكب».

قرر بليسانتون تجربة هذه الفكرة وبدأ العمل في بناء بيت زجاجي بألواح زرقاء متناوبة على أرضه في عام ١٨٦٠، وملاه بأشجار العنب. نمت نباتاته بمعدل مذهل، على الرغم من أن هذا ربما يرجع إلى حقيقة أنه بنى لها بيتًا زجاجيًا ولا علاقة للألواح الزجاجية الزرقاء بذلك. شُجّع بليسانتون P لأن عنبه كان موضع حسد من جيرانه.

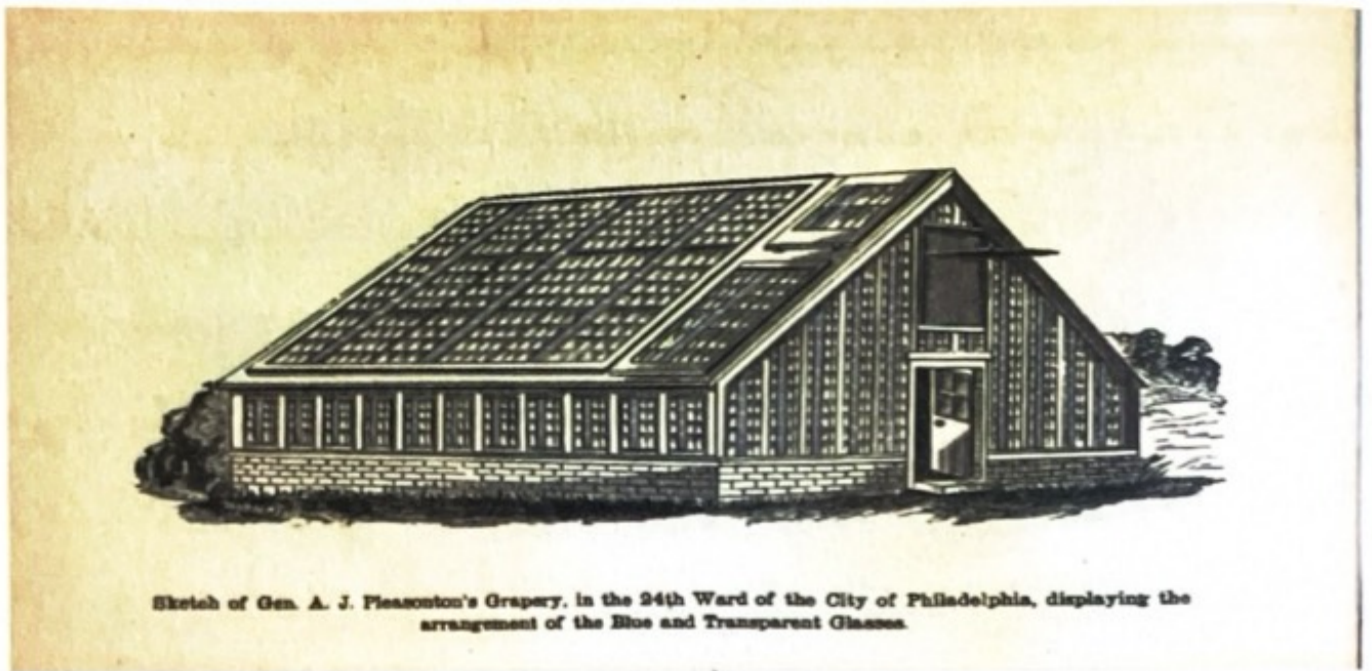
ثم، في عام ١٨٦٩، كان بليسانتون يحدق في خنزير في أحد الأيام ويفكر، ماذا لو سلطت الضوء الأزرق على خنزير؟ لذلك سمح المخترع الجريء لبعض خنازيره الصغيرة بالنمو في حظيرة للخنازير بزجاج شفاف وبعضها في مزرعة خنازير بزجاج أزرق. وها هي خنازير الضوء الأزرق نمت بشكل أسرع وأصبحت أكثر صحة.

هذا كل ما احتاجه بليسانتون من تأكيد. كان على استعداد لإعلان إنجيل الضوء الأزرق بصوت عالٍ لأي شخص يرغب في الاستماع. سرعان ما توصل إلى رؤية ساحرة لمستقبل الجنس البشري، وإن كانت غريبة تمامًا؛ أنه بفضل قوة الضوء الأزرق، أصبحنا عمالقة وبصحة مثالية، ونروض حيواناتنا الأليفة للركوب:

ما هي القوة الحيوية التي يمكن أن تُغرس في الشباب الضعيف، والبالغ العاجز، والثمانيني الهرم! ما مدى سرعة تكاثر الأجناس المختلفة لحيواناتنا الأليفة، وكم يمكن تكبير حصصهم من الطعام!

كان حماسه معديًا. ما إن نشر بليسانتون وجهات نظره في جميع أنحاء البلاد، في كتيبات نشرها بنفسه، بدأت التقارير تتدفق، ثم تتدفق، عن الأمراض والإصابات التي عولجت وخففت عن طريق امتصاص الأشعة تحت زجاج النوافذ الأزرق.

حتى إن بليسانتون تلقى رسالة تخبره أن طفلًا خديجًا، وُلد مشلولًا، وُضع تحت الزجاج الأزرق لفترات طويلة وأصبح الآن قادرًا على الحركة.



منزل بليسانتون الأخضر (الأزرق) الرائع

وشهد آخر على اختفاء ورم رضيع كبير الحجم بعد تعريضه للضوء الأزرق لمدة ساعة كل يوم. وما إلى ذلك وهلم جرا.

ألف بليسانتون كتاباً عن اكتشافاته للضوء الأزرق، مليئاً بمثل هذه الشهادات من المرضى، وفي محاولة غير عادية لملء بعض الصفحات الفارغة، كتب عن نظرياته الغريبة في الكهرباء والكهر ومغناطيسية.

لكن أروع ما في كتاب بليسانتون، والسبب في كونه عنصراً لهواة الجمع اليوم، هو أنه طبعه على ورق أزرق وبحبر أزرق «لإراحة أعين القارئ من الوهج الناجم عن انعكاس ضوء الغاز في الليل من الورق الأبيض الذي يستخدم عادة في طباعة الكتب».

لقد كانت لفظة مدروسة لقرائه، لكنها كانت اختياراً مؤسفاً لباحثي الأيام التي أعقبت، والذين وجب عليهم أن يكافحوا لقراءة الحبر الأزرق الفاتح الباهت.

نُشر في عام ١٨٧٦، كتاب بعنوان تأثير الشعاع الأزرق لأشعة الشمس ولون السماء الأزرق والذي أطلق بدعة أن الضوء الأزرق يتلاشى ضمن الشعاع الرئيس في أثناء عامين. صدرت الطبعة الثانية من كتاب بليسانتون،

والتي ادعت أن الزجاج الأزرق علاج شامل ويمكن أن يعالج كل شيء من النقرس إلى الشلل. في العام اللاحق، اصطف مصنعو الزجاج في جميع أنحاء البلاد بأعداد كبيرة لشكر المؤلف شخصياً.

من مدينة نيويورك إلى سان فرانسيسكو، بدأ أصحاب المنازل في إضافة غرف مشمسة مبنية بالزجاج الأزرق أو، على الأقل، بضع نوافذ زرقاء هنا وهناك. استسلمت معاهد المعالجة المائية أيضاً للطلب العام على الضوء الأزرق وبدأت في بناء غرف الشمس ذات الضوء الأزرق. سرعان ما انتشر هذا الاتجاه في أوروبا، حيث أصبحت "حمامات الضوء" شائعة جداً في إنجلترا، وبدأ اخصائيو البصریات الفرنسيون في تصنيع النظارات الزرقاء. في عام ١٨٧٧، كتب صحفي في مجلة ساينتيفيك أمريكان Scientific American: من الشائع الآن على طول شوارعنا وطرقنا رؤية إطارات من الكريستال اللازوردي معلقة داخل نوافذ المنازل؛ بينما، في الأيام المشمسة، قد ترى عجوزاً هريماً أو مريضاً آخر ينعم بالأشعة الأثرية، ووجهه ممتلئ بالأمل، والخطوط الزرقاء عليه.

كانت هذه المقالة نفسها بداية النهاية لبدعة الضوء الأزرق. وهي مقالة ضمن سلسلة أنتجتها المجلة التي كشفت عن هذا الجنون. كشفت معلنة الحقيقة العلمية أن التسكع تحت الزجاج الأزرق يعرضك فعلياً لضوء أزرق أقل، وليس أكثر. إذا كنت ترغب حقاً في امتصاص الأشعة الزرقاء، فمن الأفضل لك الوقوف في الخارج أو على الأقل تحت الزجاج الشفاف. حقاً كل ما كان يفعله بليسانتون - وكل ما كان يفعله أي شخص آخر، في هذا الصدد كان تظليل ضوء الشمس قليلاً. بعد أسبوع من تلك المقالة الملعونة، قامت المجلة بالضرب مرة أخرى، معلنة أن العلاجات المفترضة الناتجة عن الضوء الأزرق كانت عبارة عن مزيج من الفوائد الصحية لحمام الشمس القصير مع تأثير وهمي واضح.

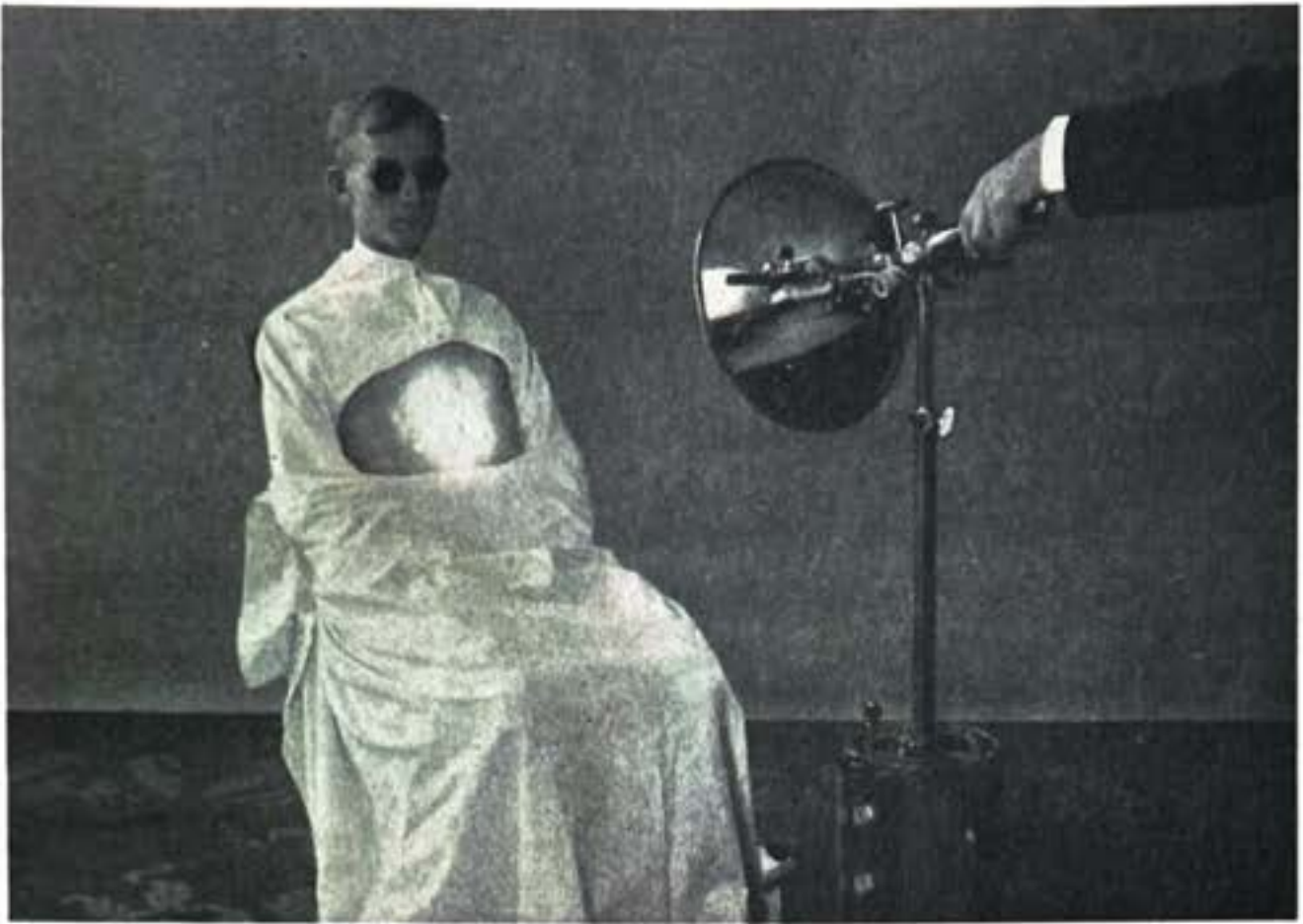
على الرغم من محاولات الرد من بليسانتون، كانت النهاية قريبة. بحلول عام ١٨٧٨، كان عامة الناس قد أعرضوا عن هذه البدعة، وتلاشى جنون الزجاج الأزرق بالسرعة التي ظهر بها. على الرغم من أن الهوس بالضوء الأزرق قد تلاشى، إلا أن عملية استخدام الضوء للشفاء لم تختفِ بهذه السرعة. استمر الدجالون، في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين مع اختلافات طفيفة، بالتأكيد أن «الضوء يعالج».

الشمس الاصطناعية : العلاج بالضوء ينتقل إلى الداخل

في عام ١٨٧٩، أظهر توماس إديسون لأول مرة نسخته من المصباح الكهربائي المتوهج. على الرغم من أن إديسون لم يكن أول شخص يخترع مصباحًا ضوئيًا، إلا أنه كان أول من اخترع مصباحًا قابلاً للتطبيق تجاريًا، ويمكن إنتاجه بسعر رخيص، وله عمر طويل يصل ١٢٠٠ ساعة. إديسون لم يتوقف عند هذا الحد. واصل تطوير نظام شبكة كهربائية، موضحًا كيف يمكن للكهرباء أن تنير مجتمعًا بأكمله من مولد مركزي سلكي لكل منزل. حتى إنه ابتكر أول عداد كهربائي لقياس الاستخدام.

قال إديسون بحلول الوقت الذي انتهى فيه الأمر، «سنجعل الكهرباء رخيصة جدًا بحيث لا يحرق الشموع إلا الأغنياء»، مهد عمل إديسون الرائد الطريق للأطباء لتجربة تأثير الضوء المركز على المرضى. طوّرت لاحقًا بعض الاستخدامات المشروعة للعلاج بالضوء، ولا سيما من قبل نيلس ريبيرج فينسن، الحائز على جائزة نوبل في الطب عام ١٩٠٣ لإثباته حساسية مرض الذئبة للإشعاع الضوئي المركز. لكن الدجالين أسرعوا للمشاركة في العمل أيضًا.

في أواخر تسعينيات القرن التاسع عشر، اخترع جون هارفي كيلوغ «حمامات الضوء» (إضافة إلى حبوب الإفطار) لاستخدامها في مصحته في باتل كريك بولاية ميشيغان.



«تطبيق الضوء لمدة قصيرة على القلب مفيد جداً في حالات تدهور الصحة نتيجة التخدير والتسمم بالأفيون وفي حالات قصور القلب». (من قسم العلاج بالضوء حول تسليط المصباح القوسي على صدرك)

من مقال جريدة عام ١٨٩٣:

الأجزاء الرئيسة للحمام عبارة عن خزانة تحيط بالجسم بالكامل ما عدا الرأس وخمسين مصباحاً كهربائياً بقوة ستة عشر شمعة أو ١١٠ فولت. تُرتب حول الجسم في مجموعات، مع مفاتيح منفصل لكل مجموعة، بحيث يمكن توجيهها على جزء معين من الجسم، فالضوء يجعل المريض يرتعش، ويحول لون الجلد إلى اللون البني كما يفعل الحمام بهاء المحيط.

في الأساس، كان استخدام الحمام مثل الجلوس في الساونا مع إضاءة لاذعة. يعتقد كيلوغ أن حمامات الضوء يمكن أن تعالج التيفوئيد والحمى القرمزية والسكري، ويمكن أن تساعد في علاج السمنة والاسقربوط والإمساك. كتب عام ١٩١٠ العلاج بالضوء: دليل عملي للعلاج بالضوء للطالب والممارس، كتب عن فوائد حمام الضوء:



Fig. 14. Cabinet method of cooling the surface of the body with Electric Fan. See page 70.

التعري مسموح في حمام الضوء

يجب استخدام حمام الضوء الكهربائي المطول بغرض التعرق الكثيف مرتين أو ثلاث مرات في الأسبوع. . . . تسمير الجسم بالكامل بواسطة المصباح القوسي وسيلة ممتازة لتحسين الحالة الحيوية العامة للمريض.

بعبارة أخرى، عثر كيلوغ على الفوائد الصحية للتعرق.

و ادعى أن حمامات الضوء قد

اعتمدها كثير من «الملوك والعائلات

الأوروبية» بعد أن شفي الملك إدوارد

ملك إنجلترا على ما يبدو من النقرس عبر الخضوع لسلسلة من حمامات الضوء في هامبورغ. وطمأننا «كيلوغ» أنه أنشأ حمامًا ضوئيًا في وقت لاحق في وندسور وباكينغهام. الآن لديك سؤال تسأله للمرشد السياحي في المرة القادمة التي تزور فيها أي من القصرين.

لا تشخيص، لا أدوية، لا مشكلة؟

كان دينشاه بي غديالي مديرًا مسرحيًا في بومباي بالهند، عندما قرأ لأول مرة عن العلاج بالألوان. قفز مُلهماً لمساعدة ابنة أخت صديقه التي كانت تعاني من التهاب القولون المخاطي بزجاجة أرجوانية ومصباح زيت الكاز وبعض الحليب في وعاء زجاجي أزرق.

وبعد أن شفيت، أدرك غديالي أنه وجد ضالته وهاجر إلى الولايات المتحدة في عام ١٩١١ لنشر إنجيل العلاج بالألوان، وكسب النقود الكثيرة في أثناء تواجده فيها. مزج غديالي بين العلاج بالمصباح الكهربائي وبين

العلاج بالزجاج الأزرق لإنشاء ما أسماه معهد سبيكترو كرومو Spectro-Chromo. مقابل مبلغ قدره ١٠٠ دولار، يمكنك التسجيل في دوراته المكثفة في العلاج ومعرفة كل شيء عن "استعادة التوازن الإشعاعي البشري النشط والانبثاقى بواسطة موجات الألوان المتناغمة" على يد غديالي نفسه - الذي كان عبقرياً بالفطرة في موطنه الهند، لدرجة أنه كان يدرس مقررات جامعية في الرياضيات عندما كان صبياً صغيراً في الحادية عشرة من عمره. (كان غديالي مفتوناً بنفسه لدرجة أنه أضاف إلى خط توقيعه:

M.D., M.E., DC, Ph.D., L.L.D., N.D., D. Opt., D.FC)

(D.H.T., DM.T., إلخ). كانت الفرضية الأساسية لعلاجها هي أن كل عنصر يقابل أحد الألوان الموسورية السبعة. يتكون البشر في الغالب من الأكسجين والهيدروجين والنيروجين والكربون، والتي تتوافق مع الأزرق والأحمر والأخضر والأصفر. هل تشعر بقليل من المرض؟ أحد ألوانك خارج عن السيطرة. لعلاج مرض ما، تحتاج فقط إلى تكثيف ألوانك الباهتة أو تخفيف ألوانك الفاقعة للغاية.

لتحقيق ذلك، اخترع غديالي جهازاً يسمى سبيكترو كرومو Spectro-Chrome، والذي كان في الأساس صندوقاً يحتوي على مصباح بقدرة ١٠٠٠ واط بداخله. يمكن للمستخدمين وضع ألواح زجاجية ملونة في نافذة الصندوق لامتصاص أشعة ضوء محدد. (تماماً مثل جنون الزجاج الأزرق، عبر تظليل الضوء، كان المستخدم في الواقع يمتص قدرًا أقل من



اللون المختار.) يشبه النسخة الغربية من فرن Easy-Bake، تطلب هذا الجهاز الوقوف عارياً أمام ضوء الصندوق في مراحل محددة من دورة القمر. لا يزال تأثير دورة القمر على صندوق ضوء يعمل بالكهرباء... أمراً غامضاً.

الشعاع الجراحي ومكتب العلاج بالكون

في الوقت نفسه تقريباً الذي كان فيه غديالي ينفي سكرتيرته خارج البلاد، عاد الزجاج الملون مرة أخرى عندما ضربت مكبرة الشعاع الجراحي للألماني فون شيلينغ Von Schilling في السوق. كانت عبارة عن دائرة سميكة من الزجاج الملون تشبه مرآة اليد، يمكن وضعها فوق الألم أو الإصابة لتركيز لون معين من الضوء عليها.

باتباع مبادئ مماثلة، كتب رولاند هانت من مكتب العلاج بالكون كتاب المفاتيح السبعة للعلاج بالضوء: خلاصة التطبيق العملي في عام ١٩٤٠ (ألم تسمع به؟). استخدم هانت شعراً رديئاً ليؤكد على فوائد العلاج بالألوان: في هدوء غريب، كالندى المنعش، تناغم مع كلامي، أيها شعاع الأزرق واجعله حقيقياً واجعله حقيقياً.

كان الادعاء الذي سعى هانت لإثبات صحته هو أن المياه ذات الصبغة الزرقاء - والتي أطلق عليها اسم «سيروليو» يمكن أن تعالج الزحار والكوليرا والطاعون الدبلي. على سبيل الدليل، أكد هانت لقرائه (بافتراض وجود أكثر من واحد) أنه في بومباي، أنقذ استهلاك السيريلو آلاف الأرواح من الطاعون.

لست متأكداً من اللون الذي يجب استخدامه لإصابة أو مرض معين؟ لا تقلق - جاء سييكتر و كرومو مع مخطط خاص لمساعدتك على التنقل في عملية اتخاذ القرار المعقد هذا. يساعد الضوء الأصفر على هضم الطعام، ويحفز الضوء الأخضر الغدد النخامية، ويؤدي الضوء الأحمر إلى بناء الهيموجلوبين، ويزيد الضوء الأزرق من الحيوية، ويعيد ضوء الليمون بناء العظام. وما إلى ذلك.

بطريقة ما، حقق جهاز سبيكترو كرومو نجاحًا كبيرًا: باع غديالي ما يقرب ١١ ألف جهاز بحلول عام ١٩٤٦، وربح أكثر من مليون دولار. مثل كيلوغ، الذي روج للإجراءات غير المؤلمة وغير الصيدلانية، ضرب وعد غديالي بـ «لا تشخيص، لا أدوية، لا جراحة» على وتر حساس لدى الجمهور الذي كان حذرًا من المؤسسة الطبية. والمؤسسة الطبية لم تكن راضية عن ذلك.

في عام ١٩٢٥، أُلقي القبض على البائع الناجح بعد نفي سكرتيرته البالغة من العمر تسعة عشر عامًا عبر خطوط الدولة «لأغراض غير أخلاقية». لم يكن أول أو آخر شخص يتعارض مع القانون. تحت المراقبة المكثفة من الجمعية الطبية الأمريكية وإدارة الغذاء والدواء، واجه غديالي مشاكل قانونية لبقية حياته. ومع ذلك، وجد عقله الرشيق دائمًا طرقًا جديدة لبيع منتجاته.

الشعاع البنفسجي

نتج العلاج بالشعاع البنفسجي عن تقاطع العلاج الكهربائي مع العلاج بالضوء، والذي اخترعه نيكولا تسلا، وعُرض لأول مرة في المعرض الكولومبي العالمي عام ١٨٩٣. كان يُطبق الجهاز، الذي يحتوي على تيار كهربائي عالي الجهد والتردد (لكنه تيار منخفض)، على الجسم لغرض الشفاء. عند



جهاز راديو لوكس
للشعاع البنفسجي،
حوالي عام ١٩٣٠

تشغيل القطب الزجاجي، ينبثق شعاع بنفسجي غامض ومثير للاهتمام، والذي أنتج بحد ذاته تأثيرًا وهميًا قويًا (لأنه رائع!).

صنعت مجموعة متنوعة من الشركات الأمريكية هذه الأجهزة وزُعم أنها تعالج كثيرًا من الحالات، بما في ذلك «ضباب الدماغ»، والذي يمكن علاجه بالطريقة الآتية:

وضع القضيب رقم ١ على الجبين والعينين. ويمكنك علاج الجزء الخلفي من الرأس والرقبة بتيار قوي متصل مباشرة مع الجلد. كما يُعالج العمود الفقري بأمسك القطب في اليد. ولا تنسى، استنشاق الأوزون لمدة أربع دقائق تقريبًا مهم أيضًا.

بعد كثير من الدعاوى القضائية وتدخل إدارة الغذاء والدواء، أُجبر مصنعو أجهزة الأشعة البنفسجية في نهاية المطاف على وقف الإنتاج في أوائل الخمسينيات من القرن الماضي.

اليوم، تعد أجهزة الأشعة البنفسجية عنصرًا مرغوبًا كثيرًا في سوق هواة الجمع لارتباطهم بنيكولا تسلا، الذي حصل على مكانة شبيهة بالعبادة في السنوات التي أعقبت وفاته، ولأنه من الرائع حقًا رؤية الشعاع البنفسجي فوق اللون الأرجواني الغامق.

بينما، اعتمد مجتمع BDSM^(١) جهاز جديد يطلق عليه اسم «العصا البنفسجية»، والذي يقوم على مبدأ أجهزة الأشعة البنفسجية نفسها ولكن لسبب مختلف تمامًا.

بدلاً من الإعلان عن قدرتها على «العلاج»، أعلن عن التأثير «الطبيعي» لسبيكترو كرومو، الذي لا يعالج المرضى، بل يجعلهم يستعيدون «التوازن بين النشاط الإشعاعي والانبعاث الإشعاعي».

وبمجرد تغيير اللغة، كان من الصعب على السلطات الحكومية مقاضاة

(١) BDSM الذين يمارسون الجنس القائم على الاستمتاع بالسيطرة وخلق الألم. والعصا البنفسجية تستخدم لتطبيق تيار كهربائي منخفض لكن ذو تردد عالي على الجسم لتحقيق ذلك.
الترجمة

غديالي بتهمة تقديم مزاعم كاذبة أو مضللة. إذا أراد الناس حقًا التخلص من أمواهم على «التأثير الطبيعي» لجهاز سبيكترو كرومو، فهنا بلد حر. توفي غديالي عام ١٩٦٦ م. ونجت أفكاره منه بطريقة ما. لا تزال جمعية دينشاه الصحية Dinshah Health Society في مالجا، نيوجيرسي، وهي منظمة غير ربحية مسجلة يديرها ورثة غديالي، تعمل اليوم لبيع مجموعة متنوعة من كتب العلاج بالضوء والمنتجات ذات الصلة.

إنارة الطريق قُدمًا

اليوم، نعلم أن الضوء يساعد الجسم على تكوين فيتامين د، ويستخدم الأطباء المعاصرون العلاج بالضوء لعلاج مجموعة متنوعة من الأمراض، بما في ذلك الاضطرابات العاطفية الموسمية، والاكتئاب، واضطراب الرحلات الجوية الطويلة، والصدفية، واليرقان الطفولي.

كانت الفائدة الحقيقية التي نتجت عن جنون الضوء الأزرق في القرن التاسع عشر بسيطة للغاية: اختراع غرفة الشمس الحديثة. لأنه اتضح أن البشر يستمتعون بالفعل بفرصة الجلوس وامتصاص أشعة الشمس في منازلهم. فقط هم لا يحتاجون إلى نوافذ زرقاء للقيام بذلك.



أطفال مع ممرضات يتلقون العلاج بالإشعاع في لندن عام ١٩٣٨



استخدام الراديو نكس

فرقة نيكلباك، الدينامايزر، الأسيلو كلاست

الطبيب «اليهودي الصغير المتحمس»

الخنزير الغيني الجاسوس، الشفاء عن بعد

من الصعب فهم ترددات الراديو. كما هو الحال مع الكهرباء والواي فاي، يكفي معظمنا بمعرفة أن موجات الراديو تعمل ولا نهتم بكيفية عملها. نقوم بتشغيل الراديو والاتصال بمحطة، وكالسحر، تستمع فجأة إلى أغنية. وقد تكون تلك الأغنية هي أغنية بوسطن بعنوان *more than a feeling*، وهي واحدة من أكثر الأغاني الإذاعية التي تُشغل على الإطلاق. هناك شيء مريح في ذلك.

في أوائل القرن العشرين، كان الراديو هو التقنية الجديدة المدهشة التي يحيط بها السحر والتكهنات كالتي تحيط اليوم بالسيارات ذاتية القيادة أو حتى أجهزة الأيفون الجديدة. بفضل التطورات التكنولوجية الحديثة للمخترع الإيطالي غولييلمو ماركوني، الذي أنشأ أول نظام إرسال لاسلكي ناجح تجاريًا في عام ١٨٩٥، امتزجت الإثارة الشعبية عن موجات الراديو مع عدم فهم كيفية عملها بالضبط، فجعلت بذلك السوق جاهزًا للاستغلال. وجدت العلاجات الطبية التي يُزعم أنها تستغل هذه الطاقة الغامضة جمهورًا راغبًا. لهذا السبب تمكن رجال مثل الدكتور ألبرت إبرامز من جني ثروة عبر الادعاء بتشخيص الأمراض وعلاجها. . . مع موجات الراديو.

اهتزاز الالكترونات عند المرض والرجل الذي يعيد ضبطها

ولد ألبرت إبرامز في سان فرانسيسكو عام ١٨٦٣، وحصل على درجة الدكتوراه في الطب من ألمانيا في سن التاسعة عشرة بشكل يبعث على الدهشة، وعاد إلى مدينته الأصلية عام ١٨٩٣ ليعمل أستاذًا لعلم الأمراض في كلية كوبر. بحلول الوقت الذي كان فيه في الأربعينيات من عمره، اكتسب إبرامز سمعة طيبة بوصفه طبيب أعصاب وكان في طريقه نحو الازدهار. لكن الشقوق بدأت بالظهور.

بعد أن فقد منصب الأستاذية بسبب عملية احتيال في الفصل الليلي، مال إبرامز أكثر فأكثر نحو الشعوذة، وطور تقنيات مشكوك فيها مثل الطَّرْق على طول العمود الفقري (علاج الفقار) لتحفيز الأعصاب التي يُعتقد أنها تحفز الأعضاء وتعالج الأمراض. وُصفت هذه الممارسة على أنها علاج شامل لأي شيء يزعجك.

كان علاجه اللامع هو العلاج بالراديو نكس. في عام ١٩١٦، نشر إبرامز مفاهيم جديدة في التشخيص والعلاج، وقدم للعالم نظرياته. ما تلك



فرقة نيكلباك تؤدي ريبا أغنية photography

النظريات؟ النسخة المختصرة: الأصحاء يشعون بالطاقة الصحية. بينما يشع المرضى ترددات المرض، والتي ادعى المعالجون بالراديو نكس مثل إبرامز أنهم يستطيعون تعقبها باستخدام آلات معقدة ومرهقة. يمكنهم بعد ذلك علاج مرضك أو أي مرض، عن طريق ضبط تردد مرضك للعودة إلى التردد الصحي.

مثل البحث في الراديو في أثناء قيامك برحلة على الطريق. ومن باب الصدفة الجميلة، قد تجد نفسك فجأة مضبوطاً على أغنية لفرقة الروك نيكلباك Nickelback. هذا مشابه للجسم الذي ينبعث منه تردد مريض. لحسن الحظ، يمكن إصلاحه بالسهولة نفسها. تمامًا كما يمكنك البحث في الراديو بسرعة مرة أخرى، مرتجفًا لتترك فرقة نيكلباك خلفك بأمان، يمكن لمعالج الراديو نكس استخدام الجهاز المناسب وإعادة ضبط جسمك بسهولة على تردد صحي.

الآن من أجل النسخة الطويلة من النظرية (رجاء توقف هنا لأخذ نفس عميق): يتكون جسم الإنسان من ذرات. تتكون الذرات من إلكترونات. تهتز الإلكترونات، وتنقل الإشعاع، الذي حدده متخصصو الراديو نكس بأنه «ERA»، أو «التفاعلات الإلكترونية لإبرامز». إذا كان الفرد يتمتع

بصحة جيدة، فإن إلكتروناته تهتز بمعدل «طبيعي». وإذا كان الفرد لا يتمتع بالصحة، فإن إلكترونات ذلك الشخص تهتز بمعدل «غير طبيعي». لذلك، لعلاج مريض، كان على الطبيب أن يكتشف الاهتزازات غير الطبيعية، ثم يعيد إرسال التردد الاهتزازي نفسه الذي تنتجه الإلكترونات المريضة عند المرض. سيؤدي هذا إلى تحييد المرض والسماح للإلكترونات بالعودة إلى معدلات الاهتزاز الطبيعية.

بالعودة إلى سيناريو نيكلباك، يبدو الأمر أشبه بمحاولة التخلص من إحدى أغانيهم عبر توجيه جهاز آي بود الخاص بك إلى مكبرات صوت الراديو، وإيقاف أغاني نيكلباك، ثم إعادة تشغيلها.

التشخيص باستخدام الدينامايزر Dynamizer

إذن، كيف اكتشف ممارسو علم الراديونكس الاهتزازات غير الطبيعية؟ بطرق سخيفة يمكن توقعها.

لنفترض أن طبيبك التقليدي قد شخص لك مشكلة ما. من الأفضل والمفيد الحصول على رأي ثانٍ، ومن المفترض أن يكون صاحب الرأي الثاني هو الدكتور إبرامز الذي سمعت عن قدرته في علاج أي شيء. لماذا لا تجربه؟ بعد الاتصال بمكتبه، يُطلب منك إحضار عينة من شعرك. تقطع شعرك وتشق طريقك إلى مؤسسة إبرامز في سان فرانسيسكو.

عند وصولك، تسألك موظفة الاستقبال عما إذا كنت قد اقتلعت عينة شعرك وأنت تقف قبالة الغرب. تصر على أن هذا عنصر حاسم في التشخيص. أنت لا تذكر إن كنت تقف قبالة الغرب، لذلك، تضطر للعودة وقلع شعرك مرة أخرى وأنت تقف مواجهًا للغرب.

بعد أن شعرت بالرضا أخيرًا، تأخذك موظفة الاستقبال إلى مكتب إبرامز وتوجهك لوضع عينة شعرك في جهاز طبي ذو مظهر غريب تسميه

الدينامايزر. تدخل إلى دكتور إبرامز، الرجل الواثق الذي يتجول في أرجاء الغرفة، يخفت الأضواء ويربطك بالدينامايزر مع مجموعة متنوعة من الأسلاك التي ستكتشف «أنهات الاهتزاز». بحسب تأكيده.

يطلب منك مرة أخرى أن تكون مواجهًا للغرب؛ لأن هذا سيضمن الأداء السليم للجهاز.

ثم يربط إبرامز جهاز الدينامايزر بسلسلة من الآلات الأخرى، بما في ذلك آلة يسميها راديو كلاست Radioclast؛ سوف ترى أن السمة المميزة لها، أنها تحتوي ببساطة على الكثير من الأقراص. يؤكد لك الطبيب أن تلك الأقراص مفيدة للغاية في الكشف عن «المقاومة الأومية»^(١)، والتي ستساعده في تحديد مرضك بدقة.

ثم يطلب منك إلى فك أزرار قميصك وخلع قميصك الداخلي. في أثناء قيامك بذلك، يأتي إبرامز بقضيب زجاجي من مكتبه ويبدأ بضرب بطنك به. أنت تسأل ما الفائدة التي ستجني من هذا الاجراء. يقول لك إنه يبحث عن مناطق «رنانة» أو «باهتة».

كل هذا يبدو مثيرًا للإعجاب، وتعتقد أنه مشغول بـ «الرنين» و «المقاومة الأومية»، فمن المؤكد أنه يجب أن ينجح. حقاً؟

هل أنت مشغول جداً وتريد مغادرة مكتب إبرامز؟ لا قلق. في النهاية، مع تقدم علم الراديونكس، لم يكن وجود المريض ضرورياً، ويمكن للممارس الماهر اكتشاف المرض فقط عن طريق تمرير عينة من الشعر أو الدم (أو الكتابة اليدوية) عبر الدينامايزر.

كانت ردود فعل الإلكترونات متغيرة بشكل ملحوظ. عند جمع عينة، كان على المريض أن يقف مواجهًا للغرب، بالطبع، وأن تكون الإضاءة خافتة،

(١) المقاومة الأومية: مقاومة المواد لمرور الإلكترونات فيها. سميت بالأومية نسبة العالم الألماني جورج سيمون أوم واضع قانون أوم. المترجمة



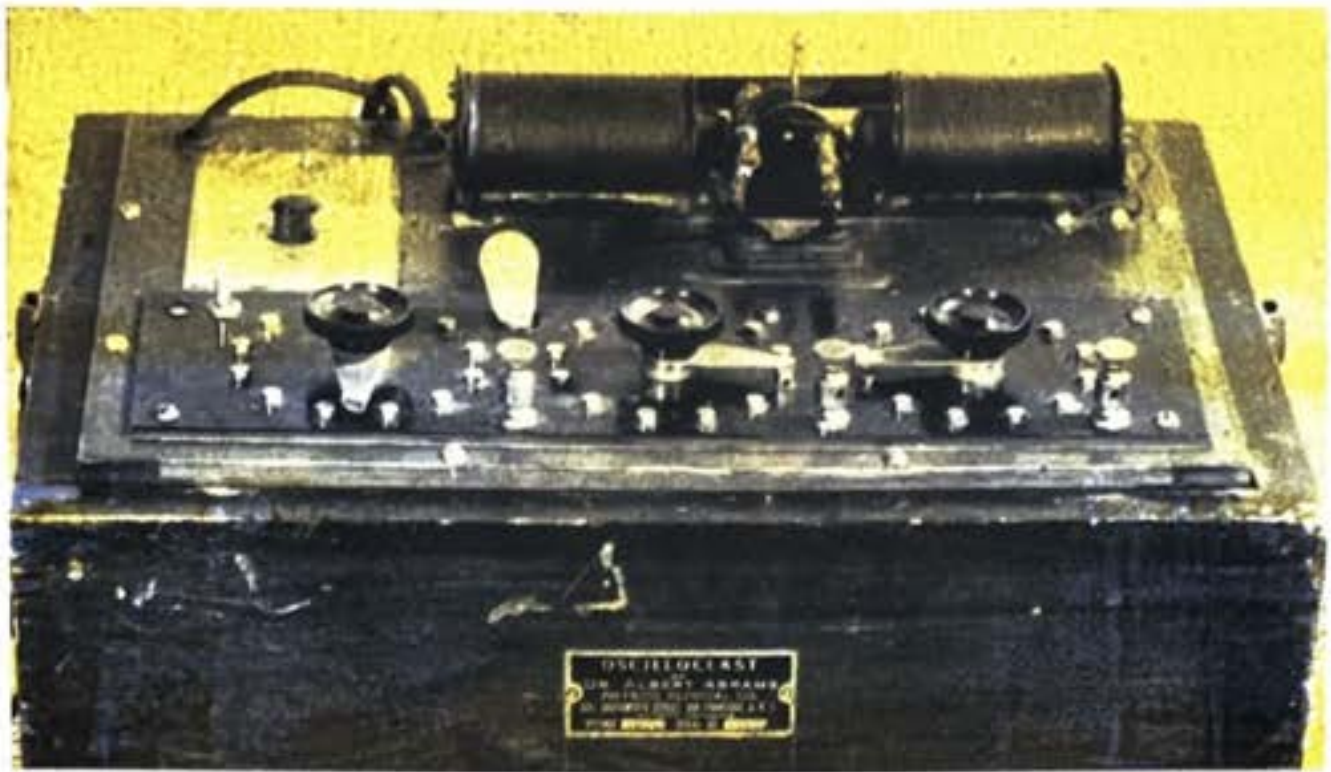
البرت إبرامز وهو يتلاعب بجهازه التافه

من دون أي مادة برتقالية أو حمراء اللون في الغرفة. وبالطبع، يمكن أن يؤدي وجود العقول المشككة أيضًا إلى إبعاد ردود الفعل الاهتزازية. لا تستطيع الراديونكس اكتشاف المرض فحسب، بل يمكنه أيضًا تحديد جنس الشخص، ومرحلة الحمل، والعمر، والموقع الجغرافي، والأهم من كل شيء دين الشخص. حتى إن إبرامز صمم خريطة في عام ١٩٢٢ تُظهر مناطق البطن الباهتة لمختلف الطوائف المسيحية. إضافة إلى كل ذلك، ادعى إبرامز أنه قادر على استخدام عينة خطية من شخص ميت لتحديد سبب وفاته. شغل الديناميزر على توقعات صموئيل بيبس (سبب الوفاة: الزهري)، و صموئيل جونسون (الزهري)، وهنري وادزورث لونغفيلو (الزهري)، وأوسكار وايلد (الزهري)، وإدغار آلان بو «نزلات البرد» - أمزح معك، «الزهري طبعاً ورد فعل ناجم عن الهوس الجنسي».

كان الدينامايزر جاهزًا ومستعدًا للإعلان بجرأة عن سبب وفاة كثير من الشخصيات البارزة في التاريخ الأدبي بسبب الأمراض المنقولة عن طريق الاتصال الجنسي. إذا كنت تهز رأسك في ارتباك تام، فنحن لا نلومك. لا تقلق، لأن الدورات التدريبية المنزلية في علم الراديونكس كانت متاحة مقابل ٢٠٠ دولار أمريكي نقدًا، مدفوعة سلفًا.

كذبة العلاج وارتقائه إلى معتقد

حسنًا، لقد حصلت على تشخيصك الآن، بفضل الدينامايزر، فمن المحتمل أنك اكتشفت الآن أنك مصاب بمرض الزهري. ما العمل اللاحق؟ ادخل أسيلوكلاست Oscilloclast، اسم آلة الراديونكس التي يمكن أن تعالج أمراضك وهي ناقلة للذبذبات (ويجب أن يكون أيضًا لديك اسم شخص ما في عرض المصارعة راسلمينيا WrestleMania). لعلاج مرض الزهري لديك، ستحتاج إلى استئجار آلة أسيلوكلاست من إبرامز، مقابل دفعة أولية إما ٢٠٠ دولار أو ٢٥٠ دولارًا (ستكون أعلى إذا كانت موصولة مع تيار كهربائي مستمر بدلاً من تيار كهربائي متناوب)، إضافة إلى ٥ دولارات شهريًا بشكل دائم. في النهاية، كان الطبيب يحصل على ١٥٠٠ دولار شهريًا من رسوم الإيجار التي يدفعها له الدجالون الأقل مرتبة منه. ادعت آلات الأسيلوكلاست أنها تعمل عن طريق توجيه موجات الراديو إلى المريض. ضُبطت موجات الراديو هذه على ترددات محددة من شأنها أن تقتل العدوى أو المرض. قال إبرامز: «يجب أن يكون لعقاقير معينة معدل الاهتزاز نفسه للأمراض التي تكون فعالة ضدها». «هذا هو السبب في أنها تعالج». أو هكذا اعتقد الطبيب. وهكذا، يمكن ضبط آلات الأسيلوكلاست على «معدل الاهتزاز» نفسه، أي تردد الراديو، لعلاج المرض أيضًا.



إما إنها آلة الأسيلو كلاست أو آلة أخرى من صنع صبي في العاشرة من عمره
ليلهو مع طفل في الثامنة من عمره

ومع ذلك، كان لدى ناقلة الذبذبات أسيلو كلاست المؤجرة شرط معين، كان على المستأجر الموافقة عليها. لا يمكنك فتح الآلة، التي كانت «محمكة الإغلاق». سيؤدي فتح الجهاز إلى تعطيل عملها (والغاء ضمان الأسيلو كلاست الرائع تمامًا).

السبب الحقيقي لعدم السماح لك بفتح الجهاز هو أنه لا يحتوي إلا على مجموعة من القطع الكهربائية الموصولة ببعضها بعضًا من دون أي غرض معين. كتب عالم فيزياء بعد أن خان قسم الراديونكس المقدس، كان هذا «الجهاز كجهاز صنعه صبي يبلغ من العمر ١٠ سنوات للهو مع طفل يبلغ من العمر ثماني سنوات».

لا يهم حقيقة أن المستهلكين كانوا يلعبون بالألعاب. حقق إبرامز نجاحاً وثروة طائلة بسبب الأسيلو كلاست والدينامايزر. نشأت شعبيتها إلى حد كبير من خدعة نفسية بسيطة استغلها إبرامز وأتباعه ببراعة: إقناع شخص، عبر طقوس طبية شبه دينية، بأنه مصاب بمرض مثل السرطان. ثم تقديم

علاج للشخص باستخدام الأسيلوكلاست. بعد فترة وجيزة، يصبح المريض سعيدًا وخاليًا من مرض السرطان، وهو مرض لم يكن مصابًا به في الأساس. يمكن للمريض بعد ذلك نشر تجربته بين أصدقائه. «كنت على وشك الموت، لن تصدق ذلك. لكن لحسن الحظ، سمعت عن هذا العلاج الجديد المسمى الراديونكس. قاموا بوصلي بألة، وذهب السرطان لدي!» هذه أدلة قوية وتروج بسرعة لحملة تسويقية شفوية تتناقلها الألسن.

سُلِّطت الأضواء على معتقد الراديونكس على الصعيد الوطني، عندما أصبح أبتون سنكلير مؤمنًا. كان سنكلير، مؤلف الرواية الكلاسيكية الغاب the Jungle لفضح صناعة تعليب اللحوم، اسمًا مألوفًا عندما أعطى مصداقيته للراديونكس عبر كتابة مقال بعنوان «بيت العجائب» لمجلة بيرسون pearson في يونيو ١٩٢٢. في المقال، أشاد سنكلير بإبرامز ومدح بطرق علاجه:

قررت الذهاب إلى سان فرانسيسكو للتحقق. خططت لقضاء يوم أو يومين، لكن ما وجدته هناك جعلني أبقى لمدة أسبوعين، وربما مرت شهر أو حتى سنوات، إذا لم تستدعيني المهام العاجلة إلى المنزل. . . . هذا الطبيب اليهودي الصغير المتحمس هو إما أحد أعظم العباقرة في تاريخ البشرية، أو أحد أعظم المجانين. قدم فكرة جديدة، انقضَّ عليها مثل قطة. إنه تجسيد حقيقي لعبارة نيتشه عن النفس البشرية، التي «تتوق إلى المعرفة كما يتوق الأسد إلى طعامه». لا توجد تجربة لن يجربها مستقبلاً. . . أقول لكم الحقيقة؛ بعد أسبوع في عيادة إبرامز فقدت كل شعور بالرعب من الأمراض الثلاثة الرهيبة، السل، الزهري، والسرطان.

قادت مقالة سنكلير إلى مقالات متنوعة في المجلات في جميع أنحاء البلاد وفي بريطانيا. ومع ازدياد شعبية الراديونكس على جانبي المحيط الأطلسي، بدأ أيضًا في لفت انتباه الناقدین المشككين. مثل الجمعية الطبية الأمريكية.

الراديونكس تفقد بريقها

في حبكة رائعة، أرسلت الجمعية الطبية الأمريكية دم ذكر خنزير غيني سليم لإبرامز لاختباره، وقالوا بأنها عينة الدم للأنسة بيل. عادت نتائج الاختبار قائلة إن الأنسة بيل مصابة بالسرطان (تساوي ستة أوم)، إضافة إلى التهاب في الجيوب الأنفية اليسرى وعدوى بالمكورات العقدية في قناة فالوب اليسرى.

حذت مجلة ساينتيفيك أمريكان Scientific American حذوها، حيث أطلقت تحقيقًا لمدة عام في نظريات الراديونكس. نشرت المجلة تحديثات شهرية بين أكتوبر ١٩٢٣ وأيلول ١٩٢٤. النتائج:

وجدت هذه اللجنة أن الادعاءات عن ردود الفعل الإلكترونية لإبرامز، والممارسة الإلكترونية بشكل عام، لم تُثبت بعد؛ ونعتقد أنه لا أساس لها في الواقع. في رأينا أن ما يسمى بالعلاجات الإلكترونية لا قيمة لها.

تبعث كلمات الإدانة تلك من مجلة محترمة بعد فترة وجيزة، تقرير مشابه في عام ١٩٢٤ من لجنة بريطانية وجدت أن هذه الممارسة «غير سليمة علميًا» و«غير مبررة أخلاقيًا». كما نشرت الصحافة حالة رجل مسن زار مجموعة مايو كلينك الطبية Mayo Clinic وشُخصت إصابته بسرطان معدة غير صالح للجراحة. تحول الرجل المسكين إلى الراديونكس وقيل له إنه "شُفي تمامًا" بعد استخدام آلة الأسيلوكلاست. مات بعد شهر.

في غضون ذلك، هرع سنكلير سريعًا للدفاع عن إبرامز، فكتب: لقد حقق أكبر اكتشاف ثوري لهذا العصر أو أي عصر آخر. أجرؤ على الرهان مهما كانت السمعة بأنه اكتشف السر الكبير في تشخيص وعلاج جميع الأمراض الرئيسية.

بفضل سمعة سنكلير، الذي كتب إحدى روائع العدالة الاجتماعية، يمكننا جميعًا أن نغض الطرف بينما يطلق العنان لدعمه القوي للدجل بلا خجل. على الرغم من دفاع سنكلير، فقدت الراديونكس كثيرًا من مصداقيتها بسبب

تقارير ساينتفيك أمريكان ومع ذلك، لم يعد مؤسسها على قيد الحياة ليشهد الزوال. بحلول الوقت الذي توفي فيه إبرامز بسبب الالتهاب الرئوي في سن الستين، بعد وقت قصير من نجاح الراديونكس بشكل كبير، كان قد أصبح رجلاً ثرياً للغاية. بلغت قيمة أملاك إبرامز مليوني دولار في عام ١٩٢٤، وهو دليل محزن على سذاجة البشرية. في ملاحظة إضافية غريبة، ادعى إبرامز أنه قادر على التنبؤ بتاريخ وفاة شخص ما باستخدام الدينامايزر. تنبأ بشكل صحيح أنه سيموت في يناير ١٩٢٤.

فلتختفي الآفات!

اخترع توماس غالين هيرونيموس من مدينة كانساس بولاية ميزوري جهاز راديونكس خاص به عام ١٩٤٩. ويُزعم أن "آلة هيرونيموس" يمكنها تعقب طاقة eloptic التي قيل إنها تنبثق من كل أشكال الحياة. استخدمت آلات هيرونيموس في الزراعة، وخاصة كبداية لمبيدات الآفات. لأوقات ممتعة، اسأل مزارع للمنتجات العضوية المحلية إذا كان يستخدم آلة هيرونيموس.

مستقبل الراديونكس

سرعان ما ظهر كثير من المقلدين الدجالين نتيجة الفراغ الذي أحدثه موت إبرامز، للنضال من أجل حصة في سوق "الشفاء عبر موجات الراديو". كان أكثرهم نجاحاً هي روث بي دراون من هوليوود، كاليفورنيا، التي صنعت أجهزة الراديونكس الخاصة بها التي يُفترض أنها قادرة على علاج أي شخص بغض النظر عن مكان وجوده في العالم. وجدت دراون أيضاً جمهوراً راغباً في دجلها، وعالجت حوالي خمسة وثلاثين ألف مريض في وقتها، وباعت أجهزتها على نطاق واسع، ولا سيما للممارسي الطب البديل الآخرين. كما أنها عالجت الحالات عن بعد.

في أوائل الخمسينيات من القرن الماضي، أصيب النجم السينمائي تايرون باور وزوجته في حادث سيارة في إيطاليا. استخدمت داورن إحدى أجهزتها اللاسلكية لمسافات طويلة (نموذج ٣٠٠، للفضوليين) لإرسال بث علاجي لهم. نظرًا لأن أجهزتها، مثل جهاز الدينامايزر لإبرامز، تتطلب نوعًا من العينة من المريض، استخدمت داورن عينات من دم الزوجين والتي ادعت أنها موجودة بالفعل في «مكتبها». (ماذا؟ كيف؟)

تعافى تيرون وزوجته من حادث السيارة وعادا إلى الوطن أمريكا. فاتورة علاج داورن بالراديونكس في انتظارهم.

لطالما كان لدى الراديونكس جانب صوفي، على الرغم من كل الأدلة العلمية التي تدين النظرية، فقد تمكن من الاحتفاظ ببعض المحبين. اليوم، يمكنك أن تجد ممارسين متخصصين في علم الراديونكس منتشرين في جميع أنحاء الولايات المتحدة. ومع ذلك، فقد تحول التركيز إلى توسيع أفكارك ليشمل الوعي الأكبر للكون. باستخدام علم الراديونكس، يمكنك فرض إرادتك على العالم. قد تستخدم هذه القدرة لتحسين صحتك أو للعثور على حبيب أو للحصول على إكرامية كبيرة وكسب كثير من المال. يمكنك حتى صنع آلة راديونكس الخاصة بك. سيظهر بحث بسيط على الغوغل بعض المخططات المجانية. ربما في يوم من الأيام ستظهر شارة الكشافة الأمريكية^(١) في الراديونكس.

من الواضح أن الطب التقليدي استخدم موجات الراديو للتواصل مع المرسلين والمسعفين. لكن كثيرين لا يدركون أن الطاقة الحرارية الناتجة عن ترددات الراديو تُستخدم لاجتثاث أو حرق الأنسجة المسببة للمشاكل، ولعلاج بعض حالات عدم انتظام ضربات القلب والأورام والدوالي. ربما في مكان ما، يشعر أبتون سنكلير المسكين ببعض التبرير لحماسته تجاه جنون موجات الراديو.

(١) هي الجوائز التي حصل عليها أعضاء الكشافة الأمريكية، بناءً على الأنشطة التي قاموا بها داخل منطقة الدراسة، (المترجمة).



لمسة الملك

من داء الخنازير، ماكبث، مراسم لمس الملك، الحصان المعجزة،

عملات طبية، وذراع سانت لويس الفاسد

كانت العصور الوسطى فترة فظيعة للبقاء على قيد الحياة. انتشرت جميع أنواع الأمراض المشوهة عبر البلدان الأوروبية كتضخم الغدة الدرقية، والأورام، والطفح الجلدي، وداء الوذمة، والشفة المشقوقة. لكن أحد أسوأ الأمراض الجلدية في بريطانيا وفرنسا كان مرض السكر وفولا أو داء الخنازير، المعروف في عصره باسم «داء الملك».



سكروفولا

سكروفولا (مشتقة من الكلمة اللاتينية scrofa، والتي تعني تربية الخنزير، لأنه كان يُعتقد أن الخنازير معرضة للإصابة بالمرض) هو شكل من أشكال مرض السل الذي يصيب العقد الليمفاوية في عنقك، مما ينتج عنه نمو كبير غير محبذ يستمر في التمدد مع مرور الوقت.

نادرًا ما يكون مميتًا، لكنه مشوه تمامًا.

لكن لا تقلق. إذا أصبت بكتل تنمو باستمرار على رقبتك، فكل ما

عليك فعله هو العثور على ملك. بمجرد أن يلمسك، فأنت على ما يرام. وداعا للكتل المشوهة.

أو هكذا بدا لسكان القرن الحادي عشر في بريطانيا وفرنسا، عندما أصبحت ممارسة ملامسة الملوك للفلاحين المصابين بالعدوى، شرعية كممارسة طبية. بوصفه دليلاً على قدرتهم الإلهية في الشفاء، أقام الملك الانجليزي إدوارد (حوالي 1000-1066) والملك الفرنسي فيليب الأول (1052-1108) معارض عامة لشفاء سكروفولا. اجتمع الفلاحون المثقلون بالمرض في احتفال ملكي فخيم حيث لمس الملوك الضحايا، وقاموا بعلاجهم نظريًا.

وصف عضو البرلمان صمويل بيبس مثل هذا الاحتفال في عام 1660، بعد بضع مئات من السنين، عندما استلم تشارلز الثاني العرش:



نقود معدنية سحرية

بدأ جلالة الملك في لمس
المرضى بحسب العادة، وهكذا:
جلس جلالتة أسفل عرشه في
دار المأدبة، أتى المرضى إلى الجراح
الذي قادهم إلى العرش، حيث
ركعوا، ضرب الملك وجوههم
وحدودهم بكلتا يديه في وقت
واحد، وفي هذه اللحظة، ردد
الكاهن «وضع يديه عليهم
وشفاهم».

لا ضرر، إذا تُركت من دون
علاج، فإن بعض حالات الإصابة
بالسكر وفولا تبدو أنها تُشفى من
تلقاء نفسها. لكن التكرار الكاف

لتلك الطقوس ستجعل الأمر يبدو وكأن لمسة الملك يمكن أن تكون مساهماً
رئيساً أو حتى السبب الوحيد في العلاج.

سبب آخر لشعبية احتفالات اللمسة الملكية بين الفلاحين البريطانيين هو
فرصة الحصول على عملة ذهبية خاصة يطلق عليها اسم «الملاك» لصورة
القديس ميخائيل المسكوكة على وجهها. بعد أن يلمسها الملك، يأخذ الفلاح
تلك العملة المميزة، التي سُكت لأول مرة في عام ١٤٦٥.

استمرت هذه الهدايا التذكارية لتصبح إرثاً عائلياً ثميناً وزُعم أنها تحافظ
على القليل من سحر الشفاء الملكي بداخلها. كان الناس يعلقونها على
سلاسل خاصة حول أعناقهم ويفركون أجسادهم بها عندما يعانون من
أمراض.

بات من الواضح جداً أن الاتصال الجسدي مع الملك أو الملكة كان من أجل هذا الأمر، إضافة إلى أن استلام «عملة سحرية»، ربما قد أثار الرهبة والعجب لدى فلاحي العصور الوسطى.

الانغماس بعمق في نظام اقتصادي قائم على العبودية مع عدم وجود التعليم الحديث، يمكن أن يجعل لمثل هذه التجربة تأثيراً وهمياً قوياً، يساعد في تراجع أعراض مرض السكر وفولا.

كما أنه لا يبدو أن الملوك والملكات كانوا قلقين بشأن التقاط السكر وفولا بأنفسهم.

من السهل جداً أن تلمس نفسك إذا كنت ملكاً وتعالج المرض قبل أن يدرك باقي السكان أنك مصاب به. لكن هل يمكنك أن تتخيل كابوس العلاقات العامة، إذا كان الملك الذي مارس اللمسة قد أصيب بنفسه بالسكر وفولا؟ نظراً لأن هذه الممارسة تلاشت قبل أن نفهم كيفية انتشار الأمراض المعدية، فمن الآمن أن نفترض أن الملوك والملكات الذين شاركوا في الحفل اعتقدوا حقاً أنه لم يكن هناك أي احتمال من التقاط مرض سكر وفولا من رعاياهم. لقد كان حقاً مجرد صدفة سعيدة للتاريخ بأنه لم يصب أحد منهم، على ما يبدو (من منظور النظام الملكي).

الشرعية الملكية عن طريق اللمس،

أو من الشرعي أن يتنحى الملك تشارلز الثاني

حتى أن اللمسة الملكية ظهرت في مسرحية شكسبير ماكبث، عندما يخبر الطبيب مالكولم ومكدوف أن الملك إدوارد المعترف مشغول بلمس مرضى سكر وفولا في الوقت الحالي:

مالكولم: هل خرج الملك إدوارد؟

الطبيب: آه يا سيدي، هناك حشد من النفوس البائسة، يطلبون علاجه.



يلمس الملك أحد المرضى

مرضهم يحير أي إجراء
حديث، لكن بلمسته -
التي فيها من القداسة
التي منحها السماء ليد -
سيشفون على الفور.

في الواقع، اللمسة
الملكية هي أحد الأسباب
التي جعلت مالكولم
ومكدوف يجندان الملك
إدوارد المعترف - «الملك

الحقيقي» بسبب صلاحياته العلاجية الممنوحة إلهياً - لمساعدتهم على
الإطاحة بماكبث. استمد شكسبير إلهامه بالتأكيد من هذه العبارة الأساسية:
على مر التاريخ، كانت للمسة الملك فائدة سياسية غير عادية تتمثل في إضفاء
الشرعية على حكم الملك في نظر الجمهور.

بعد إدوارد المعترف وفيليب الأول في القرن الحادي عشر، أصبحت
القدرة على علاج مرض السكر وفولا عن طريق وضع اليدين يُنظر إليها
بأنها ورثت من الإله. فقط «الملك الحقيقي» يمكنه فعل ذلك. كما هو متوقع،
يبدو أن القدرة تنتقل عبر النسب العائلي من الأب إلى الطفل، مما يساعد في
الحفاظ على سيطرة الأسرة الحاكمة على المملكة.

أصبح الحق الإلهي في الحكم، الذي تجلّى جزئياً عبر قوى الشفاء من لمسة
الملك، جانباً مهماً من الشرعية الملكية لدرجة أن الحكام الإنجليز استمروا في
ذلك لمدة سبعمائة عام والحكام الفرنسيين لمدة ثمانمائة عام. من الواضح بأنه
يمكنك تتبع شعبية النظام الملكي عبر مدى ارتباطها بشدة بشرعيته الملكية.
يبدو الأمر كما لو أن الجماهير تُذكر باللمسة الملكية كلما احتاج الملك إلى زيادة
في نسبة التأييد. هذا مضحك.



نقش يُظهر لمسة الملك

خذ إنجلترا على سبيل المثال. مع استثناء ملحوظ لهنري الرابع - الذي لمس ١٥٠٠ مريض في حفل واحد - مارس الحكام لمسة الملك بفتور إلى حد ما، حيث لمسوا حفنة من المرضى فقط كل عام، حتى أتى القرن السابع عشر. ثم أصبحت الأمور جادة. لمس تشارلز الثاني (١٦٣٠ - ١٦٨٥) ما يقرب من اثنين وتسعين ألفاً من مرضى السكر وفولا في أثناء فترة حكمه البالغة خمسة وعشرين عاماً، بمتوسط حوالي ٣٧٠٠ شخص سنوياً. ولماذا أراد أن يلمس الكثير من الناس؟ حسناً، كان النظام الملكي على أرض هشة جداً في تلك الأيام. قُطع رأس والد تشارلز، تشارلز الأول، في عام ١٦٤٩، في أثناء الحرب الأهلية الإنجليزية. هُزم تشارلز الثاني لاحقاً في معركة قادها أوليفر كرومويل في عام ١٦٥١، وفر إلى بر الأمان عبر القناة إلى البر الرئيس لأوروبا. ثم قضت إنجلترا تسع سنوات في التخطيط مع الكومنولث الإنجليزي، قبل أن تدعو أخيراً تشارلز الثاني للعودة من المنفى عام ١٦٦٠ في الاضطرابات التي أعقبت وفاة كرومويل.

لذلك كان للملك هدف شرعي واضح وجلي، واستطاع بالكاد أن يمرر مرضى السكر وفولا عبر بوابات القصر بالسرعة الكافية. كما في الكلمات الحكيمة لمغني الراب إم سي هامر في آخر القرن العشرين، من الشرعي جدًا لتشارلز الثاني أن يتنحى.

ومع ذلك، لم تمنع اللمسات لمرضى السكر وفولا من سقوط تشارلز وعائلة ستيوارت عندما توفيت الملكة آن عام ١٧١٤. لكن الأسرة المبعثرة لم تدع المنفى وملكية هانوفر تحبطهم. تمسكوا بإصرار بمطالبهم بالعرش البريطاني، وأثاروا تمرد اليعاقبة^(١) في القرن الثامن عشر. كما نشر أتباعهم شائعة مفادها أن آل ستيوارت لا يزالون قادرين على أداء معجزة لمسة الملك. («انظروا، لا يزال ملكنا قادرًا على علاج مرض سكر وفولا بلمسته. أليس من الواضح أن الله اصطفاه وله الحق الإلهي في الجلوس على العرش البريطاني؟»). كل ذلك لم ينفذ: انتهى تمرد اليعاقبة بالفشل، على الرغم من الترابط الوهمي مع المفاهيم المضطربة للقومية الأسكتلندية.

في غضون ذلك، مارست فرنسا نوعًا من طقوس اللمس. من أواخر العصور الوسطى وصاعدًا، دُمجت طقوس اللمس في احتفالات تتويج الملوك الفرنسيين، وهي طريقة لطيفة لتعزيز الملكية والشرعية مباشرة منذ البداية.

وصلت لمسة الملك إلى أوج شعبيتها في فرنسا في القرن السابع عشر عندما احتفل لويس الرابع عشر بعيد الفصح عام ١٦٨٠، ليس بمحاولة الحصول على بيضة عيد الفصح في فرساي، ولكن عن طريق لمس ١٦٠٠ مريض مصاب بالسكر وفولا. حتى مع تراجع هذه الممارسة في القرن الثامن عشر، قام لويس الخامس عشر بالتأكيد على دوره في الحفاظ على الشعلة حية،

(١) المعروف باسم تمرد خمسة وأربعين. هو محاولة من تشارلز إدوارد ستيوارت استعادة ملكية العرش البريطاني. المترجمة

فلمس المزيد والمزيد من المرضى ليصل عددهم بشكل مذهل إلى ٢٤٠٠.
ألا يبدو الأمر مختلف قليلاً عن الملكة إليزابيث الثانية وهي تلوح للحشود
من موكبها؟

لا يمكنك الحصول على لمسة الملك الحقيقي؟

جرب النسخة المقلدة منها

مشكلة حقيقية للغاية يواجهها الفلاحون المصابون بداء الملك (السكروفولا): إذا كان لديك مرض لا يمكن إلا للملك علاجه، فأنت مضطر إلى مقابله. إذا لم تكن قادرًا على السفر إلى لندن أو باريس لحضور احتفال الملك - في الأيام التي سبقت وجود الخطوط الجوية إيزي جيت وريان إير - فلن يحالفك الحظ. وإذا كنت محظوظًا بشكل طبيعي، فقد تتلاشى أعراض مرض سكروفولا من تلقاء نفسها. أو يمكنك أيضًا العثور على معالجين بديلين للملوك. المعالجون البديلون مثل الخيول.

ألكساندر شيلدز، وهو أسكتلندي متمرد غير ملتزم، كتب في مذكراته عام ١٦٨٨ عن حصان خاص في منطقة أناندال بإسكتلندا يمكنه علاج سكروفولا بلعق قروح الضحايا: «لقد أخبرني شاهد عيان بحصان في سفح أناندال الذي يشفي داء الملك والذي يلجأ إليه كثير من سكان الريف من كل مكان».

يا لها من نعمة أن يكون لعق الحصان للفقراء في اسكتلندا النائية حلاً بسبب عدم وجود أي فرصة لمقابلة الملك شخصياً. وهي نعمة أيضاً للمزارع الذي امتلكه. لا بد أن هذا المزارع كان رجل أعمال بارع بروح الطبيب الدجال، وحقق ربحاً جيداً عبر منحه حق الوصول إلى حصانه المعجزة. (الطريقة التي أقنع بها الحصان بلعق القروح في المقام الأول قد بقيت مجهولة في صفحات التاريخ).

كانت إيرلندا أيضًا بعيدة بعض الشيء عن رحلة الحج ذات الطابع الملكي، وكان لها بديلها الخاص في منتصف القرن السابع عشر. في عام ١٦٦٢، اشتهر معالج مؤمن إيرلندي يحمل اسم فالتين غريتوريكس (المعروف أيضًا باسم «ستروكر»)، بقدرته على شفاء مرض سكر وفولا عن طريق لمس المرضى المصابين. على الرغم من حقيقة أن فالتين لم يكن ملكًا. نظرًا لصعوبة سفر الفلاحين الإيرلنديين إلى لندن للقاء الملك الحقيقي (والذي ساعد في ذلك بلا شك هو رأي الجمهورية الإيرلندية التقليدية بالنظام الملكي بشكل عام)، نجح غريتوريكس في ذلك. إلى حد كبير. لمدة ثلاث سنوات، تجمعت حشود من الناس أينما ظهر ليلمسها. أثار غريتوريكس في النهاية غضب محكمة الأسقف في ليسمور، التي منعت من إجراء علاجات طبية لسبب «عدم امتلاك ترخيص مناسب».

هدايا ملكية أخرى

على الرغم من أن الحكام الفرنسيين والإنجليز كانوا فريدين، بالمقارنة مع ملوك أوروبا، في قدرتهم على علاج مرض السكر وفولا، إلا أنهم لم يكونوا الأرستقراطيين الوحيدين الذين كان يُعتقد أنهم يمتلكون قوى شفاء فطرية. يُزعم أن عائلة هابسبورغ النمساوية يمكن أن تعالج التلثم بتقبيلك على فمك. ويمكن لملوك قشتالة في إسبانيا طرد الأرواح الشريرة بالصلاة إلى الله ورسم علامة الصليب بالقرب منك. لذلك، إذا كنت مصابًا بالتلثم المسوس بالشياطين مع حالة سيئة من مرض سكر وفولا، فيمكنك علاج جميع أمراضك بمجرد الشروع في جولة كبرى في أوروبا.

وقد يكون هذا هو أفضل علاج سمعناه على الإطلاق. لكن هذا لم يمنع. في عام ١٦٦٦، انتقل غريتوريكس إلى إنجلترا واستمر

في لمس مرضى سكروفولا في أثناء تجوله في جميع أنحاء البلاد. في النهاية، سمع تشارلز الثاني عنه واستدعاه للمثول في وايت هول لبرهان قدراته. على الرغم من شكه المستمر حول فعالية اللمس (وعلى الرغم من الحماس الشخصي العميق لقدراته الملكية المؤثرة)، من المدهش أن تشارلز الثاني لم يمنع غريتوريكس من الإعلان عن خدماته، وسمح للمعالج الإيماني الإيرلندي بمواصلة السفر في جميع أنحاء إنجلترا من دون مضايقات. كان لدى الملك أشياء أكثر أهمية ليقلق بشأنها مثل الحرب الأنجلو هولندية الثانية المستمرة.

بعد إثارة كثير من الجدل في الصحافة البريطانية حول قدراته باللمس (روبرت بويل، مؤسس الكيمياء الحديثة، ظهر بوصفه مؤيداً لغريتوريكس)، عاد غريتوريكس إلى إيرلندا في عام ١٦٦٧، حيث بدأ العمل بالزراعة. لكن إذا لم تتمكن من العثور على معالج إيماني إيرلندي، أو ملك حي، فربما يمكننا أن نرشدك إلى ملك ميت! كان الفرنسيون مفتونين بهذه الممارسة لدرجة الاعتقاد أن لمسة الملك يمكن أن تشفي من وراء القبر. يُعتقد أن الذراع المتعفنة للملك لويس التاسع (١٢١٤-١٢٧٠) تحتفظ بقوة الشفاء، لكونه ملكاً وقديساً. سافر الحجاج الملهمون من جميع أنحاء أوروبا إلى دير في إسبانيا حيث دُفن الملك على أمل أن يلمس عظم ذراع الملك الميت منذ زمن طويل السكروفولا.

خسارة اللمس

عندما تولى ويليام وماري العرش الإنجليزي في عام ١٦٨٩، لم تعد لمسة الملك مجبذة تمامًا. مع الازدهار المستمر للبروتستانتية في إنجلترا التي كانت مناهضة للكاثوليكية ومناهضة للخرافات بشدة، رفض الحكام الجدد الموافقة على طلبات الحصول على اللمسة الملكية.



حجر المغناطيس الذي استخدمته الملكة
آن في الاحتفالات عندما لا ترغب في لمس
الفلاحين بشكل مباشر

بدأت الممارسة ترتبط سلبيًا
بالكاثوليكية. حتى إن ويليام
بالغ لدرجة أنه

قام بحرق أحد مرضى
سكر وفولا الذي طلب لمسته.
ما هو رده؟ «الله يمنحك صحة
أفضل... ولمس أفضل».

يا إلهي، هذا ما يريده
المسكين الذي يعاني من
السكر وفولا أن يسمعه من ملكه!

أعدت الملكة آن تقديم هذه الممارسة لفترة وجيزة في فترة حكمها
القصيرة. في مارس ١٧١٢، أدت آن الطقوس للمرة الأخيرة، وفي حادثة
هامشية تاريخية تحمل عنوان «الصدفة الغريبة»، كان آخر مريض سكر وفولا
تلقى لمسة آن هو طفل صغير اسمه صموئيل جونسون. نعم، صموئيل
جونسون، الذي اشتهر فيما بعد بكتابة أول قاموس حديث للغة الإنجليزية.
للأسف، مع وفاة آل ستيوارت (وجهدهم لإضفاء الشرعية على
مطالباتهم بالعرش)، انتقلت لمسة الملك من إنجلترا.

في غضون ذلك، بدأت هذه الممارسة في التراجع أيضًا في فرنسا في القرن
الثامن عشر. بدأ الشعب الفرنسي، الغارق في وهج عصر التنوير، في الشك
في فعالية لمسة الملك. لقد دفعت الثورة العلمية العقل إلى «طرق تقييم
العالم من حولك»، وفي فرنسا أدى عصر التنوير إلى معارضة متزايدة للملكية
مطلقة. أحد الأمثلة عن الشكوك المتزايدة حول السلطة الملكية، كان من قبل
المراقب الذكي فولتير، الذي لاحظ أن عشيقه لويس الرابع عشر ماتت من
سكر وفولا على الرغم من «أن الملك قد لمسها كثيرًا».

استمر العرض الملكي في إحياء التقليد حتى عام ١٨٢٥، عندما لمس تشارلز العاشر ١٢١ مريض سكر وفولا عند تتويجه، وهي المرة الأخيرة التي استخدم فيها ملك فرنسي هذه الممارسة علناً. في الأساس كان النظام الملكي الفرنسي، على وشك أن ينتهي. على الرغم من أن فرنسا لم تعد تمتلك نظاماً ملكياً، إلا أنه يمكننا دائماً تعليق الأمل على إنجلترا.

ربما بمجرد أن تولى الأمير ويليام العبادة الملكية، قرر إعادة هذه الممارسة حتى القرن الحادي والعشرين. جحافل من المعجبين سوف يصيبون أنفسهم عن طيب خاطر بالسكر وفولا بمجرد تلك الفرصة بالذات.

أسوأ الطرق لعلاج العين

الرؤية المثالية هي معجزة نادرة. يعاني كثير من سكان العالم من حالات مثل قصر النظر أو طول النظر أو اللابؤرية أو قصر النظر الشيخوخي. على الرغم من الاتجاه الحديث للنظارات الانيقة وإطاراتها التي تناسب الموضة، بالنسبة لكثيرين منا الذين يعانون من ضعف الرؤية، نرغب أن نستيقظ في الصباح ولا نضطر إلى الوصول لنظاراتنا قبل أن نتمكن من رؤية المنبه بجانب السرير. كان كثير من رجال الأعمال المتحمسين على دراية بهذه الرغبة بالذات، مما قاد إلى مجموعة متنوعة من منتجات الدجال والنظريات الواعدة بإصلاحات سهلة لمشاكل الرؤية المعقدة. مثل معظم أمثلة الدجل، كان الشخص الوحيد الذي يميل إلى الاستفادة من هذه المنتجات والنظريات هو الصانع أو البائع نفسه.

أسلوب بيتس لتمارين العين

خلافًا لكل الأدلة التي تشير إلى عكس ذلك، اعتقد طبيب العيون في نيويورك ويليام بيتس أن ارتداء النظارات هو فكرة سيئة للأشخاص

الذين يعانون من مشاكل في الرؤية. لتحسين بصرك، كان عليك بسهولة أداء سلسلة من تمارين العين، مثل تحريك عينيك ونقل نظرك من شيء إلى آخر، وتمسيد مقل عينيك براحة اليد، وتخيل «اللون الأسود النقي». حققت طريقة بيتس نجاحًا هائلًا في عشرينيات وثلاثينيات القرن الماضي، حيث مهدت الطريق لكثير من الدجالين في أعقابها وجذبت التفاني الشديد، من دون سبب واضح، في ألمانيا النازية. لحسن الحظ، لم تتبن إدارة شؤون القيادة والسيارات أسلوب بيتس.

الكتابة بالأنف مع ألدوس هكسلي

كان ألدوس هكسلي، المؤلف الإنجليزي لكتاب «عالم جديد شجاع»، من أكثر الذين تبنا أسلوب بيتس بحماسة، والذي كان يعاني من مشاكل الرؤية طوال حياته. حتى إن هكسلي كتب كتابًا عن تحوله، فن الرؤية، والذي نشره دار هاربر على مضض في عام ١٩٤٢ ولا يزال يمثل إنتاجًا غير ناجح ضمن مؤلفات هكسلي الأدبية. من بين السخافات الأخرى، يوصي هكسلي بممارسة «الكتابة بالأنف»، أي تخيل أنفك قلم رصاص ثم اكتب توقيعا من مخيلتك في الهواء باستخدام قلم أنفك. . . بوصفها طريقة لتحسين بصرك.

الأطعمة الرائعة لغايلورد هوزر

كان غايلورد هوزر، المروج الذاتي للدؤوب ومبتكر واحدة من أولى الحميات الغذائية المشهورة، من أشهر الدجالين الذين اتبعوا خطى بيتس. قام كتاب الرؤية الحادة من دون نظارات من تأليفه باختيار أسلوب بيتس بوصفه طريقة لترويج وبيع منتجاته الغذائية. يمكنك تحسين بصرك إذا قمت بتمارين العين. . . وتناولت باستمرار «الأطعمة الرائعة» التي كانت

تبيعها شركته الخاصة ببساطة. (ملاحظة: تشتمل «الأطعمة الرائعة» المعتمدة من غايلورد هوزر على الزبادي، وخميرة البيرة، ومسحوق الحليب منزوع الدسم، وجنين القمح، ودبس السكر الأسود.)

نظارات جلفاني

لقد تحقق حلم ستيم بانك (فرع من الخيال العلمي) steampunk، حيث كانت «النظارات الجلفانية» حوالي عام ١٩٠٥ تحتوي على عدسات خضراء داكنة وإطار بلاستيكي يخفي إطارًا معدنيًا ثانويًا مع أسلاك كهربائية. يُزعم أن النظارات ترسل «تيارًا مستمرًا من الكهرباء إلى العصب البصري»، والتي افترض المصنعون أن فوائدها ستكون واضحة للمستهلك. لقد فات المصنعين حقيقة أن العصب البصري ليس في الواقع في مقلة العين؛ إنه خلف مقلة العين، في أعماق الجمجمة. (ملاحظة: الصدمات الكهربائية لعينيك قد تجعلك مقبولاً عند ستيمبانك، لكنها لن تحسن رؤيتك.)

الدكتور إسحاق تومسون

مياه العين الشهيرة

سُجلت براءة اختراع لهذا الدواء وسوّقه لأول مرة الدكتور إسحاق تومسون (ليس طبيبًا في الواقع) في ولاية كونيتيكت عام ١٧٩٥، وكان هذا العلاج العام لجميع شكاوى العيون واستمر بيعه في القرن العشرين. ومع ذلك، لم يكن أحد يعرف حقًا مكوناته حتى صدور قانون الغذاء والدواء النقي في عام ١٩٠٦. والسبب الحقيقي لشعبيته الطويلة الأمد هو الأفيون. انظر للمرأة وحسب ظهرت فكرة غريبة مفادها أنه يمكن استخدام قزحية العين لتشخيص المرضى في القرن التاسع عشر عندما لاحظ الطبيب المجري إيغناز فون بيكزيلي نمطًا مشابهًا لقزحية العين في عيني رجل مصاب بكسر في الساق... مشابه لما رآه في قزحية بومة

كسرت ساقها. لماذا لم يعتقد بيكزيلي أن هذا مجرد صدفة، ولماذا كان لديه بومة في المقام الأول، ولماذا كان يحدق بشدة في عيون كل من الإنسان والطيور حتى تمكن من إجراء هذا النوع من التحليل المقارن، ظل أمرًا مفقودًا لم يدونه التاريخ. بغض النظر، ظهرت ممارسة علم القرزية (وما تزال شائعة) في أعقاب.. اكتشاف بيكزيلي.

أسوأ الطرق لعلاج السرطان

السرطان مرض يغير على ما يبدو الثابت الذي لا يتغير - حمضنا النووي. يبدأ عندما تتحول إحدى خلايانا بشكل لا رجعة فيه إلى شيء يعيق العمل. تتكاثر ولا يمكن إيقافها في سعيها للتضاعف والتضاعف مرة أخرى، لدرجة قتلنا. السرطان ليس معديا. لا يسعى للعثور على مضيفين آخرين لينتشر مثل الفيروسات أو البكتيريا. إنه ببساطة قاتل ذو وظيفة واحدة. صاغ أبقراط المصطلحين *carcinoma* و *carcinosis* لوصف الأورام الخبيثة في القرن الرابع قبل الميلاد. يشير كلا المصطلحين إلى كلمة سرطان البحر لأن كثيرا من الأورام لها تنوعات تشبه أرجل السرطان الخارجة من وسط جسمه. في بعض الأحيان يشبه سطح الورم درع السرطان. ويبدو ألم الوخز مثل الألم الذي تحدثه كماشة السرطان. بحلول الوقت الذي ظهر فيه سيلسوس في القرن الأول قبل الميلاد، كانت الكلمة قد تُرجمت رسمياً إلى شكلها الحالي. كوفح السرطان بطرق مؤسفة. نظراً لعدم توفر جميع العلاجات لدينا حتى الآن، يستمر الدجالون في بذل جهودهم لاستغلال اليائسين - ما عليك سوى إلقاء نظرة على بعض أسوأ العلاجات التي لا ترغب أبداً في تجربتها.

الحيوانات

أحد العلاجات المثلية «الطب التجانسي» من بين سلسلة طويلة من

العلاجات، أن تُؤخذ قشرة السرطان الصلبة. في القرن الثاني بعد الميلاد، اقترح جالينوس حرق السرطانات ووضع رمادها وفتاتها على الأورام باستخدام ريشة. لكن السرطانات لم تكن الضحايا الوحيدة. في العصور الوسطى، أوصت إحدى الوصفات بحمل أرنب أو جرو أو قطة أو خروف مقتول حديثاً لعلاج الورم. كانت الفكرة أن السرطان يشبه الذئب المفترس الذي سيتغذى على الحيوان المضحي به وليس الإنسان. يا لها من مخلوقات مسكينة! في القرن الثامن عشر، شملت هذه العلاجات رثي الثعلب، ودم السحلية، وروث التمساح، جنباً إلى جنب مع الأساليب المعتادة ولكن غير المجدية، مثل العلقيات.

العنب

في عام ١٩٢٥، قدمت جوانا براندت علاج العنب. إنها فكرة بسيطة جداً - تصوم بضعة أيام، ثم تستخدم الحقن الشرجية، ثم تناول سبع وجبات من العنب يومياً لمدة أسبوعين. يوصى أيضاً بالحقن الشرجية من عصير العنب، واللدش، والكدمات، والغرغرة. كما لو لم تكن مرة واحدة كافية، فضحت جمعية السرطان الأمريكية هذه الممارسة المثيرة أربع مرات في فترات منفصلة (آخر مرة في عام ٢٠٠٠).

غضروف سمك القرش

ربما سمعت أن أسماك القرش لا يمكن أن تصاب بالسرطان. في عام ١٩٩٢، نشر كل من ويليام لين وليندا كوماك كتاباً بعنوان «أسماك القرش لا تصاب بالسرطان»، وأثيرت ضجة كبيرة حوله. يمكن لأي شخص يقرأ الكتاب أن يقول، «لما لا، لا أعرف أي سمكة قرش مصابة بالسرطان!». ربما إذا عالج غضروف سمك القرش، وأي الغاز سحرية يمتلكها، مرضى السرطان، فسيصبح أطباء الأورام في جميع

أنحاء العالم عاطلين عن العمل. هل تريد معرفة نتائج كثير من الدراسات العلمية؟ (لا يزال لدى أطباء الأورام وظيفه). على أي حال، بدت حقاً فكرة مثيرة للاهتمام، حتى أتى الوقت الذي صرح فيه علماء الأحياء بهذه الحقيقة المحزنة: أسماك القرش تصاب بالسرطان.

أجهزة زاير الإلكترونية

كان رويال ريموند رايف مخترعاً. ادعى أن الجهاز الذي اخترعه، مولّد تردد رايف، يقتل الميكروبات التي يعتقد أنها تسبب المرض البشري، بما في ذلك السرطان. كان يعتقد أنه يمكن أن يستهدف هذه الميكروبات، التي - من دون علم علماء الأحياء الدقيقة - تهتز على ما يبدو وتطلق الهالات الملونة (تبدو وكأنها الكائن الخرافي وحيد القرن يونيكورن). كانت الآلة عبارة عن صندوق أسود كبير به أقراص و «أنبوب شعاع» زجاجي يشبه المصباح الذي يبرز من الجانب.

على الرغم من أن كل هذا حدث في الثلاثينيات من القرن الماضي، إلا أن أجهزة رايف الحديثة لا تزال معروضة في السوق اليوم مقابل آلاف الدولارات، وقد أدين كثير من البائعين بتهمة الاحتيال الصحي.

السيانيد

في السبعينيات، كان العلاج المسمى لاتريل laetrile هو السلعة الجديدة الرائجة. يُطلق عليه أحياناً فيتامين B17 (وهو ليس فيتاميناً)، اللاتريل هو شكل شبه اصطناعي من الأميغدالين، وهو مركب يحتوي على السيانيد وموجود في نوى المشمش والبذور الأخرى.

ادعى أنصاره أن اللاتريل يمكنه بطريقة ما أن يستهدف الخلايا السرطانية ويقتلها بشكل مباشر، تاركاً الخلايا السليمة وشأنها. كان الادعاء خاطئاً،

وانتهى الأشخاص الذين تناولوه بتسمم السيانيد. هناك فكرة أن السرطان قد يكون نقصاً في فيتامين B17. لكن لا ، لا ينقص البشر السيانيد ، ولا نريد المزيد حقاً. لم يعد اللاتريل محبوباً في العقدين الماضيين، ولكن بالنسبة إلى عشاق فيتامين B-17 المتعصبين، فإنه لا يزال متاحاً على الإنترنت وفي عدد قليل من العيادات المشبوهة عبر الحدود.

ما يعمل في الواقع

قال طبيب فيلادلفيا بنجامين راش ذات مرة: "أنا لا أعتقد أنه لا يوجد في المملكة النباتية ترياق للسرطان." ربما كان قد تفاجأ عندما اكتشف أن أشجار الطقسوس ونباتات العنقاية ستصبح مصدرًا لاثنين من العلاجات الكيميائية القوية - قلويدات باكليتاكسيل والقلويات العنقاية - التي تعالج مجموعة متنوعة من السرطانات. قد يصاب كثيرون بالصدمة عندما يكتشفون أن الزرنبخ ، الذي كان شائعاً في الأدوية المدجّلة القديمة الخطرة وغير المجدية ، أصبح الآن علاجاً مهماً لنوع واحد من سرطان الدم.

اليوم ، نحارب الأورام الخبيثة بالعلاج الكيميائي الذي يشمل العلاجات البيولوجية. هناك حصار هرموني للسرطانات التي تسببها الهرمونات ، والأجسام المضادة وحيدة النسيلة التي تستهدف الخلايا السرطانية ، ومؤخراً ، توجه العلاج المناعي الذي ينشط جهاز المناعة لدينا لقتل الخلايا السرطانية. أصبحت الجراحة الآن أكثر دقة وأماناً بفضل التعقيم والفهم الحديث للتشريح. وعلى الرغم من أن الإشعاع يمكن أن يسبب السرطان ، إلا أن علماء الأورام بالإشعاع المعاصرين

لديهم فهم عميق لفيزياء الإشعاع ، ويستخدمون تقنية محسّنة لاستهداف مناطق العلاج بجرعات محددة. لا تخطئ ، لدينا كثير من العمل الذي يتعين علينا القيام به ، لكننا لم نعد نعيش في تلك العصور التي لا حول لها ولا قوة حيث تأكل العنب الآن وتأمل الأفضل.

شكر وتقدير

ذات صباح مشمس في مقهى في سان دييغو، التفتت إلينا أبريل جينيفيف توتشولك وقالت: «يجب أن تكتبوا كتابًا معًا» شكر خاص جدًا لأبريل على تشجيعنا لخوض هذه الرحلة الممتعة للغاية.

إلى إيرك مايرز، وكيلنا لهذا الكتاب، الذي رأى جوهرًا في مقترحنا، شكرًا على جعل هذا ممكنًا.

إلى محررنا سام أوبراين، وبقية الفريق الرائع في دار Workman. شكرًا لك على العثور على مكان لكتاب الدجل، وجعله يتألق حتى يصل إلى مستوى عالٍ من التألق. كان هذا ممتعًا للغاية. غريب في بعض الأحيان، لكنه ممتع للغاية.

شكر خاص جدًا لأمناء المكتبات والعاملين في مكتبة ماكجوجان الطبية في مركز جامعة نبراسكا الطبي. قدم جون شلايشر جولة رائعة عبر المحفوظات التاريخية. مهدت مارى هيلمز الطريق إلى هناك وكانت داعمة جدًا لهذا المشروع. شارك كامرون بوتشر معنا بعض الصور الرائعة. شكرًا لكل أمناء المكتبات الذين بحثوا في طلبات المقالات عن أشياء تشمل «أكل لحوم البشر» و«التسمم بالزرنيخ» - شكرًا لكم على عدم الاتصال بقسم الشرطة.



ليديا كانغ

أحبكم لذلك. إلى جميع أفراد
عائلتي (سو) أقدر دائماً حبكم
ودعمكم وفضولكم.

لدي كثير من الأصدقاء في عالم
الطب الذين قدموا النصيحة
والدعم - أنجيلا هوكينز،
وكريس برونو، وجيل إثيرتون،
وفيدجا روشلينج، من بين
آخرين كثيرين. الطاقم في عيادتي
وزملائي - أشكركم على رعاية
مرضاي الرائعين معي. شكراً
سينثيا لايتيش سميث على وقتك
وخبرتك. شكراً سيدني شميت
على كل مساعدة بيليوغرافيا.
شكراً لإميلي نابير لتنظيمها كل
شيء. كثير من الحب لدوشانا،
تونيا، مورين، سيندي، آنا،
إيلين، آريان، وآخرين كثيرين
ممن دعموني في أثناء هذا العام
المزدحم. إلى سارة فاين، مأمي
وأخيراً، لنيت بيدرسن، شريكي

إلى صديقي المفضل وشريكي
في الحياة، بيرني سو، الذي عمل
بوصفه محرراً ومستشاراً بلا أجر.
أشكر أطفالي لأنهم لم يفزعوا أبداً
عندما صرخت وتفوهت بأشياء
غريبة وعشوائية في أثناء كتابة
هذا الكتاب.

إلى الدكتور تشانغ-ووك كانغ،
وأخي الدكتور ريتشارد كانغ،
كلاكما تجسدان النعمة والذكاء
والقوة في عملكما وحياتكما. إلى
أمي، كيونغ جا، التي لا تتوقف
أبداً عن حراستي - حب مني
لك.

أختي أليس، شكراً من أجل
الدعم الذي لا ينتهي. إلى دانا
وسانغ - عناق كبير لكما. وإلى
بنات وأبناء إخوتي - عمتم
غريبة وأنتم لا تهتمون وأنا

في الجريمة السامة - أنت الرجل
الأكثر برودة من بين الذين
عرفتهم، وأنت رائع جداً. دعنا
نتناول العشاء مع عائلتنا (سو)
قريباً، حسناً؟



نيت بيدرسن

شكراً ريببكا ريغو من مجلة Fine
،Books & Collections

لدعمها في الكتابة والتحرير ولتوفير
مكان لكثير من مقالاتي.

مكتبة ديشوتيس العامة.

متحف مقاطعة ديشوتيس
التاريخي.

كيلى كانون ميلر للتعاون.

توماس بيدرسن لوجوده دائماً هناك

ودائماً ما يشجعني أبريل جينيفيف

توتشولكه لكثير من الأسماء التي

سميتها. في الذاكرة

ليديا كانغ - شكراً لك على الكفاءة
والسرعة والدقة الطيبة. كنت
المؤلفة المشاركة المثالية. دعينا نعيد
هذه التجربة مرة أخرى في وقت ما.
شكراً بول كولينز وسكوت كارني
لتقديمهما النصائح بسخاء عندما
بدأت العمل المستقل صحفياً.
وسيمون وينشستر؛ لأنك طلبت
منني التوقف عن العمل الحر
ومحاولة الكتابة بدلاً من ذلك.
شكراً جيمس دانكي لكل الدعم
عبر السنين.

الفهرس

٧	المقدمة
١١	العناصر: وصفات من الجدول الدوري
١٣	الزئبق:
٢٧	الأنثيمون:
٣٩	الزرنيخ:
٥١	الذهب:
٦١	الرادون & الراديوم:
٧٩	النباتات & التربة
٨١	المهدئات
٩٣	الإستركنين
١٠٥	التبغ
١١٩	الكوكايين
١٢٩	الكحول
١٤١	التراب
١٥٥	الأدوات:
١٥٧	الفصد
١٦٩	الجراحة الفصية
١٨٣	العلاج بالكلي & التفرح
١٩٧	الحقن الشرجية
٢٠٩	العلاج بالماء والماء البارد
٢٢١	الجراحة
٢٣٣	التخدير
	الحيوانات
٢٥١	العلقات
٢٦٣	أكل لحوم البشر
٢٧٧	الأدوية المشتقة من الحيوانات

الفهرس

٢٨٩	الجنس
٣٠٣	الصيام
٣٢١	قوى غامضة : الأمواج والأشعة والأجواء الغريبة
٣٢٣	الكهرباء
٣٣٥	المغناطيسية الحيوانية
٣٤٥	الضوء
٣٥٩	استخدام الراديو نكس
٣٧١	لمسة الملك

الدجل

تاريخ موجز لأسوأ الطرق
لعلاج كل شيء

«نظرة ثاقبة على الغطرسة البشرية في قصة العلاج المحتمل لجميع أمراضنا».

NPR's Science Friday

كتاب الدجل هو أكثر من مجرد نظرة عامة على التحاميل المشعة، ومسحوق المومياء، هو غوص مثير في رغبة الإنسان في العيش والازدهار وقوة الإيمان المذهلة. مبهجة ومثيرة للقلق ومقلقة بشكل مبهج، يسرد كتاب الدجل حكايات طبية رائعة من جميع العصور، بما في ذلك العصر الذي نعيش فيه. مدهش ما فعله المرضى ذات مرة باسم «الصحة». الأمر الذي يجعلك تتساءل ما الذي سنفعله نحن؟».

Dylan Thuras ، مؤلف مشارك لـ Atlas Obscura

«حكايات رائعة وممتعة ومثيرة للغضب في بعض الأحيان... حكاية تحذيرية يجب أن يتردد صداها حتى اليوم - تذكير بأنه عندما يتعلق الأمر بالرعاية الصحية، وأن تكون مستهلكًا مطلقًا قد ينقذ حياتك بالفعل».

ديورا بلوم ، مؤلف كتاب:

The Poisoner's Handbook: Murder and the Birth of Forensic Medicine in Jazz-Age New York

«إكسبير فقاعي من الأشياء غير المجدية بشكل هزلي ، والمبالغ فيها بشكل كبير ، والغريب السهل في علاجات محتملة عبر التاريخ. انزع ملصقات طب براءات الاختراع القديمة والجدابة تلك، وأضف بعض الكلمات الرنانة الحديثة ، لتعجب من مدى التغيير (والذي لم يتغير بعد)».

بول كولينز ، مؤلف كتاب:

The Murder of the Century: The Gilded Age Crime

أن تبدأ.. هذا كل ما لديك

ISBN: 978-9922-978-95-6



9 789922 978956

بابي
للنشر والتوزيع